الشوقيات

(الصحيحة)

للمرحوم

أحمد شوقي

الجزء الأول

السياسة والتاريخ والاجتماع

الشوقيات

(الصحيحة)

للمرحوم

أحمد شوقي

الجزء الأول

السياسة والتاريخ والاجتماع

إلى سرّ إسماعيل

خالق نهضةِ الفكر في مصر والشرق ؟

شوقي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الصحيحة بقلم الدكتور
مصطفى أمين الرفاعى

منذ طفولتى وأنا أعشق الشعر واطرب له ، وقصتى مع أحمد شوقى بدأت منذ الطفولة عندما قرأت قصيدة النيل :

النيل العذب هو الكوثر   والجنةُ شاطئه الأخضر

وطربت من قصيدته (نشيد مصر) التى كنا ننشدها فى المدارس والتى تدعو إلى الوحدة والوطنية والفداء .

لنا وطن بأنفسنا نقيه   وبالدنيا العريضة نفتديه
إذا ما سيلت الأرواح فيه   بذلناها كأن لم نعط شيًّا
جلعنا مصر ملّة ذى الجلال   وألّفنا الصليب على الهلال
واقبلنا كصفٍ من عوالى   يَشُدُّ السَمهرى السمهريا

وسمعت عشرات القصائد التى نظمها شوقى للطفل والتى تدعو إلى القيم الأخلاقية الرفيعة والمبادئ السامية .

ومنذ ذلك الحين وأنا أعيش فى رحاب شوقى ، قرأت الشوقيات ، ومسرحياته الشعرية ، ثم قرأت الشوقيات المجهولة للدكتور محمد صبرى وهى جزئين كبيرين تربو على خمسة آلاف بيتًا من الشعر جمعهما المؤلف ولم تنشر فى الشوقيات . عشت مع شوقى فى صباه وشبابه وكهولته ، عشت معه طفلاً ويافعاً وشاباً ورجلاً ، عشت معه فى شوارع القاهرة وفى قصورها وفى سوريا ولبنان وفى تركيا وباريس وفى المنفى فى الأندلس .

شعرت بالعزة وهو يمجّد حضارة مصر القديمة ، الأهرام ، ابو

الهول ، مقبرة توت عنخ آمون التى كانت ولا تزال حديث الدنيا :

وبنينا فلم نخّل لبان وعلونا فلم يجزنا علاء
أجفل الجن عن عزائم فرعو ن ودانت لبأسها الآناء
شاد ما لم يشد زمان ولا أنـ شأ عصر ولا بنى بنّاء

لم يضع حجراً بان على حجر فى الأرض إلا على آثار بانينا

شعرت بالفخر وهو يفخر بمصريته ، لنسمع ما وجهه لرئيس الولايات المتحدة (روزفلت) الذى كان يزور معبد أنس الوجود بأسوان بعدما ألقى خطبه فى السودان ضد المطالب الوطنية المصرية ، فيقول له اخشع لحضارتنا :

اخلع النعل واخفض الطرف واخشع لا تحاول من آية الدهر غَضّا
وأنا المحتفى بتاريخ مصر من يصن مجد قومه صان عِرضًا

حزنت معه على دخول الرومان مصر وانتحار كيلوباترة ، وعلى زوال الحضارة العربية من الأندلس :

أين مروان فى المشارق عرشٌ اموىٌ وفى المغارب كُرسى

وعلى زوال الخلافة الاسلامية فى تركيا :

يا أخت أندلس عليك سلام عفت الخلافة عنك والاسلامُ

بكيت معه وهو يرثى مصطفى كامل وسعد زغلول ومحمد فريد وشاعر النيل حافظ ابراهيم . أعجبت بشوقى الانسان وهو يرثى تولوستوى ، فكتور هوجو ، ويبكى ضحايا حريق ميت غمر وضحايا زلزال طوكيو ويوكوهاما وضحايا الباخرة لويز يتانيا .

ثرت مع ثورته ضد جرائم الاستعمار ، مأساة دنشواى ، قصف دمشق ، قصف بيروت ، شنق عمر المختار بطل ليبيا .

سعدت به وهو يُمَجِّد الاسلام ، ويمدح الرسول (ﷺ) ، ويدعو للوحدة الاسلامية .

سعدت بشوقى وهو يدعو للجهاد لتحرير أرض العرب من الاستعمار :

وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤْخذ الدنيا غِلابا

تعلمنا منه حب الوطن ، وتفضيله على الحياة نفسها .

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى
فيا وطنى لقيتك بعد يأسٍ كأنى قد لقيت بك الشبابا

سعدت به وهو يدعو إلى الوحدة الوطنية فقد كانت عنده مبدأ وعقيدة .

الم نكُ من قبل المسيح بن مريم وموسى وطه نَعْبُد النيل جارياً

هذى ربوعكم وتلك ربوعنا متقابلين نعالج الأياما
هذه قبوركم وتلك قبورنا متجاورين جماجمًا وعظامًا

سعدت به وهو يُمَجِّد سعد زغلول قائد ثورة عام ١٩١٩ ، ويطالب الملك فؤاد بالدستور بشجاعة واصرار ، ويفهم الشعب أن هذا حق سُلِب منه ، وليس منحة تعطى له . سعدت به وهو يؤيد محمد طلعت حرب رائد ثورة مصر الاقتصادية ، ويقف إلى جانبه ضد مؤامرات الانجليز والحكومة .

تعلمت منه أن العلم هو أساس رقى الأمم ومصدر قوتها ، وأن القلم وليس السيف هو الذى يقيم الحضارة ويثبت أركانها .

تعلمنا منه أن الأخلاق الفاضلة هى أساس بناء المجتمع الصالح :

وليس بصالح بنيان قوم   إذا أخلاقهم كانت خرابا

سعدت به وهو يدافع عن حقوق المرأة ويطالب بفك قيودها ويطالب بتعليمها وتثقيفها .

لقد ظُلم شوقى فى حياته ، فنُفى من مصر لمواقفه الوطنية ضد الانجليز والسلطان حسين كامل ، وظُلم بعد رحيله عندما أُعتُدى على ديوانه منذ الخمسينات ، وشوهت صورته كما لم يحدث لديوان شاعر من قبل ولا من بعد ، فقد حُذِفَ منه أكثر من ستمائة بيت من الشعر فى الدواوين التى طبعت منذ عام ١٩٥٦ حتى الآن !

بصيرة شوقى :

إن الشاعر الفذ يرى ما لا يراه الناس ، ويشعر بما لا يشعر به البشر،وشوقى كان حاد البصيرة ، وكأنه كان يقرأ المستقبل ، والأمثلة على ذلك كثيرة فى شعره ، ففى قصيدة السلطان حسين كامل يقول مهاجماً الانجليز والسلطان :

هل كان ذاك العهد إلا موقفًا   للسلطتين وللبلاد وبيلا
وانفض مجلسه وشاهده على   أن الرواية لم تتم فصولا

وقد صار البيت الأخير مثلاً يردده المصريون ، وفعلاً لم تنته الرواية كما أرادها الانجليز ، ولكن امتدت فصولها ، وكان شوقى متنبئاً فيها بثورة عام ١٩١٩ ، التى رفضت الحماية والاحتلال .

وفى قصيدة توت عنخ آمون يوجه شوقى اتهامه إلى اللورد كارنارفون بأنه سرق من المقبرة ، يقول :

أبُوتنا وأعظمهم تراثا   نحاذر أن يؤول لآخرينا
سَكَتَّ فحام حولك كل ظنٍّ   ولو صرحت لم تثر الظنونا
يقول الناس فى سِّر وجهر   ومالك حيلة فى المرْجفينا

أمن سرق الخليفة وهى حَى　　يعف عن الملوك مكفنينا

ويحتج الانجليز على هذا الاتهام !

وتتحقق رؤية شوقى بعد واحد وستين عامًا عندما نَشَرت الصحف البريطانية عام ١٩٨٣ أن حفيد اللورد عثر فى حجره مهجورة من القصر على عشرات القطع من كنز توت عنخ أمون وعرضها للبيع ، ومن شابه جده فما ظلم .

وعندما وضع محمد طلعت حرب حجر الأساس لبنك مصر ، بالرغم من محاربة الحكومة والانجليز للمشروع ، يتصدى شوقى للمعارضين ويؤيد المشروع ، يقول :

أسستموا بالحاسدين جداره　　وبنيتموا بمعاول الهَدام

من همة المحكوم وهو مكبَل　　بالقيد لا من همة الحُكَام

ويتنبأ شوقى بنجاح المشروع ، ويرى فروعه تنتشر فى البلاد ! ، ولم يكن هناك إلا حجر الأساس .

تدفق مصرف الوادى فروّى　　وصاب غمامه فسقى وجادا

ومن عجب نُثَبتها أصولا　　وتلك فروعها تَغْشى البلادا !

الدعوة الاسلامية :

لقد دعى شوقى إلى الدولة الاسلامية ، فكان يرى أن الاسلام دين ودنيا ، عبادة ونظام للحكم :

الدين يسر والخلافة بيعةٌ　　والأمر شورى والحقوقُ قضاء

بيّن أن الدين يسر ، وأن الشعب هو الذى يختار الحاكم ، وأن تصريف أمور الدولة يكون برأى ممثلى الشعب (الأمر شورى) ، وأنّ

الحقوق تؤخذ بالقضاء – لقد لخص مبادئ الشريعة الاسلامية فى بيت واحد من الشعر .

وقد بيّن أن الاسلام دعى إلى العدالة الاجتماعية ، وطبقها بتؤدة على مراحل ، وينتقد النظام الشيوعى الذى عالج طفرة واحدة ، وقال فيه إنه أكثر ضرراً ، وكان فى ذلك متنبئاً بفشل الشيوعية .

الاشتراكيون أنت امامهم لولا دعاوى القوم والغلواء
داويت متئداً وداووا طَفْرةً واخف من بعض الدواء الداء

ويفلسف الشريعة الاسلامية فيقول إن الحرب ضرورة للدفاع عن العقيدة ولكنه لا يسعد بالحرب فهى كالسم ، ولكن اليس السم يُستعمل احياناً كدواء لشفاء الأمراض ، ثم يؤكد انّ الزكاة فريضة وليست مِنّة وفى ذلك حفاظ على كرامة الانسان .

الحرب فى حق عليك شريعة ومن السموم الناقعات دواء
والبر عندك ذمة وفريضة لا منّة ممنونة وجِباء

ويؤكد ويكرر انّ الناس تحت حكم الشريعة سواسية .

الله فوق الخلق فيها وحده والناس تحت لو ائها اكفاء

شوقى والدستور :

لقد تعلم شوقى فى فرنسا وتشبع بروح الحرية والمساواة ووعى أن الأمم لا تنهض إلا إذا كان الشعب هو مصدر السلطات ، فنادى بالدستور ودافع عنه ، فهو لا يؤمن بالدكتاتورية ، ويرفض حكم الفرد فهو القائل « إن حكم الفرد مرزول لعين » .

وبالرغم من أن شوقى كان مقاتلاً قويًا من أجل الدستور ، إلا أن النقاد تجاوزوا عن تقييم هذا الانجاز العظيم ، وربما يكون العذر لهم فى ذلك التجاهل ان كثيراً من الابيات التى دافع فيها شوقى عن الدستور

قد حذفت منذ الشوقيات منذ عام ١٩٥٦ ، ولكن ما هو العذر لنقّاد قبل عام ١٩٥٦ .

لما بدأ الخديوى عباس حلمى فى تطبيق الحكم الشورى ، سَعَد شوقى بذلك ، كما سعد وافتخر بمصر التى سبقت الشرق فى تطبيق أحكام الحياة الدستورية قال :

عروس الشرق مصرٌ ولا أبالى لقد شبّت وما بلغ الرضاعا
اخَذَتْ بِشُوروىِّ الحكم فيها وما تألوا مناهجه إتّباعا

وعندما يخاطب شوقى الشعب المصرى بعد تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى أقرّ الحقوق الدستورية ، يحرض شوقى الشعب على الاسراع فى تطبيق أحكام الدستور ، فهو حقّ كان مغتصباً وليس منحة من الحاكم :

أُعدت الراحة الكبرى لمن تعبا وفاز بالحق من لم يألُه طلبا
وأن فى راحتى مصر وصاحبها عهدا وعقدا بحق كان مُغتَصَبا
نِلْتم جليلا ولا تُعطون خردلةً إلا الذى دفع الدستور أو جلبا

وعندما تقاعس الملك فؤاد عن بدء الحياة الدستورية عام ١٩٢٣ وكان الخلاف على أشده بيّن الملك وسعد زغلول ، يقول شوقى :

زمان الفرد يا فرعون ولّى ودالت دولة المتجبرينا
وأصبحت الرُعَاةُ بكل أرضٍ على حُكْم الرعيةِ نازلينا

ويوجه كلامه إلى توت عنخ آمون عام ١٩٢٣ والكلام لك يا جارة (للملك فؤاد)

قسمًا بمن يحيى العظام ولا أزيدك من يمين

وطَلعت من وادى الملوك | عليك غارُ الفاتحين
لرأيت جيلاً غير جيـ | ـلك بالجبابر لا يدين
ورأيت مَحكومين قد | نَصَبُوا وردّوا الحاكمين
إن الزمان وأهله | فرغا من الفرد اللعين

وعندما افتتح البرلمان لأول مرة فى ١٥ مارس عام ١٩٢٤ ، ناشد شوقى أبناء مصر ألا يبعثوا للبرلمان جاهلاً أو غافلاً :

ناشدتكم تلك الدماء زكيةً | لا تبعثوا للبرلمان جهولا
فادعوا له أهل الأمانة واجعلوا | لأولى البصائر منهم التفضيلا

وعندما زُوِّرَت الانتخابات عام ١٩٢٥ ، وحلّ الملك فؤاد البرلمان ، ثار شوقى عليه ثورة عنيفة ودعى إلى الثورة :

وجواهر التيجان ما لم تتّخذ | من معدن الدستور غيرُ صِحاحِ
صوت الشعوب من الزئير مُجَمّعًا | فإذا تفرق كان بعض نِباح

ثم يؤكد زعامة سعد زغلول حامى الدستور ويلوّح بقوته :

الحق أبلج والكنانة حُرّةٌ | والعزّ للدستور والإكبارُ
يحمى لفائفه ويحرس مهده | شيخ يَذود وفتيةٌ أنصارُ
أسدٌ وراء السن معقود الحبا | يأبى ويغضب للشرى ويغار
كهف القضية لا تنام نيوبه | عنها ولا تتناعس الأظفار

ويتحدى الملك فؤاد ، فيقول عن سعد زغلول :

أو لم يكتب لها دستورها | بالدم الحرّ ويرفع منتداها
أعلمتم بعد موسى من يدٍ | قذفت فى وجه فرعون عصاها

وإذا كان هناك خلاف على من هو فرعون موسى ، فلا أظن أن هناك خلاف على من هو فرعون سعد .

ولقد كرّم شوقى الدستور ورفعه إلى مرتبة التقديس :

هو هيكل الحرية القانى له ... ما للهياكل من فدىً وأضاحِ
ينهار الاستبداد حول عِراصه ... مثل انهيار الشرك حول (صلاح) *

هذا بعض ما قاله شوقى دفاعاً عن الدستور وبالرغم من ذلك فلم يتعرض النقاد إلى هذا الانجاز العظيم إلا قليلاً .

شوقى محرضاً على الثورة :

نعم لقد حرّض شوقى على الثورة على الانجليز والقصر لانتزاع الحقوق الوطنية للشعب المصرى .

نحن لا ننكر أن شوقى مدح الملوك والأمراء كرمز للدولة ، ولكن كان إذا تعارضت مصالح الشعب مع مصالح العرش ، انحاز شوقى بلا تردد إلى جانب الشعب .

لقد هاجم شوقى الخديوى عباس حلمى ولم يتردد فى تقريعه على تقاعسه عن اعلاء شأن المُلك الذى يستمد عظمته من عظمة البلاد واستعادة حرياتها وطرد المستعمر :

ليس للدهر من وفاء ولكن ... هاب فيه العباس أن يستبدّا
صاحب النيل فى البرية إيه ... حَرِّر النيل للبرية وردا
وارفع الصوت إن عصرك حُرٌ ... لن ترى من سماع صوتك بدا
وادع سودانها إليك يلبىّ ... إنه كان للأعزة عبدا

---

* صلاح : مكة المكرمة .

ويهاجم رياض باشا رئيس وزراء مصر عام ١٩٠٤ لإشادته بالحكم الانجليزى فيقول له ، أما كان الأولى بك أن تُحرِّض الشبان على الانتفاضة ضد الانجليز :

فهلا قلت للشبان قولا يليق بحافل الماضى الهُمام
يبث تجارب الأيام فيهم ويدعو الرابضين إلى القيام

وهاجم شوقى السلطان حسين كامل عام ١٩١٥ لقبوله الحكم تحت الحماية البريطانية ، وكانت هذه القصيدة سبباً فى نفى شوقى من مصر - كما سنبين فيما بعد .

وعندما رفعت الحماية البريطانية عن مصر عام ١٩٢٠ لم ينخدع شوقى ، فلا زال الاحتلال قائماً ، فيحرض على الثورة ضد الاحتلال ، لم ترهبه قوى الاحتلال ولا سلطان العرش ولا قسوة المنفى الذى كان قريب العودة منه ، يقول :

قالو الحماية زالت قُلت لا عجبٌ بل كان باطلها فيكم هو العجبا
راس الحماية مقطوعٌ فلا عدمت كنانةُ الله حزمًا يقطع الذنبا

ويظل شوقى يحرض على الثورة ، ففى عام ١٩٢٣ أثناء انعقاد مؤتمر لوزان ، وكان الانجليز يعارضون حقوق مصر الوطنية يقول :

أتعلم انهم صلَفوا وتاهوا وصَدُّوا الباب عنا مُوصدينا
ولو كُنّا نَجرّ هناك سيفًا وجدنا عندهم عطفًا ولينا

وفى عام ١٩٢٤ نظم شوقى قصيدة يحيى فيها الشبان الوطنيين الذى أطلق سعد زغلول سراحهم من السجون ، ولا يتراجع شوقى عن مبداه فيحرض على الثورة :

يا مصر أشبال العرين ترعرعت ومشت اليكم من السجون أسودا

جادوا بأيام الشباب وأوشكوا ... يتجاوزون إلى الحياة الجودا
وجد السجين يدًا تُحطم قيده ... من ذا يحطم للبلاد قيودا
يا فتية النيل السعيد خذوا المدى ... واستأنفوا نفس الجهاد مديداً
الهدم أجمل من بناية مُصلح ... يبنى على الأسس العتاق جديدا

ويظل شوقى يحرض على الثورة ، فعندما يفاوض سعد زغلول الانجليز يقول :

وكم قد أتاك بمجموعة ... من الباطل الحقّ عنوانها
ودعوى القوى كدعوى السباع ... من الناب والظفر برهانها

وفى قصيدته (الحرية الحمراء) ، يدعو شوقى إلى سياسة القوة فهذا هو مبداه وعقيدته لتحرير الوطن ، أليس هو القائل « ولكن تؤخذ الدنيا غلابا » ، والموسيقى الشعرية فى هذه القصيدة كأنها دقّات طبول الحرب :

فى مهرجان الحقّ أو يوم الدَم ... مُهج من الشهداء لم تتكلّمِ
لابد للحرية الحمراء من ... سلوى ترَقد جَرحها كالبلسم
يوم النضال كستك لون جمالها ... حرية صبغتك أديمَكَ بالدم

ويظل شوقى على مبدئه وعقيدته فى الدعوة إلى الثورة فيقول فى قصيدته عيد الجهاد :

خطونا فى الجهاد خطا فساحا ... وهادنّا ولم نُلق السلاحا
رضينا فى هوى الوطن المفدي ... دمَ الشهداء والمال المطاحا
وبالدستور وهولنا حياة ... نرى فيه السلامة والفلاحا
بنينا فيه من دَمْعٍ رواقا ... ومن دَمٍ كل نابتةٍ جَناحا

ولا يكتفى شوقى بالحَضْ على الثورة فى مصر ، فمن واقع

انتمائه العربى ، يحرض السوريين على الثورة ضد الاستعمار الفرنسي:

بني سورية اطرّحوا الأماني والقوا عنكم الأحلام القوا
ففى القتلى لأجيالٍ حياة وفى الأسرى فدىً لهمُ وعتقْ
وللحرية الحمراء باب بكل يدٍ مضرجة يدَق

ويستمر شوقى فى أناشيده الخالدة ، يتغنى بحب الوطن والذود عنه ، مؤيداً سياسة القوة ومحرضًا الشباب عليها حتى أخر يوم فى حياته ، فيقول فى قصيدة « فتية الوادى » وقد تُلِيَتْ يوم وفاته فى ١٤ أكتوبر ١٩٣٢ :

لا يُقيمنَّ على الضيم الأسدْ نزعَ الشبلُ من الغاب الوتد
كبر الشبلُ وشبت نابه وتغطى منكباه باللُّبد
أتركوه يمش فى أجامه ودعوه من حِمى الغاب يَذُدْ
واعرضوا الدنيا على أظفاره وابعثوه فى صحاراها يَصِدْ

هذا هو أحمد شوقى الذى قال عنه بعض النقاد أنه ربيب القصر يسير على هوى صاحب العرش !

قضية القلم والسيف :

كان شوقى يرى أن القلم هو سيد الكون وهو سبيل الحضارة والرقى وبناء الشعوب « وكل بنيان علمٍ غير منهدمٍ » ، كما كان يرى أن السيف قد ينتصر إلى حين ، ولكن لا يمكنه أن يقيم حضارة أو يبنى أمة :

بالعلم يُبنى المُلك حقّ بنائه وبه تُنال جَلائِلُ الأخطار
ولقد يشاد عليه من شمّ العلا ما لا يشاد على القنا الخطّار

لا تنادوا الحُصون والسفن وادعوا الـ علم يُنشئ لكم حُصوناً وسُفناً

وشوقى كان فى ذلك فيلسوفاً وكان متنبأ بالمستقبل فقد رأينا طغيان السيف واعتداءه على القلم والفكر ، فكان فى ذلك تقويض للدول وهدم لكيانها ، وما جنكيزخان وهولاكو وهتلر وموسولينى وستالين ومن على شاكلتهم ببعيد .

ولقد تنبأ شوقى بزوال الامبراطورية التركية عندما تَخلّفت فى مجال العلم والمعرفة .

رفعوا على السيف البناء فلم يدم ... ما للبناء على السيوف دوامُ

ويؤكد شوقى أنّ القلم الحر هو اقيم شئ فى الوجود .

فعندما يوجه حديثه إلى الخديوى عباس حلمى يقول :

قل لراج أن يسترق ويراعي ... انا لا أشترى بذا التاج فيدا
نومةُ السيف قد تكون حياة ... ورايت اليراع إن نام أردى

وبينما يؤكد شوقى قوة القلم ، نجد أن المتنبى يرى أن السيف هو سيد الكون وأنه صاحب المرتبة الأولى فى الحياة :

حتى رَجَعت وأقلامى قوائل لى ... المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا ابداً بعد الكتاب به ... فإنما نحن للأسياف كالخدم

فلا يكتفى المتنبى بتمجيد السيف ، بل يقول إنّ القلم يأتمر بأمر السيف ويؤيده فى قطع الرقاب ، ولم أر تحقيراً للقلم بمثل ذلك القول .

وإذا كان أبو تمام يفضل السيف على القلم :

السيف أصدق أنباء من الكتب ... فى حده الحد بين الجد واللعب

فإن ابن الرومى يرى أن القلم هو سيد الكون ، وأن السيف هو

خادم للقلم ، فهو فى جانب شوقى :

كذا قضى الله فى الأقلام مُذْ بُريت　　　أن السيوف لها مذ أُرهفت خدمُ

ولكن شوقى لم يرفض السيف بل يعطيه الشرعية لتحرير الوطن ، او الدفاع عن العقيدة ، ولكنه يرفض السيف الذى يسترق الشعوب :

وحُرِّرت الشعوب على قناها　　　فكيف على قناها تُسْتَبرقُ

سل المسيحية الغراء كم شربت　　　بالصاب من شهوات الظالم الغلَم

لولا حماة لها هبّوا لنصرتها　　　بالسيف ما انتفعت بالرفق والرحم

ولقد وعينا انه إذا اجتمع النقيضان ، براعة حمل السلاح وموهبة الكتابة باليراع فى فرد واحد ، تغلب فيه نبوغ القلم على تفوق السيف ، فعنترة العبسى ، وابو فراس الحمدانى ، والمتنبى والبارودى ، كانوا ارباباً للسيف والقلم ، ولكن لم يُمجّدهم ولم يُخلّد ذكرهم ما طعنت قناتهم أو ما ضرب سيفهم ، ولكن خلّدهم ما سطر قلمهم وما أبدع يراعهم .

وإذا تمعنا فى فكر شوقى مقارنة بفكر هؤلاء الكبار ، أبو تمام ، وابن الرومى والمتنبى نجد أن شوقى كرّم القلم ودافع عن حريته حتى انه رفع صاحب القلم الحر إلى مرتبة أعلى من مرتبة صاحب السلطان ، وفَضّل القلم على السيف ، ولكنه لم يرفض السيف ، بل دعى إليه للدفاع عن العقيدة وعن الوطن ، ولكن رفضه كأداه للاعتداء على الشعوب . ودافع شوقى عن رأيه ، وقدّم باسلوب بليغ ، وبيان قوّى الأدلة والبراهين المؤيدة لرايه ، وكان أوضحها انهيار الامبراطورية التركية لاعتمادها على السيف وابتعادها عن القلم . وفى هذه القضية ،

قضية القلم والسيف ، ارى ان شوقى اسمى تفكيراً واقوى بياناً من كل هؤلاء الكبار .

فلسفة الحياة والموت :

كان شوقى يحب الحياة ويسعد بالدنيا ، أحب وطنه ولم يُفَضِّل عليه شيئاً :

وطنى لو شُغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

أحب الطبيعة وتغنى بجمالها ، احب المرأة وهام بها وكرّمها ودافع عن حقوقها ، احب أبناءه وأحب كل أطفال الدنيا .

أحب صغار العالمين لأجلهم ويعطف قلبى ذو أبٍ ويتيم

وأحب النابغين من البشر ورفع من شانهم .

بنو الدنيا على سفرٍ عقيم واسفار النوابغ مرجعاتُ

وتمتع بالحياة الدنيا فى اجمل صورها .

هلا ذكرت زمان كُنّا والزمان كما نُريدْ
نَسقى ونُسقى والهوى ما بين اعيننا وليد

وبينما يرفض ابو العلاء المعرى فكرة الحياة نفسها « هذا جناه ابى علىّ » فإن شوقى يُرحّب بالحياة ، ويرفض فكر المعرى :

بينى وبين أبى العلاء قضيةٌ فى البِّر استرعى لها الحكماءَ
هو قد رأى نعمى ابيه جنايةً وأرى الجناية من ابى نعماءَ

وبينما نرى شوقى يحب أطفاله وكل أطفال الدنيا يرفض المعرى

أن يكون له ابن فى الدنيا التى يكرهها :

وإذا أردتم بالبنين كرامة ... فالحزم أجمع تركهم فى الأظهرِ

وكما تمنى للوليد الا يولد ، تمنى للحىّ أن يفنى .

فليت وليداً مات ساعة وَضْعِهِ ... ولم يرتضع من أمه النُفَساء !

وشوقى من واقع ايمانه ، يرى أن الموت والحياة هما سُنَّة الكون .

خلقنا للحياة وللممات ... ومن هذين كل المعجزات

ولكن شوقى يرفض الفناء ويتمسك بأحبال الحياة حتى بعد الموت :

دقّات قلب المرا قائلة له ... إن الحياة دقائق وثوان
فاعمل لنفسك بعد موتك ذكرها ... فالذكر للانسان عمر ثان

ولكن المعرى لا يقبل الموت ولا يؤمن بالبعث ، وكما يقول الدكتور طه حسين فإن فكره فى هذا الموضوع مضطرب اضطراباً شديداً .

يقول المعرى :

ريْب الزمان مُفرّق الالفين ... فاحكُم إلهى بين ذاك وبينى
انهيت عن قتل النفوس تعمدا ... وبعثت أنت لقتلها ملَكَيْن !
وزعمت أنّ لها معاداً ثانيا ... ما كانا أغناها عن الحالين !

ربما يكون المعرى قد استقى هذا الفكر المُعْوّج من استاذه المتنبى الذى قال :

وما الدهر اهل أن تُؤَمل عنده ... حياةٌ وأن يُشتاق فيه إلى النسل
إذا ما تأملت الزمان وصرفه ... تيقنت أنّ الموت ضرب من القتلِ

وارى ان فكر المعرى فى قضية الموت فكراً سقيماً بعيداً عن المنطق السليم والراى السديد ، فلو فرضنا جدلاً توقف الموت لبلغ البشر عدداً لا يمكن للأرض أن تتحمله أو تستوعبه ، فقد خلقنا الله للحياة والموت.

وكما رأينا فإنّ شوقى انسان متواضع يؤمن بتفوق صفوة من البشر ، ويمجّد النابغين ، ويرى أنهم زينة الحياة الدنيا ، ويرى أنهم خالدون بذكراهم ، ولكنه فى النهاية يخضع للموت فهو سنّة الوجود وهو ضرورة لصلاح الحياة :

بنو الدنيا على سفر عقيم — وأسفار النوابغ مرجعاتُ
ارى الأموات يجمعهم نشور — وكم بُعثِ النوابغ يوم ماتوا
صلاح الأرض أحياءً وموتى — وزينتها وانجمها الهداةُ

وفى قوله « بُعث النوابغ يوم ماتوا » أى أنهم لم يموتوا ، وهو تكريم للصفوة المميزة والمعنى بليغ جميل .

أما المتنبى والمعرى فكلاهما متكبر لا يؤمن إلا بنفسه .

يقول المتنبى :

وكل ما خلق الله — وما لم يُخْلقِ
مُحتقر فى هِمّتى — كشعرة فى مِفْرقى

ويقول المعرى :

وإنى وإن كنت الأخير زمانه — لآتٍ بما لم تَستطِعْه الأوائل

أما قضية ما بعد الموت فقد رأينا اضطراب رأى المعرى فيها ، أما المتنبى فلم يتطرق إلا ما بعد الموت ، فلا ذكر ولا ذكرى ولا بعث ولا حساب ولعل ذلك السلوك يرجع إلى شخصية المتنبى الذى لم يكن متديناً، ولم يُعْرف عنه انه سجد للصلاة .

أما شوقى فقد كان قلبه عامراً بالايمان فقد نظم فى رفعة الاسلام وجمع شمل المسلمين قصائداً خالدة .

وإذا تَمَعَّنا فى فكر وشخصية شوقى وجدنا أنه انسان مؤمن متواضع يحب الناس ويحب الحياة ، ويرفع من شأن النابغين ، ويُمجِّد ذكراهم فهم يعيشون فى قبورهم « وآخرون ببطن الأرض أحياءُ » وكما هو متعلق بالحياة ، فهو مؤمن بالموت ، بل يرى أن الموت ضرورة لصلاح الأرض ، ولكنه يرفض الفناء فيحرِّض على مكارم الأخلاق «فارفع لذكرك بالجميل بناء» ، « إن الخلود الحق بالآثار» .

المرأة :

كان شوقى يرى أن المجتمع لا يرقى إلا إذا أعطيت المرأة حقوقها كاملة ، فدافع عنها ، وهاجم كل من اعتدى على حقوقها ، بل وتحيز لها. لقد ظلَم الرجل المرأة أحقابا طويلة فى مصر والشرق ، فكبِّلت بالقيود والأغلال فى الحريم ، وحُرمت من التعليم والتنوير .

فبينما نرى أبا العلاء المعرى لا يحترم المرأة ويطلب من الرجال الا يعلموها القراءة والكتابة .

علموهنّ النسج والغزل والردّ　　ن وخلّوا كتابة وقراءة

نرى أن شوقى يدعو إلى تعلم المرأة :

وإذا النساء نشأت فى أُميةٍ　　رضع الرجال جهالة وخمولا

وعندما يرثى الأميرة فاطمة اسماعيل ، التى أنشأت جامعة القاهرة ، يتمنى أن تكون هناك جامعة لتعليم المرأة :

من ذا يؤسى هذه　　الجامعة المستعبرة
لو عشت شِدْت مثلها　　للمرأة المحّررة

ويسعد بالمرأة عندما رفعت الحجاب واشتركت فى ثورة عام ١٩١٩.

مصر تُجَدِّد مجدها ... بنسائها المتجددات
لما حضَنّ لنا القضية ... كُنّ خير الحاضنات

ولما لاحظ شوقى أن بعض الشيوخ يتزوجون من فتيات صغيرات بعد اغراء أسرهّن بالمال ، ثار لكرامة المرأة .

ما زُوجت تلك الفتاة وإنما ... بيع الصبا والحسن بالدينار
فتشت لم أر فى الزواج كفاءةً ... ككَفَاءةِ الأزواج فى الأعمار

وفى مسرحياته الخالدة يضع شوقى المرأة فى المرتبة العليا ، فهى البطلة فى كل مسرحياته ، الأميرة نيتيناس فى « قمبيز » ، وكيلوباترة فى « كيلوبترة » ، وعبلة فى « عنترة » ، وليلى فى « مجنون ليلى » وآمال فى « على بك الكبير » ، وهدى فى (الست هدى) .

أما المرأة كمحبوبة ، فقد نظم فيها شوقى أرق قصائد الغزل :

وتعطلت لغة الكلام وخاطبت ... عينىَّ فى لغة الهوى عيناك
لا أمس من عمر الزمان ولا غد ... جمع الزمان فكان يوم رضاك

ولما بلغ شوقى المشيب ، بكى على الشباب الذى ولّى ، وقلبه الذى شاخ ، وعلى المرأة التى لم تعد تنظر إليه ، وعلى شباكه التى لم تعد تعمل :

شَيَّعتُ أحلامى بقلب باك ... ولمحت من طرق الملاح شباكى
ويح ابن جنبى كل غاية لذّة ... بعد الشباب عزيزةُ الادراك

حلم أريد رجوعه ... ورجوع أحلامى بعيد

وهب الزمان أعادها هل للشبيبة ما يُعيد

وقد وعينا أن الشعر العربى يزخر بأجمل وأرق قصائد الغزل والحب وتدليل المرأة العربية ، مما جعل المرأة العربية تتيه فخراً ودلالاً ، وقد كان لشوقى مكاناً مميزاً فى هذا المجال .

ولكن شوقى هو صاحب المقام الأعلى فى الوصف الجميل والتعبير الرقيق ، لأجمل سنوات عمر الانسان ، مرحلة الشباب ، كما عبَّر بمقدرة فائقة على الألم والحسرة عند زوالها .

الفكاهة :

إن الفكاهة ضرورة من ضرورات الحياة ، فهى تُسّرى عن نفوسنا وتجعل الحياة اكثر بهجة وأكثر جمالاً ، والأعمال والمسرحيات الفكاهية لا يقدمها إلا ذوى المواهب الخاصة ، وقد يُعبِّر الشاعر أو الكاتب عن طريق الفكاهة ما لم يستطع أن يعبر عنه بالكتابة التقليدية وكما اضحكنا المتنبى عن كافور الأخشيدى ، واضحكنا شكسبير عندما جَسّد المرابى اليهودى القاسى فى شخصية شيلوك فى رائعته « تاجر البندقية » ، اضحكنا شوقى فى مسرحية الست هدى المزواجة ، وباشعاره الرقيقة عن الدكتور محجوب ثابت ، فيقول عن سيارة الدكتور المتهالكة :

وقد تَخْرُن احيانًا وتمشى وحدها تاره
ولا تشبعها عَينٌ من البنزين فواره

وعندما يصف شوقى شَخصية « بشر » الكاذب الذى يعيش فى الوهم ويدعى البطولة ، ويسطو على اعمال غيره يقول له (مسرحية مجنون ليلى) :

والله لم تَغْضب لظَبْى ولم تثب بذئب ، ولم تعمل خيالا ولا فكرا
أخذت فلم تترك لقيسٍ بضاعةً سرَقت لعمرى الظبى والذئب والشعرا

ويهين شوقى (زينون) أمين المكتبة فى مسرحية كيلوباترة :

إذا ما نَفَقْت ومات الحمار أبينك فرق وبين الحمار

ويهين صخر الجبان فى مسرحية عنترة :

إذا عـوى الكلب ضلَّ الســلاح وبَلَّ من الخـوف ســرواله
يجـود بزوجـتـه للمـغـيـر ويرمـى إلى الذئب أطفـاله

هل يمكن أن يهان انسان بأكثر من هذا القول .

مناقشة كبار النقاد فى شخصية شوقى (شوقى والترك) :

لقد كان الدكتور **محمد حسين هيكل باشا** من أكبر المعجبين بشعر شوقى ، ولكنه يقول فى مقدمته فى الطبعة الثالثة للشوقيات «وقد بلغ من حُب شوقى للترك أنْ كان يعتبرهم مجموعة فضائل لا تشوبها نقيصة) وذلك فى تعليقه على أنّ القصائد التركية أكثر من القصائد التى تحدث فيها عن العرب وأن قصائده التركية عميقة العاطفة، وقال الدكتور هيكل أن مَرْجع ذلك أن الأتراك كانوا مقر الخلافة وقبلة المسلمين الزمنية يجرى من دمهم فى عروق الشاعر الكبير .

ونحن لا ننكر أن شوقى كان عُثمانيٌ الهوى ، وأنه مدح الترك وافتخر بهم كرمز للخلافة الاسلامية ، ولكننا نختلف مع الدكتور هيكل من أن شوقى كان يرى الأتراك مجموعة فضائل لا تشوبها نقيصة . والحقيقة أنّ شوقى شعر بأنّ الامبراطورية التركية سائرة إلى زوال للضعف والوهن والتخلف الذى أصاب جسمها .

وكان يرى أنّ الأتراك تَخلّفوا فى مجال العلم ، ففقدوا القوة التى سوف تحكم وتتحكم فى حياة الشعوب . رأى ببصيرته الحادة أنّ الدنيا قد تغيرت وأنّ قوة السيف لا ترقى ولا تعادل قوة العلم ، قال موجهاً نصيحته إلى الترك :

هذا الزمـان تناديكم حـوادثه يا دولة السيف كونى دولة القلمِ
فالسيف يهدم فجراً ما بَنَى سحراً وكل بنيان علم غير مُنهدم
وأصبح العلم ركن الآخذين به من لم يقم رُكنه العرفان لم يقم

ثم ينتقد الجيل الجديد من الأتراك الذى لا يؤمن إلا بالقوة ، وينتقد مُعلمهُم الذى لا يوجه النشء إلى طريق العلم والثقافة :

إنى هتفت بكل يوم بسالة ... للترك لم يُؤثر من الآساد
فهززت نشئًا لا يُحرك للعلا ... إلا بذكر وقائع الأنجاد
عصف المُعلّم فى الصبا بذكائهم ... وأصار نار شبابهم لرماد

ويعاتب الترك لتخلفهم عن ركب العلم الذى هو أساس بناء الأمم ، ويحذرهم من التفاخر بالتراث ومن الغرور :

هذا جناه عليكم اباؤكم ... صبراً وصفحًا فالجناة كرامُ
رفعوا على السيف البناء فلم يَدُم ... ما للبناء على السيوف دوام
أبقى الممالك ما المعارف أسُّه ... والعدل فيه حائط ودعام
فإذا جرى رشدا ويمنا أمركم ... فامشوا بنور العلم فهو زمام
ودعوا التفاخر بالتراث وإن غلا ... فالمجد كسب والزمان عصام
إن الغرور إذا تملّك أمة ... كالزهر يخفى الموت وهو زؤام

وعندما خرج السلطان التركى وحيد الدين عن الأمانى الوطنية ومالأ أعداء بلاده ، واستبد بالحكم ، تصدى له شوقى وهاجمه قائلاً :

ووليّا للطواغيت بها ... كان يُدعى بأمير المؤمنين
البس الإسلام ذُلاً وكسا ... خلفاء الله اثواب القطين

أما تقييمه لحكم الأتراك بمصر ، فقد هاجمه فى ملحمته الرائعة « كبار الحوادث فى وادى النيل » ، فيقول إنّ الحاكم التركى كان آلة فى يد المماليك :

واذكر الترك انهم لم يُطاعوا ... فيرى الناس احسنوا أو اساءوا

حكَمت دولة الجراكس عنهم	وهى فى الدهر دولة عسراء
واستبدت بالأمر منهم فباشا	الترك فى مصر آلة صمّاءُ

وعندما أسقط مصطفى كمال الخلافة الاسلامية ، ثار شوقى عليه ثورة عنيفة ، ونبّهه إلى أن زوال الخلافة سوف يقضى على وحدة الكيان الاسلامى ، وشوقى كان محقًا فى ذلك ، فقد انهار كيان العالم الاسلامى بعد سقوط الخلافة – قال شوقى فى مصطفى كمال فى قصيدة خلافة الاسلام :

افتى خُزعْبلة وقال ضلالةً	وأتى بكفرٍ فى البلاد بواح
إنّ الغرور سقى الرئيس براحة	كيف احتيالك فى صريع الراح
تركته كالشبح المؤله أُمةً	لم تسل بعد عبادة الأشباح

وكما نرى فقد هاجم شوقى الشعب التركى ، وقال عنه إنه شعب مغرور متخلف علميًا ، يعبد حكامه ، وقال عن بعض حكامه انهم خونة ومغرورون ولا يحكمون بالعدل وشبههم بالأشباح . أما تقييمه لحكم الأتراك فى مصر فقد كان تقييماً سيئاً ، فقد تركوا المماليك تعيث فساداً فى الأرض ، فلم يكن للوالى التركى قيمة ولا هيبة .

هل يمكن أن يهان شعب بأكثر من هذه الأوصاف .

فكيف يقول الدكتور هيكل إن شوقى كان يرى الأتراك بدون نقيصة !!

أما قول الدكتور هيكل إن قصائد شوقى التى تحدث فيها عن الترك أكثر عدداً من القصائد التى تحدث فيها عن العرب ، وإن القصائد التركية بها حسًا أدّق من العاطفة وفيضًا أغزر من الشعر – فنحن نختلف معه أيضاً فى ذلك ، فهل قصائد (ولد الهدى والهمزية النبوية ونهج البردة وإلى عرفات) بها حسًا أقل من العاطفة ، وفيضاً أقل من الشعر – نحن نرى عكس ذلك ، فهذه القصائد تعتبر مفخرة فى شعر

شوقى وتعتبر علامة مميزة فى الدعوة الاسلامية ورفعة الاسلام ، فهى صفحات من نور كانت ولا تزال أناشيدا يتغنى بها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها .

ولم يكن الدكتور هيكل هو الذى انفرد بهذا الرأى ، وهو أن شوقى كان منحازاً إلى الترك ومفضلاً الترك على العرب ، ولكن هذه المقولة رددها كثيرٌ من النقاد ونقلوها من بعضهم البعض ، ومن الواضح أن هذا النقد كان أبعد ما يكون عن الحقيقة .

كما نختلف مع الدكتور **شوقى ضيف** من أن شوقى كان بعيداً عن الشعب قبل المنفى ، وقد استشهد الدكتور ضيف ببعض أبيات من قصيدة شوقى الذى هاجم فيها رياض باشا رئيس وزراء مصر عام ١٩٠٤ ، لأن رياض باشا قد أشاد باللورد كرومر وكفر بالخديوى عباس ومصر- قال الدكتور ضيف « إن شوقى لم يغضب لوطنه ولم يغضب لشعبه وإنما غضب لأميره ، فلم يكن يفهم حينئذ حق الفهم سوى سلطانه ، ولم يكن يدور بخلده سوى القصر الذى يعيش فيه ، قصر الأسرة العلوية الذى يتربع عباس على أريكته » .

ونحن نرى أن الدكتور ضيف لم يكن منصفاً ، ففى هذه القصيدة يقول شوقى لرياض باشا :

لَهَجْت بالاحتلال وما أتاه ... وجُرحك منه لو أحسست دامى
فهلا قلت للشُبَّان قولا ... يليق بحافل الماضى الهمام
يبُثُّ تجارب الأيام فيهم ... ويدعو الرابضين إلى القيام
أحبك مصر من أعماق قلبى ... وحُبك فى صميم القلب نامى
وهبتك غير هيَّاب يراعا ... أشدُّ على العدوِّ من الحسام

فشوقى يرفض الاحتلال ، ويلوم رياض باشا ، ويقول له أمَا كان الأولى بك أن تحرض شباب مصر إلى الانتفاضة ، ثم يتغنى بحبه وهيامه لمصر ، ويصر بشجاعة على محاربة الانجليز أعداء الوطن .

هل يوجد غضب للوطن وللشعب أقوى من ذلك ، وانتماء لمصر أعمق وأنبل من ذلك !

كما استشهد الدكتور **ضيف** بقصيدة (وداع اللورد كرومر) وقال : « ويذكر شوقى أعمال محمد على واسماعيل ويغضب غضبة قوية للأسرة العلوية وهو فى غضبه لا يستمد من الجذوة الكبيرة الهائلة ، جذوة الشعب ، وإنما يستمد من جذوة ضعيفة هى جذوة الأسرة العلوية » ! ونحن نرى أن الدكتور ضيف لم يكن منصفًا هنا أيضاً ، فهذه القصيدة ومطلعها :

ايامكم أم عهد اسماعيلا ... أم أنت فرعون يسوى النيلا

يهاجم شوقى بكل شجاعة اللورد المستبد ويقول له :

لما رحلت عن البلاد تشّهدت ... فكأنك الداءُ العياءُ رحيلا

ثم يقول عن الحكومة الانجليزية :

دخلت على حكم البلاد وشرعه ... مصرا فكانت كالسُلال دخولا

ويُعَرِّض باللورد ، لأنه عين فتحى زغلول وكيلا لوزارة الحقانية ، وهو أحد القضاة الذين حكموا فى قضية دنشواى

أم من صيانتك القضاء بمصر أن ... تأتى بقاضى دنشواى وكيلا

ويهاجم اللورد أيضاً لتعمده اضعاف الجيش المصرى :

أم هل يُعَد لك الاضاعة مِنّةً ... جيش كجيش الهند بات ذليلاً
انظر إلى فتيانه ما شأنهم ... أو ليس شأنا فى الجيوش ضئيلاً

ثم يدافع عن الدين الاسلامى ، وكان اللورد قد طعن على الدين

الاسلامي سنة ١٩٠٦ ، فزعم أنه دين لا يصلح لهذا العصر :

من سبّ دين محمد فمحمدٌ | متمكن عند إلاله رسولا

ابعد كل هذا يقال إن شوقى لم يغضب لشعب مصر وجيش مصر وعقيدة مصر .

اما ما ذكره الدكتور ضيف من أن شوقى يفخر بأعمال محمد على وابراهيم واسماعيل ، فإن شوقى كان يتصدى لِمَنْ اللورد المتكرر على مصر والمصريين وادعائه أنه جلب الحضارة إلى مصر التى لم يكن لها منها شيء ، فكان لابد وان يرده ويقول له إن عندنا حضارة قبل أن تحضر إلينا ، كان عندنا دولة كبرى ومدارس عليا وجيش واسطول ومدن حديثة ورى وزراعة يقول له :

فى كل تقرير تقول خلقتكم | أفهل ترى تقريرك التنزيلا

وعندما يفتخر شوقى بانجازات حكام مصر ، فهو يدافع عن مصر امام اللورد المتعجرف ، فالحكام هم رمز الدولة ، لا جدال فى ذلك ، ولا نرى فى ذلك أن شوقى تخلى عن جذوة الشعب ، ثم الا يستحق محمد علي وابراهيم واسماعيل التقدير لما انجزوه لمصر :

وحياة مصر على زمان محمد | ونهوضها فى عهد اسماعيلا
ومعاقلاً لا تُمّحي اثارها | وجيوش ابراهيم والأسطولا
ومدائنا قد خُطّطت وطرائقا | كانت حُزُوناً فاستحلن سهولا
والقطن مزروعٌ بفضل محمدٍ | فى مصر محلوجًا بها مغزولا

فشوقى كما نرى لم يكن بعيداً عن الشعب قبل المنفى كما ذكر الدكتور ضيف ، ألم يُنفَ من مصر لمواقفه الوطنية !؟

وقد وجه الدكتور محمد مندور نقداً حاداً لشوقى عندما نظم

قصيدته « السلطان حسين كامل » وكان متجنيًا على شوقى وعلى وطنية شوقى .

يقول الدكتور مندور « إن شوقى حاول أن يتقرب من الانجليز الذين أتوا بالسلطان حسين إلى العرش بعد أن عزلوا عباس حلمى الثانى » .

ونحن لا ننكر أن بعض الأبيات التى كتبها شوقى فيها استرضاء للانجليز وولاء للأسرة المالكة :

حلفاؤنا الأحرار إلا أنهم أرقى الشعوب عواطفًا وميولا
أعلى من الرومان ذكروا فى الورى وأعزُّ سلطانًا وامنع غيلا
لما خلا وجه البلاد لسيفهم ساروا سماحا فى البلاد عدولا
وأتوا بكابرها وشيخ ملوكها ملكا عليها صالحا مأمولا

ولكننا لا نرى فيها مدحا ، فالرومان كانوا من أسوأ الحكام الذين حكموا مصر وقد قال عنهم شوقى :

واصبرى مصر للبلاء وأنّى لك والصبر للبلاء بلاء

فكيف يُمْدح شعب بأنه أعلى قدراً من الظالم ! ، ولو كان شوقى مخلصاً فى مدحه لقال « أعلى من اليونان » الذى قال شوقى عنهم :

شادَ اسكندر لمصر بناءً لم تَشِدْه الملوك والأمراء
بلداً يرحل الأنام إليه ويحج الطلاب والحكماء

وحتى لو فرضنا أنّ ما قاله شوقى فيه مدح للانجليز ، فإن شوقى لم يكن المادح الوحيد بل كان آخر من مدحهم، وقد سبقه إلى ذلك حافظ ابراهيم الذى لا يَشُكُّ أحد فى وطنيته فقد مدح السلطان والانجليز :

هنيئًا أيها الملك الأجَلُّ لك العرش الجديد وما يُظِلُّ

ووال القـــــوَم انهُـم كـــــرامٌ مــيـامين النقــيـبـةِ أيْنَ حلّوا
لهم ملكٌ على التاميـز أضْحَت ذاره على المعـالى تسـتـهِلُّ

كمـا شـارك حـافـظ ابراهيم رهط من الشـعراء فـى مـدح الانجليـز والسلطان .

ولكى نكون منصـفين لابد وان نعيش فى الزمن التى كـانت تمر به مصـر فى هذه الفـترة الحرجة ، فالانجليـز فرضـوا الحمـاية البريطانـية على مصـر ، وهددوا بأكثر من ذلك ، ومـصـر لا حول لها ولا قوة ، مما جعل حافظ ابراهيم وشعراء مصـر يهادنوا الانجليز .

ويستمر الدكتور مندور فى هجومه على شوقى فيقول « ومع ذلك لم ينفعه اسـترضاء السلطان حسين ولا استـرضـاء الانجليز ولا تنصله الخفى من التبعية والولاء لعباس الثانى ، فحمله الانجليـز على مغادرة البلاد منفياً بعد عزل مولاه عباس الثانى عن العرش » .

ونحن نرفض هذا النقد رفضاً تامـًا ، فإن الانجليز لم ينفوا شـوقى من أجل الأبيـات التى ذكرها الدكـتور مندور ، ولكن للأبيات التى قالـها شـوقى فى نهـاية القـصـيدة ، مهاجمـًا السلـطان والانجليـز بكل قـوة وشـجاعة قال :

هل كـان ذاك العهـد إلا موقـفـًا للـسلـطـتين وللبـلاد وبيـلا
يعـتــز كل ذليل أقـــوام به وعـزيزكم يلقى الحيـاة ذليـلا
وانفض ملـعبـه وشـاهـده على أنّ الروايـة لم تتم فـصـولا

ويقول الدكتـور « زكى مبارك » عندما قرأ هذه الأبيات « قد انزعج الانجليز من كثرة القيل والقال فنفوا شـوقى من مصـر » .

وقال الشـيخ حسنين مخلوف « إنّ الانجليـز سينفون شـوقى لهذه القصـيدة ففـيها حَضٌ على الثورة وفيـها تعريض بالـسلطان حسـين » وقد تحقق رأى الأستاذ فنفى الانجليز شوقى بعد أسبوعين

وأرى أن الدكـتـور مندور لم يكـن منصـفـًا بحـجب هذه الأبـيات ، والتى انفرد بها شوقىُ دون باقى الشعراء وكانت سبباً لنفيه من مصر.

اليس نقد الدكتور مندور ينطبق عليه القول السائد « لا تقربوا الصلاة. وهذه القصيدة وغيرها تبين وطنية وشجاعة شوقى قبل المنفى ، كما تثبت ما كانت تتمتع به مصر من صحافة حرة حتى فى فترة الحماية البريطانية ، فقد نُشرت هذه القصائد فى الصحف فى ذاك الوقت .

تشويه ديوان شوقى :

بعد الثورة وعلى سبيل التحديد فى سنة ١٩٥٦ ، أُعيد طبع ديوان شوقى وبدراستى لهذه الطبعة وما جاء بعدها من طبعات متكررة حتى الآن وَجدتُ أن الجزء الأول من الشوقيات « وهو الخاص بالسياسة والتاريخ والاجتماع » ، وَجَدْت أن عدد صفحاته قد انقصت خمسون صفحة ، فأصبحت ٣٠٠ صفحة بدلاً من ٣٥٠ صفحة ! وَوَجَدْت أنه قد تم حذف ٦٠٣ بيتاً من الشعر .

فقد تم حذف ٧ قصائد كاملة مجموع أبياتها ٣٦٠ بيتاً من الشعر ، وهذه القصائد تدور حول أحد أفراد الأسرة المالكة السابقة وهى : محمد على باشا الكبير (٤٩ بيتًا) ، الخديوى اسماعيل (١٠٤ بيتاً) ، تهنئة (٣٤ بيتاً) ، الجامعة (١٩ بيتاً) ، السلطان حسين كامل (٥٧ بيتًا) ، على يد الله (١٨ بيتًا) ، دمعة وابتسامة (٦٩ بيتًا) ومن الواضح أن الحذف كان يرمى إلى عدم ذكر أسماء وانجازات الأسرة المالكة السابقة ، وحذف المدح الذى قيل فيهم ، ولو تعمق الحاذف وفهم هذه القصائد ، لعلم أن فى بعض هذه القصائد هجومًا عنيفًا ومعارضة لصاحب العرش ، كقصيدة « السلطان حسين كامل والتى نفى بسببها شوقى من مصر ، كما ذكرنا .

كما تم حذف ٢٤٣ بيتًا من الشعر من قصائد أخرى ، وهى كالآتى:

كبار الحوادث فى وادى النيل (٢٥ بيت) ، مشروع ٢٨ فبراير (٣٢ بيت) إلى عرفات الله يا بن محمد (٣١ بيت) ، على سفح الأهرام (بيتان) ، فى سبيل الهلال الأحمر (١٣ بيتًا) ، الأزهر (١٧ بيتًا) وداع فروق (٣٣ بيتاً) ، عيد الفداء (١٨ بيتاً) ، نكبة بيروت (٣ ابيات) ، وداع

اللورد كرومر (١٢ بيتًا) ، العلم والتعليم (بيتان) ، يا شباب الديار (بيت واحد) ، شهيد الحق (الزعيم مصطفى كامل) ١٨ بيتاً ، توت عنخ أمون (١٢ بيتاً)، تحية المؤتمر الجغرافى (٣٣ بيتاً) ، الصليب الأحمر (بيت واحد) ، وكان أسباب حذف هذه الأبيات هو دفاع شوقى عن الدستور ، وما ينُمّ عن حرية الصحافة ، أو ذكر لأحد افراد الأسرة المالكة السابقة . يقول شوقى فى قصيدة « مشروع ٢٨ فبراير » وهى من الأبيات التى حذفت :

اليوم يا قوم إذ تبنون مجلسكم ... تبنون للعقب الأيام والحِقبا
دار النيابة قد صفّت أرائكها ... لا تجلسوا فوقها الأحجار والخشبا

كما يهاجم سعيد باشا للغبن الذى أصاب مصر من مشروع قناة السويس ومن الأبيات التى حُذِفت :

جمع الزاخرين كرها فلا كا ... نا ولا كان ذلك الالتقاء
احمر عند أبيضٍ للبرايا ... حصةُ القطرِ منهما سوداء !

وبالرغم مما تم حذفه من الجزء الأول ، فإن الأجزاء الثانى والثالث والرابع لم يتم حذف أية قصائد منها ! بالرغم من وجود بعض القصائد عن بعض افراد الأسرة المالكة وعن الدستور بها ، ولو تنبه الحاذف إليها لدّمر الديوان تماماً .

وإذا كان الحاضر يمكن تغييره فمن غير المعقول أن يحاول أىٌ من كان تغيير الماضى ، فالماضى بايجابياته وسلبياته أصبح فى ذمة التاريخ. وفى ديوان حافظ ابراهيم وديوان على الجارم قصائد بها تمجيد للملوك والأمراء ، ولكن لم يتم الحذف إلا من ديوان شوقى ! لغز لا يمكن تفسيره ؟

إن شوقى ليس مِلْكا لمصر فحسب ، ولكنه مِلْكٌ لأمته العربية وأمته الاسلامية بل مِلْكٌ للانسانية كلها ، فقد دافع عن القيم والمبادئ الانسانية فى كل زمان وكل مكان . ألم يقيموا له تمثالاً فى حديقة

الخالدين فى روما . إن الثروة الأدبية التى تركها شوقى لم يحققها أى شاعر بعد المتنبى إلا شوقى ، أين أقسام اللغة العربية بكليات الآداب وأين كلية اللغة العربية بالأزهر وأين وزارتى الثقافة والتربية والتعليم ، وأين شعراء مصر وأدباؤها ومثقفوها – كيف يسمحون بالعبث بهذا التراث الخالد ؟

هل توجد مهانة أكثر من ذلك ؟

يجب أن تسحب هذه النسخ المشوهة لديوان شوقى من المكتبات وقد نَبَّهت إلى هذا التشويه منذ سنة ١٩٩٥ وكتبت فى الصحف والمجلات الأدبية والقيت محاضرات فى هذا الموضوع ، وكتبت فى سنة ١٩٩٦ كتابى « فى رحاب شوقى » خصصت فيه باباً وعنوانه (تشويه ديوان شوقى)،ولا زالت الطبعات المشوهة تتوالى داخل وخارج مصر إلى الآن .

ويحضرنى فى ذلك تعليق الدكتور مصطفى محمود فى جريدة الأهرام فى ٦ يناير سنة ١٩٩٦ على ما كَتَبْتُه عن تشويه ديوان شوقى :

« وأنا أرى يا عزيزى الطبيب أنها أكثر من مهانة ، فهى جهالة وسوقية فالثروة الأدبية التى تركها شوقى هى ملك للتاريخ .

إنّ اى تَغَنٍ بالحرية وبالدستور هو شرف لمصر ، وشرف لكل مصرى وشهادة لكل عصر وكل ذوق وكل عقل يفهم ، والشاعر حرٌ فيما يكتب ، والأبيات المحذوفة رَوْعة وهى صَرْح مَجْد لتاريخنا وهى فوق ذلك تراث لشاعر عظيم .

هل فعلت انجلترا مثل ذلك لشكسبير ، أو فرنسا لموليير ، أو المانيا لجوته ، أو ايطاليا لدانتى أو أسبانيا لسرفانتز ؟! أنهم على العكس ينقبون عن سطر مفقود ، وعن مسودة مهملة لهؤلاء العظماء ... ليضموها إلى متاحفهم .

وكان الزعيم العظيم سعد زغلول يقول لشوقى : سوف نمضى نحن وتنتهى مواكبنا ... وتبقى تسكن القلوب وقد صدق .

واعلق انا واقول يا زميلى العزيز ، لازالت مصر بخير بالرغم من كل شئ ، فقد قام الأديب الفاضل الدكتور محمد صبرى سنة ١٩٦١ فجمّع اشعاراً لأحمد شوقى تربو على خمسة آلاف بيت من الشعر لم تسجل فى الشوقيات ووضعها فى كتابه القيّم « الشوقيات المجهولة » فى جزئين مع دراسة علمية ممتعة .

واخيراً توكلت على الله وقمت بطبع الجزء الأول من الشوقيات :

كالطبعة الصحيحة بدون **إضافة أو إنقاص** ، ووضعت فيه المقدمة التى كتبها احمد شوقى فى مقدمة الطبعة الأولى للشوقيات،وقد بينت القصائد التى حـذِفت كما بينت الأبيات التى أُنقصت من بعض القصائد .

أرجو من الله أن يوفقنى لرد اعتبار شاعر العربية الأكبر .

مقدمة الشوقيات بقلم أحمد شوقى *

الحمد لله الذى علم البيان ، وجعله أثراً من روحه عند الانسان والصلاة والسلام على نبى الأمة ، القائل أن من الشعر لحكمة .

فما زال لواء الشعر معقوداً لأمراء العرب وأشرافهم ، وما برح نظمه حبيباً إلى علمائهم وحكمائهم ، يمارسونه حق المراس ، ويبنون كل بيت منه على أساس ، موفين اجلاله ، حافظين خلاله ، مدنين إلى الاذهان خياله ، قاله امرؤ القيس واصفًا حاكياً ضاحكاً وباكياً ناسباً وغازلاً ، جاداً وهازلاً ، جمع شمله بحيث تعد المنظومة الواحدة له اثراً فى البيان مستقلاً وبنياناً قائماً براسه .

ونظمه ابو فراس فخراً عاليًا ، ونسيباً غاليًا ، وحكمًا باهرة ، وامثالاً سائرة ، لكنه لم يقله فوضى ولا قرب فى نظمه الخلط ، فإن قصيدته التى يقول فى مطلعها :

اراك عصِىَّ الدمع شيمتك الصبرُ   أمـا للهـوى نَهْىٌ عليك ولا أَمْـرُ

ليست إلا عقداً توجد سلكه وتشابهت جواهره ودق نظامه ، تعاونت فيه ملكة العربى وسليقة الشاعر على حسن الحكاية ، فإذا فرغت من قراءتها فكأنك قد قرأت أحسن رواية ، وكونها اشبه شئ بالشعر فى شعور الأنفس هو سر بقائها متلوة إلى الأبد .

وكان ابو العلاء يصوغ الحقائق فى شعره ، ويعى تجارب الحياة فى منظومه ، ويشرح حالات النفس ويكاد ينال سريرتها ، ومن تأمل قوله من قصيدة :

(*) كتبها احمد شوقى لديوانه المنشور سنة ١٩٠٠ . وقد ناشد (الدكتور طه وادى) فى سنة ١٩٧٣ باسم الأمانة العلمية ، ناشد كل من يتصدى لنشر الديوان أن يعيد إليه هذه المقدمة .

فــــلا هَطَلَـت علـىّ ولا بـأرضـى سـحـائبُ ليسَ تَنْتَظِمُ البـلادا

وقابل بين هـذا البيت قول أبى فراس :

مُـعللّتى بـالوصل والموتُ دُونَه إذا مِتُّ ظمـآناً فـلا نَزل القَطْرُ

ثم انظر إلى الأول كـيف شـرع سنة الايثار ، وبالـغ فـى اظهـار رقـة النفس للنفس ، وانعطاف الجنس نحو الجنس ، وإلـى الثانى كيف وضـع مبدأ الأثرة وغالى بالنفس ورأى لها الاختصاص بالمنفعة فى هذه الدنيا ، تعيش فيها جافية ثم تخرج منها غير آسية - علم أن شـعراء العـرب حكمـاء لم تغـرب عنهم الحـقـائق الكـبـر ، ولـم يفـتـهـم تقـرير المبـادئ الاجتماعية العالية وانهم اقدر الأمم على تقريبهـا من الأذهان واظهارها فى أجلى وأجمل صور البيان .

وكان أبـو العتاهـية ينشئ الشـعر عـبـر وموعظة وحـكمة بـالـغـة موقظة . وكان أمـير المؤمنين على بن أبـى طالب رضـى الله عـنه يرجع إليه كذلك فى الوعظ والارشاد والتحذير من الرذائل والاغراء بالفضائل. وكان الشافعى رحمه الله وهـو القائل :

ولولا الشـعـر بـالعلمـاء يزرى لكنتُ اليـومَ أشـعـرَ من لبـيـد

تجرى الفاظه بالشـعر وله مقـاطيع مخـتـارة ، وحكم فى الناس سـيـارة. وحسـبك أن الطب جمـيعـه لو جمع لما خـرج عن البيـتين المنسوبين إليه وهما :

ثلاث هـن مـهـلـكـة الأنـام وداعـيـة الصـحـيح إلى السـّقـامِ
دوامُ مُـدامـة ودوامُ وطء وإدخـالُ الطـعـام على الطـعـام

ولو انفسح لهؤلاء وأمثالهم المجال من الـزمان والمكان ، وشـهـدوا

عصر البخار كما نشاهده ، وكابدوا الدهر فى الهرم كما نكابده ، لامتلأت الصدور من محفوظ أشعارهم ولضاقت المطابع على تنافسها عن نشر آثارهم .

قدمنا هذا ليعلم به فريق يحتقرون الشعر وآخرون منا معشر الشبان يضمرون للعربى منه عداوة من جهل الشئ ، ويرون بينه وبين الشعر الأفرنجى بعد ما بين المشرق والمغرب ، ناسين أن العرب أمة خلت ، ودولة تولت ، فلا ينبغى أن يؤخذوا إلا بما تركوا ، وأن المسئول عن خروجه بعدهم إنما هو الخلف المفرط والوارث المتلاف .

اشتغل بالشعر فريق من فحول الشعراء جنوا عليه وظلموا قرائحهم النادرة وحرموا الأقوام من بعدهم . فمنهم من خرج من فضاء الفكر والخيال ، ودخل فى مضيق اللفظ والصناعة . وبعضهم آثر ظلمات الكلفة والتعقيد على نور الابانة والسهولة . ووقف آخرون بالقريض عند القول المأثور « القديم على قدمه » فوصفوا النوق على غير ما عهدها العرب عليه ، وأتوا المنازل من غير أبوابها ، ودخلوا البيداء على سراب ، وانغمس فريق فى بحار التشابيه حتى تشابهت عليهم اللجج ، ثم خرجوا منها بالبلل . وزعمت عصبة أن أحسن الشعر ما كان فى واد والحقيقة فى واد ، فكلما كان بعيداً عن الواقع منحرفاً عن المحسوس مجانباً للمحتمل كان أدنى فى اعتقادهم إلى الخيال وأجمع للجلال والجمال ، حتى نشأ عن ذلك الاغراق الثقيل على النفوس والغلو البغيض إلى العقول السليمة .

على أن الكل قد مارسوا الشعر فناً على حدة ، واتخذوه حرفة وتعاطوه تجارة ، إذا شاء الملوك ربحت وإذا شاءوا خسرت .. ثم لم يكفهم ذلك حتى هجروا الشعر وذموه بكل لسان ، فزعموه مجلبة الشقاء وقالوا أنه محسوب على الشعراء يغيض من أرزاقهم وينحت من قلوبهم ، ويعرضهم لاراقة ماء الوجوه .. ولقد والله زعموا صدقاً وقالوا حقاً ، وأن هذا لجزاء قوم يتوقعون أرزاقهم من ملوك كرام يخلقهم الله لرواج حرفتهم فإذا لم يخلقوا كسدت الحرفة وأخطأت

الأرزاق .. على أنه يستثنى من هؤلاء قليل لا يذكر في جنب الفائدة الضائعة بضياع الشعر مديحًا في الملوك والأمراء ، وثناء على الرؤساء والكبراء . وإلا فمن دواوينهم ما يخلق أن يكون المثال المحتذى في شعر الأمم ، كابن الأحنف مرسل الشعر كتباً في الهوى ورسائل ، ومتخذه رسلاً في الغرام ووسائل .. وكابن خفاجة شاعر الطبيعة ومجنون ليلاها ، وواصف بدائعها وحلاها .. وكالبهاء زهير سيد من ضحك في القول وبكى وافصح من عتب على الأحبة واشتكى . حسبك انه لو اجتمع الف شاعر يعوزهم الف ناثر على أن يحلو شعر البهاء ، أو يأتوا بنثر في سهولته لانصرفوا عنه وهو كما هو .

ولا ارى بدأ من استثناء المتنبى مع علمي انه المدّاح الهجّاء ، لأن معجزه لا يزال يرفع الشعر ويعليه ، ويغرى الناس به فيجدده ويحييه .. وحسبك ان المشتغلين بالقريض عمومًا – والمطبوعين منهم خصوصاً – لا يتطلعون إلا إلى غباره ولا يجدون الهدى إلا على مناره .. ويتمنى أحدهم لو اتيح له ممدوح كممدوحه ليمدحه مثل مديحه ، أو لو وقع له كافور مثل كافوره ليهجوه مثل هجائه ، فمثل ابى الطيب في تشبه الشعراء به وسعيهم لبلوغ شأوه في المدح او الهجو كمثل قائد مشهور الأيام ، معروف بالحزم والاقدام . قد اشربته قلوب الجند ، وملئت نفوسهم ثقة منه ، فلو قذف بهم في مهاوى الهلاك وهم يعلمون لما جبنوا ولا احجموا . هذا مع اعترافي بأن المتنبى صاحب اللواء ، والسماء التي ما طاولتها في البيان سماء . ولو سلم من الغرور وسلمت الناس منه لاجللته اجلال الأنبياء .

والحاصل أن انزال الشعر منزلة حرفة تقوم بالمدح ولا تقوم بغيره تجزئة يجل عنها ، ويتبرأ الشعراء منها ، إلا ان هناك ملُكاً كبيراً ما خلقوا إلا ليتغنّوا بمدحه ، ويتفننوا بوصفه ذاهبين فيه كل مذهب آخذين منه بكل نصيب . وهذا الملك هو الكون ، فالشاعر من وقف بين الثريا والثرى ، يقلب احدى عينيه في الذّرّ ، ويجيل أخرى في الذرى ، يأسر الطير ويطلقه ، ويكلم الجماد وينطقه . ويقف على النبات وقفة

الطلّ ، ويمر بالعراء مرور الوبْل ، فهناك ينفسح له مجال التخيُّل ويتسع له مكان القول ويستفيد من جهة علماً لا تحويه الكتب ولا تعيه صدور العلماء ، ومن جهة أخرى يجد من الشعر مسليًا فى الهم ومنجياً من الغم .. شاغلاً إذا أمل الفراغ ، ومؤنساً إذا تملكت الوحشة . ومن جهة ثالثة لا يلبث أن يفتح الله عليه ، فإذا الخاطر أسرع والقول أسهل ، والقلم اجرى والمادة اغزر ، بحيث لا تمضى السنون حتى تتداول الأيدى مؤلفاته ، وإذا مات اكبر الناس من بعده مخلفاته ، أو لم يكن من الغبن على الشعر والأمة العربية أن يحيا المتنبى مثلاً حياته العالية التى بلغ فيها إلى اقصى الشباب ثم يموت عن نحو مائتى صحيفة من الشعر تسعة أعشارها لمدوحيه والعشر الباقى وهو الحكمة والوصف للناس .

دفاع عن النفس :

هنا يسأل سائل : وما بالك تنهى عن خلق وتأتى مثله ؟

فأجيب : إنى قرعت ابواب الشعر ، وانا لا أعلم من حقيقته ما اعلمه اليوم ، ولا أجد أمامى غير دواوين للموتى لا مظهر للشعر فيها . وقصائد للأحياء يحذون فيها حذو القدماء . والقوم فى مصر لا يعرفون من الشعر إلا ما كان مدحًا فى مقام عال ولا يرون غير شاعر الخديوى صاحب المقام الاسمى فى البلاد ، فما زلت اتمنى هذه المنزلة واسمو إليها على درج الاخلاص فى حب صناعتى واتقانها بقدر الامكان وصونها عن الابتذال حتى وفقت بفضل الله إليها .

ثم طلبت العلم فى أوربا فوجدت فيها نور السبيل من أول يوم . وعلمت أني مسئول عن تلك الهبة التى لا تحد ولا تنفد ، وإذ كنت أعتقد أن الأوهام إذا تمكنت من امة كانت لباغى ابادتها كالافعوان ، لا يطاق لقاؤه ويؤخذ من خلف بأطراف البنان ، جعلت أبعث بقصائد المديح من اوروبا مملوءة من جديد المعانى وحديث الأساليب بقدر الامكان ، إلى أن رفعت إلى الخديوى السابق قصيدتى التى مطلعها :

خدعوها بقولهم حسناء والغوانى يغرهن الثناء

والتي غزلها في أول هذا الديوان . وكانت المدائح الخديوية تنشر يومئذ في الجريدة الرسمية وكان يحررها يومئذ أستاذي الشيخ عبد الكريم سلمان فدفعت القصيدة إليه ، وطلب منه أن يسقط الغزل وينشر المدح ، فود الشيخ لو أسقط المديح ونشر الغزل . ثم كانت النتيجة أن القصيدة برمتها لم تنشر . فلما بلغني الخبر لم يزدني علماً بأن احتراسي من المفاجأة بالشعر الجديد دفعة واحدة إنما كان في مجاله وأن الزلل معي إذا أنا استعجلت .

ثم نظمت روايتي « علي بك أو فيما هي دولة المماليك » معتمداً في وضع حوادثها على أقوال الثقاة من المؤرخين ، الذين رأوا ثم كتبوا وبعثت بها قبل التمثيل بالطبع إلى المرحوم رشدي باشا ليعرضها على الخديوي السابق فوردني كتاب باللغة الفرنساوية يقول في خلاله .

« أما روايتك فقد تفكه الجناب العالي بقراءتها ، وناقشني في موضع منها وناقشته ، وهو يدعو لك بالمزيد من النجاح ، ويجب ألا تشغلك دروس الحقوق التي يمكنك تحصيلها وأنت في بيتك بمصر عن التمتع بقبس تستضيء به الآداب العربية » .

فصادفت هذه النصيحة من أمير ذكي حكيم هوى في فؤاد مطوي على طاعته ، نازل على حكم الشعر والأدب .

ثم ترجمت القصيدة المسماة « بالبحيرة » من نظم (لامرتين) ، وهي من آيات الفصاحة الفرنساوية ، ثم أرسلتها إلى الباشا المشار إليه ، في كراس وبعض كراس ليطلع الجناب الخديوي عليها . وإذ كنت لا أتخذ لشعري سوى مسودات رجوت أني أجدها عنده بعد العودة إلى مصر ثم عدت دون ذلك عوادٍ .

وجربتُ خاطري في نَظم الحكايات على أسلوب (لافونتين) الشهير ، وفي هذه المجموعة شيء من ذلك فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث أجتمع بأحداث المصريين ، وأقرأ عليهم شيئاً منها فيفهمونه لأول وهلة ، ويأنسون إليه ويضحكون من أكثره . وأنا استبشر لذلك وأتمنى لو وفقني الله لأجعل لأطفال المصريين ، مثلما

جعل الشعراء للأطفال فى البلاد المتمدنة ، منظومات قريبة المتناول يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم .

والخلاصة أنى كنت ولا أزال الوى فى الشعر على كل مطلب . وأذهب من فضائه الواسع فى كل مذهب .. وهنا لا يسعنى إلا الثناء على صديقى خليل مطران صاحب المِنَن على الأدب والمؤلف بين أسلوب الأفرنج فى نَظْم الشعر وبين نهج العرب ، والمأمول أننا نتعاون على ايجاد شعر للأطفال والنساء وأن يساعدنا سائر الأدباء والشعراء على ادراك هذه الأمنية .

على أنى لا أستصعب فى مصر اليوم صعبًا ، بعدما علمت أن كثيراً من المُخَدَّرات فى العاصمة أصبَحْنَ يَرْقبن ساعة ظهور الجرائد بصبر نافد وأن احداهن قد طردت خادماً لها ارسلته يشترى نسخة من جرية فابطأ مع علمه بأن مولاته لا تستطيع صبراً عن أخبار الحرب الترنسفالية ، اذن فالواجب على الكتاب ورجال الصحافة أن يهيئوا أسباب النجاح لهذا الميل الحادث ، وعلى الأدباء والشعراء ان يعرضوا فاكهتهم على النساء مثل الرجال حتى تصبح جنَّات قرائحهم فيها من كل فاكهة زوجان .

بقى استدراك لابد من ايراده ، وذلك أن بعضهم يستنتج من كون الناثر لا ينظم ان الشاعر لا ينثر كذلك ولا ينبغى له ، وهذا وهم يدانى اليقين عندهم وقد جاوز الشعراء فى الانْخِداع به حداً اضرّ بهم ، مع انه يكفى للخروج منه ان نعلم أن اكثر ما أعجز به ادباء الافرنج اليوم فى القصص والانشاء وما يمثل على اكبر ملاعبهم وتتداوله السنتهم من مرسل الكَلِم ومنثور الحكم وما كتب فى هذا القرن والذى قبله فى الفلسفة العليا والسياسة الكبرى إنما هو من قلم مشاهير الشعراء ، حتى لتسمع عن أحدهم انه مات عن عشرات من المؤلفات . ثم ترى المنظوم منها اقلّها . بل إن بعضهم يقدم « الأشقياء » (١) وهو كتاب

---

(١) المقصود رواية « البؤساء » لفكتور هوجو (١٨٢٢ – ١٨٨٥) .

لدكتور هوجو على سائر مؤلفاته وفيها الشعر . كما يرون « اعتراف ابن العصر » . لألفرد دى موسيه أجلُّ أثر له بين كثير من الآثار وفيها الروايات المنظومة والاشعار . وكلا الشاعرين مطبوع لم يختلف فى سليقته اثنان .

على انى كنت أول من انقاد بأزمة هذا الوهم وطالما اوذيت به ، فكنت إذا عرضت لى كتابة أشفق منها واجفل عنها ، فصرت مثلى مثل الشاعر الفرنساوى الذى يحكى عنه ، أنه لما رأى أهل « باريز » يبالغون فى الحفاوة به ويكثرون من دعوته إلى موائدهم ومجالسهم ليسمعوا حديثه على ظن إنه يقول ما لا يقوله الناس ، بلغ به الاحتراس منهم إلى أن كان إذا دُعِى إلى وليمة حضر والقوم على المائدة ، فأكل صامتًا ثم انصرف والقوم لم يفرغوا من الطعام فقيل له فى ذلك فقال لهم : « أنا على المائدة كأحدكم ، فإذا جلست ازاء مكتبى فتصوروننى كيف شئتم » !

أما كون الناثر لا ينظم إلا إذا كان حاصلاً على هذه الملكة الموهوبة فحقيقةٌ لا مُشاحةٌ فيها ، وإن لم يكن بذلك عار على الكاتب .. بل الغَبن الفاحش والخسران المبين أن تضيع حياة الكثيرين من الكتاب والعلماء وليست بقليلة الثمن فى محاولة المُحال والتمادى فى مثل هذا الضلال .

على أن الشعر ليس من حاجات العمران المادى الذى تتوقف عليه سعادة الانسان فى هذه الحياة الدنيا ، ولكنه من كماليات العُمران الأدبى الذى تسأم النفس عنده الحقيقة المجسدة ، والمادة المجردة ، وتميل فى بعض أوقاتها إلى التنقل بشعورها من عالم إلى آخر ومن فضاء إلى سواه .. ولعل هذه هى الحكمة فى كون الشعراء قليلاً عديدهم فى كل زمان ومكان ، لا تُعطَى الأمم منهم إلا بقدر حاجتها إليهم .

ومما يَجْمل ايراده فى المقام انه بَدا لأحد الانكليز أن تكون عنده مجموعة فيها من كل شاعر عصرى شئ من نظمه بخطه ، فجعل يطوف بها على مشاهير الشعراء حتى وفد على « جول سيمون » فقيد

فرنسا وفيلسوفها المشهور . فطلب منه ان يكتب شيئًا من نظمه فاعتذر الرجل بكونه ما نظم قط ولا يملك قول الشعر ، فما زال الانكليزى يلّح عليه حتى أحرجه ، وكان جول سيمون يحفظ أبياتاً للشاعر الشهير لامرتين وكانت احسن ما فى منظومته التى سماها (البحيرة) فأخذ المجموعة وكتب الأبيات ، ثم جعل اسمه تحتها . واتفق بعد ذلك أن المجموعة وقعت فى يد منتقد أدبى لبعض الصحف السيارة فى باريز ، وكان لا يعرف الشعر ولا يدرى لمن هو فلم يكن منه إلا أن ملأ أعمدة الجريدة من انتقادها ورمى جول سيمون بالدخول فيما لا يعنيه والتطفل على موائد الشعراء ثم نَصح له أن يبقى فيلسوفاً كما كان ومن الفلسفة الا يحاول الانسان ما ليس فى الامكان .

يُعلم مما تقدم جميعه أننى أرى للمشتغلين بالشعر من أبناء « الوطن العربى » أن يجمعوا فى مسيرهم على الدرب بين أزوادٍ ثلاثة لا وصول بدونها مجتمعة :

الأول : ثقة الانسان من كون الشعر فى طباعه ، وهذا هو الشرط الأوجب ، ولا ينبغى لهم أن يتصرفوا فى مستقبل الأطفال الذين هم امانة الله فى أيديهم بمقتضى أميالهم الشخصية وأفكارهم الخصوصية ، بل عليهم إذا أنسوا هذه الهبة عند الطفل أن يأخذوا بيده ويعينوه عليها ، ولو كانوا ممن ينظرون إلى الشعر بعين السخط ، لأن الله سبحانه وتعالى وهو الواهب قد رأى له ذلك ، وما يرى الله أفضل . وإذا وجدوه دعيا فى الشعر دخيلاً منذ الطفولة وجب عليهم تبغيضه إليه وممانعته عن نظمه ولو كان من محبى الشعر ونصرائه .

والثانى : أخذ العلوم وتناول التجارب لأن الشعر لا يخرج عن كونه أخباراً وحكمة وهما لا يكونان إلا من عليم مجرب .

والثالث : الا يتّخذ الشعر حليه على عطل من سائر أمور الدنيا واشغالها . فإن كان ولابد من التفرغ للأدب حباً به أو طلبًا للكسب ، فليكن الشعر هو اليتيمة القعساء فى عقد علومه ، وصاحب العلم فى موكب فنونه لا ينافى تعاطيه الكتابة نثراً فى جميع المطالب وضروب

المواضع ، فإنه لا تجد الشعر وسلطانه عندئذ إلا مرشدين أمينين وذخرين ثمينين .

فمن جمع بين هذه الأمور الثلاثة وكان عاملاً متقناً لعمله حريصاً عليه مترقياً فيه ، يخاف الله من الغرور ويخشاه فى ايذاء خلقه فقد انكشف له سر النجاح وأحرز قصب السبق فى حلبة الكتاب والشعراء .

الآن ادخل فى الحديث مع فريق طلبوا منى أن أجعل صورتى فى هذه المجموعة وآخرين رغبوا إلى فى كلمة تقال عنها وعن صاحبها والا يقولها سواى .

معذرتى إلى الفريق الأول : أن من يعرض صورته على الناس كمن يعرض وجهه عليهم ، وأعوذ بالله وبالمحبين أن اكون ذلك الرجل ، على أن صورتى ما عشت بينهم ينظرون إليها ، فإذا مت فليأخذوها من أهلى إذا جد بهم الحرص عليها .

وللآخرين اقول : إنى لا ازال فى النشأة وان حياتى لم تحفل بعد بالعجائب ولم تمتلئ من الفوائد ولا المصائب حتى أحدث الناس بأخبارها ، لكنى لا اثق بيومى الآتى ، واخاف بمدى رجوم الظن وضلالات الأحاديث ، فلى العذر أن أجيب طلبهم على أن يكون الحديث بينى وبينهم كما يكون بين الأحباب .

سمعت أبى رحمه الله يرد اصلنا إلى الأكراد فالعرب . ويقول : أن والده قدم هذه الديار يافعاً يحمل وصاة من احمد باشا الجزار إلى والى مصر محمد على باشا ، وكان جدى وأنا حامل اسمه ولقبه يحسن كتابة العربية والتركية خطاً وانشاء فأدخله الوالى فى معيته ، ثم تداولت الأيام وتعاقب الولاة الفخام ، وهو يتقلد المراتب العالية ، ويتقلب فى المناصب السامية إلى أن اقامة سعيد باشا أميناً للجمارك المصرية ، فكانت وفاته فى هذا العمل عن ثروة راضية بددها ابى فى سكرة الشباب ثم عاش بعمله غير نادم ولا محروم ، وعشت فى ظله وانا واحده ، أسمع بما كان من سعة رزقه ولا أرانى فى ضيق حتى أندب تلك

السعة فكأنه رأى لى كما رأى لنفسه من قبل الا اقتات من فضلات الموتى .

اما جدى لوالدتى فاسمه احمد بك حليم ويعرف بالنجدى نسبة إلى نجدة احدى قرى الأناضول ، وقدم هذه البلاد فتيا كذلك فاستخدمه وإلى مصر ابراهيم باشا من أول يوم ، ثم زوجه بمعتوقته جدتى التى أرثيها فى هذه المجموعة ، واصلها من مورة جلبت منها أسيرة حرب لا شراء وكانت رفيعة المنزلة عند مولاها وكان زوجها محبوباً عنده كذلك ، فما زالا مغمورين بنعمة هذا البيت الكريم حتى توفى جدى وهو وكيل لخاصة الخديوى اسماعيل باشا فأمر بنقل مرتبه إلى أرملته وأن يحسب ذلك معاشًا لا احسانًا ، وكان الخديوى المشار إليه يقول عنهما : « لم أر أعف منه ولا أقنع من زوجته ولو لم يسمه أبى حليمًا لحلمه لسميته عفيفًا لعفته » .

انا اذن عربى تركى يونانى جركسى بجدتى لأبى ، أصول أربعة فى فرع مجتمعة تكفلها له مصر كما كفلت أبويه من قبل . وما زال لمصر الكنف المأمول والنائل الجزل ، على أنها بلادى ، وهى منشأى ومهادى ومقبرة أجدادى . ولد لى بها أبوان ولى فى ثراها أب وجدان . وببعض هذا تُحبِّبُ إلى الرجال الأوطان .

أما ولادتى فكانت بمصر القاهرة ، وأنا اليوم أحبو إلى الثلاثين ، حدثنى سيد ندماء العصر المرحوم الشيخ على الليثى قال :

« لقيت أباك وأنت حمل لم يوضع بعد ، فقصَّ على حلمًا رآه فى نومه فقلت له وأنا أمازحه : ليولدن لك ولد يخرِق – كما تقول العامة – خرْقًا فى الاسلام .

ثم اتفق انى عُدْتُ الشيخ فى مرض الموت وكانت بيده نسخة من جريدة الأهرام فابتدر خطابى يقول : هذا تأويل رؤيا ابيك يا شوقى ، فوالله ما قالها قبل فى الاسلام أحد . قلت : وما تلك يا مولاى ؟ قال قصيدتك التى تقول فى مطلعها :

حَفَّ كــأسَـهـا الحَـبَبُ   فـهـى فِـضـةٌ ذهَبُ

وها هى ذى فى يدى أقرؤها ، فاستعذت بالله ، وقلت له : « الحمد لله الذى جعل هذه هى « الخَرْق » ولم يضُّر بى الاسلام فتيلاً » .

أخذتنى جدتى لأمى من المهد وهى التى أرثيها فى هذه المجموعة ، وكانت منعمة موسرة فكفلتنى لوالدى ، وكانت تحنو على فوق حنوهما وترى لى مخايل فى البر مرجوة . حدثتنى أنها دخلت بى على الخديوى اسماعيل وأنا فى الثالثة من عمرى ، وكان بصرى لا ينزل من السماء من اختلاط أعصابه .. فطلب الخديوى بدرة من الذهب ثم نثرها على البساط عند قدميه ، فوقعت على الذهب اشتغل بجمعه واللعب به ، فقال لجدتى : اصنعى معه مثل هذا ، فأنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض . قالت : هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاى ، قال : جيئى به إلى متى شئت ، إنى آخر من ينثر الذهب فى مصر .

ولا يزال هذا الارتجاج العصبى فى الابصار يعاودنى . وكان المرجوم الشيخ علي الليثى كلما التقت عينه بعينى ينشد هذا المصراع للمتنبى : « محاجِرِ مِسْكٍ رُكِّبت فَوقَ زئبقِ » .

دخلت فى مكتب الشيخ صالح وأنا فى الرابعة من عمرى – وهى من أهلى جناية على وجدانى أغفرها لهم (!!) – ثم انتقلت منها إلى المبتديان فالتجهيزية فكنت التلميذ الثانى لهذه المدرسة ، وأنا فى الخامسة عشرة . وكان ناظرها المرحوم صادق باشا شنن قد حصل لى من النظارة على « المجانية » بوجه الاستثناء لا عن حاجة إليها ولكن على سبيل المكافاة .

ثم رأى لى أبى أن أدرس القوانين والشرائع فدخلت مدرسة الحقوق ، وكان ناظرها المأسوف عليه « فيدال باشا » لا يرانى أهلاً لذلك بالسن ، فما زال أستاذى وصديقى المهذب يحيى بك ابراهيم وكيل المدرسة يومئذ يؤيدنى عند رئيسه إلى أن قبلت ، ثم لم يكفه ذلك حتى حصل لى من النظارة على مائتى قرش فى الشهر ، فدرست الحقوق سنتين ثم ارتأت الحكومة أن ينشأ بمدرسة الحقوق قسم للترجمة يتخرج فيه المترجمون الأكفاء فنصح لى الوكيل أن أدخل هذا القسم

ففعلت ، وأقمت به سنتين ثم منحتنى نظارة المعارف الشهادة النهائية فى فن الترجمة .

وبينما أنا أتردد على المغفور له على باشا مبارك فى شأن مرسوم ورد عليه من المعية السنية بطلبى إليها ، فكان سرورى بذلك أضعاف فرحتى بالنعمة المفاجئة ، فذهبت إلى السراى ، وهناك استؤذن لى على المرحوم الخديوى توفيق باشا ، فلما مثلت بين يديه ولم أكن رأيته من قبل - ولكن مدحته مراراً وأنا فى المدرسة - خاطبنى بهذا اللفظ الشريف : « قرأت يا شوقى فى الجريدة الرسمية أنك أعطيت الشهادة النهائية ، وكنت أنتظر ذلك لألحقك بمعيتى . لكن ليس بها الآن محل خال ، فهل لك فى الانتظار حتى يهيئ الله لك الخير » .

فاستلمت أذيال العزيز وقبلتها ، ثم قلت : « حسبى يا مولاى أنك قد ذكرتنى من تلقاء نفسك الشريفة ، وأى خير يهيئ الله لعبدك أفضل من هذا » . فاطرق هنيهة ثم قال : « سمعت أن أباك عطلٌ من الخدمة ، فبلّغه أنى ربما أدخلته فى عمل قبلك » . ثم تهلل وأذن لى بالانصراف .

فلبثت فى المعية بضعة شهور أنتظر فرجًا يأتى به الله وكان المرحوم على باشا مبارك لم يقطع عنى الراتب ، إلى أن كان يوم كثر غيمه وتثاقل مطره فخرجت قبيل الأصيل فى حاجة لى على حمار أبيض كان لوالدى ، وبينما أنا عائد إلى منزلى . اجتاز ميدان عابدين بَصُرْت بالعزيز فى بهو السراى يتشرف منه فنزلت عن الدابة أمشى كرامة للمليك المطلّ . وأمرت الخادم أن يبتعد بها وأن يلاقينى خلف القصر ثم مشيت على الأقدام حتى إذا انتهيت من الميدان اعترضنى رسول من الأمير يدعونى إليه فوافيت حضرته ، وأنا لا أعرف السبب ، وكان معه ساعتئذ المرحوم عبد الرحمن باشا رشدى ، فتحلى الحليم بصورة الغضب . ثم قال : أليس لى أن أطل من بيتى حتى نزلت عن حمارك وألجأتنى إلى الانثناء . قلت : عفواً يا مولاى هكذا أدبنا الأوائل حيث يقول شاعرهم (١) :

---

(١) البيت للشاعر أبى نواس (١٤٠ - ١٩٩هـ) فى مدح الخليفة العباسى محمد الأمين .

وإذا المطىُّ بنا بلغْنَ محمداً فظهورهنَّ على الرجال حرامُ

فتبسم ضاحكاً ، ثم قال ، إنكم معاشر الشعراء تتفاءلون بالغيوم ، فهذا اليوم من أيامكم فاسّمع للباشا فإن عنده فالا ، فالتفت الباشا عندئذ إلىّ وقال : الآن امرنى افندينا ان ابلغك تعيين أبيك فى الخاصة الخديوية ، وأما انت فتعين بعد شهر ، ثم مد العزيز إلى يده فقبلتها واجماً قد غلب على السرور حتى انسانى الشعر وكان ذلك وقته .

ثم لم يحل على حول فى الخدمة الشريفة حتى رأى الخديوى ، أن أبلغ التأديب فى أوروبا ، فخيرنى فى ذلك وفيما أريده من العلوم ، فاخترت الحقوق لعلمى انها تكاد تكون من الأدب وان لا قدم فيها لمن لا لسان له . فاشار على الأمير عندئذ أن اجمع فى الدراسة بينها وبين الآداب الفرنساوية بقدر الامكان . ثم سافرت على نفقته فكنت أنقد ستة عشر جنيهًا فى الشهر نُصفها من المعيّة ونصفها من الخاصة ، وأعطانى يوم سفرى مائة جنيه أرسل نصفها إلى مدير الارسالية ليهيئ لى جميع ما أحتاج إليه حال وصولى ، ودفع لى النصف الآخر بيده الشريفة ، وما أنسى من مكارمه رحمة الله عليه لا انسى قوله لى فى ساعة الوداع « لا حاجة بك منذ اليوم إلى اهلك فلا تَعْنتهم بطلب النقود وأعنت أباك هذا الغنىّ » .

فركبت البحر الأول مرة أؤمّ مرسيليا ، فلما قدمتها وجدت مدير الارسالية فى انتظارى ، فأخبرنى بأن الأمير يامر بأن اقضى عامين فى مدينة مونبلييه ، وآخرين فى باريز .. وكان المدير قادمًا من مونبلييه للقائى فعاد بى إليها على الفور ، وهنالك قدّم لى جميع ما احتاج إليه وأدخلنى مدرسة الحقوق الجامعة ثم رجع إلى العاصمة .

فلما انقضت السنة الأولى التمست من ولى النعم أن يأذن لى فى الأوبة إلى مصر لقضاء زمن العطلة بين أهلى فأوقع لى أمره أن هذا من نزق الشباب ، وأنه يرى لى أن اقيم أربع سنوات كاملة فى أوروبا وألا أضيع منها دقيقة واحدة ، ثم ارسل إلى خمسين جنيهًا لأنفقها فى

رحلة ازمعها فى أى بلد اشاء إلا مصر . وكانت الدعوات قد توالت على من الفرنساويين رفقائى فى المدرسة بالذهاب إلى مدنهم المتفرقة فى الجنوب وقضاء بعض الأيام فى ضيافتهم هنالك . فقضيت نحو شهرين كنت فيهما قرير العين طيب النفس ، حيث التفتُ رأيتُ حولى مناظر رائعة ومجالى شائقة ومعالم للحضارة فى اقصى القرى شاهقة ، وآثاراً لدولة الرومان ، تزداد حسناً على تقادم الزمان . وعرفت الفلاح الفرنساوى فى داره وكنت القاه فى مزرعته ، وأماشيه فى الأسواق ، فيخيل إلىّ أنه قد خلف العرب على قِرى الضيف وإكرام الجار . وكان اعجب ما رايت مدينة « كركسون » ، وجدتُها قسمين ووجدت القوم عليها صنفين ، فمنهم الباقون إلى اليوم كما كان عليه آباؤهم فى القرون الوسطى ، بناؤهم ذلك البناء ولباسهم ذلك اللباس ، وعاداتهم وأخلاقهم تلك العادات والأخلاق .. والآخرون خلق جديد وشعبه كسائر شعب الأمة فى اخذهم بأسباب التمدُّن العصرى ، وبالجملة كانت نتيجة هذه النقلة من أجل نعم الله على وأسنى ايادى الخديوى السابق عندى .

ثم ما كدتُ انتهى من السنة الثانية حتى كتب إلىّ مدير الارسالية المصرية يستقدمنى لباريز ، ويخبرنى أنه ذاهب بتلامذته إلى انكلترا لقضاء أكثر ايام العطلة فيها ، وأن الأمير رحمه الله قد ادى نفقة هذه السياحة عنى إذا رغبت فيها ، فبرحت مونبلييه على عجل ايمّم باريز للمرة الأولى ، فأقمت بها يومَين ريثما اهبت الرحلة ثم سافرنا إلى عاصمة انكلترا، فلبثنا فيها نحوَ شهر ، نغشى من معالمها فى الحضارة ونشاهد من دوران دولاب التجارة والصناعة فيها ما ينتهى إليه العظَم والجلال فى هذا العصر ، لكنا لم نلبث أن سئمناها وهذا اكبر عيوبها فخرجنا إلى بعض المدائن على بحر الشمال وهناك وجدنا راحة الخاطر وقرة الناظر ، وإن يكن الجو كثير التقلب غداراً فى غالب الأحيان .

فلما انقضت السنة الثالثة وهى الأولى لى فى باريز أصبت بمرض شديد كنت فيه بين الحياة والموت ، فاستخدمت ممرضة تسهر على

راحتى وتعمل باشارتى فى الحركة والسكنة ، فكنت أسمعها وأنا فى سكرات الحمى تقول « أفى مثل هذا الشباب تذهبون ، ثم تكفكف الدمع لكن الله خيب ظنونها ومَنَّ على بالشفاء ، عندئذ أشار على الأطباء أن اقضى أيامًا تحت سماء أفريقيا على زعم أنّ الذى بى من الضجر والسآمة ليس إلا حنينًا إلى الوطن ، فوقع اختيارى على الجزائر ، فرحلت إليها مع أحد قضاتها الفرنساويين فنفعتنى مرافقته وظل دليل على الهدى فى عاصمة المستعمرة نحو عشرين يومًا ثم برحتها إلى أوران .

أما جو الجزائر فلا يعدله بين الأجواء فى صحوه وطيب نسمته مع توقد شمسه إلا جنوب فرنسا . ولم أتأثر فيها كتأثرى من رؤية المصريين فى القهاوى البلدية إذْ أكثر أصحابها وغلمانها منهم ، وكان قد بلغهم جلوس مولانا الخديوى القائم عباس باشا على الأريكة المصرية فكنت أراهم فرحين بالنبأ ، وأسمعهم يدعون لسموه .

ولا عيب فى الجزائر سوى أنها قد مُسِخت مسخًا ، فقد عَهِدْت مساح الأحذية فيها يستنكف من النطق بالعربية وإذا خاطبته بها لم يجبك إلا بالفرنساوية ، على أن حركة العمران بالمدينة عجيبة ، وآثار التمدن الفرنساوى بادية عليها ، ولكن المسلمين من أهلها لا يشاركون القوم فى شئ من ذلك ، ولا يتهافت مترفوهم إلا على مضار التمدن وأسوائه فكأن حظنا واحد فى كل مكان !

أقمت بالجزائر أربعين يومًا أو تزيد ثم حثثت الرحال عنها قافلاً إلى باريز ، وهناك تّمت لى السنة الثالثة فى الحقوق وحصلت على الشهادة النهائية فيها . فرأى لى الجناب العالى أيده الله أن أقضى فى العاصمة ستة شهور أتمكن فيها من معرفة أشياء باريز وأهلها ، وقد كان فى الدراسة ما يشغل عن ذلك ويحول دونه ، ثم انقضت تلك المدة على ما رسم لى الرأى العالى أيده الله فعدت إلى الوطن وأنا نِضْوُ فِراق ، تَهزُّنى إليه الأشواق .

وفى سنة ١٨٩٦ للميلاد ندبنى جنابه الفخيم لأنوب عن حكومته

السنية فى مؤتمر المستشرقين الذى كان انعقاده فى مدينة جنيف عاصمة سويسرا ، فكانت خير فرصة تُغتنم لمشاهدة هذه البلاد التى هى المجلى البديع لعروس الطبيعة فرحلت إليها ، وأقمت بها شهراً ، ثم انفضَّ المؤتمر فبرحتها إلى بلجيكا لمشاهدة عاصمتها وزيارة المعرض الذى أقيم بمدينة أنفرس فى ذاك العام .

ولما كانت السنة الماضية وكنت قد سئمت الحضر على أثر رمد طال أمده ، خرجت إلى الأستانة طلبًا للعافية على ضفاف البسفور ، فأذن الله وكان ما رجوت وعدت من عاصمة الاسلام وأنا أعتقد أن خطرات النسيم فيها تفعل فى أربعين يومًا ما لا يفعله طب الأطباء فى أربعين عاماً ، هذه هى أيام صباى .

جمعتنى باريز فى أيام الصبا بالأمير شكيب ارسلان وأنا يومئذ فى طلب العلم ، والأمير حفظه الله فى التماس الشفاء فانعقدت بيننا الألفة بلا كلفة ، وكنت فى أول عهدى بنظم القصائد الكُبَر وكان الأمير يقرأ ما يرد عليه منها منشوراً فى صحف مصر ، فتمنى أن تكون لى يوماً مجموعة ثم تمنى على إذا هى ظهرت أن أسميها الشوقيات . ثم هذه هى أيام صباى وخطوات شبابى وأوائل نشأتى أجبت عنها السائل ، ليعلم كيف تقضت وفيم أنفقت وأين ذهبت ، وأنا أستغفر الله لى ولأهلى ولمن ينظر إلى هذا الكتاب بعين الكريم المتجاوز أو المنتقد العدل .

ثم انقضت تلك المدة فكأنها حلم فى الكرى أو خلسة المختلس أو هى كما قلت :

صَحبتُ شكيبا بُرهة لم يَفُزْ بها	سواى على أن الصحاب كثيرُ
حرصتُ عليها آنةً ثم آنةً	كما ضَنَّ بالماس الكريم خبير
فلما تساقينا الوفاء وتم لى	وداد على كل الوداد أمير
تفرق جسمى فى البلاد وجسمه	ولم يتفرَّق خاطر وضمير

هذا أصل التسمية سبقتْ به اشارة لا تخالَف ودفعت إليه طاعة واجبة . وأنا بين هاتين هدف للقيل والقال ، يُظَن بى نِسْبَة الأثر الضئيل إلى الاسم القليل .

كانت وفاة والدى من نحو ثلاث سنوات فكان لى عجباً أن وجدت بين أوراقه شيئاً كثيراً من مُشتَّت منظومى ومنثورى ما نشر منها وما لم ينشر ، قد كتب بعضه بالحبر ، والبعض الآخر بالرصاص والكل خط يد المرحوم وقد لفه فى ورقة كتب عليها هذه العبارة : « هذا ما تيسر لى جمعه من أقوال ولدى أحمد وهو يطلب العلم فى أوروبا فكنت كأنى أراه ، وأنى آمره أن يجمعه ثم ينشره للناس لأنه لا يجد من بعدى من يعتنى بشئونه وربما لم يوجد بعده من يعنى بالشعر والأدب» فبينما أنا ذات يوم تَعِبٌ بهذه الأوراق حيران لوصية الوالد كيف أجريها ، زارنى صديقى مصطفى بك رفعت فحدثته حديثى ، فسألنى أن أعيره الأوراق اياماً ثم يعيدها إلى . ففعلت ثم لم يمض شهر حتى بعث بها إلى ، وإذا هى قد نسخت بقلم مليح يؤيده ذوق صحيح ، بحيث لم يبق إلا أن تُدفع إلى المطابع . فأخذتها وبودى لو وفيت صديقى المشار إليه حقه من شكر الصنع ، وأنا أقول فى نفسى : لئن صدق أبى فى الأولى ، لقد ظلم فى الثانية لأن الخير لا يزال فى الناس .

على أن ما جمع فى « الشوقيات » ثم طبع ليس هو كل ما قيل ، فقد أسقطت منه الكثير وعثرت على غيره ولكن فى الزمن الأخير ، فأما ما أسقط عمداً فأكثره من قولى في زمن الصبا الذى لا يؤمن فيه على المرء الغرور ، ولا يسلك الفتى فيه سبيلاً إلا وهو مضلل عثور ، وقد خشيت أن يقع مثل ذلك فى أيدى الناشئة ، فأسأل عن سوء وقعه ، ويكون اثمة أكبر من نفعه ، لكنى حرصت على اثبات بعض الشئ منه ، كما يحرص الانسان على ذكر ما طاب من أيام الشباب ، وأما ما عثرت عليه والمجموعة فى أيدى الطّباع فلم يكن فى الوسع أخذه لئلا يختلط الكتاب ويختل ترتيب الأبواب ، على أنه محفوظ لينشر فى الجزء الثانى إن شاء الله تعالى ، مع سائر القصائد التى قيلت بعد الاعلان عن الشوقيات ولم يتيسر ادخالها فى أبواب هذا الجزء .

وقد عزمت بحول الله ومشيئته على أن أنشر فى آخر كل عام هجرى ما يحصل عندى من منظوم ومنثور ، ولو قل عدده وصغر حجمه ، وأن أجعل ذلك بمثابة أجزاء متتالية « للشوقيات » تُسمى باسمها وتكون لها مُتَممة .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الطبعة الأولى بقلم الدكتور محمد حسين هيكل

١ — كانت مصر إلى حين قدوم الحملة الفرنسوية إليها فى سنة ١٧٩٨ بعيدة عن الاحتكاك بدول أوربا خلا ما كان من مرور بعض التجار والمتاجر بأرضها فى ذهابهم وعودتهم بين الغرب والشرق. وكانت بحكم خضوعها لاستبداد المماليك، تحت سيادة تركيا، تسود فيها الدسائس ويعمل كل من أمرائها لما يجر إليه النفع. وكانت الحركة العلمية والأدبية خامدة فيها خمودها فى سائر بلاد الدولة العثمانية. وبلغ من ذلك أن تدلى علماء الفقه الإسلامى، الذين كانوا فى مختلف العصور فخر مصر وزينتها، وفتر نشاطهم وفسد إنتاجهم فى ذلك العصر. فأما الأدب من شعر ونثر فلم تقم له إلى ذلك العصر قائمة منذ امتد سلطان الأتراك على مصر. وإنك لتعجب حين تقرأ كاتبا كالجبرتى أو ابن إياس لضعف تأليفه ولغته ولسقم ما فيه من آثار الأدب شعرا كانت هذه الآثار أم نثرا.

فلما جاء الفرنسيون إلى مصر وتغلغلوا فيها وسارت مع حملة الجنود حملة العلماء رأى المصريون مظهرا جديدا من مظاهر الحياة لم يكن لهم فى تاريخهم الأخير به عهد. ولما جاء محمد على فى سنة ١٨٠٦ وقام بما قام به من الإصلاح فى مصر بأن بعث البعوث من أبنائها إلى أوربا، وبعث إلى جوانب الحياة من صور النشاط ما حرك النفوس وأثار طلعتها، هب على البلاد نسيم صالح لعله أول بشائر البعث لأمم الشرق العربى كافة. ثم لما عاد المرسلون من أوربا وكانوا قد شهدوا فيها نشاطا ضاعفه ما خلفته الثورة الفرنسية وراءها من حمى الفكر والقلب والعاطفة، كانوا هم طلائع هذا البعث والعاملين عليه.

كان من بينهم الأطباء والمهندسون والصناع والقواد : ومن بينهم قام رفاعة بك رافع وتلاميذه يحيون عهد الأدب العربى فى مصر ، لكنها كانت حياة تحيط بها ظلمات ماض طويل ، لذلك كان سريان نورها ضئيلا قصير المدى ، لكنها مع ذلك كانت بدءا لما بعده ؛ فلما كان عهد إسماعيل سارت فى سبيل النضج والقوة ثم كانت الثورة العرابية وما تلاها من الحوادث مثارا لشاعرية أكابر الشعراء من أمثال : سامى باشا البارودى وإسماعيل باشا صبرى ، ووحيا لخيال شبان كان روح الشعر آخذا بنفوسهم متهيئا ليفيض منها ما ينفخ فى الأدب العربى روحا وقوة .

وكانت الفترة التى انقضت ما بين الحملة الفرنسية فى مصر سنة ١٧٩٨ واحتلال الإنكليز إياها على الثورة العرابية فى سنة ١٨٨١ ، فترة تقلبات سياسية تجب بين الشرق والغرب والمسلمين والنصارى . فقد كانت تركيا من قبل ذلك التاريخ فى عهد تدهورها ، وكانت مطمح أطماع روسيا ، فلم تكن تمر حقبة من الزمن من غير أن تشب بينهما حرب تنقص من أطراف المملكة العثمانية . وضعف تركيا هو الذى دفع محمد على إلى غزوها ، لكنه ما كاد يقترب من الآستانة حتى تألبت عليه انكلترا وفرنسا وروسيا مخافة أن يزعجهم قيامه فى عاصمة آل عثمان بين الدول الأوربية بعد ما كان من انتصاراته الباهرة فى الشرق ومن سعيه لتوطيد قوة السيف وقوة العلم فى مصر . وكأن ما قامت به الثورة الفرنسية من نشر مبادئ حرية الرأى والعقيدة لم يغير من نفس تلك الدول التى جعلت من الإسلام والمسيحية والشرق والغرب خصمين لا يتهادنان من غير أن تنطوى الضلوع على حفيظة .

فأما المسلمون فى أقطار الأرض فلم يشتد حقدهم على محمد على ، ذلك بأن الدول الأوربية كافة وروسيا خاصة كانت لا تفتأ تشن الغارة على الأتراك وتزيدهم ضعفا على ضعفهم ، فقد انتهت حروب الإمبراطورة كاترينا فى سنة ١٧٩٢ بمد الحدود الروسية إلى الدنيستر ، ثم تحالفت روسيا وانكلترا وفرنسا فى سنة ١٨٢٨ وسلخن اليونان من جسم الدولة العثمانية وأقمنها مملكة مستقلة . وفى سنة ١٨٥٣ كانت حرب القرم ـ ولولا خوف انكلترا وفرنسا من طغيان روسيا ومن اكتساح

الجنس السلافى فى أوروبا لنال الروس من تركيا أكثر مما نالوا من قبل ولنفذوا برنامجهم بإجلاء الأتراك عن أوربا .

وهذا الضعف والاضمحلال الذى أصيبت به الدولة التركية هو الذى جعل المسلمين لا يحقدون على محمد على حين غزا الأتراك متمشين بقول الشاعر :

فإن كنت مأكولا فكن أنت آكلى   وإلا فأدركنى ولما أمزق

على أن الحرب التى شبت نارها بين روسيا وتركيا فى سنة ١٨٧٧ والتى خلد فيها الغازى عثمان باشا انتصار الترك بدفاعه المجيد عن « بلفنا » أحيت فى نفوس المسلمين آمالا فى دولة الخلافة كانت توشك أن تنهدم وتنهار .

ولقد كان المصريون إلى ذلك العهد يعطفون على تركيا عطف غيرهم من المسلمين، لكنهم كانوا أبدا يفكرون فى استقلالهم عنها ويريدون تحقيقه، ولم يكن الأمل فى ذلك بعيدا بعد الفرمان الذى استصدره إسماعيل باشا فى سنة ١٨٧٣ واستقل فيه بإدارة الدولة وبالتشريع لها وبإنشاء الجيش الذى يقوم بحاجاتها ومطامعها ، لذلك كان عطفهم على تركيا منبعثاً عن شعور دينى بحت لا أثر للتبعية السياسية فيه . فلما حطمت انكلترا وفرنسا آمال إسماعيل، وقضتا عليه باسم ديون مصر ، ودفعتا تركيا إلى خلعه ، وانتهت انكلترا باحتلال مصر بعد الثورة العرابية ، ونكثت بعد الاحتلال وعودها بالجلاء ، وأحس المصريون بتدخلها فى شؤونهم اشتد عطفهم على تركيا وضعف تبرمهم بسيادتها عليهم ، وثبت عندهم اليقين بأن دول النصرانية تطارد دول الإسلام، وقويت فيها النزعة الدينية ، وكان من ذلك ما زاد النشاط فى بعث الحضارة الإسلامية والأدب العربى فى مصر .

٢ — وسط هذه العوامل السياسية والاجتماعية وجد أحمد شوقى بك ، ولد « بباب إسماعيل » وشب فى جواره ونشأ فى حماه فكان طبيعيا أن تتأثر نفسه بالبيئة الاجتماعية والسياسية ، وأن تكون أكثر تأثرا بها لقربها من المسرح الذى تشتبك فيه أصول هذه العوامل وأسبابها، وتضطرب فيه اضطرابا يخفيه ما تقضى به

حياة القصور ، ثم تصدر إلى الحياة بعد أن تكون قد نظمت وهذبت . وشوقى خلق شاعرا ، والشاعر يتأثر أضعاف ما يتأثر سائر الناس ، لذلك كان لكل هذه العوامل أثر باد فى شعره وفى حياته .

ومع أن شوقى درس فى مصر، ثم أتم دراسته فى أوربا وتأثر بالوسط الأوربى وبالحياة الأوربية وبالشعر الأوربى تأثرا كبيرا ، فقد ظل تأثره بالبيئة التى وصفنا ظاهرا فى حياته وفى شعره ، كما ظل تأثره بالبيئة الأوربية ظاهرا فيهما كذلك . وإنك لتكاد تشعر حين مراجعتك أجزاء ديوانه ـ بعد أن يتم نشرها جميعا ـ كأنك أمام رجلين مختلفين جد الاختلاف لا صلة بين أحدهما والآخر ، إلا أن كليهما شاعر مطبوع يصل من الشعر إلى عليا سماواته ، وأن كليهما مصرى يبلغ حبه مصر حد التقديس والعبادة. أما فيما سوى هذا فأحد الرجلين غير الرجل الآخر : أحدهما مؤمن عامر النفس بالإيمان ، مسلم يقدس أخوة المسلمين ويجعل من دولة الخلافة قدسا تفيض عليه شؤونه وحوادثه وحى الشعر وإلهامه، حكيم يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها ، محافظ فى اللغة يرى العربية تتسع لكل صورة ولكل معنى ولكل فكرة ولكل خيال. والآخر رجل دنيا يرى فى المتاع بالحياة ونعيمها خير آمال الحياة وغاياتها ، متسامح تسع نفسه الإنسانية وتسع معها الوجود كله ، ساخر من الناس وأمانيهم ، مجدد فى اللغة لفظا ومعنى . وهذا الازدواج ظاهر فى شعر شوقى من أول شبابه إلى هذا الوقت الحاضر ، وإن كان لتأثره بالقديم الغلبة اليوم ، وكانت آثار الرجل الآخر لا تظهر اليوم فى شعر شوقى إلا قليلا .

ولا تقل إن الازدواج النفسى شأن الشعراء، وأن أبا نواس الذى كان يقول:

ألا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سرا إذا أمكن الجهر

والذى كان يقول :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء وداونى بالتى كانت هى الداء

هو أبو نواس الذى كان يقول :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

فليس هذا من أبى نواس ازدواجا فى الروح ، وما الحكمة الزاهدة عنده إلا فتور نفس أجهدتها اللذة فأضعفتها ، فأخافها الضعف فألجأها إلى حمى الحكمة والزهد ، وإلى استغفار الله والتوبة إليه ؛ لذلك لا تلبث نفسه أن تعاودها القوة حتى تعود إلى نعيم الترف والإباحة ، وذلك هو السر فى أنك لاترى الزهد فى شعر أبى نواس إلا عرضا واستثناء ، وذلك شأن الشعراء جميعا إلا قليل منهم ، وشوقى من هذا القليل . ففى شعره صورتان من صور الحياة تقوم كل منهما مستقلة كأنما صاحبها غير الآخر . فأنت تقرأ :

حف كأسها الحبب فهى فضـة ذهب

أو تقرأ :

رمضان ولى هاتها ياساقى مشتاقة تسعى إلى مشتاق

فتراك فى حضرة شاعر مغرم بالحياة وبمتاعها ونعمتها ، شاعر تختلف روحه جد الاختلاف عن صاحب « نهج البردة » التى مطلعها :

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

وصاحب الهمزية النبوية الذى يقول :

ولد الهـدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

وهذان الروحان أو هاتان الصورتان من صور الحياة تتجاوران فى نفس شوقى وتصدران عنها وهى فى كل قوتها وسلطانها . وأنت لذلك حين تقرأ القصيدتين الأوليين تمتلئ إعجابا بالحياة ومتاعها ولذتها ، وحين تقرأ الثانيتين تكون أشد إعجابا بكلمة الإيمان وروح الحق ورسالته . وأنت لا تشعر فى أى الحالين بضعف نفسانى عند الشاعر دفع به إلى لبوس روح غير روحه ، بل أنت فيهما جميعا يبهرك شوقى بقوة شاعريته الممتلئة حياة وخيالا ، والتى تفيض بمتاع العيش فيضها بنور الإيمان .

كيف كان هذا الازدواج ؟ كيف جمع شوقى فى نفسه بين هذين الشاعرين ، شاعر الحياة العربية بحضارتها الإسلامية وبما فيها من قدم وإيمان ، وبين شاعر الحياة الغربية الخاضعة لحكم العلم وما يكشف عنه كل يوم من جديد ؟

مسألة تبدو للنظرة الأولى دقيقة معقدة . فقد تزدوج فى نفس واحدة حياتان بينهما من الصلة ما يبيح الازدواج ، فيكون الرجل الواحد فيلسوفا وشاعرا ، كما كان المعرى أو كما كان فولتير . فأما أن يكون الرجل شاعرا ، وحدة حياته الشعر ، ثم تكون نفسه مقسمة مع هذه الوحدة قسمة ازدواج على نحو شوقى ، فذلك عجب فى شاعر مطبوع يفيض عنه الشعر كما يفيض الماء من النبع ، وكما ينهمل المطر من الغمام .

على أن لهذا الازدواج سببا لم يكن مفر من أن يؤدى إليه ؛ ذلك أن شوقى كان فى طبع شبابه رسول الحياة ، كان شاعر :

حف كأسها الحبب فهى فضة ذهب

لكن هذا الشباب لم يكن فى ملك نفسه ، فقد بعث به المغفور له الخديو توفيق باشا ليتم علومه فى أوربا ، وكان من قبل ذلك شاعرا متفوقا ، وكان فى تفوقه ككل شاعر شاب يرسل القول كما تلهمه إياه نفسه . فلما عاد إلى مصر اتصل بالأمير الشاب عباس حلمى باشا وصار كاتمه ، ورأى يومئذ صنواً له على العرش جعلته روحه الشابة مقداما لا يهاب . ومع ما فوجئ به أول ولايته فى حادث عرض الجيش فى السودان مما اضطره للاعتذار قد بقى شبابه يدفعه إلى ما كان يندفع إليه جده إسماعيل من مغامرة . لكن قيام الاحتلال الانكليزى فى مصر جعل الخصومة بينه وبينهم وليست بينه وبين الأتراك ، بل لقد كان منظورا إليه أكثر الأحيان بشيء غير قليل من العطف فى بلاط آل عثمان ، لذلك كانت عواطفه متفقة وعواطف المسلمين الذين كانوا بعد انتصار الأتراك يرون فى الخليفة الموئل الأخير لأمم الإسلام جميعا .

اتصل الشاعر الشاب بالأمير الشاب ، لحتم عليه ذلك أن يكون المعبر عن الميول والآمال الكمينة فى نفوس المسلمين جميعا لا فى نفوس المصريين وحدهم ، وبذلك اجتمع فى نفسه من أول حياته ميله للحياة وحبه إياها وحرصه على المتاع بها مع إيمان المسلمين جميعا وحرصهم على وحدتهم وعلى كيانهم بإزاء الأمم الغربية التى كانت تنظر إليهم بعين صليبية بحتة . وكانت هذه الناحية التى تمثلها نفسه من

ظروف الحياة ومن البيئة المحيطة به أكثر استيحاء لشعره من الناحية الأولى التى هى طبيعة نفسه، فكان بذلك كالرجل القوى الذى يرى وطنه فى خطر، ويصبح جنديا، وجنديا باسلا، ويتفوق فى كل مواقف الحرب، ويصبح القائد الأعظم ولو أن وطنه لم يكن فى خطر لرأيته صديق النعمة السعيد بها غاية السعادة.

٣ — وهذا الجزء الأول من ديوان شوقى فيه طائفة من شعره أوحى إليه بها على أنه يمثل المصريين والعرب والمسلمين. وأولى قصائده التى مطلعها :

همت الفلك واحتواها الماء وحداها بمن تقل الرجاء

هى رواية من الروايات الخالدة لتاريخ مصر منذ الفراعنة إلى عهد أبناء محمد على، وقف فيها الشاعر وقفة مصرى صادق العاطفة تفيض عليه ربة الشعر تاريخ بلاده منذ عرفها التاريخ، أى منذ عرف الناس شيئا اسمه التاريخ. وأنت تراه فى عرضه هذا التاريخ يمتلىء النفس فخرا بمجد مصر حين يرتفع بها المجد إلى عليا ذراه، آسفا حزينا حين تمر بمصر فترات ظلم وذلة مستفزا للهمم حافزا لعزائم أهل جيله والأجيال التى بعده كى يعيدوا مجد الماضى وعظمته.

وتراه فى انتقاله من الفخر إلى الأسف إلى الاستفزاز يسير مع الحوادث متدفقا مندفعا فوق موج الماضى آتيا من لا نهايات القدم كأنما هو قيثارة آلهة ذلك الزمان البعيد يدفع إليها كل جيل نسائمه فتتغنى وتشدو بأهازيج النصر تارة وبترانيم المسرة طورا وبشجو الألم أحيانا [1].

---

(١) انظر الى الانتقال فى هذه الأبيات الى اخترناها :

قل لبان بنى فشاد فعالى لم يجز مصر فى الزمان بناء
أجفل الجن عن عزائم فرعو ن ودانت لبأسها الآناء
زعموا أنها دعائم شيدت بيد البغى ملؤها ظلماء
إن يكن غير ما أتوه فخار فأنا منك يا فخار براء
لا رعاك التاريخ يا يوم قمبـ يز ولا طنطنت بك الأسماء
جىء بالمالك العزيز ذليلا لم تزلزل فؤاده البأساء
بنت فرعون فى السلاسل تمشى أزعج الدهر عريها والحفاء
والأعادى شواخص وأبوها بيد الخطب صخرة صماء
فأرادوا لينظروا دمع فرعو ن وفرعون دمعه العنقاء.

والقدم وللماضى على نفس الشاعر أثر يذهب إلى أعماقها . وليس لمثل الآثار المصرية من القدم نصيب ، فهذه الأهرام ما تزال تحتوى من الطلاسم ما يحار العقل فى حله ، وهذا أبو الهول فى بجثمه بين رمال الصحراء أكثر ثباتا من الليل والنهار ومن الشمس والقمر ، وهو فى روعة صمته ينطق كل خط خطته الدهور على صحائف جثمانه بما حوته من عبر أيسرها دوام انهيار الأشياء لدوام تجددها وهذا الملك الشاب « توت عنخ أمون » نبش قبره النابشون باسم العلم فإذا فيه من طرف الفنّ ما يزرى بكل فنّ وعلم . هذه وسواها من الآثار تثير فى النفس - إلى جانب صورتها الظاهرة وما يدل عليه إبداع صنعها ودقة فنها من حضارة كملت لها كل أدوات الحضارة - صورة الماضى الذاهب فى القدم إلى أغوار الأزل ، وتثير من شاعرية شوقى معانى بالغة فى الموعظة والعبرة مبلغها من السموّ والعظمة .

وأنت إذ تقرأ قصائده : على سفح الأهرام، وأبو الهول ، وتوت عنخ أمون ، يهزك الشعور بصورة هذا الماضى فى قداستها ومهابتها ، وتمتلكك نفس الشاعر فترفع بك من مستوى الحياة الدنيا إلى سماوات الخلد . ذلك بأن شوقى يهديك المعنى الذى كانت تلتمسه نفسك فلا تقع عليه، ويرسم أمامك بوضوح وقوة وسموّ خيال ونبل عاطفة كل ما ينبض به قلبك ويهتز له فؤادك .

خلع القدم على هذه الآثار معنى البقاء والثبات ، لذلك كان ما يفيض من الوحى إلى روح شاعر الشرق ثابتا باقيا لا تزعزعه الحوادث ولا تعصف به الغير، فأما ما سوى ذلك من شؤون هذه العصور الحديثة فشوقى فيه هو كلمة الأمة وفى هذه العصور الحديثة تغير قدر الناس للحوادث إصغارا وإكبارا بمبلغ رجائهم فيها أو خشيتهم آثارها . وقد تعجب إذ ترى قصيدتين من أبدع قصائد شوقى وأحراها بالخلود متجاورتين فى هذا الجزء الأول من الديوان : إحداها فى وداع لورد كرومر . ومطلعها :

أيامكم أم عهد إسماعيلا　　أم أنت فرعون يسوس النيلا

والثانية فى ارتقاء السلطان حسين كامل على أريكة مصر . ومطلعها :

الملك فيكم آل إسماعيلا   لا زال بيتكم يظل النيلا

فترى الشاعر ينظر فى كل من القصيدتين إلى الحوادث والأشخاص بغير ما ينظر إليها فى الأخرى ، ثم تجد مثل هذا فى غير هاتين القصيدتين ، وليس لذلك من علة إلا الاضطراب الذى أصاب العالم قبل الحرب وبعدها ، والذى ما يزال عظيم الأثر على تفكير المفكرين وكتابة الكتاب وشعر الشعراء .

على أن هذا التأثر بالحوادث فى بعض الشؤون التى لا يستقر للناس فيها عادة رأى قبل أن يصدر التاريخ عليها حكما خاليا من الغرض لا يؤثر بشىء فى روعة القصائد التى كان فيها ، وهو بعد لا يشغل من هذه القصائد إلا حيزا ضيقا . فإن شوقى لا يزيد فى القصائد التى تقال لمناسبة حادث من الحوادث على أن يشير لهذا الحادث بأبيات خلال القصيدة وفى آخرها . فأما أكثر أبيات القصيدة فحكم غوال ، أو وصف رائع ، أو ما سوى ذلك مما يلذ عقل شوقى أو خياله أن يفكر فيه أو يلهو به . وهذه الحكم لم يتغير تقدير شوقى لها ، فهو يرى أن الأمم لا تقوى على دعامة غير دعامة الأخلاق وهو يرى ذلك برغم ما قد يبدو فى بعض الأمم القوية من تدهور فى الأخلاق ، فالعلم عنده حسن وله فائدته ، والغنى حسن كذلك وسائر أدوات الحضارة تصلح الأمم ، لكنها جميعا لا فائدة من رقيها وغزواتها إذا انحطت أخلاق الأمة . فأما إن قويت هذه الأخلاق فقليل من ذلك كله كاف ليرتفع بالأمة إلى ذروة المجد والسؤدد .

وليس معنى هذا أن شوقى يحقر من شأن ما سوى الأخلاق ، فله عن العلم والفن والعمل والترحال وغيرها آيات بينات ، لكنما معناه أن الأخلاق عنده فى المحل الأول ، وهو لا يمل من أن يكرر الدعوة إلى الخلق الصالح على أنه قوام حياة الأمم فى كل قصيدة يقولها عن مصر أو عن غير مصر ، وكثير من أبياته فى هذا المعنى قد أصبح مثلا يتداوله كل كاتب ، وكل أستاذ ، وكل تلميذ ، ويردده الجميع على أنه الحكمة لا يأتيها باطل من بين يديها ولا من خلفها ، أو لا ترى قوله :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

قد بلغ من تواتره على الألسن أن أصبح الكثيرون لا يعرفون إن كان لشوقى أو لشعراء العصور الزاهرة فى أيام العرب إلا لأنهم يريدون أن يكون فخر هذا البيت وغيره من مثله لهم بنسبته لشاعر مصر والشرق فى عصرهم .

٤ — إلى جانب مقام العاطفة الوطنية قوة متسلطة على نفس شوقى ، تقوم عاطفة أخرى لا تقل عنها قوة وربما كانت أشد أخذا بهذه النفس وإثارة لشاعريتها . تلك هى العاطفة الإسلامية . فشوقى شاعر الإسلام والمسلمين ، كما أنه شاعر مصر وشاعر الشرق وعاطفة المسلم تتجه حتى العصور الأخيرة إلى جهتين ، ثم إلى قومين ، فهى تتجه صوب مكة ، مسقط رأس النبى صلى الله عليه وسلم ومقام إبراهيم كعبة المسلمين وقبلة أنظارهم . ومكة فى بلاد العرب ، والنبى عربى ، والقرآن عربى . وهى تتجه ـ أو كانت تتجه ـ صوب الآستانة ، مقرّ الخلافة الإسلامية ، ومقام الخليفة من آل عثمان . والآستانة عاصمة الترك ، وخليفة المسلمين كان تركيا . فكل مسلم تعنيه وحدة المسلمين كان يتجه ببصره ـ إلى حين ألغيت الخلافة ـ نحو مكة ونحو الآستانة : يستمدّ من الأولى المدد الروحى ، ومن الثانية مدد السيف والمدفع .

إلى جانب ما يرجوه المسلم من أهل بلاد الشرق العربى فى مكة مدد روحى تحرّك نفسه إلى هذه الأنحاء عاطفة أخرى هى العاطفة العربية ، هى عاطفة هذه اللغة التى تربط اليوم أكثر من سبعين مليونا ، أكثرهم مسلمون ، وكلهم خاضع لما يخضع له غيره من بطش القوّة وسلطان التحكم . واللغة فى حياة الأمم ليس شأنها هينا ، فأمة لا لغة لها لا حياة لها . ورقى اللغة فى أمة آية صادقة من آيات رقيها ، وما دام العرب مصدر اللغة ، وعلى رجل منهم هبط الوحى ، وبينهم قام صاحب الشريعة فلهم عند المسلمين كافة وعند الذين يتكلمون العربية خاصة حرمة تدفعهم إلى التغنى بآثارهم والإشادة بقديم مجدهم وتمنى خير الأمانى لهم .

لذلك كان العرب ومكة والوحى والقرآن والإسلام والرسول كلها معان لها من الأثر فى نفس شوقى ماليس لسواها من آثار الماضى. ولذلك لم يكن شوقى يشيد بذكر المسلمين وبخلافتهم لغاية سياسية صرفة ، بل إنه ليؤمن بهذه المعانى إيمانا يتجلى فى الكثير من قصائده على صورة تتركنا فى حيرة ، كيف يبلغ الإيمان من نفس هذا المحب للحياة كل هذا المبلغ ؟ فلا نجد لحيرتنا جلاء إلا من الحديث : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ».

وبحسبك أن تقرأ الهمزية النبوية ونهج البردة وقصيدته فى ذكرى المولد التى مطلعها :

سلوا قلبي غداة سلا وتابا لعل على الجمال له عتابا

لترى فى غير إبهام أنه إنما أملت هذه القصائد قوة غلبت طبع الشاعر ، هى قوة الإيمان .

لكنك قد يدهشك مع تجلى الإيمان فى هذه القصائد وغيرها أن يكون شوقى أكثر تحدثا عن الترك وعن الخليفة منه عن العرب وعن الرسول . فهذا الجزء الأول من ديوانه يشتمل ثلاث قصائد عن العرب ومكة والرسالة ويشتمل ثمانى عشرة قصيدة عن الخلافة وعن الترك . وأنت تلمس فى هذه القصائد الثمانى عشرة جميعا حسا أدق من العاطفة ، وفيضا أغزر من الشعر وقوة تكاد تعتقد معها أن شوقى إذ يتحدث عن الترك إنما يملى ما يكنه فؤاده . وإنما يندفع بقوة كمينة هى قوة دم الجنس ؛ أو أن اتصاله بالبيت المالك فى مصر كان قوى الأثر فى نفسه إلى حد جعله يفيض من ذكر الترك بما ينبض به قلب سلالة محمد على .

وليس عليك إلا أن تقرأ آيا من قصائده التركية : لتقتنع بما نقول .

اقرأ قصيدته العظيمة العامرة عن الحرب العثمانية اليونانية التى مطلعها :

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب وينصر دين الله أيان تضرب

أو قصيدته فى رثاء « أدرنه » أو تحيته للترك أيام حرب اليونان
اقرأ أيا من هذه القصائد التى قيلت قبل الحرب الكبرى ، أو اقرأ غيره
مما قيل بعد الحرب على أثر انتصار الأتراك على اليونان ، كقصيدته التى
مطلعها :

الله أكبر كم فى الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

وإنك لتؤمن حقا بأن هذه القصائد التركية هى أقوى قصائده عن الحوادث
وأصدقها حسا وعاطفة .

ولعل مرجع ذلك أن قد اجتمعت فى الأتراك عوامل كثيرة كان لشوقى
اتصال بها ، فكانت لذلك تهزه أكثر مما تهز سواه . فالترك — فوق أنهم
كانوا مقر الخلافة وقبلة المسلمين الزمنية وأصحاب السيادة على مصر سيادة
يشلها الاحتلال الإنجليزى — يجرى من دمهم فى عروق الشاعر الكبير ، ومنهم
أصحاب عرش مصر الذين ببابهم ولد شوقى وفى حماهم شب ونشأ .

وقد بلغ من حب شوقى للترك أن كان يعتبرهم مجموعة فضائل لا تشوبها
نقيصة .

٥ — على أن شوقى وإن كان شاعر مصر وشاعر العرب وشاعر المسلمين وكان
فيه الازدواج بين حب الحياة ومتاعها والإيمان ونعيمه ، له ذاتيته التى لا تخفى
فهو شاعر الحكمة العامة وهو شاعر اللغة العربية السليمة وإنك لتعجب أكثر
الأحيان حين ترى عنوان قصيدة من قصائده ثم لا تجد فى القصيدة غير أبيات معدودة
تدخل فى موضوع العنوان ، بينا سائرها حكمة أو غزل أو وصف أو ما شاء لشوقى
هواه ، وما أحسب شاعرا بالغ فى ذلك ما بالغ شوقى ولست أضرب لك مثلا
لذلك مما فى هذا الجزء الأول من الديوان إلا بقصائد ثلاث : لجان التموين
والانقلاب العثمانى ، وبين الحجاب والسفور ؛ هذا وإنك واجد فى غير هذه القصائد
الثلاث ما يظهر لك منه ما ألقينا به إليك ، فشيطان شوقى أشد حرصا على متاع
بالشعر للشعر منه بموضوع خاص . أما القصائد التى يملك موضوعها أبياتها جميعا

فهى القصائد التى ملك موضوعها شوقى فأنساه نفسه بما كان له فى هذا الموضوع من لذة ومتاع وما أفاضه على شاعريته من وحى وإلهام .

وحكمة شوقى وما يصدر عنه من وصف وغزل وما يميز شعره جميعا يبدو كأنه شرقى عربى لا يتأثر بالحياة الغربية إلا بمقدار . وهذا طبيعى ما دام شوقى شاعر العرب والمسلمين ، وما دام يجد فى الحضارة الشرقية القديمة ما يغنيه عن استعارة لبوس المدنية الغربية إلا بالمقدار الذى تحتاج إليه أمم الشرق فى حياتها الحاضرة لسيرها فى سبيل المنافسة العامة ولقدترى شوقى يغلو فى شرقيته وعربيته أحيانا . ولقد تراه يتعمد ذلك فى لفظه ومعناه ، وسبب ذلك هو ما يراه من ضرورة مقاومة النزعة القائمة بنفوس كثيرة تصبو إلى نسيان ما خلف السلف من تراث والأخذ بكل ما يلمع به الحاضر من وراء الغرب .

وقد يكون غلوّ شوقى أكثر وضوحا فى جانب اللغة منه فى جانب المعانى . فهو بمعانيه وصوره وخيالاته يحيط بما فى الغرب بكل ما يسيغه الطبع الشرقى وترضاه الحضارة الشرقية . أما لغته فتعتمد إلى بعث القديم من الألفاظ التى نسيها الناس وصاروا لا يحبونها لأنهم لا يعرفونها . ولعل سر ذلك عند شوقى أن البعث وسيلة من وسائل التجديد ، بل لقد يكون البعث آكد وسائل التجديد نتيجة ما وجد من أرباب اللغة من يفيضون على الألفاظ القديمة روحا تكفل حياتها ، والبعث له إلى جانب ذلك من المزايا أنه يصل ما بين مدنية دارسة ومدنية وليدة ، يجب أن تتصل بها اتصال كل خلف بسلفه .

ومن ذا ترى من أرباب اللغة قديرا قدرة شوقى على أن يبعث فى الألفاظ القديمة روحا تكفل حياتها فى الحاضر وتفيض عليها من ثوب الشعر ما يجعلها تتسع لما لم تكن تتسع له من قبل من المعانى والأخيلة والصور . إن اليونانية ما تزال موضع دراسة العلماء واللغويين لأن هومير كتب بها إلياذته . واللاتينية ما تزال حياتها كمينة ـ وإن تدثرت بحجب الماضى ـ أن كتب بها فرجيل شعره . واللغة العربية هى حتى اليوم لغة التفاهم بين سبعين مليونا من أهل هذا الشرق

العربى ، وهى حية وستبقى أبدا حية ، لكن كمال حياتها يحتاج إلى أن يبعث الله لها أمثال شوقى ليزيدوا تلك الحياة قوة وروعة وجمالا .

وما أنا بحاجة إلى أن أدل على هذه القوة ، وتلك الروعة ، وذلك الجمال ، فكل أديب أو متأدب يعرف منها ما أعرف . وها هى ذى مجلوة فى هذا الديوان بكل ما لشوقى على اللغة والأدب والشعر من سلطان .

كبار الحوادث فى وادى النيل(*)

همّت الفُلْك واحتواها الماء وحَداها بمن تقلّ الرجاء(١)
ضرب البحر ذو العُباب حَوالَيـ ـها سماءً قد أكبرتها السماء(٢)
ورأى المارقون من شَرَك الأر ض شِباكاً تمدها الدأماء(٣)
وجبالًا موائجًا فى جبال تتدجّى كأنها الظلماء(٤)
ودويًا كما تأهّبت الخيـ ـل وهاجت حماتها الهيجاء
لُجةٌ عند لجةٍ عند أخرى كهضاب ماجت بها البيداء
وسَفينٌ طوراً تلوح وحينا يتولّى أشباحهنّ الخفاء(٥)
نازلاتٌ فى سيرها صاعداتٌ كالهوادى يهزهنّ الحُداء(٦)
ربّ إن شئتَ فالفضاء مضيق وإذا شئت فالمضيق فضاء
فاجعل البحر عصمة وابعث الرحـ ـمة فيها الرياح والأنواء(٧)
أنت أنس لنا إذا بَعُدَ الأنـ ـس وأنت الحياة والإحياء
يتولّى البحارَ مهما ادلهمّتْ منك فى كل جانب لألاء
وإذا ما عَلَتْ فذاك قيام وإذا ما رَغَتْ فذاك دعاء(٨)
فإذا راعها جلالك خرّت هيبة فهى والبساط سواء

(*) قالها فى المؤتمر الشرقى الدولى المنعقد فى مدينة « جنيفا » فى سبتمبر عام ١٨٩٤ ، وكان مندوبا للحكومة المصرية فيه .

(١) حدا الإبل ، وحدا بها : ساقها وغنى لها . (٢) العباب : ارتفاع السيل أو الموج
(٣) مرق السهم من الرمية مروقا : نفذ فيها وخرج من الجانب الآخر ، فهو مارق والمقصود بها هنا الهارب . الدأماء : البحر . (٤) تدجى الليل : أظلم
(٥) السفين : جمع سفينة . (٦) الهوادى : أول رعيل من الإبل . الحداء : الغناء فى أثر الإبل . (٧) الأنواء : الأمطار . (٨) رغا : ضج فى صوته .

والعريضُ الطويل منها كتاب ... لك فيـــه تحيـــة وثناء
يا زمانَ البحار لولاك لم تُفْـ ... ـجع بنُعْمى زمانها الوَجْناء [١]
فقديما عن وَخْدِها ضاق وجه الـ ... أرض وآنقاد بالشّراع الماء [٢]
وانتهت إمرة البحار إلى الشر ... ق وقام الوجود فيما يشاء
وبنيْنا فلم نخـــلّ لبانٍ ... وعلونا فلم يَجُــزْنا عــلاء
وملكنا فالمـالكون عبيد ... والبرايا بأســرهم أسَــراء
قل لبانٍ بنى فشاد فغالَى ... لم يجز مصرَ فى الزمان بناء
ليس فى الممكنات أن تنقل الأجـ ... ـبال شمًّا وأن تُنال السماء [٣]
أجفل الجن عن عزائم فرعو ... ن ودانت لبأسها الآناء [٤]
شاد ما لم يَشدْ زمانٌ ولا أنـ ... ـشأ عصرٌ ولا بنى بنّـــاء
هيكل تُنثر الديانات فيـــه ... فهى والناسُ والقرونُ هَباء
وقبورٌ تَحُطُّ فيها الليـــالى ... ويُوارَى الإصباح والإمساء
تشفق الشمسُ والكواكب منها ... والجديدانِ والبِلَى والفناء [٥]
فاعذر الحاسدين فيها إذا لا ... موا فصعبٌ على الحسود الثناء
زعموا أنها دعائمُ شِــيدَت ... بيـــد البغى ملؤها ظلماء
دُمّر الناسُ والرعيّة فى تشـ ... ـييدها والخـــلائقُ الأُسَراء
أين كان القضاء والعدل والحكـ ... ـمة والرأى والنُّهى والذكاء
وبنو الشمس من أعزّة مصر ... والعـــلومُ التى بها يُستضاء

---

(١) الوجناء : الناقة الشديدة . (٢) وخدها : سيرها السريع وسعة خطوها
(٣) الأجبال : جمع جبل . والشم : جمع أشم ، وهو المرتفع (٤) أجفل : نفر وفر خائفا . (٥) الجديدان : الليل والنهار .

فادَّعَوْا ما ادّعى أصاغرُ آتيـ ـنا ودعوامُ خَنَـا واقتراء (١)
ورأوا للذين سادوا وشادوا سُبّة أن تُسخّر الأعداء
إن يكن غيرَ ما أتوه فخَار فأنا منك يا فخار بَرَاء
ليت شِعْرى والدهر حربُ بنيه وأياديه عندهم أفياء (٢)
ما الذى داخل الليالىَ منّا فى صِبَانا ولليالى دهاء (٣)
فعلا الدهر فوق علياء فرعو ن وهمّت بملكه الأرزاء
أعلنت أمرَها الذئابُ وكانوا فى ثياب الرُّعاة من قبلُ جاءوا (٤)
وأتى كلُّ شامتٍ مِن عِدَا الملـ ـك إليهم وانضمّت الأجزاء
ومضى المالكون إلا بقايا لهمُ فى ثَرَى الصعيد التجاء
فعلى دولة البُنَاة سلام وعلى ما بنى البُنَاة العَفَاء
وإذا مصر شاة خير لراعى السوء تُؤذَى فى نسلها وتساء
قد أذل الرجالَ فهى عبيد ونفوسَ الرجال فهى إماء
فإذا شاء فالرقاب فداه ويسيرٌ إذا أراد الدماء
ولقوم نوالُه ورضاه ولأقوام القِلَى والجفاء (٥)
ففريق ممتّعون بمصر وفريق فى أرضهم غرباء
إن ملكتَ النفوس فابغِ رضاها فلها ثورة وفيها مضاء (٦)
يسكن الوحشُ للوثوب من الأسـ ـر فكيف الخلائق العقلاء

---

(١) الخنا : الفحش فى الكلام . (٢) الأفياء : جمع فىء ، وهو الغنيمة . والمراد أن الدهر لا يحسن إلى الناس إلا راغما ، فكأنهم لا يظفرون منه بنعمة إلا كغنيمة حرب .
(٣) أى نفعل فعل الدهاة . (٤) ملوك الرعاة أو الهكسوس : فاتحون من آسية انتهزوا فرصة الضعف الذى حل بالبلاد على أثر انقضاء عهد الأسرة الثانية عشرة والتنازع الذى حدث على الملك بين طبقة الأشراف ، فغزوها فى سنة ١٦٧٥ ق . م .
(٥) القلى : البغض . (٦) مضاء السيف : نفاذه فى الضريبة .

يحسب الظالمون أن سيسودو ن وأن لن يُؤيَّد الضعفاء
والليالى جوائرٌ مثلما جا روا وللدهر مثلَهم أهواء

***

لبثت مصر فى الظلام إلى أن قيل مات الصباح والأضواء
لم يكن ذاك من عمًى ، كلُّ عينٍ حجب الليلُ ضوءها عمياء
ما تراها دعا الوفاء بنيها وأتاهم من القبور النداء
ليزيحوا عنها العدا فأزاحوا وأزيحت عن جفنها الأقذاء
وأُعيد المجد القديم وقامت فى معالى آبائها الأبناء
وأتى الدهر تائبًا بعظيم من عظيم آباؤه عظماء
مَن كرمسيس فى الملوك حديثاً ولرمسيسَ الملوكُ فداء (١)
بايعته القلوب فى صُلب سيتى يوم أن شاقها إليه الرجاء
واستعدَّ العبادُ للولد الأكـ ـبر وازّيَّنتْ لهُ الغبراء
جَلَّ سيزوستريس عهداً وجلَّتْ فى صِباه الآياتُ والآلاء
فسمعنا عن الصبىّ الذى يعـ ـفو وطبعُ الصبا الغشوم الإباء
ويرى الناسَ والملوك سواءً وهل الناس والملوك سواء
وأرانا التاريخ فرعونَ يمشى لم يَحُلْ دون بشره كبرياء

***

(١) هو رمسيس الثانى بن سيتى الاول : أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة المصرية . ولى عرش مصر وهو صغير ، واستمر حكمه من سنة ١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق . م . ويعرف برمسيس الأكبر ؛ لما اكتسبه من الشهرة الفائقة التى جعلت كثيرا من الناس يزعمون أنه أعظم ملوك مصر . والذى كون له هذه الشهرة الكبيرة تلك المبانى العديدة التى شيدها فى جميع أنحاء البلاد .

يولد السيدُ المتوَّجُ غَضًّا طهَّرته فى مهدها النعْماء[1]
لم يغيِّره يومَ ميلاده بؤ سٌ ولا ناله وليدًا شقاء
فإذا ما الملقون تولَّوْ هُ تولَّى طباعَه الخيلاء[2]
وسرى فى فؤاده زخرفُ القو ل تراه مستعذبًا وهو داء
فإذا أبيضُ الهديل غراب وإذا أبلجُ الصباح مَساء[3]

***

جَلَّ رمسيسُ فطرةً وتعالى شيمةً أن يقوده السفهاء
وسما للعُلا فنال مكانًا لم ينله الأمثال والنُّظراء
وجيوشٌ ينهضْنَ بالأرض ملكا ولواء من تحته الأحياء
ووجودٌ يُسَاسُ ، والقولُ فيه ما يقول القضاة والحكماء
وبناء إلى بناء يودُّ الخلْ دُ لو نال عمره والبقاء
وعلومٌ تحيي البلادَ ، وبنْتَا هورُ فخرُ البلاد ، والشعراء[4]
إيهِ سيزوستريس ماذا ينال الْ وصفُ يوما أو يبلغ الإطراء
كَبُرَتْ ذاتُك العليَّة أن تحـ صى ثَنَاها الألقابُ والأسماء
لك آمُونُ والهلال إذا يكـ بُر والشمس والضُّحى آباء[5]
ولك الرِّيف والصعيد وتاجا مصر والعرش عاليًا والرداء
ولك المنشآتُ فى كل بحر ولك البرُّ أرضُه والسماء

---

(١) الغض : النضير . (٢) الخيلاء : العجب والكبر .
(٣) الهديل ذكر الحمام . وبلج الصباح : أشرق وأنار .
(٤) بنتاهور : شاعر مصرى قديم . (٥) آمون : إله الشمس فى اعتقاد القدماء
وقد كان القدماء يعتقدون أن الملوك نسل الآلهة التى أشير إليها فى هذا البيت بالشمس والقمر .

ليت لم يُبْلِكَ الزمانُ ولم يَبْـ ـلَ لِمُلْكِ البلادِ فيك رجاء
هكذا الدهر حالةٌ ثم ضِدٌّ ما لحالٍ مع الزمان بقاء

* * *

لا رعاكَ التاريخ يا يوم قَمبيـ ـزَ ولا طَنْطَنَت بك الأنباء [1]
دارت الدائرات فيك ونالت هذه الأمةَ اليدُ العسراء
فبمصرٍ مما جنيتَ لمصرٍ أى داء ما إن إليه دواء [2]
نكَدٌ خالدٌ وبؤس مقيم وشقاء يجدّ منه شقاء
يوم مَنْفِيسَ والبلادُ لكسرى والملوكُ المطاعةُ الأعداء [3]
يأمر السيفُ فى الرقاب وينهى ولمصر على القذى إغضاء
جىء بالمالك العزيز ذليلا لم تُزلزِلْ فؤادَه البأساء
يبصر الآلَ إذ يُراح بهم فى موقف الذل عَنْوَةً ويُجاء
بنتُ فرعونَ فى السلاسل تمشى أزعج الدهرَ عُرْيُها والحفاء [4]
فكأنْ لم ينهض بهودجها الدهـ ـر ولا سار خلفها الأمراء [5]

* * *

(١) قمبيز : أحد ملوك الفرس . استولى على مصر سنة ٥٢٥ ق . م . وسلك فى المصريين مسلك العسف والظلم ، وخرب المعابد والهياكل ، وقتل العجل أبيس إله المصريين وغير ذلك . ويوم قمبيز هو اليوم الذى انتصرت فيه جيوشه على جيوش أبسمتيك آخر ملوك الأسرة السادسة والعشرين فى الفرما ومنف ، والذى أخذ فيه الملك أسيرا فأذيق من الذل ماسترى . وطنطن : صوت . (٢) إن : هنا زائدة . وما : نافية ، بمعنى ليس

(٣) منفيس : هى منف التى ذكرناها ، وكانت العاصمة حينئذ : وكسرى : لقب لكل ملك من ملوك الفرس ، والمراد به هنا قمبيز .

(٤) الحفا (مقصورة ومدت) : المشى بلا خف ولا نعل .

(٥) الهودج ؛ محمل النساء .

وأبوها العظيم ينظر لما ... رُدِّيت مثلما تَرَدَّى الإماء[1]
أعطيتْ جَرَّةً وقيل إليك النهرَ قومى كما تقوم النساء
فمشتْ تُظهر الإباء وتحمى الدمع أن تسترقّه الضَّرَّاء[2]
والأعادى شواخصٌ وأبوها ... يبد الخطب صخرة صَمَّاء[3]
فأرادوا لينظروا دمع فرعو ... ن ، وفرعون دمعه العَنْقَاء[4]
فأرَوْه الصديقَ فى ثوب فقر ... يسأل الجمع والسؤالُ بلاء
فبكى رحمة وما كان مَنْ يبـ ... ـكى ولكنّما أراد الوفاء
هكذا الملكُ والملوك وإن جا ... ر زمان ورَوَّعَتْ بَلْواء

* * *

لا تسلْنى ما دولة الفرس ؟ ساءتْ ... دولة الفرس فى البلاد وساءوا[5]
أمّة همُّها الخرائب تُبْلِيـ ... ـها وحَقُّ الخرائب الإعلاء[6]
سلبتْ مصرَ عزّها ، وكستْها ... ذِلّةً مالها الزمانَ انقضاء
وارتوى سيفها فعاجلها الله ... بسيف ما إن له إرواء[7]
طِلْبَةٌ للعباد كانت لإسكنـ ... ـدرَ فى نَيْلها اليدُ البيضاء[8]
شاد إسكندرٌ لمصر بناء ... لم تَشِدْه الملوك والأمراء

---

(١) رداها ، أى ألبسها الرداء . وتردى ؛ أصلها تتردى ، أى تلبس الرداء .

(٢) استرقه : ملكه . والضراء : الشدة . (٣) شواخص : جمع شاخص وهو الناظر بحيث لاتطرف عيناه . (٤) العنقاء : طائر معروف الاسم مجهول الجسم ، ويكنى به عن الشىء البعيد المنال . (٥) يعود الضمير هنا إلى الفرس أنفسهم .

(٦) الخربة . موضع الخراب ، وجمعها خرائب . والغرض منها هنا بقايا الهياكل والآثار . (٧) إن : زائدة . وما : نافية . (٨) هو الإسكندر الأكبر المقدونى الذى افتتح مصر فى سنة ٣٣٢ ق . م . وقضى على حكم الفرس وأنشأ مدينة الإسكندرية .

بلداً يَرْحــل الأنامُ إليــه ... ويحجُّ الطــلّاب والحكماء

عاش عمراً فى البحر ثغرَ المعالى ... والمنارَ الذى به الاهتــداء

مطمئنًا من الكتائب والكتْـ ... ـب بما ينتهى إليه العَــلاء

يبعث الضوء للبلاد فتسرى ... فى سنــاه الفهوم والفهماء

والجوارى فى البحر يُظهرن عز الـ ... ـملك والبحرُ صَولة وثَراء[1]

والرعايا فى نعمــة ، ولبَطْلَيـ ... ـمُوسَ فى الأرض دولة عَلْياء[2]

فقضى الله أن تضيّع هذا المـ ... ـلك أنثى صعب عليها الوفاء[3]

تخِذَتْها روما إلى الشر تمهيـ ... ـداً ، وتمهيــدُه بأنثى بلاء

فتناهى الفسادُ فى هذه الأر ... ض وجاز الأبالسَ الإغواء

ضــيّعتْ قيصر البرية أنثى ... يا لرَبّى مما تجــر النساء[4]

فتنتْ منه كهفَ روما المرجّى ... والحُســامَ الذى به الاتقاء[5]

قاهرَ الخصم والجحافِلِ مهما ... جدّ هولُ الوَغى وجدّ اللقاء

فأتاها من ليس تملكه أنـ ... ـثى ولا تسترقّه هَيْفــاء[6]

بطلُ الدولتين حامى حِمَى رُو ... ما الذى لا تقوده الأهــواء[7]

(١) الجوارى : السفن . (٢) بطليموس : حاكم مصر بعد الإسكندر ومؤسس دولة البطالسة التى استمرت من سنة ٣٢٣ ق . م . إلى سنة ٣٠٠ ق . م ؛ إذ سقطت فى عهد كليوباتره . (٣) كليوباتره : وهى آخر ملكة حكمت مصر من دولة البطالسة وقد قام بها قيصران : يوليوس ، وهو الذى انتهت بموته الجمهورية الرومانية وكانت صنيعة له . وأنطونيوس ، وهو الذى أنشأ بالاشتراك مع أكتافيوس الإمبراطورية الرومانية . وقد كان هيام الأخير بها سببا لغزو أكتوفيوس لمصر وانتصاره على كليوباترة ، التى حاولت عبثا أن تؤثر فى قلبه بجمالها ، فانتحرت بأن وضعت على صدرها حية . وانتحر أنطونيوس .

(٤) المقصود بقيصر هنا : أنطونيوس . (٥) الكهف : الملجأ .

(٦) أكتافيوس قيصر . (٧) الدولتان : دولة الغرب ؛ ودولة الشرق .

أخذ الملك وهي في قبضة الأفـ ـعى عن الملك والهوى عمياء[١]
سلبتها الحياة فاعجب لرقطا ء أراحت منها الورى رقطاء[٢]
لم تصب بالخداع نجحا ولكن خدعوها بقولهم حسناء
قتلت نفسها وظنت فداء صغرت نفسها وقل الفداء
سـل كلوبترة المكايد هلا صدها عن ولاء روما الدهاء؟
فبروما تأيدت، وبروما هي تشقى وهكذا الأعداء
ولروما الملك الذي طالما وا فاه في السر نصحها والولاء
وتولت مصرا يمن على المصـ ـري من دون ذا الورى عذراء
تسمع الأرض قيصرا حين تدعو وعقيم من أهل مصر الدعاء[٣]
ويُنيل الورى الحقوق فإن نا دته مصر فأذنه صماء
فاصبري مصر للبلاء، وأنى لك؟ والصبر للبلاء بلاء
ذا الذي كنت تلتجين إليه ليس منه إلى سواه التجاء

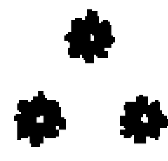
***

ربَّ شقت العباد أزمان لا كتـ ـب بها يهتدي ولا أنبياء[٤]
ذهبوا في الهوى مذاهب شتى جمعتها الحقيقة الزهراء[٥]

---

(١) وهي، أي كليوباتره. (٢) الرقطاء: الحية التي يخالط بياضها نقط سوداء، أو العكس. (٣) عقيم: أي لا خير وراءه. (٤) شاقه الحب إليه: هاجه. والمراد بالكتب الكتب الإلهية التي تنزلت على الأنبياء. (٥) الحقيقة الزهراء: هي وجود الله وتوحيده. ولقد تنوعت ديانة قدماء المصريين. فكانوا في أول أمرهم يعتقدون بوجود إله واحد، ورمزت له كل قبيلة برمز خاص، ثم رمزوا لصفات هذا الإله برموز صارت بعدئذ معبودات. ثم عبدوا الكائنات الطبيعية التي لها تأثير محسوس في حياتهم كالشمس والقمر والنيل. ثم اعتقدوا بحلول الآلهة في أجساد الحيوان فعبدوا العجل (أبيس) والقط والكلب وما إلى ذلك.

فإذا لقّبوا قويًّا إلٰها فله بالقُوى إليك انتهاء
وإذا آثروا جميلا بتنزيـ ـه فإن الجمال منك حِباء (١)
وإذا أنشئوا التماثيلَ غُرًّا فإليك الرموز والإيماء (٢)
وإذا قدّروا الكواكب أربا با فمنك السنا ومنك السّناء (٣)
وإذا ألّهوا النباتَ فمن آ ثار نَعماك حسنه والنّماء
وإذا يمّموا الجبال سجودا فالمراد الجلالة الشمّاء (٤)
وإذا يُعبد الملوك فإن الـ ـملك فضلٌ تَحبو به من تشاء
وإذا تُعبد البحارُ مع الأسـ ـماك والعاصفاتُ والأنواء
وسباعُ السماء والأرض والأر حامُ والأمهات والآباء
لعلاك المذكّرات عبيد خُضّع والمؤنثات إماء (٥)
جمع الخُلْقَ والفضيلةَ سِرٌّ شفّ عنهُ الحِجابُ فهو ضياء



سجدتْ مصر فى الزمان لإيزيـ ـس النّدى من لها اليد البيضاء (٦)
إن تَلِ البرّ فالبلاد نُضار أو تَلِ البحرَ فالرياح رُخاء (٧)
أو تَلِ النفس فهى فى كل عضو أو تَلِ الأفق فهى فيه ذُكاء (٨)
قيل إيزيس: ربةَ الكون لولا أن توحّدتِ لم تك الأشياء
واتخذتِ الأنوار حُجبًا فلم تبـ ـصرْكِ أرضٌ ولا رأتك سماء
أنت ما أظهر الوجود وما أخـ ـفى وأنت الإظهار والإخفاء

(١) التنزيه: التقديس. والحباء: العطاء. (٢) الرمز والإيماء. الإشارة.
(٣) السنا: الضوء. والسناء: الرفعة. (٤) الشماء: الرفيعة.
(٥) المذكرات: ما كان من هذه الآلهة مذكرا. (٦) إيزيس: إلهة من آلهة القدماء. (٧) النضار: الذهب. ورخاء: أى لينة. (٨) ذكاء: من أسماء الشمس.

لك آبيسُ والمُحَبَّبُ أوزيـ ـريس وآبناه كلهم أولياء[1]
مُثِّلَت للعيون ذاتك والتمـ ـثيلُ يدني من لا له إدناء
وادّعاك اليونانُ من بعد مصر وتلاه في حُبك القدماء
فإذا قيل ما مفاخر مصر قيل منها إيزيسها الغراء

*
* *

ربّ هذي عقولنا في صِباها نالها الخوف واستباها الرجاء
فعشقناك قبل أن تأتيَ الرُّسْـ ـل وقامت بحبك الأعضاء
ووصلنا السُّرى فلولا ظلام الـ ـجهل لم يَخطُنا إليك اهتداء[2]
واتخذنا الأسماء شتى فلما جاء موسى انتهت لك الأسماء
حجَّنا في الزمان سحراً بسحر واطمأنت إلى العصا السعداء[3]
ويريد الإله أن يُكْرَمَ العقـ ـلُ وألا تُحقَّر الآراء
ظنّ فرعونُ أن موسى له وا فٍ وعند الكرام يُرجى الوفاء
لم يكن في حسابه يوم ربّى أنْ سيأتي ضدّ الجزاء الجزاء
فرأى اللهُ أن يَعُقّ ولله نبيٌّ لا لغيره الأنبياء
مصر موسى عند انتماء وموسى مصرُ إن كان نسبةٌ وانتماء
فبه فخرها المؤيّد مهما هُزّ بالسيد الكليم اللواء[4]
إن تكن قد جفته في ساعة الشك فحظ الكبير منها الجفاء
خلّةٌ للبلاد يشقى بها النا س وتشقى الديار والأبناء

(١) آبيس : هو العجل أبيس ، معبود القدماء . كما قدمنا . وأوزيريس : هو إله الشمس في اعتقاد القدماء . (٢) السرى : السير ليلا . ولم يخطنا : لم يجاوزنا . (٣) حجه : غلبه بالحجة . (٤) هزالكوكب : انقض . والمراد : مهماخذل

فكبير ألا يصان كبير   وعظيم أن يُنبذ العظماء

***

وُلد الرفقُ يوم مولد موسى   والمروءاتُ والهدى والحياء
وازدهى الكون بالوليد وضاءت   بسَناه من الثرى الأرجاء
وسرتْ آية المسيح كما يسـ   ـرى من الفجر فى الوجود الضياء
تملأُ الأرض والعوالمَ نورًا   فالثرى مائج بها وضّاء
لا وعيدٌ ، لا صولة ، لا انتقام   لا حسام ، لا غزوة ، لا دماء
ملكٌ جاور الترابَ فلما   ملّ نابت عن التراب السماء [1]
وأطاعته فى الإله شيوخ   خُشّع خُضّع له ضعفاء
أذعن الناس والملوك إلى ما   رسموا والعقول والعقلاء
فلهم وقفة على كل أرض   وعلى كل شاطئ إرساء
دخلوا ثيبة فأحسن لقيا   هم رجال بثيبة حكماء [2]
فهموا السرّ حين ذاقوا وسهلٌ   أن ينال الحقائقَ الفهَماء [3]
فإذا الهيكل المقدّس ديرٌ   وإذا الدير رونق وبهاء
وإذا ثيبةٌ لعيسى ومنفيـ   ـسُ ونيلُ الثراء والبطحاء [4]
وإنما الأرضُ والفضاء لربى   وملوك الحقيقة الأنبياء
لهم الحبُّ خالصاً من رعايا   هم وكل الهوى لهم والوَلاء
إنما ينكرُ الدياناتِ قومٌ   هم بما ينكرونه أشقياء

(١) يشير إلى رفعه إلى السماء . (٢) ثيبة : عاصمة من عواصم مصر القديمة .
(٣) السر : أى سر عباد الله على دين المسيح . (٤) البطحاء : مسيل الماء فيه دقاق الحصى .

*
* *

هَرِمَتْ دولة القيـاصر والدو لات كالناس دواؤهن الفناء[1]
ليس تُغنى عنهـا البلادُ ولا ما لُ الأقاليم إن أتاها النـداء[2]
نال روما ما نال من قبل آثيـ ـنـا وسِيمتْه ثيبـةُ العَصْماء[3]
سنةُ الله فى الممالك من قبـ ـلُ ومن بعد ، ما لِنُعمى بقاء

*
* *

أظلم الشرق بعد قيصرَ والغر بُ وعم البرية الإدجاء[4]
فالورى فى ضـلاله متمادٍ يفتكُ الجهلَ فيـه والجهـلاء
عرّف اللهَ ضِلةً ، فهو شخص أو شِهاب أو صخرة صمّاء[5]
وتولى على النفوس هوى الأو ثان حتى انتهت له الأهواء
فرأى الله أن تُطَهَّر بالسيـ ـف وأن تغسِل الخطايا الدماء
وكذاك النفوسُ وهى مِراضٌ بعضُ أعضائهـا لبعضٍ فداء
لم يُعادِ اللهُ العبيـدَ ولـكن شَقِيَتْ بالغبـاوةِ الأغبيـاء
وإذا جلّت الذنوب وهالت فمن العدل أن يَهُـول الجزاء
أشرق النـور فى العوالم لمـا بشّرتها بأحمـدَ الأنبيـاء
باليتيم الأمّىّ والبَشَر المُـو حَى إليـه العلومُ والأسماء
قوّة الله إن تولت ضعيفاً تعبت فى مِراسـه الأقوياء[6]

---

(١) دولة القياصر : الدولة الرومانية . والهرم : بلوغ أقصى الكبر .
(٢) النداء : نداء الفناء (٣) سامه الأمر : كلفه إياه ، وأكثر ما يستعمل فى الشر والعذاب . (٤) الإدجاء : الظلام . (٥) ضلة : ضلالا . والشهاب : شعلة من نار ساطعة ، وقد يطلق على الكوكب . (٦) المراس . هنا ، بمعنى المآخذ والمعالجة .

أشرف المرسلين ، آيتُه النطـ ـقُ مُبيناً ، وقومُه الفصحاء
لم يَفُه بالنوابغ الغُرّ حتى سبق الخلقَ نحوه البلغاء
وأتتْه العقول منقادةَ اللُّبِّ ولبّى الأعوان والنصراء[1]
جاء للناس ، والسرائرُ فوضى لم يؤلّف شتاتَهن لواء[2]
وحِمى الله مستباحٌ وشرعُ الله والحقُّ والصوابُ وراء
فلجبريل جَيئة ورَواح وهبوط إلى الثرى وارتقاء
يُحسب الأُفقُ فى جناحيه نورٌ سُلِبَتْه النجومُ والجوزاء
تلك آى الفرقان أرسلها اللهُ ضياءً يَهدى به من يشاء[3]
نَسَخت سنةَ النبيين والرسـ ـلِ كما يَنسخُ الضياءَ الضياء
وحماها غُرٌ كرامٌ أشدّا ءُ على الخصم بينهم رُحَماء
أمةٌ ينتهى البيان إليها وتؤول العلومُ والعلماء[4]
جازت النجمَ واطمأنتْ بأُفق مطمئنٍ به السَّنا والسناء
كلما حثّتِ الركاب لأرض جاور الرشدُ أهلَها والذكاء[5]
وعلا الحق بينهم وسما الفضـ ـلُ ونالت حقوقَها الضعفاء
تحملُ النجمَ والوسيلةَ والميـ ـزانَ من دينها إلى من تشاء
وتُنيلُ الوجود منه نظاما هو طبُّ الوجود وهو الدواء
يرجع الناسُ والعصورُ إلى ما سَنَّ والجاحدون والأعداء
فيه ما تشتهى العزائمُ إن همَّ ذووها ويشتهى الأذكياء
فلِمَنْ حاول النعيمَ نعيمٌ ولمن آثر الشقاء شقاء

(١) اللب : ما ذكا من العقل . (٢) الشتات : المتفرق .
(٣) الآى : جمع آية . (٤) تؤول : ترجع .
(٥) حث الركاب : أى حض الإبل على أن تسرع . والمراد : كلما انتقلت الأرض .

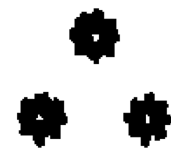
أيرَى العُجْمُ من بنى الظل والما ء عجيباً أن تنجب البيداء[1]
وتُثيرُ الخيامُ آسادَ هيجا ء تراها آسادَها الهيجاء
ما أنافتْ على السواعد حتى الـ أرضُ طرا فى أسرها والفضاء
تشهد الصينُ والبحار وبغدا د ومصرُ والغربُ والحمراء[2]
من كعمرو البلاد والضادُ مما شاد فيها والملةُ الغرّاء
شاد للمسلمين ركناً جسَاما ضافىَ الظلّ دأْبه الإيواء[3]
طالما قامت الخلافة فيه فاطمأنت وقامت الخلفاء
وانتهى الدين بالرجاء إليه وبنو الدين إذ هُمُ ضعفاء
من يَصُنْه يصن بقية عزّ غَيّضَ التّركُ صفوَه والثّواء[4]
فابك عمراً إن كنت منصف عمرو إن عمراً لَنَيِّرٌ وضّاء
جاد للمسلمين بالنيل ، والنيـ ـل لمن يقتنيه إفريقاء
فهى تعلو شأناً إذا حُرّر النيـ ـل وفى رِقّه لها إزراء[5]

*
* *

واذكر الغُرّ آل أيوب وامدح فمن المدح للرجال جزاء[6]
هم حماةُ الإسلام والنفر البيـ ـض الملوكُ الأعزّةُ الصُّلَحاء[7]
كل يوم بالصالحية حصنٌ وببُلْبَيْسَ قلعةٌ شمّاء
وبمصرٍ للعلم دار وللضيـ ـفان نار عظيمة حمراء

(١) أنجب الرجل : ولدا نجيبا . (٢) الحمراء : قصر مشهور بالأندلس .
(٣) الجسام : العظيم (٤) الثواء: الإقامة . (٥) أزرى عليه عمله: عابه .
(٦) يشير إلى الدولة الأيوبية التى أسسها صلاح الدين الأيوبى ، وحكمت مصر من سنة ١١٧١ إلى سنة ١٢٥٠ م . (٧) الأبيض السيف ، أو النجم ، والجمع : بيض .

ولأعداء آل أيوب قتلٌ ... ولأسراهُم قِــرى وثَوَاء[1]
يعرفُ الدينُ مَن صلاحٌ ويدرى ... من هو المسجدان والإسراء[2]
إنه حصنُه الذى كان حصنًا ... وحِمَــاه الذى به الاحتماء
يوم سار الصليبُ والحاملوه ... ومشى الغربُ قومُه والنساء
بنفوس تجول فيها الأمانى ... وقلوب تثــور فيها الدماء
يضمرون الدَّمار للحق والنا ... س ودين الذين بالحق جاءوا
ويهدُّون بالتلاوةِ والصُّلـ ... ـبان ما شاد بالقنا البنَّاء
فتلقَّتهمُ عزائمُ صــدق ... نُصَّ للدين بينهن خباء[3]
مَزَّقتَ جمعَهم على كل أرض ... مثلما مزَّق الظــلامَ الضياء
وسبت أمرد الملوك فردّتـ ... ـهُ وما فيــه للرعايا رجاء[4]
ولَوَ انَّ المليك هِيبَ أذاه ... لم يخلِّصه من أذاها الفــداء
هكذا المسلمون والعرب الخا ... لون لا ما يقوله الأعداء
فيهم فى الزمان نلنا الليالى ... وبهم فى الورى لنا أنباء
ليس للذل حيلةٌ فى نفوس ... يستوى الموتُ عندَها والبقاء



واذكر التركَ إنهم لم يُطاعوا ... فيَرَى الناسُ أحسنوا أم أساءوا
حكمت دولةُ الجراكس عنهم ... وهى فى الدهر دولة عَسْرَاء[5]

(١) القرى : الضيافة . والثواء : الإقامة. (٢) صلاح : صلاح الدين الأيوبى
(٣) نص الشيء : رفعه . والخباء : ما يعمل من وبر أو صوف أو شعر ، ويكون على عمودين أو ثلاثة . (٤) سبى العدو : أسره . وأمرد الملوك : لويس التاسع ملك فرنسا ، وكان من أبطال الصليبيين . أسره توران شاه فى موقعة المنصورة الفاصلة ثم فدى نفسه وبقية أهله وعساكره بمبلغ ١٠ر٠٠٠ر٠٠٠ فرنك . (٥) الجراكس : المماليك وعسراء ، أى شديدة ظالمة .

واستبدت بالأمر منهم فدوباشاء الشرك فى مصــر آلة صماء

يأخذ المـال من مواعيدَ ما كا ... نوا لها منجــزين فهى هباء

ويســومونه الرضا بأمور ... ليس يَرضَى أقلهن الرضاء (١)

فيُدَارى ليعصِمَ الغــدرَ منهم ... والمــداراة حكمةٌ ودهاء

وأتى النسرُ ينهب الأرض نهبًا ... حوله قومُه النســورُ ظِمَاء (٢)

يشتهى النيلَ أن يشيد عليه ... دولةً عرضُها الثّرى والسماء

حَلُمتْ رومةٌ بهـــا الليـالى ... ورآها القياصـــرُ الأقوياء

فأتت مصرَ رُسْلهم تتـــوالى ... وترامت ســـودانَها العلمـاء (٣)

ولو استشهد الفَرنسيسُ روما ... لأتتهم من رومةَ الأنباء

علمت كل دولة قد تولت ... أننــا سُمُّهـــا وأنّا الوباء

قاهرُ العصـــر والممالك نابلـ ... ـيونُ ولّتْ قوادُه الكبراء

جاء طيشاً، وراح طيشاً، ومن قبـ ... ـلُ أطاشت أناسَها العليـــاء

سكتت عنه، يوم عيّرها، الأهـ ... ـرام، لكن سكوتُها استهزاء

فهى تُوحى إليه أنّ تلك «واتر ... لو» فأين الجيوش أين اللواء (٤)

* وأتى المُنتهِى لأمّــة عثما ... نَ علىٌّ مَنْ يعرفُ الأحياء (٥)

* ملك الحِلم والعزائم إن عُدّ ... تْ ملوك الزمان والأُمراء

---

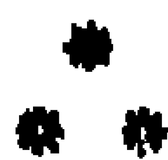
(١) سامه الأمر: كلفه إياه، وأكثر مايكون فى الشر.

(٢) النسر: نابليون بونابرت.

(٣) ترامى القوم: رمى بعضهم بعضا. (٤) واترلو (فى ١٨ يونيو سنة ١٨١٥) موقعة دارت رحاها بين نابليون وولنجتون القائد الإنكليزى فانتصر الأخير بمساعدة بلوخر القائد الروسى. وكان من نتائج هزيمة نابليون فى هذه الموقعة أسره ونفيه إلى جزيرة «سنت هيلانه» حيث قضى البقية من حياته. (٥) على: أى محمد على باشا.

) انقصت من الشوقيات ٢٥ بيت منذ عام ١٩٥٦ ص ٣٢ إلى ص ٣٥ (

* رام بالريف والصعيد أمورًا   لم تَنَلْ كنهَ غورها الأغبياء [1]
* رام تاجَيْهما وعرش المعالى   ويروم العظائم العظماء
* أملٌ أبيضُ الخلالِ رفيعٌ   صغّرته الأذلة الأشقياء
* فكفاه أن جاء مَيْتاً فأحيا   وكفى مصرَ ذلك الإحياء



* واذكر العادل الكريم سعيداً   إن قوما له انتَمَوْا سُعداء
* المهيبُ اللواء والسيف فى السلـ   ـم ، المفدّى فما له أعداء
* عمرىّ زمانه عُمَرِىّ   عهده فيه رحمة ووفاء
* مثلما شاءت الأراملُ والأيـ   ـتامُ البائسون والضعفاء
* جمع الزاخرين كرهاً فلا كا   نا ولا كان ذلك الإلتقاء [2]
* أحمرٌ عند أبيض للبرايا   حِصّةُ القطرِ منهما سوداء [3]
* وغزير الهدى من الحمد والتو   فيق صيغت لذاته الأسماء
* بثّتِ العدلَ راحتاه وعزّت   فى حِماه العلوم والعلماء
* إن أتاها فليس فيها بيادٍ   أو جناها فذا الورى شركاء [4]
* أخطأ الأقربون موضعها الدا   نى وفازت بِنَيْله البُعَداء
* لا يَلُمْ بعضكم على الخطب بعضا   أيها القوم كلكم أبرياء
* ضلّة زانها الشقاء لمصر   ومن الذنب ما يُجِىء الشقاء [5]

---

(١) الغور : العمق . (٢) يريد بالزاخرين : البحر الأبيض المتوسط ، والبحر الأحمر ، والإشارة إلى قناة السويس . (٣) أحمر : أى البحر الأحمر . وأبيض : أى البحر الأبيض المتوسط . (٤) يشير إلى احتلال الجنود الانجليزية لمصر فى عهد توفيق باشا بعد الثورة العرابية . (٥) أجاء فلانا . اضطره .

* وقضى اللهُ العزيزَ بنصـــرٍ ... فأتى نصرُه وكان القضاء

***

* يا عـــزيزَ الانام والعصر سمعًا ... فلقد شاق منطق الإصـــغاء
* إن عصراً مولاى فيه المرجّى ... أنا فيه القريضُ والشـــعراء
* هذه حكمتى وهـــذا بيانى ... لى به نحو راحتيـــكَ ارتقاء [1]
* ألثم السدّة التى إن أنلها ... تهـــوَ فيها وتسجدُ الجوزاء [2]
* سائلا أن تعيش مصرُ ويبقى ... لك منها ومن بنيها الولاء
* كيف تشقى بحب «حلمى» بلاد ... نحن أسيافها و «حلمى» المضاء

---

(١) الراحة : الكف . (٢) السدّة : باب الدار ، أو الظلة فوقه .

الهمزية النبــــوية

وُلِد الهـــدى فالكائنات ضياء وفمُ الزمانِ تبسُّم وثناء
الروح والملأ الملائكُ حَـــوْلَه للدين والدنيـــا به بُشَراء (١)
والعرش يزهو والحظيرة تزدهى والمنتهى والسِّـــدرةُ العصماء (٢)
وحديقةُ الفرقان ضاحكة الربى بالتُّرجُمانِ شَذيّةٌ غنــــاء (٣)
والوحى يقطر سَلْسَلا من سَلسل واللوح والقـــلم البديعُ رواء (٤)
نُظِمَتْ أسامى الرسْلِ فهى صحيفَةٌ فى اللوح واسم محمد طُغــــرَاء (٥)
اسمُ الجلالة فى بديع حروفه أَلِفٌ هنالك واسم « طه » الباء

*
* *

ياخَير من جاء الوجود تحيّةٌ من مُرْسَلين إلى الهدى بك جاءوا
بيتُ النبيين الذى لا يلتـــقى إلا الحنائفُ فيه والحُنَفَاء (٦)
خيرُ الأبوّة حازَهم لكَ « آدم » دونَ الأَنام وأحرزَتْ حَوّاء
هم أدركوا عِزّ النبوّة وانتهت فيهــــا إليكَ العزّةُ القعساء (٧)
خُلِقَتْ لبيتكَ وهو مخلوقٌ لها إنَّ العظائم كفؤها العظماء
بكَ بشّرَ اللهُ السماء فزيِّنَتْ وتَضَوّعت مسْكًا بكَ الغبراء (٨)

---

(١) الروح الأمين: لقب جبريل. والملأ: الأشراف. والملائك: الملائكة. وبشراء: جمع بشير. (٢) يزهو: يشرق. وسدرة المنتهى، يقال إنها شجرة نبق على يمين العرش (٣) الربى جمع ربوة، وهى ما ارتفع من الأرض. (٤) الرواء: ماء الوجه وحسن المنظر. (٥) الطغراء: مايسميه العامة «طرة»، وأصلها طغرى بالقصر، وهى التى تكتب بالقلم الغليظ فى صدر الأوامر. (٦) الحنيف: الصحيح الميل إلى الإسلام وكل من كان على دين إبراهيم عليه السلام، والجمع: حنفاء والمؤنث: حنيفة، وجمعها حنائف (٧) القعساء: المنيعة الثابتة. (٨) تضوع المسك: انتشرت رائحته والغبراء: الأرض.

وبدا محيّاك الذى قَسماته ... حَقٌّ وغرَّته هدًى وحياء [1]
وعليه من نورِ النبوّةِ رونَقٌ ... ومن الخليل وَهَدْيِهِ سيماء [2]
أثنى «المسيحُ» عليه خلفَ سمائه ... وتهلّلتْ واهتزّتِ «العذراء» [3]
يوم يتيهُ على الزمان صَبَاحه ... ومساؤه (بمحمد) وضاء
الحقُّ عالى الركنِ فيه مُظَفَّرٌ ... فى المُلْكِ لا يعلو عليه لواء
ذُعِرَت عروش الظالمين فَزُلْزِلَتْ ... وعلَتْ على تيجانهم أصداء
والنار خاوية الجوانب حولَهُمْ ... خَمَدتْ ذَوائِبُها وغاض الماء [4]
والآى تَتْرى والخَوارقُ جَمَّة ... «جبريلُ» رَوّاحٌ بها غَدَّاء [5]
نِعْمَ اليتيمُ بَدَتْ مَخايِلُ فَضْلِهِ ... واليُتْمُ رزقٌ بَعْضُهُ وذَكاء [6]
فى المهد يُسْتَسْقَى الحيا برجائه ... وبقَصْدِهِ تُستدفع البأساء [7]
بِسوَى الأمانة فى الصبا والصدق لم ... يعرفْهُ أهل الصدقِ والأمناء
يا من له الأخلاقُ ما تهوى العلا ... منها وما يَتَعَشَّقُ الكبراء
لو لم تُقِمْ ديناً ، لقامت وحدَها ... ديناً تضِىء بنُوره الآناء
زانتك فى الخُلق العظيم شمائلٌ ... يُغْرَى بهنَّ ويولَعُ الكُرماء
أما الجمال فأنت شمسُ سمائه ... وملاحة «الصدّيق» منك إياء [8]
والحسنُ من كرم الوجوهِ وخيره ... ما أوتى القُوّادُ والزعماء
وإذا سَخوْتَ بلغت بالجود المدَى ... وفعلتَ ما لا تَفعلُ الأنواء [9]

---

(١) القسمة : مابين الوجنتين والأنف ، وجمعها قسمات . (٢) الخليل: إبراهيم عليه السلام . (٣) العذراء : السيدة مريم . (٤) خمدت النار : سكن لهيبها . والذوائب . جمع ذؤابة ، وهى أعلى كل شىء . والمراد بالذوائب هنا ألسنة اللهيب .
(٥) تترى : تتوالى . ورواح غداء : أى يروح ويغدو . (٦) المخيلة : المظنة .
(٧) استسقى الرجل : طلب السقى ، والحيا : المطر . (٨) إياء الشمس وإياتها : نورها وحسنها . (٩) النوء : المطر .

وَإذا عَفَوْت فقادراً ومقدّرًا　　لا يَسْتَهِينُ بِعفْوِكَ الْجُهَلَاء
وإذا رَحِمْتَ فأنت أم أو أب　　هذان فى الدنيا هما الرُّحَماء
وإذا غَضِبْتَ فإنما هى غَضْبَةٌ　　فى الحق لاضِغن ولا بَغْضاء[1]
وإذا رضيتَ فذاك فى مرضاته　　ورضَى الكثير تَحَلُّمٌ ورياء[2]
وإذا خَطَبْت فللمنابر هِزَّةٌ　　تَعْرو النَّدِىَّ وللقلوب بكاء[3]
وإذا قضيت فلا ارْتياب كأنما　　جاء الخُصومَ من السماء قَضاء
وإذا حَمَيْتَ الماء لم يُورَدْ ولو　　أنَّ القياصِرَ والملوكَ ظِماء
وإذا أجَرْتَ فأنت بيتُ الله لم　　يدخل عليه المستجيرَ عداء
وإذا مَلَكْتَ النفسَ قُمْتَ ببرِّها　　ولو آن ما مَلَكَتْ يَداك الشاء
وإذا بنيتَ فخير زَوْج عِشْرَةً　　وإذا ابْتَنَيْتَ فدونَكَ الآباء[4]
وإذا صَحِبْتَ رأى الوفاء مُجَسَّما　　فى بردِكَ الأصحاب والخُلطاء
وإذا أخذتَ العهدَ أو أعطَيْتَهُ　　فجميعُ عَهْدِكَ ذمةٌ ووفاء
وإذا مَشَيْتَ إلى العدا فَغَضَنْفَرٌ　　وإذا جرَيْتَ فإنكَ النَّكباء[5]
وتَمُدُّ حِلْمَكَ للسفيهِ مداريًا　　حتى يضيقَ بعِرضِكَ السفهاء
فى كل نفسٍ من سُطَاكَ مهابَةٌ　　ولكل نفس فى نداكَ رجاء[6]
والرأى لم يُنْضَ المهنّدُ دونه　　كالسيفِ لم تَضْرب به الآراء[7]

***

يأيها الأمىُّ حَسْبُك رتبةً　　فى العلم أنْ دَانَتْ بك العلماء[8]

---

(١) الضغن: الحقد . (٢) التحلم : تكلف الحلم . (٣) الندى : النادى .
(٤) بنى بأهله : زف إليهم . وابتنى : صار له بنون . (٥) غضنفر : أسد .
والنكباء : ريح بين ريحين . (٦) سطا : جمع سطوة . (٧) فضا السيف من
غمده : سله . والمهند : السيف المطبوع من حديد : (٨) دان به : اتخذه دينا .

الذِّكرُ آيةُ ربِّكَ الكبرى التي ... فيها لباغي المعجزاتِ غناء[1]
صَدْرُ البيانِ له إذا التقت اللغى ... وتقدّمَ البلغاء والفصحاء[2]
نُسِخَتْ به التوراةُ وهي وضيئة ... وتخلّف الإنجيلُ وهو ذُكاء[3]
لما تمشّى في «الحجاز» حكيمُهُ ... فُضّت «عكاظُ» به وقام حراء[4]
أزرى بمنطِقِ أهلِهِ وبيانهم ... وحيٌ يُقصِّرُ دونه البلغاء[5]
حسدوا فقالوا شاعرٌ أو ساحرٌ ... ومن الحسود يكون الاستهزاء
قد نال «بالهادي» الكريم و«بالهدى» ... مالم تَنَلْ من سؤددٍ سيناء
أمسى كأنك من جلالك أمةٌ ... وكأنه من أنسهِ بَيْداء
يُوحَى إليكَ الفوزُ في ظلماته ... متتابعاً تُجْلَى به الظلماء
دين يُشيّد آيةً في آيةٍ ... لبنائه السُّوراتُ والأَضواء
الحقُّ فيه هو الأساسُ وكيف لا ... والله جل جلاله البنّاء
أمّا حديثُكَ في العقول فمُشرَعٌ ... والعلمُ والحِكَمُ الغوالي الماء[6]
هو صِبْغَةُ الفرقان نفحةُ قُدْسِهِ ... والسين من سُوراته والراء[7]
جَرَتَ الفصاحةُ من ينابيع النُّهى ... من دَوْحِهِ وتَفجّر الإنشاء[8]
في بحرهِ للسابحين به على ... أدبِ الحياةِ وعلمِها إرساء
أتتِ الدُّهورُ على سُلافته ولم ... تَفْنَ السُّلافُ ولا سَلا الندماء[9]

*
* *

---

(١) الباغي: الطالب. والغناء: ما يغني. (٢) اللغى: جمع لغة. (٣) ذكاء: من أسماء الشمس. (٤) حراء: الغار الذي كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم ونزل عليه فيه الوحي. (٥) أزرى به: عابه. (٦) مشرع: مورد.
(٧) الصبغة النوع. (٨) الدوح: الشجر العظيم المتسع.
(٩) السلاف والسلافة: أفضل الخمر.

بك يابن عبد الله قامت سمحة ... بالحق من مِلَلِ الهدى غراء (١)
بُنيت عَلَى التوحيد وهى حقيقة ... نادى بها سُقراطُ والقدماء
وجد الزعافَ من السُّموم لأجلها ... كالشُّهْدِ ثم تتابَعَ الشُّهَدَاء
ومشى عَلَى وجه الزمان بنورها ... كُهّانُ وادى النيل وَالْعُرَفاء (٢)
إيزيس ذَاتُ الملك حين توحّدَتْ ... أخَذَتْ قِوَامَ أمورها الأشياء (٣)
لما دعوت الناسَ لبّى عاقِل ... وَأَصَمَّ مِنْك الجاهلين نِداء
أَبَوْا الخروجَ إليك من أوهامهم ... والناسُ فى أوهامهم سُجناء
وَمِنَ العُقُول جداول وجلامِدُ ... ومِنَ النُّفُوس حَرائر وإماء (٤)
داء الجماعةِ من أرسطاليس لم ... يُوصَف له حتى أتَيْتَ دواء
فَرَسَمْتَ بعدَكَ للعِبَادِ حكومةً ... لا سوقَةٌ فِيها ولا أمراء
اللهُ فَوْقَ الْخَلقِ فيها وَحدَهُ ... والناسُ تحت لوائها أكْفاء
والدِّينُ يُسْرٌ والخلافَةُ بَيْعَةٌ ... والأمرُ شُورَى والحقُوقُ قضاء
الإشتراكيون أنتَ إمامهُم ... لولا دَعاوى القوم والغُلوَاء (٥)
داويْتَ مُتّئِدًا وداوَوْا طَفْرَةً ... وأخفُّ من بعض الدواءِ الداء (٦)
الحربُ فى حقّ لديْكَ شريعَةٌ ... ومنَ السُّمُومِ الناقِعاتِ دَوَاء (٧)
والبِرُّ عِنْدَكَ ذِمّةٌ وفريضَةٌ ... لا مِنَّةٌ ممنونة وجِباء (٨)
جاءتْ فوحّدَت الزّكاة سبيله ... حتى التقى الكُرَماء والبخلاء

---

(١) السمحة : الملة التى ليس فيها ضيق . (٢) العراف : المنجم ، والجمع : عرفاء .
(٣) إيزيس : من آلهة المصريين القدماء . (٤) الجدول : النهر الصغير . والجلمود : الصخر . (٥) الغلواء : الغلو . (٦) متئدا : متأنيا . وطفر : وثب . طفرة : وثبا
(٧) الناقعات : القاتلات . (٨) البر : الإحسان . وذمة : عهد . والمنة : العطية . والممنونة : المتبوعة بالمن .

أنصفتَ أهلَ الفقرِ من أهل الغنى   فالكلُّ فى حقِّ الحياة سواء
فلو أنّ إنسانًا تخيّرَ مِلّةً   ما اختار إلا دينَك الفقراء

*
* *

يأيها المُسْرَى به شرفًا إلى   ما لا تنالُ الشمسُ والجَوْزاء [1]
يتساءلون وأنتَ أطهرُ هيكل   بالرُّوح أم بالهيكل الإسْراء [2]
بهما سَمَوْتَ مُطَهَّرَيْن كلاهما   نورٌ وريحانيةٌ وبهاء
فَضْلٌ عليكَ لذى الجلالِ ومِنّةٌ   واللهُ يفعلُ ما يرى ويشاء
تغشى الغُيوبَ من العوالم كلما   طُوِيَت سماءٌ قُلِّدَتكَ سماء [3]
فى كل مِنْطَقةٍ حَواشى نورها   نونٌ وأنتَ النُّقطةُ الزهراء
أنت الجمال بها وأنت المجتلَى   والكفُّ والمِرْآةُ والحسناء
اللهُ هيّأ من حظيرةِ قُدْسِه   نُزُلًا لذاتك لم يَجُزْهُ علاء
العرشُ تحتَكَ سُدّةً وقوائمًا   ومناكبُ الرُّوحِ الأمينِ وِطاء
والرُّسل دونَ العرشِ لم يؤذَنْ لهُمْ   حاشا لغيرِك موعدٌ ولقاء

*
* *

الخيلُ تأبى غيرَ «أحمدَ» حاميًا   وبها إذا ذُكِرَ اسمه خيلاء
شيخُ الفوارسِ يعلَمون مكانَه   إن هُيّجتْ آسادَها الهيجاء
وإذا تَصَدّى للظُّبى فمُهنَّدٌ   أو للرِّماح فصَعْدةٌ سمراء [4]
وإذا رَمَى عن قوسِهِ فيمينُهُ   قَدَرٌ وما تَرْمى اليمينُ قضاء

---

(١) الإسراء : السير ليلا .   (٢) الهيكل : الجسم والصورة والشخص .
(٣) غشى المكان : يغشاه .   (٤) الظبى : جمع ظبة ، وهى حد السيف .
والصعدة : القناة المستوية .

من كلّ داعى الحق همةُ سيفه ... فلِسيفهِ فى الراسيات مَضاء [1]
ساقِى الجريحِ ومُطعم الأسرى ومن ... أمِنَتْ سنابكَ خيله الأشلاء
إنّ الشجاعةَ فى الرجال غلاظةٌ ... ما لم تزِنْها رأفةٌ وسخاء
والحرب من شرف الشعوب فإن بغَوْا ... فالمجدُ مما يدّعون براء
والحربُ يَبعثُها القوىّ تجبُّرًا ... وينوء تحتَ بَلائِها الضعفاء
كم من غَزاةٍ للرّسول كريمة ... فيها رِضًى للحقّ أو إعلاء
كانت لجند الله فيها شِدّةٌ ... فى إثرها للعالمين رَخاء
ضَرَبوا الضَّلالةَ ضَربةً ذهبت بها ... فعلى الجهالة والضَّلال عفاء
دَعَوا على الحرب السلامَ وطالما ... حقنت دِماءٌ فى الزمان دِماء

*
* *

الحقُّ عِرْضُ اللهِ كُلُّ أبيّةٍ ... بين النفوس حِمًى له ووِقاء
هل كان حولَ «محمد» من قومِه ... إلا صبىٌّ واحدٌ ونساء
فَدَعى فلَبّى فى القبائل عُصْبَةٌ ... مُستَضعَفون قلائلٌ أنضاء [2]
رَدُّوا بأس العزم عنه من الأذى ... ما لا تَرُدُّ الصخرةُ الصماء
والحقُّ والإيمانُ إن صُبّا على ... برد ففيه كتيبة خَرْساء [3]
نَسَفوا بناء الشرْك فهو خرائبٌ ... واستأصَلوا الأصنامَ فهى هَباء [4]
يَمشُونَ تُغضى الأرضُ مِنهُم هيبةً ... وبهم حيال نعيمها إغضاء
حتى إذا فُتِحَت لهُمْ أطرافُها ... لم يُطغِهم تَرَف ولا نعماء

*
* *

---

(١) مضى السيف مضاء : قطع . (٢) النضو : المهزول من الإبل وغيرها .
(٣) الكتيبة الخرساء : التى لايسمع فيها صوت . (٤) الهباء : الغبار .

يا مَنْ لهُ عِزُّ الشفاعةِ وحْدَهُ وهُو المنَزّهُ مَا لَهُ شُفَعَاء
عرشُ القيامَة أنْتَ تحت لوائه والحَوْضُ أنْتَ حيالَه السّقاء
تروى وتسقى الصالحين ثوابهم والصالحات ذخائر وجزاء
ألمثل هذا ذُقتَ فى الدنيا الطّوى وانْشَقّ مِنْ خلَقٍ عليكَ رداء
لى فى مديحك يارسُولُ عرائسٌ تُيّمن فيك وشاقَهُنَّ جَلَاء[1]
هُنّ الحسانُ فإن قبلْتَ تَكرمًا فمُهُورُهُنّ شَفَاعَةٌ حَسْناء
أنْتَ الذى نَظَم البريّةَ دينُهُ ماذَا يَقُولُ ويَنظم الشُّعراء
المُصْلِحُونَ أصابعٌ جُمِعَتْ يَدًا هىَ أنْتَ بَل أنتَ اليَدُ البيضاء
ما جئتُ بابكَ مادحًا بل داعياً ومن المَديحِ تضَرُّعٌ ودعاء
أدعُوكَ عن قَوْمى الضّعافِ لأَزمَةٍ فى مِثْلِها يُلقى عليكَ رجاء
أدرَى رَسُولُ الله أنّ نفوسَهمْ رَكِبَتْ هَوَاهَا والقلوب هواء
مُتَفَكّكُونَ فما تَضُمّ نفوسُهم ثقةٌ ، ولا جَمَعَ القلوبَ صفاء
رَقَدُوا وغرّهُمُ نعيمٌ باطلٌ ونَعِيمُ قوْمٍ فى القيود بلَاء

* * *

ظَلَموا شريعَتكَ التى نِلْنا بها ما لمْ يَنَلْ فى رومَةَ الفقَهاء
مَشَت الحَضَارةُ فى سَنَاها واهْتَدَى فى الدّين والدنْيا بها السُّعَدَاء
صلى عليكَ اللهُ ما صحِبَ الدُّجى حاد وحَنّتْ بالفلا وَجناء[2]
واستقبل الرضوانَ فى غُرُفاتهم بجنان عدن آلكَ السُّمَحاء
خيرُ الوسائل مَنْ يقَع مِنْهُم على سَبب إليكَ فحسبيَ «الزهراء»

---

(١) شاقه الحب : هاجه . (٢) الوجناء : الناقة الشديدة .

صـــدى الحرب(*)

بسيفكَ يعلو الحقُّ والحقُّ أغلَبُ ... ويُنصَرُ دينُ اللهِ أيانَ تَضْربُ
وماالسيفُ إلا آيةُ المُلكِ في الورى ... ولا الأمرُ إلا للذى يتغلَّب
فأدِّبْ به القومَ الطُّغاةَ فإنه ... لَنِعْمَ المربى للطغـاةِ المؤدِّب
وداوِ به الدَّولاتِ من كلِّ دائها ... فنعم الحسامُ الطبُّ والمُتَطبِّب (١)
تنامُ خطوبُ المُلكِ إن بات ساهرًا ... وإن هو نام استيقظَتْ تتألَّب
أمِنَّا الليالى أن نُراعَ بحادثٍ ... و«أرمينيا» ثَكْلى و«حوران» أشْيَبُ (٢)
ومملكةُ «اليونانِ» محلولةُ العُرَى ... رجاؤك يُعطيها وخوفُك يَسْلب
هدَدْتَ أميرَ المؤمنين كِيانَها ... بأسْطعَ مثلَ الصبح لا يتكذَّب (٣)
ومازال لجراً سيفُ «عثمان» صادقاً ... يساريه من عالى ذكائك كوكب (٤)
إذا ما صَدَعْتَ الحادثاتِ بحدِّه ... تكشَّفَ داجى الخطبِ وانجابَ غَيهَبُ (٥)
وهاب العدا فيه خلافتَكَ التى ... لهم مأربٌ فيها ولله مأرب

أبوة أمير المؤمنين

سما بكَ يا «عبدَ الحميدِ» أبوَّةٌ ... ثلاثون ، حُضارُ الجلالة غُيَّب (٦)

(*) فى وصف الوقائع العثمانية اليونانية .

(١) المتطبب : المتعاطى علم الطب . (٢) ثكلى : مصابة ببنيها الذين نالهم صارم التأديب وتأديب الصارم . وأشيب : علاه الشيب ، لكثرة ما أدب وأنب .

(٣) الخطاب للسلطان عبد الحميد . وكيانها : وجودها ، وبأسطع : بسيف شديد السطوع . (٤) معناه : لكل لجر كوكب يسايره ويصحبه . ولجر هذا السيف رأيك الوضاء ، وما منحت من نادر الذكاء . (٥) الداجى : المظلم . وانجاب : انكشف . والغيهب : الظلام . (٦) أبوة : آباء . وحضار وغيب : جمع حاضر وغائب .

قياصرُ أحياناً خلائفُ تارةً ... خواقينُ طوراً ، والفخار المقلَّب (١)
نجومُ سعودِ الملكِ أقمارُ زَهْوِهِ ... لو أنّ النجومَ الزُّهرَ يجمعُها أب
تواصوا به عَصْراً فعصراً فزادَه ... مُعَمَّمُهم من هيبةٍ والمعصَّب (٢)
همُ الشمسُ لم تبرحْ سماواتِ عزِّها ... وفينا ضُحاها والشُّعاعُ المحبَّب

الجلوسُ الأسعد

نهضتَ بعرشٍ ينهضُ الدهرُ دونَه ... خشوعاً وتخشاها الليالي وترْهَب
مكينٌ على مَتْنِ الوجود مؤيَّدٌ ... بشمسِ استواءٍ مالها الدهرَ مغرب (٣)
ترقَّتْ له الأسواء حتى ارتقيتَهُ ... فقمتَ بها في بعضِ ما تتنكَّب (٤)
فكنت كعينٍ ذاتِ جَرْيٍ كمينةٍ ... تفيضُ على مرِّ الزمان وتَعْذُب
موكَّلةٍ بالأرض تنسابُ في الثرى ... فيحيا، وتجرى في البلاد فتُخصِب
فأحييتَ ميْتاً دارسَ الرَّسم غابرا ... كأنك فيها جئت عيسى المقرَّب (٥)
وشِدْتَ مناراً للخلافةِ في الورى ... تُشرِّقُ فيهم شمسُه وتُغرِّب
سَهِرْتَ ونامَ المسلمون بغبطةٍ ... وما يُزعجُ النوامَ والساهرُ الأب
فنبَّهنَا الفتحُ الذى ما بفجرِهِ ... ولا بك يا فجرَ السلامِ مكذِّب

حلمٌ عظيمٌ وبطشٌ أعظم

حسامك من سُقراط في الخطب أخطَبُ ... وعودُك من عود المنابر أصلب (٦)

---

(١) معناه : انفردوا بأمر المسلمين فهم الخلفاء ، واستوى عرشهم على الغرب والشرق فهم قياصر عظماء ، وهم الخواقين (ملوك الترك) .

(٢) معممهم : ذو العمامة منهم . وكذا المعصب : هو أيضا المتوج . والعمامة والعصابة والتاج ، مما لبس سلاطين آل عثمان . (٣) مكين : عظيم مرتفع . والمتن : الظهر .

(٤) الأسواء : جمع سوء ، وهو كل ما يسوء وتتنكب : تحمل . (٥) الرسم : ما كان لاحقا بالأرض من آثار الدار . ودرس : أى بلى وعفا . (٦) سقراط : خطيب اليونان وحكيمها المشهور .

وعزمُك من «هوميرَ» أمضَى بديهةً ... وأجلى بياناً فى القلوب وأعذَب (١)
وإن يذكروا «إسكندراً» وفتوحَه ... فعهدُكَ بالفتح المحجّل أقرب (٢)
ومُلكُكَ أرقى بالدليل حكومةً ... وأنفذُ سهماً فى الأمور وأصْوَب
ظهرْتَ أميرَ المؤمنين على العدا ... ظهوراً يسوء الحاسدين ويُتْعِب
سل العصرَ والأيامَ والناس هل نَبا ... لرأيك فيهم أو لسيفك مضرِب (٣)
همُ مَلَئُوا الدنيا جَهاماً وراءه ... جهام من الأعوان أهذَى وأكذب (٤)
فلما استَلّت السيفَ أخلبَ برقُهم ... وما كنتَ يا برق المنيةِ تخْلب (٥)
أخذتَهمُ لا مالكين لحوضهم ... من الذَّوْدِ إلا ما أطالوا وأسهَبوا
ولم يتكلّفْ قومُك الأُسْدُ أهبةً ... ولكنّ خُلقًا فى السباع التأهُّب
كذا الناس بالأخلاق يبقى صلاحُهُم ... ويذهبُ عنهم أمْرُهم حين تذهب
ومِن شَرفِ الأوطان ألا يفوتَها ... حسامٌ مُعِزٌّ أو يَراعٌ مهذّب

معجزات الجنود على الحدود

ملكتَ سبيلَيْهم ففى الشرق مضرِبٌ ... لجيشك ممدودٌ وفى الغرب مضرب (٦)
ثمانون ألفاً أسدُ غابٍ ضراغمٌ ... لها مِخْلَبٌ فيهم وللموتِ مخلب
إذا حلَمتْ فالشر وسْنانُ حالمٌ ... وإن غضبت فالشرُّ يقظانُ مُغْضَب
فيالقُ أفشَى فى البلاد من الضُّحى ... وأبعدُ من شمسِ النهار وأقرَب (٧)
وتُصبِحُ تلقاهم وتمسى تصدُّهم ... وتَظهرُ فى جِدِّ القتال وتلعب

---

(١) هومير : أكبر شعراء اليونان الأقدمين . (٢) المحجل : المضيء المشرق .
(٣) نبا السيف عن الضريبة : كل وارتد . (٤) الجهام : السحاب العظيم الذى لاماء فيه وهذى فى الكلام : أكثر منه فى خطأ . (٥) أخلب برقهم : بطل وعيدهم. وتخلب ، أى تخدع . (٦) مضرب : فسطاط عظيم . (٧) الفيلق . الجيش العظيم ، والجمع فيالق .

تلوحُ لهم فى كلّ أفقٍ وتعتلى وتطلع فيهم من مكانٍ وتغرُب
وتُقدِمُ إقدامَ الليوثِ وتنثنى وتُدبِرُ علماً بالوغى وتُعقّب [1]
وتملكُ أطرافَ الشّعاب وتلتقى وتأخذُ عفواً كلّ عالٍ وتغصِب [2]
وتغشى أبيّاتِ المعاقلِ والذُّرا فتُثيِّبُهنّ البِكرُ والبِكر ثيِّب [3]
يقودُ سراياها ويحمِى لواءها سديدُ المرائى فى الحروب مجرّب [4]
يجىء بها حينا ويرجِعُ مرةً كما تدفعُ اللجَّ البحارُ وتجذِب [5]
ويرمى بها كالبحرِ من كلّ جانبٍ فكلُّ خميسٍ لجةٌ تتضرّب [6]
ويُنفِذُها من كلّ شعبٍ فتلتقى كما يتلاقى العارض المتشعب [7]
ويجعلُ ميقاتاً لها تنبَرى له كما دارَ يلقى عقرَبَ السيرِ عقرب [8]
فظلّتْ عيونُ الحربِ حيرى لما ترى نواظرَ ما تأتى الليوثُ وتُغْرِب [9]
تبالغُ بالرامى وتزهو بما رمى وتعجَبُ بالقوّادِ والجندُ أعجب [10]
وتُثنى على مُزجِى الجيوشِ بِيلدِزٍ ومُلهِمها فيما تنالُ وتكسِب [11]
وما الملكُ إلا الجيشُ شأناً ومظهراً ولا الجيشُ إلا ربُّه حين يُنسَب

زينب بنى عثمان

تحذرنى من قومِها التركِ زينب وتَعجِمُ فى وصفِ الليوثِ وتعرِبُ
وتكثِرُ ذكرَ الباسلين وتنثنى بعزّ على عزّ الجبال وتعجب

---

(١) أدبر : ولى . وتعقب : أى تعود . (٢) الشعاب : جمع شعبة ، وهى الطريق فى الجبل . (٣) الأبيات : جمع أبية ، وهى التى لا ترضى الدنية كبرا . والمعقل : الملجأ . والذرا : الأمكنة المرتفعة . والثيب : نقيض البكر . (٤) السرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش . والمرائى : جمع مرأى ، وهو المنظر . (٥) اللج : معظم الماء .
(٦) الخميس : الجيش . (٧) ينفذها : يسيرها . والشعب : الطريق فى الجبل ، والعارض المتشعب : السحاب المتفرق . (٨) انبرى له : اعترض . (٩) أغرب الرجل : أتى بشىء غريب . (١٠) زها : تاه وتكبر . (١١) أزجى الجيش : ساقه .

وتسحبُ ذيل الكبرياء وهكذا ... يَتيهُ ويختالُ القويُّ المغلَّب
وزينبُ إن تاهَت وإن هي فاخرت ... فما قومُها إلا العشير المحبَّب (١)
يؤلِّف إيلامُ الحوادثِ بيننا ... ويجمعُنا في الله دينٌ ومذهب
نما الوُدُّ حتى مهَّد السُّبْل للهوى ... فما في سبيل الوصلِ ما يُتصعَّب
وداني الهوى ما شاء بيني وبينها ... فلم يبق إلا الأرضُ والأرضُ تقرُب (٢)

الحالة في بحر الروم

ركبتُ إليها البحرَ وهو مَصيدَةٌ ... تُمدُّ بها سُفنُ الحديدِ وتنصب (٣)
تروحُ المنايا الزرقُ فيه وتغتدي ... وما هي إلا الموجُ يأتي ويذهب
وتبدو عليه الفُلْكُ شتى كأنها ... بُزوز تُراعيها على البُعد أعقب (٤)
حواملُ أعلام القياصر حُضَّرٌ ... عليها سلاطين البرية غُيَّب
تَجاري خُطاها الحادثات وتقتفي ... وتطفو حواليها الخطوبُ وترسب (٥)
ويوشِكُ يجري الماء من تحتها دمًا ... إذا جَمعَتْ أثقالها تترقَّب
فقلتُ أأشراطُ القيامةِ ما أرى ... أم الحربُ أدنى من وريدٍ وأقرب (٦)
أمانًا أمانًا لجَّةَ الرومِ للورى ... لو أنَّ أمانًا عند دأماء يُطلَب (٧)
كأني بأحداثِ الزمانِ ملمَّةٌ ... وقد فاض منها حوضُكِ المتضرِّب
فأُزعِجَ مغبوطٌ ورُوِّعَ آمِنٌ ... وغالَ سلامَ العالمينَ التعصُّب
فقالت أطلتَ الهم، للخلق ملجأٌ ... أبرُّ بهم من كل برٍّ وأحدب (٨)

---

(١) العشير: القبيلة (٢) داني: قارب: (٣) مصيدة ومصيدة، بمعنى واحد، وهي ما يصاد به. (٤) بزوز: جمع باز وأعقب: جمع عقاب، وكلاهما من جوارح الطير. (٥) اقتفى أثره، تبعه. (٦) الأشراط: جمع شرط، وهو العلامة. (٧) لجة الروم: بحر الروم. والدأماء: البحر.
(٨) أحدب: من الحدب، وهو التعطف.

سلام البرايا فى كلاءةِ فرقدٍ «يلدزَ» لا يغفو ولا يتغيَّب[1]
وإن أميرَ المؤمنين لوابلٌ من الغوثِ مُنْهَلٌ على الخلقِ صَيِّب[2]
رأى الفتنةَ الكبرى فوالى انهماله فبادت وكانت جمرةً تتلهَّب[3]

منعة السواحل العثمانية

فما زلتَ بالأهوالِ حتى اقتحمْتَها وقد تُرْكِبُ الحاجاتُ ماليس يُركب[4]
أخوضُ الليالى من عُباب ومن دُجى إلى أفقٍ فيه الخليفةُ كوكب[5]
إلى مُلْكِ عثمانَ الذى دونَ حوضه بناهُ العوالى المشمخِرُّ المُطَنَّب[6]
فلاح يناغى النجمَ صرحٌ مثقَّب على الماء قد حاذاه صَرْحٌ مُثقَّب
بروجٌ أعارتْها المَنونُ عيونَها لها فى الجوارى نظرة لا تخيِّب
رواسى ابتداع فى رواسى طبيعةٍ تكادُ ذراها فى السحاب تَغيَّب
فقمت أُجيلُ الطرْفَ حيرانَ قائلا أهذى ثغورُ التركِ أم أنا أحسب؟
فمثل بِناء التركِ لم يَبْنِ مشرقٌ ومثلَ بناء الترك لم يبن مغرب
تَظَلُّ مهولاتُ البوارج دونَه حوائرَ ما يدرين ماذا تُخرِّب
إذا طاش بين الماء والصخرِ سهمها أتاها حديد ما يطيشُ وأسرب[7]
يسدِّده عزريلُ فى زِىِّ قاذفٍ وأيدى المنايا والقضاء المُدرَّب
قذائف تخشى مهجةُ الشمسِ كلما علت مصعِداتٍ أنها لا تصوِّب[8]

---

(١) كلاءة : أى حفظ . (٢) الغوث : الإسعاف . والوابل : المطر الشديد . والصيب السحاب . (٣) الانهمال : دوام الانسكاب . (٤) اقتحم الهول : رمى نفسه فيه بشدة . (٥) الدجى : الظلمة . (٦) العوالى : الرماح . والمشمخر : العالى . والمطنب : المشدود بالأطناب . (٧) الأسرب : الرصاص .

(٧) معناه : إذا ارتفعت هذه القنابل خشيت الشمس أن تخطئ هدفها وأن تستمر صاعدة فتصيب مهجتها .

إذا صُبَّ حاميها على السفن أثبتت ... وغانمها الناجي فكيف المُخيِّب
سَلِ الرُّوم هل فيهنَّ للفلكِ حيلةٌ ... وهَلْ عاصمٌ منهنَّ إلا التَّنَكُّب (١)
تَذَبْذَبَ أسطولاهُم فَدَعَتْهُما ... إلى الرُّشدِ نارٌ ثمَّ لا تَتَذَبْذَب
فلا الشَّرْقُ فى أسطوله مُتَّقَى الحِمَى ... ولا الغَرْبُ فى أسطوله مُتَهَيِّب

زينب المتطوعة فى موقعة

وَمَا رَاعَنِي إلَّا لِوَاءٌ مُخَضَّبٌ ... هنـالِكَ يَحْمِيه بَنَانٌ مُخَضَّب (٢)
فَقُلْتُ من الحامِي: أليثٌ غضنفرٌ ... مِنَ التُّرْكِ ضارٍ أم غزالٌ مُرَبَّب (٣)
أم المَلِكُ الغازى المجاهدُ قَدْ بَدَا ... أم النَّجْمُ فى الآراد أم أنت زَيْنَب
وَقَفْتِ بناتِ التُّرْكِ قالت وَهَلْ بِنَا ... بناتِ الضوارِى أن نصول تَعَجُّب ؟
إذَا ما الديارُ استَصْرَخَتْ بَدَرت لها ... كَرَائِمُ مِنا بالقَنا تَتَنَقَّب
تُقَرِّبُ رباتُ البُعُول بُعُولَها ... فإن لم يَكُنْ بَعْلٌ فنفساً تُقَرِّب (٤)
ولاحتْ بآفاقِ العَدُوِّ سَرِيَّةٌ ... فَوَارِسُ تَبْدُو تارَةً وتَحَجَّب
نَوَاهِضُ فى حَزْنٍ كما تَنْهَضُ القَطا ... رواكِضُ فى سَهل كما انساب ثَعْلَب (٥)
قليلُونَ مِنْ بُعْدٍ كَثِيرُون إن دَنَوا ... لهم سَكَن آنا وآناً تَهَيُّب
فقالت شَهِدْتَ الحربَ أوأنتَ موشِك ... فصفنا فأنت الباسل المتأدب
ونادت فلبى الخيلُ من كل جانبٍ ... ولبى عليها القَسْوَر المترقب (٦)
خِفافاً إلى الداعى سِراعا كأنما ... من الحرب داعٍ للصلاة مثوِّب

---

(١) الضمير فى «فيهن» و «منهن» راجع للقنابل. والتنكب: العدول والتجنب. (٢) اللواء المخضب: هو الراية العثمانية الحمراء. ويحميه بنان مخضب أى أنثى مخضوبة البنان. (٣) ربب الصبي: رباه حتى أدرك. (٤) البعل. الزوج. (٥) الحزن: ماغلظ من الأرض. (٦) القسور: الأسد، والمراد به فارس الترك.

مُنيفين من حول اللواء كأنهم ... له معقِلٌ فوق المعاقل أغلب
وما هىَ إلا دعوة وإجابة ... أن التحمت والحرب بَكرٌ وتغلب [1]
فأبصَرْتُ مالم تبصرا من مشاهدٍ ... ولا شهِدَت يومًا مَعَدّ ويعرُب

مضـيق ملونا

جبالَ «ملونا» لا تَخوري وتَجزعي ... إذا مال رأسٌ أو تضعضع منكب
فما كنت إلا السيف والنار مَركبا ... وما كان يستعصي على الترك مركب
عَلَوْا فوق علياء العدوّ ودونه ... مضيق كحلق الليث أو هو أصعب
فكان صِراط الحشر ماثمّ ريبة ... وكانوا فريق الله ما ثمّ مُذْنِب
يمرون مرّ البرق تحت دُجُنّةٍ ... دخاناً به أشباحهم تتجلبب [2]
حثيثين من فوق الجبال وتحتها ... كما انْهارطَوْدٌ أو كما انهال مِذْنَب [3]
تمدهم قذّافُهم ورُماتهمْ ... بنار كنيران البراكين تَدْأَبُ
تُذَرّى بها شمّ الذراحين تعتلى ... ويَسفَحُ منها السّفْح إذ تتصبّب [4]
تُسمّر فى رأسِ القِلاع كراتُها ... ويسكن أعجاز الحصونِ المُذَنّب [5]
فلما دَجى داجى العَوان وأطبَقَتْ ... تبلج والنصرَ الهلالُ المحجب [6]
ورُدّتْ على أعقابها الرومُ بَعْدَ ما ... تناثر منها الجيشُ أو كاد يَذْهب
جناحين فى شِبْه الشباكيْن من قنا ... وقلباً على حرّ الوغى يتقلّب

---

(١) بكر وتغلب : قبيلتان لم تقف بينهما العداوة عند حد ، فتشبيه المقاتلين بها جيد .
(٢) أى تحت ظلمة من الدخان تختفى بها أشباحهم . (٣) المذنب : مسيل الماء إلى الأرض . والمعنى كما انقض جبل أو انحط سيل . (٤) تذرى : من التذرية ، وهى الإطارة والإثارة . والذرا : جمع ذروة ، وهى أعلى الشىء . والشم : جمع شماء ، من الشمم ، وهو الارتفاع . ويسفح : ينصب . والسفح : عرض الجبل المضطجع .
(٥) المذنب : ذو الذنب من القنابل الكبيرة . (٦) العوان : الحرب الشديدة

على قُلَل الأَجْبالِ حَيْرَى جُمُوعُهم ... شوَاخِصُ ما إنْ تَهْتَدِي أينَ تذْهَب [1]
إذا صَعدتْ فالسَّيْفُ أَبيَضُ خاطِفٌ ... وإنْ نَزَلتْ فالنَّارُ حَمراءُ تَلْهب
تَطَوَّعَ أسْرًا مِنْهُمُ ذلك الذى ... تطَوَّعَ حَرْبًا والزمانُ تَقَلُّب
وتَمَّ لنا النَّصْرُ المُبينُ على العِدَا ... وفَتْحُ المَعالى والنهارُ المُذَهَّبُ
لِجُنْتُ فتاةَ التُرْكِ أجْزِى دِفاعَها ... عن المُلْكِ والأوطان ما الحقُّ يُوجِب
فقَبَّلْتُ كفًّا كان بالسَّيْفِ ضارِبًا ... وقَبَّلتُ سَيْفًا كان بالكَفِّ يضرب
وقلتُ أفى الدنْيا لِقَوْمِك غالِبٌ ... وفى مِثْلِ هذا الحِجْرِ رُبُّوا وهُذِّبُوا
رُوَيْدًا بَنِى عُثمانَ فى طَلَبِ العلا ... وهيْهاتَ لم يُستَبْقَ شَىءٌ فَيُطْلب
أفى كُلِّ آنٍ تَغرِسُون ونجْتَنِى ... وفى كلِّ يومٍ تفتَحُونَ ونَكتُبُ
وما زِلْتُمُ يسقيكُمُ النَّصر خَمْرَهُ ... وتَسْقُونَه، والكلُّ نَشْوانُ مُصْأَب [2]
إلَى أنْ أحلَّ السكرَ مَن لا يُحِله ... ومَدَّ بِساطَ الشربِ من ليس يَشْرَب

الحاج عبد الأزل باشا

وأشْمَطُ سَوَّاس الفَوَارس أشْيَب ... يسيرُ به فى الشِّعب أشْمطُ أشيب [3]
رَفيقًا ذَهابٍ فى الحرُوب وجَيْئةٍ ... قد أصطحبَا والحرُّ للحرِّ يصحبُ
إذا شَهدَاها جدَّدَا هِزة الصبا ... كما يتَصَابَى ذُو ثمانينَ يَطْرَب
فَيَهْتَزُّ هـذا كالحُسَام وينثنى ... وينفرُ هـذا كالغزَال ويلعب
توالى رَصاص المطلِقين عليهما ... يُخَضِّلُ من شيبِهما ويُخَضِّبُ
فقيل أزِلْ أقدامَكَ الأرض إنها ... أبرُّ جـواداً إن فعلت وأنجب

---

(١) القلة : أعلى الرأس. (٢) المصأب : من شرب حتى ارتوى.

(٣) الأشمط : الذى يخالط بياض رأسه سواد. والمراد بالأول : الفارس : وبالثانى : فرسه.

فقال أيُرضِى واهبَ النصر أننا ... نموتُ كموتِ الغانياتِ ونَعطَب
ذرونى وشأنى والوغَى ، لا مباليًا ... إلى الموتِ أمشى أم إلى الموتِ أركب
أيحمِلُنى عُمـرًا ويحمى شـبيبتى ... وأخـذُله فى وهنِـه وأُخيِّب [1]
إذا نحن متنا فادفنونا ببقعة ... يَظلُّ بذكرانا ثراها يُطَيَّب
ولا تعجَبوا أن تبسلَ الخيلُ إنها ... لها مثلُ ما للناس فى الموت مَشرب [2]
فما أنا أمامَ اللهِ موتَ بَســالةٍ ... كأنهما فيـه مثالٌ مُنَصَّب [3]
وما شهداء الحربِ إلا عمـادُها ... وإن شيَّدَ الأحياء فيها وطنَّبوا [4]
مِدادُ سِجِـلِّ النصرِ فيهـا دماؤهم ... وبالتِبرِ من غالى ثَراهُمْ يُترَّبُ [5]
فهلْ من «ملونا» موقِفٌ ومسامِعٌ ... ومن جبلِها مِنبَرٌ لى فأخطب
فأسألُ حصنَيها العجيبين فى الورى ... ومَدْخلَها الأعصَى الذى هو أعجب
وأستَشْهِدُ الأطوادَ شمـاء والذرَا ... بواذخَ تُلوى بالنجوم وتجذب [6]
هل البأسُ إلا بأسُهمْ وثباتُهم ... أو العزمُ إلا عزمُهم والتَّلبُّب [7]
أو الدينُ إلا ما رأتْ من جهادهم ... أو المُلكُ إلا ما أعزوا وهيَّبوا [8]
وأىُّ قضاءٍ فى الوغى لم يضيِّقوا ... وأى مَضيقٍ فى الورى لم يُرَحِّبوا
وهل قبلهم من عانقَ النارَ راغبًا ... ولو أنه عُبّـادُها المُتَرهِّب

---

(١) الوهن : الضعف . والمعنى : ليس من الوفاء ولا من حسن الجزاء أن يكون نصيبه منى فى شيبه الترك والخذلان ، وقد كان نصيبي منه الصبر على الأهوال والمعاونة على القتال . (٢) تبسل : تشجع . (٣) منصب : مرفوع

(٤) طنب البيت : شده بالأطناب ، وهى الحبال . (٥) السجل : كتاب العهد أو الحكم . وترب الكتابة : وضع عليها التراب لتجف . (٦) الشماء : المرتفعة . والبواذخ : من بذخ الجبل : طال . وألوى بثوبه أو يده : أشار بها . (٧) التلبب : من تلبب الرجل للحرب ، تحزم وتشمر لها : (٨) هيبه : صيره مهيبا .

وهل نال ما نالوا من الفخر حاضرٌ ... وهَل حُبي الخالون منه الذى حُبُوا [1]
سلاما «ملونا» واحتفاظاً وعصمةً ... لمن بات فى عالي الرضَى يتقلَّب
وضِـنًّى بعَظْمٍ فى ثراك معَظَّمٍ ... يُقَرِّبُهُ الرحمنُ فيما يُقـرِّب

هزيمة طرناو

و«طرناوُ» إذ طارَ الذهول بجيشها ... وبالشَّعْبِ فوضى فى المذاهب يَذْهب
عشيَّة ضاقت أرضُها وسماؤها ... وضاقَ فضاءٌ بين ذاك مُرَحّب
خلت من بِنى الجيشِ الحصونُ وأقفَرَتْ ... مساكنُ أهليها وعمَّ التَّخَرُّب [2]
ونادَى منـادٍ للهزيمةِ فى المَلا ... وأنْ منادى الترك يدْنُو ويقرُب
فأعْرضَ عن قوّادِه الجندُ شارداً ... وعَلَّه قوّادُه كيفَ يَهرب
وطار الأهالى نافرين إلى الفَلَا ... مِئينَ وآلافاً تَهِيمُ وتَسْرُبُ [3]
نجوا بالنفوس الذاهلاتِ وما نجوا ... بغيرِ يدٍ صِفرٍ وأخرى تُقلَّب
وطالتْ يدُ للجَمْع فى الجمْع بالخَنَا ... وبالسَّلبِ لم يَمْدُدْ بها فيه أجنَب [4]
يسيرُ على أشـلاءِ والدِه الفتَى ... ويَنْسى هناك المُرْضعَ الأمُّ والأب [5]
وتمضى السَّرايا والطنات بخيلها ... أراملَ تبكى أو ثواكِلَ تندُب
فمن راجلٍ تَهْوِى السُّنونَ بِرِجْلِه ... ومن فارسٍ تمشى النساء ويَرْكب [6]
وماضٍ بمـال قد مضى عنه مالُه ... ومُزْجٍ أثاثاً بين عينيه يُنْهَب [7]

---

(١) حباه الشىء: أعطاه إياه. (٢) بنى: جمع بنية، بكسر الباء، وهى البنيان والمراد بها هنا القلاع والثكنات. (٣) تسرب: من سرب الرجل فى الأرض، إذا ذهب على وجهه فيها ومضى. (٤) معناه: تعدى بعضهم على بعض بالفحش والسلب. والأجنب: الأجنبي. والمراد به الترك. (٥) أشلاء: جمع شلو، وهى أعضاء الإنسان بعد البلى والتفرق. (٦) الراجل: الماشى على رجليه. وتهوى السنون برجله: أى تزل به القدم من ثقل وطأة الهرم. (٧) مزج - من أزجى: ساق. والأثاث: متاع البيت.

يكادون من ذُعْرٍ تَفِرُّ ديارُهم ... وتنجو الرواسي لو حواهن مَشعب (١)
يكادُ الثرى من تحتِهم يَلِجُ الثرى ... ويقضِمُ بعضُ الأرضِ بعضًا ويقضب (٢)
تكاد خُطاهم تسبِقُ البرقَ سرعةً ... وتذهب بالأبصار أيانَ تذهب
تكاد على أبصارهم تَقْطَعُ المَدى ... وتَنْفُذُ مَرماها البعيدَ وتحجُب (٣)
تكادُ تَمَسُّ الأرضَ مسًّا نعالُهم ... ولو وجدوا سُبْلاً إلى الجو تَنكَّبُوا (٤)
هزيمةَ مَن لا هازمٌ يستحِثه ... ولا طاردٌ يدعو لذاك ويوجب
قَعَدْنا فلم يعدمْ فتى الروم فيلقاً ... من الرُّعب يغزوه وآخرُ يَسلِب
ظفِرْنا به وجهًا فظَلَّ تَعقُّباً ... وماذا يَزيد الظافرين التعقُّب
فولّى وما ولّى نظامُ جنـودِه ... ويا شُؤْم جيشٍ للفرارِ يُرَتَّب
يسوق ويحْدُو للنَّجاةِ كتائبًا ... له موكِبٌ منها ، ولِلعارِ موكِب
منظَّمَةٌ من حوله بَيْدَ أنها ... تودُّ لو انْشَقَّ الثرى فتُغيَّب
مُؤَزَّرَةٌ بالرعب ملدوغَـةٌ به ... ففي كلّ ثوبٍ عقربٌ منه تلسب (٥)
ترى الخيلَ من كلّ الجهاتِ تخيلاً ... فيأخذُ منها وهمُها والتَّهيُّب
فمِنْ خَلفِها طوراً وحيناً أمامها ... وآونةً من كلّ أوب تألَّب (٦)
فوارسُ في طولِ الجبالِ وعَرْضها ... إذا غابَ منهم مِقْنَبٌ لاح مقنب (٧)
فهما تَهِمْ يَسْنحْ لها ذو مُهَنَّدٍ ... ويَخرجْ لها من باطن الأرض مِحْرَب (٨)

---

(١) الذعر : الخوف الشديد . والرواسي : الجبال . والمشعب : الطريق .
(٢) يلج : يدخل . ويقضم : يأكل . ويقضب : يقطع . (٣) مدى البصر : منتهاه وغايته . وتنفذ مرماها : تبلغه وتتجاوزه . (٤) تنكبوا : مالوا .
(٥) أزره : غطاه وقواه . وتلسب : أي تلدغ . (٦) تألب – من التألب : وهو التجمع . والأوب : الناحية . (٧) أي يحسبها لهم الوهم فيرونها كذلك . والمقنب : الجماعة من الخيل تجتمع للغارة . (٨) المحرب : الشجاع الشديد في الحرب .

وتَنزلْ عليها من سماء خيالِها صواعقُ فيهنّ الودى المُتصبِّب
رؤًى إن تكن حقًّا يَكُنْ من ورائها ملائكةُ الله الذى ليس يُغلَب (١)

التلاقى على سهل فرسالا

و « فرسالُ » إذ باتوا وبتنا أعادياً على السهل لدًّا يَرقُبون ونرْقب (٢)
وقام فتانا اللّيــلَ يحمى لواءه وقامَ فتاهُم ليــلَهُ يتلعَّب
توسّدَ هذا قائمَ السيفِ يتَّقى وهذا على أحلامِه يتَحسَّب (٣)
وهل يستوى القِرْنان : هذا مُنَعّمٌ غريرٌ ، وهذا ذو تجاريبَ قُلَّب (٤)
حَميْنا كلانا أرضَ « فِرسالَ » والسَّما فكلٌّ سبيلٍ بين ذلك مُعْطِب (٥)
ورُحنا يَهبُّ الشرُّ فينـــا وفيهمُ وتَشْمَلُ أرواحُ القتال وتَجنب (٦)
كأنا أسودٌ رابضاتٌ ، كأنهم قطيعٌ بأقصى السهلِ حيرانُ مُذْئِب (٧)
كأن خيامَ الجيش فى السهل أينُقٌ نواشِزُ فوضى فى دجى الليل شُزَّب (٨)
كأن السرايا ساكناتٍ مواثِجاً قطائعُ تُعطَى الأمنَ طوراً وتُسلَب (٩)
كأن القَنـــا دونَ الخيامِ نوازلاً جداولُ يُجريها الظّلامُ ويَسْكب (١٠)
كأن الدُّجى بحرٌ إلى النجم صاعدٌ كأن السّرايا موجُه المتضرِّب
كأنّ المنـايا فى ضميرِ ظلامِه هُمومٌ بها فاضَ الضميرُ المُحجَّب

(١) الرؤى : جمع رؤيا ، وهى المنام . (٢) اللد : جمع الألد ، وهو الشديد الخصومة . (٣) يتحسب : يتوسب . (٤) القرن : النظير المقاوم . والغرير : العديم الخبرة . والقلب : المحتال البصير بتقليب الأمور . (٥) معطب : مهلك .
(٦) تشمل ـ من شملت الريح : هبت شمالا . وجنبت : هبت جنوبا .
(٧) القطيع : الطائفة من الغنم . وأذأب القطيع : فزع من الذئب ، فهو مذئب .
(٨) الأينق : جمع ناقة . ونواشز : مرتفعة ممتنعة . وشزب : متفرقة .
(٩) القطائع : جمع قطيعة ، وهى هنا ما قطع من الجيش . (١٠) القنا : جمع قناة ، وهى الرمح .

كأن صهيلَ الخيـل ناعٍ مبشِّرٌ ترامقن فيها ضحكا وهى نُحَّب (١)
كأن وجوهَ الخيلِ غرًّا وسيمةً دراريّ ليـل طلَّعٌ فيه ثُقَّب (٢)
كأن أنوفَ الخيلِ حرًّا من الوغى مجامرُ فى الظلماء تَهْدا وتَلْهَب (٣)
كأن صدورَ الخيل غدْرٌ على الدجى كأن بقايا النَّضْح فيهن طحْلب (٤)
كأن سَنَى الأبواقِ فى الليل برقُه كأن صداها الرعدُ للبرقِ يَصْحَب
كأن نداء الجيشِ من كل جانبٍ دَوِيُّ رياح فى الدجى تتذأب (٥)
كأن عيونَ الجيش فى كل مذهبٍ من السهلِ جِنٌّ جُوَّلٌ فيه جُوَّب (٦)
كأن الوغى نارٌ ، كأن جنودَنا مجوسٌ إذا ما يَمَّموا النارَ قرَّبوا (٧)
كأن الوغى نار ، كأن الرَّدى قِرى كأن وراء النار حاتِمُ يأدُب (٨)
كأن الوغى نارٌ . كأن بَني الوغى فَراشٌ له فى ملمَسِ النارِ مأرَب
وثَبْنا يضيق السهل عن وثباتنا وتقدمُنا نارٌ إلى الروم أوثب
مشت فى سراياهم لحلّت نظامها فلما مشيْنا أدبرت لا تُعقِّب

غضب دوموقو

رأى السهلُ منهم ما رأى الوعرُ قبله فياقومُ حتى السهلُ فى الحرب يَصْعُب
وحصنٌ تسامى من «دموقو» كأنه معشَّشُ نَسْرٍ ، أو بهذا يلقَّب
أشمُّ على طودٍ أشمّ كلاهما مَنونُ المُفَاجِى والجِمام المُرحِّب

---

(١) نحب : أى منتحبات باكيات . (٢) ثقب النجم : ضاء والدرارى : النجوم الثواقب . (٣) المجامر : جمع مجمر ، وهو ما يوضع فيه الجمر . (٤) الغدر : جمع غدير . والطحلب : خضرة تعلو الماء المزمن . والنضح : رشاش الماء .
(٥) تتذأب الريح : تجىء مرة كذا ومرة كذا . (٦) عيون الجيش : أرصاده وجواسيسه . (٧) قربوا لله : قدموا له القربان . (٨) القرى : ما قرى به الضيف ، أى قدم له . وحاتم : هو حاتم الطائى المضروب به المثل فى الجود .

تكاد تُقادُ الغادياتُ لربّه فيُزجى وتنزمُ الرياح فيركب[1]
حمته ليوثٌ من حديدٍ تركّزت على عجَل ؛ واستجمعت تترقّب
تثور وتستأنى ، وتنأى وتدّنى وتغدُو بما تغذى وترمى وتنشب[2]
تأبّى فظنّ العالمونَ استحالة وأعيا على أوهامهم فتريّبوا[3]
فما فى القوى أن السمواتِ تُرتقى بجيشٍ وأن النجم يُغشى فيُغضب[4]
سموتم إليه والقنابلُ دونه وشُهْبُ المنايا والرّصاص المُصوّب
فكنتم يواقيتَ الحروب كرامةً على النار أو أنتم أشدُّ وأصلَب[5]
صعدتم وما غيرُ القنا ثمّ مَصْعَدٌ ولا سُلّم إلا الحديدُ المُذرّب[6]
كما آزدحمتْ بيزانُ جوّ بموردٍ أو آرتفعتْ تلقَى الفريسةَ أعقُب[7]
فما زلتم حتى نزلتم بُرُوجَهُ ولم تُحتَضَرْ شمس النهارِ فتغرُب
هنالك غالى فى الأماديح مُشرق وبالغ فيكم آلَ عثمانَ مُغْرِب
وزيد حمى الإسلام عزًّا ومَنْعَةً وردّ جماح العصرِ ، فالعصرُ هيّب
رفعنا إلى النجم الرؤوسَ بنصركم وكنّا بحكمِ الحادثاتِ نصوّب
ومن كان منسوباً إلى دولةِ القنا فليس إلى شىء سوى العزّ يُنسَب

أحلام اليونان

فيا قوم ، أين الجيشُ فيما زعمتم وأين الجواري والدّفاعُ المُركّب ؟[8]

---

(١) الغاديات . جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ غدوة . ويزجى : يسوق . وتنزم : تزم بزمام . (٢) استأنى : انتظر . وادنى : اقترب .
(٣) تأبى : امتنع . وتريبوا تخوفوا . (٤) يغضب ، على البناء للمجهول : يصاب بالغضاب ، وهو القذى فى العين . (٥) يقال : إن الياقوت لايحترق بالنار
(٦) الحديد المذرب : المسموم . وذرب السيف ، أحده . (٧) البيزان : جمع باز . والأعقب : جمع عقاب ، وهما من جوارح الطير . (٨) الجوارى : السفن .

وأين أميرُ البأسِ والعزمِ والحِجَى ... وأين رجاءٌ فى الأمير مُخَيَّب ؟
وأين تُخومٌ تستبيحون دَوْسَها ... وأين عصاباتٌ لكم تتوثَّب (١)
وأين الذى قالت لنا الصُّحفُ عنكمُ ... وأسْنَد أهلوها إليكم فأطْنَبوا ؟
وما قد روى بَرْقٌ من القولِ كاذبٌ ... وآخرُ من فعل المحبِّين أكذَب
وما شِدْتمُ من دولةٍ عَرْضُها الثرى ... يدين لها الجنسانِ تُرْكٌ وصَقْلَب (٢)
لها عَلَمٌ فوقَ الهلال وسُدَّةٌ ... تُنَصُّ على هامِ النجومِ وتُنصَب (٣)
أهــذا هو الذَّودُ الذى تَدَّعونه ... ونصرُ «كريدٍ» والوَلَا والتحبُّب ؟
أهذا الذى للمُلْكِ والعِرْضِ عندكم ... ولِلْجارِ إن أعيا على الجار مَطْلَب ؟
أهذا سلاحُ الفتحِ والنصرِ والعُلا ... أهذا مطايا من إلى المجد يركب ؟
أهذا الذى للذكرِ خَلْفَ مَعْشَرٌ ... على ذكرِهم يأتى الزمانُ ويذهب ؟
أسأتم وكان السُّوءُ منكم إليكمُ ... إلى خيرِ جارٍ عندَه الخيرُ يُطلب
إلى ذى انتقامٍ لا ينــامُ غريمُه ... ولو أنه شخصُ المنــامِ المحجَّب
شقيتُمْ بهــا من حيلةٍ مستحيلةٍ ... وأين من المُحْتال عنقاءُ مغرِب (٤)
فلولا سيوفُ التركِ جَرَّبَ غيرُكم ... ولكن من الأشياءِ ما لا يُجرَّب

عفو القادر

فعفوًا أمــيرَ المؤمنين لأُمَّةٍ ... دعت قادرًا ما زال فى العفو يرغَب
ضربْتَ على آمالِهــا ومآلِهــا ... وأنت على استقلالها اليوم تضرِب
إذا خان عبدُ السوءِ مولاه مُعْتِقًا ... فما يفعلُ المولى الكريمُ المهذَّب ؟
ولا تضرِبَنْ بالرأى مُنْحَلَّ ملكِهم ... فما زلتَ مذهَبُوا بسيفين تضرِب

---

(١) التخوم : الحدود . (٢) صقلب : الجنس السلافى . (٣) تنص : أى ترفع
(٤) عنقاء مغرب : طائر من طيور الأساطير .

لقد فنِيَتْ أرزاقهم ورجالهم ... وليس بفانٍ طيشُهم والتَّقلُّب
فإن يجدوا للنفسِ بالعَوْدِ راحةً ... فقد يشتهى الموتَ المريضُ المعذب
وإن همَّ بالعفو الكريم رجاؤه ... فمن كَرَمِ الأخلاقِ أن لا يخيِّبوا
فما زِلْتَ جارَ البرِّ والسيِّدَ الذى ... إلى فضلِه من عدلِه الجارُ يهرب
يُلاقى بعيدُ الأهلِ عندَك أهلَهُ ... ويمـــرَحُ فى أوطانِه المتغرِّب

التماس القبول

أمولاى غنَّتْكَ السيوفُ فأطرَبتْ ... فهل لِيَرَاعى أنْ يُغَنِّى فيُطْرِب ؟
فعندى كما عند الظُّبا لك نغْمـــةٌ ... ومختَلِفُ الأنغامِ للأُنسِ أجْلَب (١)
أعَرِّبُ ما تُنْشِى عُـــلاك وإنه ... لفى لُطفه ما لا يَنَال المُعرِّب
مدحتُك والدنيا لسانٌ وأهلُها ... جميعاً لسانٌ يُمليانِ وأكتُب
أناولُ من شعرِ الخلافةِ ربَّها ... وأكْسُو القوافى ما يدوم فَيقشُب (٢)
وهل أنت إلا الشمسُ فى كل أمةٍ ... فكلُّ لسانٍ فى مديحِك طيِّب
فإن لم يَلِق شعرى لبابك مِدْحةً ... فَمُرْ ينفتِحْ بابٌ من العذرِ أرحَب
وإنى لطيرُ النيل لا طيرَ غيرُه ... وما النيلُ إلا من رياضِك يُحسَب
إذا قلتُ شعرا فالقوافى حواضرٌ ... وبغدادُ بغـدادٌ ويثربُ يثرب
ولم أعدم الظلَّ الخصيبَ وإنما ... أجاذِبُكَ الظلَّ الذى هو أخصب
فلازلتَ كهفَ الدينِ والهادىَ الذى ... إلى اللهِ بالزُّلفى له يُتقرَّب

---

(١) الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف أو السنان .
(٢) يقشب الشيء : يجعله جديدا .

انتصار الأتراك فى الحرب والسياسة ٨٨

اللهُ أكبرُ كَمْ فى الفتح من عَجَبِ ... يا خالدَ التركِ جدِّدْ خالدَ العَرَبِ (١)
صلحٌ عزيزٌ على حربٍ مُظَفَّرَةٍ ... فالسيفُ فى غِمْدِهِ والحقُّ فى النُّصُبِ (٢)
يا حُسنَ أُمنِيَّةٍ فى السَّيفِ ما كَذَبَتْ ... وطيبَ أُمْنِيَّةٍ فى الرأى لم تَخِبِ
خُطَاكَ فى الحق كانت كلُّها كَرَمًا ... وأنتَ أكرمُ فى حَقْنِ الدَّمِ السَّرِبِ (٣)
حَذَوْتَ حربَ «الصلاحيِّين» فى زَمَنٍ ... فيه القتالُ بلا شَرْعٍ ولا أدبِ
لم يَأْتِ سيفُكَ لِفَحشاءَ ولا هتَكَتْ ... قَناكَ من حُرمَةِ الرُّهبانِ والصُّلُبِ
سُئِلْتَ سِلْمًا على نَصرٍ فَجُدْتَ بها ... ولو سُئِلتَ بغيرِ النَّصرِ لم تُجِبِ (٤)
مَشيئةٌ قَبِلَتْها الخيـــلُ عاتبةً ... وأذعن السيفُ مطويًّا على غَضَبِ
أتيتَ ما يُشبِهُ التقوى وإن خُلِقَت ... سيوفُ قومِكَ لا ترتاحُ للقُرُبِ (٥)
ولا أزيدُكَ بالإســـلامِ معرفةً ... كلُّ المروءةِ فى الإسلامِ والحَسَبِ
مَنَحْتَهُم هُدْنَةً من سيفِكَ التُمِسَتْ ... فهَبْ لهم هُدْنَةً من رأيِكَ الضَّرِبِ (٦)
أتاهُمُ منكَ فى «لُوزانَ» داهيةٌ ... جاءت به الحربُ من حَيَّاتِها الرُّقُبِ (٧)
أَصَمُّ يسمعُ ســـرَّ الكائدين له ... ولا يضيقُ بجَهْرِ المُحْنَقِ الصَّخِبِ
لم تَفتَرِقْ شهواتُ القومِ فى أَرَبٍ ... إلَّا قضى وطرًا من ذلك الأَرَبِ

---

(١) خالدالترك : يرادالغازى مصطفى باشا كمال . وخالدالعرب : هوخالدبن الوليد وله فى الحروب الإسلامية صوت بعيد. (٢) النصب : جمع نصاب ، وهو الأصل والمرجع . (٣) السرب : المسفوح . (٤) الضمير فى «بها» للسلم بالكسر والفتح ، مؤنثة ، بمعنى الصلح والسلام . (٥) القرب : جمع قراب ، وهو الغمد : (٦) الضرب : القاطع . (٧) الرقب : جمع رقيب ، وهى الحية الخبيثة . والمقصود بالداهية : عصمت باشا مندوب الترك فى «مؤتمر لوزان» ، والمشهور عنه أن فى سمعه ضعفا لا تصل إلى سمعه إلا الأصوات العالية .

تدرّعتْ للقاء السّلم «أنقرةٌ» ومهّدَ السيفُ فى «لوزان» للخُطب
فقل لبانٍ بقولٍ ركنَ مملكةٍ على الكتائب يُبنَى المُلكُ لا الكتب
لا تلتمسْ غَلَبا للحقّ فى أممٍ الحقُّ عندهمُ معنًى من الغَلَب
لا خيرَ فى مِنبرٍ حتى يكون له عُودٌ من السُّمر أو عودٌ من القُضُب (١)
وما السلاحُ لقوم كلُّ عُدّتهم حتى يكونوا من الأخلاق فى أُهُب (٢)
لو كان فى الناب دون الخُلْق منبهةٌ تساوتِ الأُسْدُ والذُّؤبانُ فى الرُّتب
لم يُغنِ عن قادة اليونان ما حشدوا من السلاح وما ساقوا من العُصَب
وتركُهم «آسيا الصغرى» مدجّجة كشُكّةِ النحل أو كالقُنفُذِ الخشِب (٣)
للتُّرك ساعاتُ صبرٍ يومَ نكبتهم كُتِبْنَ فى صُحُف الأخلاق بالذهب
مغارمٌ وضحايا ما صرَخْن ولا كُدّرْنَ بالمنّ أو أُفسدْنَ بالكذب
بالفعل والأثرِ المحمود تعرفها ولستَ تعرِفها باسم ولا لقب
جُمعن فى اثنين من دينٍ ومن وطن جمعَ الذبائح فى اسم الله والقُرَب (٤)
فيها حياةٌ لشعب لم يمُتْ خلقا ومطمحٌ لقبيلٍ ناهضٍ أرِب
لم يَطعم الغمضَ جفنُ المسلمين لها حتى انجلى ليلها عن صُبحه الشَّنِب (٥)
كُنّ الرجاءَ وكنّ اليأسَ ثم محا نورُ اليقين ظلامَ الشكّ والرِّيب
تلمّس الترك أسباباً فما وَجدوا كالسيف من سُلّمٍ للعزّ أو سَبَب

---

(١) السمر: الرماح. والقضب: السيوف. (٢) أهب: جمع إهاب.
(٣) حينما ينكمش القنفذ ويتخشب يتسع ما بين شعراته من الانفراج. بخلاف حالة الانبساط، فإن شعراته حينئذ تكون متضامة. (٣) القرب: جمع قربة. وهى ما يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى من أعمال البر والطاعة. (٥) الشنب: الأبلج ـ من الشنب: وهو عذوبة الأسنان.

خاضوا العَوان وجاءوا أن تُبلغهم ... عِبْرَ النجاةِ فكانت صخرة العَطب (1)

ســـفينةُ اللهِ لم تُقهرْ على دُسُرٍ ... في العاصفات ولم تُغْلَبْ على خُشُب (2)

قد أمّن الله مجراها وأبدلها ... بحسن عاقبةٍ من سوء مُنْقَلب

واختار رُبَّانها من أهلها فنجت ... من كَيْد حامٍ ومن تضليل مُنْتَدَب

ما كان ماء «سقاريّا» سوى سقرٍ ... طغت فأغرقت الإغريق في اللهب (3)

لما انبرتْ نارها تبغيهمُ حطباً ... كانت قيادتُهم حَمَّالةَ الحطب

سعت بهم نحوكَ الآجال يومئذٍ ... يا ضُلَّ ساعٍ بداعي الحين مُنجذِب

مدُّوا الجسور فحلّ الله ما عقدوا ... إلّا مسالكَ فرعونيـــة السَّرَب

كَرْبٌ تَغَشّاهُمُ من رأي ساستهم ... وأشأمُ الرأي ما ألقاكَ في الكرَب

هم حسّنوا للسواد البُله مملكةً ... من لِبْدَةِ الليث أو من غِيلةِ الأشب (4)

وأنشـــأوا نزهةً للجيش قاتلةً ... ومن تنزّه في الآجام لم يَؤُب

ضل الأميرُ كما ضلَّ الوزيرُ بهم ... كلا السَّرابَيْن أظماهم ولم يَصُب (5)

تجاذباهم كما شـــاءا بمختلفٍ ... من الأمانيّ والأحلام مختلِب

وكيف تلقى نجاحاً أمةٌ ذهبت ... حزبين ضِدّين عند الحادث الحزِب (6)

زحفتَ زَحْفَ أتِيٍّ غير ذي شفقٍ ... على الوهاد ولا رفقٍ على الهضب (7)

قذفتَهُمْ بالرياح الهُوج مُسرجةً ... يحملن أُسْدَ الشرى في البيض واليلب (8)

---

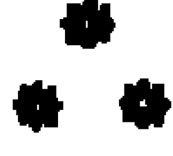
(1) الحرب العوان : التي قوتل فيها مرة بعد أخرى . وعبر الوادي - بالفتح والكسر - : شاطئه . (2) دسر : جمع دسار ، وهو المسمار أو الخيط من ليف تشد به ألواح السفينة : (3) الإغريق : اليونان (4) اللبدة : شعر وبرة الليث ، ويضرب بها المثل في المنعة ، فيقال : أمنع من لبدة الأسد . والغيل : موضع الأسد . والأشب : الشائك المشتبك . (5) لم يصب - من الصوب : أي المطر . (6) الحزب : الشديد : (7) الأتي : السيل . (8) الشرى : مأسدة يضرب بها المثل بجانب الفرات . والبيض : الخوذ واليلب : الدروع .

هَبّت عليهم فذابوا عن معاقلهم | والثلج فى قُلَل الأجبال لم يذُب
لما صدَعتَ جناحَيْهم وقلْبَهُمُ | طاروا بأجنحة شتى من الرُّعُب
جدّ الفرارُ فألقى كل معتقل | قناته وتخلّى كل محتقب [1]
ياحسن ماانسحبوا فى منطق عجب | تُدعى الهزيمةُ فيه حسن مُنسَحَب
لم يدر قائدهم لما أحطتَ به | هبطتَ من صَعَدٍ أم جئتَ من صبب [2]
أخذتَه وهو فى تدبير خُطّته | فلم تتم وكانت خُطةَ الهَرَب
تلك الفراسخُ من سهلٍ ومن جَبَل | قرّبتَ ما كان منها غيرَ مُقترب
خيلُ الرسول من الفولاذِ معدِنُها | وسائرُ الخيل من لحمٍ ومن عَصَب
أفى ليالٍ تجُوبُ الراسياتِ بها | وتقطعُ الأرضَ من قُطْبٍ إلى قُطب؟
سَلِ الظلامَ بها : أىَّ المعاقل لم | تطفرْ، وأىَّ حصونِ الروم لم تثِب؟ [3]
آلَتْ لئن لم تَرِدْ «أزميرَ» لا نزلَتْ | ماءً سواها ولا حلَّت على عُشُب
والصبرُ فيها وفى فُرسانها خُلقٌ | توارثوه أباً فى الرَّوْع بعد أب
كما وُلِدتُم على أعرافها وُلِدت | فى ساحة الحرب لا فى باحة الرَّحب [4]
حتى طَلعتَ على «أزميرَ» فى فَلَكٍ | من نابه الذِّكر لم يُسْمَك على الشُّهُب [5]
فى مَوْكبٍ وقف التاريخُ يَعرِضُه | فلم يُكَذِّب ولم يَذمم ولم يُرِب
يوم «كبدر» فخيلُ الحق راقصةٌ | على الصّعيد وخيل الله فى السُّحُب
غُرٌّ تُظلِّلها غَرّاءُ وارفة | بدريةُ العود والديباج والعذَب [6]

---

(١) المحتقب : المدخر . ويقال : احتقب فلان الشيء، ادخره أو احتمله خلفه .
(٢) الصبب : ما انحدر من الأرض . (٣) تطفر : من الطفور ، وهو الوثوب فى ارتفاع . والطفرة ، كذلك : الوثبة . (٤) الأعراف : جمع عرف ، وهو شعر عنق الفرس . (٥) لم يسمك : لم يرفع . (٦) غراء وارفة : يصف العلم(اللواء) . والعذب : خرق الألوية .

نشوى من الظَّفَر العالى مُرَنَّحَة ... من سَكْرة النَّصر لا من سكرة النَّصَب
تُذَكِّر الأرض مالم تَفْس من زبَدٍ ... كالمِسْك من جنبات (السَّكْب) منسكب (١)
حتى تعالى أذانُ الفتح فاتَّأدت ... مشى المجلِّى إذا استولى على القصب



تحيةً أيها الغازى وتهنئة ... بآية الفتح تبقى آية الحِقَب
وقيِّمًا من ثناء لا كِفَاء له ... إلا التعجبُ من أصحابك النجُب
الصابرين إذا حَلّ البلاء بهم ... كالَّليث عَضّ على نابَيْه فى النُّوب
والجاعلين سيوفَ الهند ألسُنَهم ... والكاتبين بأطراف القنا السُّلُب (٢)
لا الصعبُ عندهُم بالصَّعْب مركَبُه ... ولا المُحال بمُستعصٍ على الطَّلَب
ولا المصائب إذ يُرمى الرجالُ بها ... بقاتلاتٍ إذا الأخلاقُ لم تُصَب
قُوّاد معركةٍ ، وُرّادُ مَهلَكةٍ ... أوتادُ مملكة ، آساد مُحتَرَب
بَلوتَهم فتحدَّث كم شَدَدت بهم ... من مُضمحلّ وكم عمَّرتَ من خرب
وكم ثَلَلتَ بهم من معقل أشبٍ ... وكم هَزمتَ بهم من جحفلٍ لجَب
وكم بنيتَ بهم مجداً فما نَبسوا ... فى الهدم ما ليس فى البنيان من صَخَب
من فَلِّ جيش ومن أنقاض مملكة ... ومن بقية قوم جئتَ بالعجب (٣)
أخرجت للناس من ذُل ومن فشل ... شعباً وراء العوالى غير متشعب
لما أتيت ببدر من مطالعها ... تلفت البيتُ فى الأستار والحُجُب
وهَشَّت الروضةُ الفيحاء ضاحكةً ... إلى المنوَّرة المسكيّةِ التُّرُب
ومسَّت (الدار) أزكى طيبها وأتت ... باب الرسول فمست أشرف العتَب

---

(١) السكب : فرس من أفراس النبي . (٢) السلب : جمع سلب ، وهو الطويل .
(٣) الفل : واحد الفلول . وفلول السيف : كسور فى حده .

وأرّج الفتحُ أرجاء الحِجاز وكم	قضى الليالىَ لم يَنعَم ولم يطب
وازّينت أمّهاتُ الشرق واستبقت	مهارجُ الفتح فى المَوْشِيّة القشُب
هزّت (دِمَشْق) بنى (أيّوبَ) فانتبهوا	يهنئون (بنى حَمْدان) فى (حلب)
ومسلمو (الهند) و(الهندوسُ) فى جَذَلٍ	ومسلمو (مصر) والأقباط فى طرب
ممالكٌ ضمها الإسلامُ فى رَحِمٍ	وشيجةٍ وحواها الشرقُ فى نسب[1]
من كل ضاحيةٍ ترمى بمكتحل	إلى مكانكَ أو تومى بمختضب
تقول لولا الفتى التركىُّ حل بنا	يومٌ كيوم يهودٍ كان عن كَثَب

بعد المنفى (*)

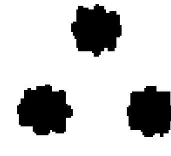
أنادى الرّسْم لو مَلَك الجوابا	وأجزيهِ بدمعىَ لو أثابا[2]
وقَلَّ لحقه العبراتُ تجرى	وإن كانت سوادَ القلب ذابا
سبقْنَ مُقبّلاتِ التربِ عنى	وأدّينَ التحيةَ والخطابا
نثرتُ الدمع فى الدّمن البوالى	كنظمى فى كواعبها الشبابا[3]
وقفتُ بها كما شاءتْ وشاءوا	وقوفاً علّمَ الصبرَ الذهابا
لها حقٌّ وللأحباب حقٌّ	رَشفتُ وصالهم فيها حُبابا[4]

(١) الرحم الوشيجة: المتصلة القرابة.

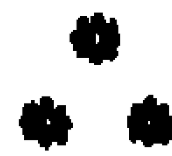
(*) كانت هذه القصيدة فاتحة شعر الشاعر بعد عودته من منفاه ببلاد الأندلس، وقد أشاد فيها بذكر تلك البلاد شكرا لها وعرفانا بجميلها. ثم انتقل إلى استقبال بلاده بعد تلك الغيبة الطويلة، وعرج على مسألة التموين التى كانت حينئذ شغل البلاد الشاغل. وقد أنشدت هذه القصيدة فى اجتماع لجان التموين (بالأوبرا الملكية سنة ١٩٢٠).

(٢) الرسم: ما كان لاحقا بالأرض من آثار الدار. (٣) الدمن: آثار الديار. والكواعب من الجوارى: ناهدات الثدى. والمراد بها هنا الديار قبل أن تستحيل إلى دمن. (٤) رشف الماء: مصه بشفتيه. والحباب: الحب.

ومن شكَرَ المناجمَ محسِناتٍ ... إذا التبرُ انجلى شكر الترابا
وبين جوانحى وافٍ ألوفٌ ... إذا لمح الديار مضى وثابا
رأى مَيْلَ الزمانِ بها فكانت ... على الأيام صحبتُه عتابا



وداعاً أرض أندلسٍ وهذا ... ثنائى إن رضيت به ثوابا
وما أثنيت إلا بعد علمٍ ... وكم من جاهلٍ أثنى فعابا
تَخِذْتُكِ موئلا فحللتُ أندى ... ذراً من وائلٍ وأعزَّ غابا[1]
مُغَرِّبُ آدمٍ من دار عدنٍ ... قضاها فى حماك لى اغترابا[2]
شكرتُ الفُلْكَ يومَ حويْتِ رَحْلى ... فيا لمفارقٍ شكر الغُرابا
فأنتِ أرحتِنى من كل أنفٍ ... كأنف الميْتِ فى النَّزع انتصابا
ومنظرِ كلِّ خوانٍ يرانى ... بوجه كالبغىِّ رمى النقابا
وليس بعامرٍ بنيانُ قومٍ ... إذا أخلاقُهم كانت خرابا



أحقٌّ كنتِ للزهراء ساحاً ... وكنتِ لساكن (الزاهى) رحابا ؟
ولم تك (جور) أبهى منكِ ورداً ... ولم تكُ بابلٌ أشهى شرابا ؟
وأن المجدَ فى الدنيا رحيقٌ ... إذا طال الزمانُ عليه طابا ؟
أولئك أمةٌ ضربوا المعالى ... بمشرقها ومغربها قِبابا
جرى كدراً لهم صفوُ الليالى ... وغايةُ كل صفوٍ أن يُشابا

---

(١) وأل : طلب النجاة . والموئل : الملجأ . ووائل : جبل . وسميت به قبيلة من العرب .

(٢) إن الله الذى أخرج آدم من الجنة ليجعل الأرض منفاه قد قضى على أن يكون منفاى فى جنة من حماك . وهذه مبالغة من الشاعر فى تكريم هذه البلاد التى آوته وهو غريب .

مشيَّبةُ القرونِ أديلَ منها ألم تر قرنَها فى الجو شابا[1]
معلَّقةٌ تَنظَّرُ صولجاناً يخرُّ عن السماء بها لِعابا
تُعَد بها على الأممِ الليالى وما تدرى السنينَ ولا الحسابا

* * *

ويا وطنى لقيتُكَ بعد يأسٍ كأنى قد لقيت بك الشبابا
وكلُّ مسافرٍ سيؤوب يوماً إذا رُزِقَ السلامةَ والإيابا
ولو أنى دُعيتُ لكنتَ دِينى عليه أقابل الحتمَ المجابا[2]
أدير إليك قبل البيت وجهى إذا فُهتُ الشهادةَ والمتابا
وقد سَبَقَتْ ركائبىَ القوافى مقلَّدَةً أزمّتُها طِرابا
تجوبُ الدهرَ نحوك والفيافى وتقتحمُ اللياليَ لا العُبابا
وتُهديك الثناء الحرَّ تاجاً على تاجيكَ مؤتلقاً مُجابا

* * *

هدانا ضوء ثغرِكَ من ثلاثٍ كما تَهدى (المنورةُ) الركاب
وقد غشَّى المنارُ البحرَ نوراً كنار (الطور) جَلّلت الشعابا[3]
وقيل الثغرُ فاتأدتْ ، فأرْسَتْ فكانت من ثراكَ الطُهرِ قابا
فصفحاً للزمانِ لصبحِ يومٍ به أضحى الزمانُ إلىّ تابا
وحيّا اللهُ فتياناً سِماحاً كسوا عِطفَىّ من فخرٍ ثيابا
ملائكةٌ إذا حفّوكَ يوماً أحبَّك كلُّ من تلقَى وهابا

---

(١) أدال الله فلانا من فلان . نزع الدولة من الثانى وحولها إلى الأول ، والكلام على الشمس . (٢) دعيت إلى الموت : نوديت . والحتم المجاب : هو الموت .
(٣) جلل الشىء : غطاه وعمه .

وإن حماتك أيديهم بحورًا بلغت على أكفهم السحابا
تلقونى بكلّ أغرّ زاهٍ كأن على أسرّته شهابا
ترى الإيمانَ مؤتلقًا عليه ونورَ العلم والكرمَ اللُّبابا[1]
وتلمحُ من وضاءةِ صفحتيه محيّا مصرَ رائعةً كعابا[2]
وما أدرى لما أسدوه أهلٌ ولكن من أحبّ الشىء حابى
شبابَ النيل : إن لكم لصوتًا ملبّى حين يُرفعُ مستجابا
فهزّوا (العرشَ) بالدعواتِ حتى يخفّفَ عن كنانتِهِ العَذابا
أمن حرب البَسوسِ الى غَلاء يكادُ يُعيدُها سبعًا صعابا؟
وهل فى القومِ يوسفُ يتّقيها ويُحسنُ حِسبةً ويرَى صوابا؟[3]
عبادك ربِّ قد جاعوا بمصر أنيلاً سُقتَ فيهم أم سَرابا
حنانك وآهدِ للحسنى تجارًا بها ملكوا المرافقَ والرقابا
ورقّقْ للفقير بها قلوبًا محجرةً وأكبادًا صلابا
أمن أكلَ اليتيم له عقابٌ ومن أكلَ الفقيرَ فلا عِقابا؟
أُصيبَ من التّجار بكل ضارٍ أشدّ من الزمان عليه نابا
يكاد إذا غذاه أو كساه ينازعه الحشاشة والإهابا[4]
وتسمعُ رحمةً فى كلِّ نادٍ ولستَ تحسُّ للبِرِّ انتدابا
أكلٌّ فى كتاب الله إلّا زكاةَ المالِ ليست فيه بابا
إذا ما الطاعمونَ شكوْا وضجّوا فدعْهم واسمع الغَرثى السِّغابا[5]

---

(١) اللباب : الخالص . (٢) الوضاءة . الحسن والنظافة (٣) الحسبة : الحساب . (٤) الحشاشة : بقية الروح فى المريض . والإهاب : الجلد .
(٥) الغرثى : جمع غرثان ، وهو الجائع . والسغاب : جمع ساغب ، وهو الجائع أيضا .

فما يكون من ثُكلٍ ولكن كما تَصفُ المعدَّدةُ المصابا
ولم أرَ مثلَ سوق الخيرِ كسبًا ولا كتِجارة السوء اكتسابا
ولا كأولئك البؤساء شاءٍ إذا جوّعتَها انتشرت ذئابا
ولولا البِرُّ لم يُبعَثْ رسولٌ ولم يَحملْ إلى قومٍ كتابا

ذكرى المولد

سلوا قلبي غداةَ سلا وتابا لعلَّ على الجمالِ له عِتابا
ويُسألُ في الحوادثِ ذو صواب فهل تَركَ الجمالُ له صوابا ؟
وكنتُ إذا سألتُ القلبَ يومًا تولَّى الدمعُ عن قلبي الجوابا
ولي بين الضلوع دمٌ ولحمٌ هما الواهي الذي ثَكِلَ الشبابا[١]
تَسرَّبَ في الدموع فقلتُ ولَّى وصفَّق في الضلوعِ فقلت ثابا[٢]
ولو خُلِقتْ قلوبٌ من حديد لما حَمَلَتْ كما حَمَلَ العذابا
وأحبابٍ سُقِيتُ بهم سُلافًا وكان الوصلُ من قِصرٍ حَبابا[٣]
ونادَمْنا الشبابَ على بساطٍ من اللذات مختلفٍ شَرابا
وكلُّ بِساطِ عيشٍ سوف يُطوى وإن طالَ الزمانُ به وطابا
كأنَّ القلبَ بعدهمُ غريبٌ إذا عادته ذكرى الأهلِ ذابا
ولا يُنبيكَ عن خُلُقِ الليالي كمن فقدَ الأحبةَ والصِّحابا

---

(١) الواهي : الضعيف . وثكل الشباب : فقده . والمقصود بالدم واللحم هنا : القلب . (٢) ثاب : رجع بعد ذهاب . (٣) السلاف : خالص الخمر . وحباب الماء : نفاخاته التي تعلوه .

أخا الدنيا ، أرى دنياكَ أفعى تُبدِّل كلَّ آونةٍ إهابا
وأن الرُّقْط أيقظ هاجماتٍ وأترع فى ظلالِ السِّلم نابا (١)
ومن عجب تُشيّب عاشقيها وتُفنيهم وما بَرِحتْ كَعَابا (٢)
فمن يغترُّ بالدنيا فإنى لبِستُ بها فأبليتُ الثيابا
لها ضحكُ القِيان إلى غبىّ ولى ضحكُ اللبيب إذا تغابى (٣)
جنيتُ بروضها ورداً وشوكاً وذقتُ بكأسها شُهْداً وصَابا
فلم أر غيرَ حكمِ الله حكْمًا ولم أر دون باب الله بابا
ولا عظّمْتُ فى الأشياء إلا صحيحَ العلم ، والأدبَ الُّلبابا (٤)
ولا كرّمتُ إلا وجهَ حرّ يقلّد قومَه المِنَنَ الرِّغَابا (٥)
ولم أرَ مثلَ جمعِ المالِ داءً ولا مثلَ البخيلِ به مُصَابا
فلا تقتلْكَ شهوتَه ، وزِنْها كما تزِنُ الطعامَ أو الشرابا
وخذ لبنيك والأيام ذخراً وأعط اللهَ حِصّتَه احتسابا (٦)
فلو طالعتَ أحداث الليالى وجدتَ الفقرَ أقربَها انتِيابا (٧)
وأن البرَّ خيرٌ فى حياةٍ وأبقى بعد صاحبِه ثوابا
وأن الشرَّ يصدعُ فاعليهِ ولم أر خيِّرًا بالشر آبا
فرفقاً بالبنينَ إذا الليالى على الأعقاب أوقعتِ العِقابا
ولم يتقلّدوا شكرَ اليتامى ولا ادّرعوا الدعاءَ المستجابا (٨)

---

(١) الرقط : جمع رقطاء ، وهى الحية على جلدها سواد مشوب بالبياض . وأترع : أسرع إلى الشر . (٢) الكعاب : الجارية الناهد .
(٣) القيان : جمع قينة ، وهى الأمة المغنية . (٤) المختار الخالص .
(٥) الأرض الرغاب : التى لا تسيل إلا من مطر كثير . (٦) احتسب عند الله أمرا : قدمه . (٧) انتابه : أتاه مرة بعد أخرى . (٨) ادرع : لبس الدرع .

عجبتُ لمعشرٍ صلّوا وصاموا ظواهرَ خشيةٍ وتُقًى كِذابا [1]
وتُلفيهم حيالَ المالِ صُمًّا إذا داعِى الزكاةِ بهم أهابا [2]
لقد كتموا نصيبَ اللهِ منهُ كأن الله لم يُحصِ النصابا
ومن يعدِلْ بحبِّ اللهِ شيئا كحُبِ المالِ،ضلّ هوًى وخابا
أراد اللهُ بالفقــراء برًّا وبالأيتام حُبًّا وارتبابا [3]
فربَّ صغيرِ قومٍ علّموه سَمَا وحَمَى المُسَوَّمَةَ العِرابا [4]
وكانــ لقومه نفعًا وفخراً ولو تركوه كان أذًى وعابا [5]
فعلِّمْ ما استطعت، لعلّ جيلا سيأتى يُحدثُ العَجبَ العُجابا
ولا تُرهقْ شبابَ الحىّ يأساً فإن اليأسَ يخترمُ الشبابا [6]
يريد الخالقُ الرزقَ اشتراكا وإن يكُ خصّ أقواماً وحابى [7]
فما حَرَمَ المجدّ جَنَى يديه ولا نسىَ الشقىّ ولا المُصَابا [8]
ولولا البخلُ لم يهلكْ فريقٌ على الأقدارِ تلقاهُم غِضَابا
تعبتُ بأهله لوما ، وقبلى دُعاةُ البر قد سئموا الخطابا
ولو أنى خطبت على جماد فَجَرْتُ به الينابيعَ العِذابا
ألم ترَ للهواء جرى فأفضَى إلى الأكواخ واخترقَ القِبابا [9]
وأن الشمسَ فى الآفاقِ تَغْشَى حِمَى كسرى كما تغشى اليبابا [10]
وأن الماءَ تَرْوِى الأُسدُ منهُ ويَشْفِى من تلعلعِها الكلابا [11]

---

(١) الكذاب : الكذب . (٢) أهاب به : دعاه . (٣) ارتبّ الصبي ارتبابا : رباه حتى أدرك . (٤) الخيل المسومة : المرعية . والخيل العراب : الكرائم .
(٥) العاب : العيب . (٦) أرهقه طغيانا : أغشاه إياه . ويخترم الشباب : يستأصله . (٧) حاباه : اختصه ومال إليه . (٨) الجنى . مايجنى من الشجر .
(٩) أفضى : بلغ . (١٠) اليباب : القفر . (١١) تلعلع الكلب : دلع لسانه عطشا

وسَوّى الله بينكمُ المنايا ... ووسّدكم مع الرسْلِ الترابا [1]
وأرسلَ عائلا منكم يتيما ... دنا من ذى الجلال فكان قابا [2]
نبىُّ البرّ ، بيّنه سبيلا ... وسنّ خلالَه وهَدى الشِّعابا [3]
تفرق بعدَ عيسى الناسُ فيه ... فلما جاء كان لهُم مَتَابا [4]
وشافِى النفس من نَزَغاتِ شرٍّ ... كشافٍ من طبائعها الذئابا [5]
وكان بيانُه للهدْىِ سُبْلا ... وكانت خيلُه للحقّ غابا
وعَلّمنا بناء المجد حتى ... أخذنا إمرةَ الأرض اغتصابا
وما نيلُ المطالب بالتمنى ... ولكن تؤخذُ الدنيا غِلابا [6]
وما استعصى على قومٍ منالٌ ... إذا الإقدام كان لهم رِكابا

*
* *

تجلى مولد الهادى وعمت ... بشائرُه البوادىَ والقصابا [7]
وأسدَتْ للبريةِ بنتُ وهبٍ ... يدًا بيضاء طوّقتِ الرقابا [8]
لقد وضعته وهّاجا منيرًا ... كما تَلِدُ السماواتُ الشّهابا [9]
فقام على سماء البيْتِ نورًا ... يضىء جبالَ مكةَ والنّقابا [10]
وضاعت يَثْرِبُ الفيحاء مسكاً ... وفاحَ القاعُ أرجاء وطابا [11]
أبا الزهراء قد جاوزتُ قدرى ... بمدحك بَيْدَ أنّ لىَ انتسابا

---

(١) سوى : جعلكم منها سواء . (٢) عائلا : فقيرا : وقاب القوس : ما بين المقبض والسية ، والمراد أنه كان قريبا . (٣) الشعاب : الطريق . (٤) الضمير فى « فيه » يعود على البر . (٥) النزغات . الوساوس (٦) غلابا : قهرا .
(٦) القصابا : جمع قصبة ، وهى المدينة . (٨) بنت وهب : السيدة آمنة ، أمه صلى الله عليه وسلم . (٩) الشهاب : الكوكب . (١٠) نقاب : جمع نقب ، وهو الطريق فى الجبل . (١١) ضاع المسك . تحرك فانتشرت رائحته .

- فما عرَفَ البلاغةَ ذو بيان ... إذا لم يتخذْكَ له كتابا
- مدحتُ المالكين فزدتُ قدراً ... فحين مدحتُكَ اقتدتُ السحابا
- سألت الله فى أبناء دينى ... فإن تكنِ الوسيلةَ لى أجابا
- وما للمسلمين سواك حصنٌ ... إذا ما الضرُّ مسَّهُم ونابا
كأن النحسَ حين جرى عليهم ... أطار بكلِّ مملكةٍ غُرابا
ولو حفظوا سبيلكَ كان نوراً ... وكان من النحوس لهم حجابا
بنيْتَ لهم من الأخلاقِ ركنا ... فخانوا الركْنَ فانهدم اضطرابا
وكان جَنَابُهم فيها مهيباً ... ولَلأخلاقُ أجدرُ أن تُهابا
فلولاها لساوى الليثُ ذئباً ... وساوى الصارمُ الماضى قِرابا [1]
فإن قُرِنتْ مكارمُها بعلم ... تذللتِ العُلا بهما صِعابا
وفى هذا الزمان مَسيحُ علم ... يردُّ على بنى الأممِ الشبابا

مشروع ملنر (*)

اِثنِ عِنانَ القلبِ واَسْلَمْ به ... من ربرب الرمل ومن سربِهِ [2]

---

(١) الصارم : السيف . والقراب : الغمد .

(*) فى سنة ١٩١٩ ثارت البلاد فى طلب استقلالها وسافر الوفد المصرى لعرض قضية البلاد على مؤتمر السلام العام فى « فرساى » وتلق هناك دعوة من لورد « ملنر » وزير المستعمرات الإنكليزية إذ ذاك ليتفق معه على مركز البلاد وتحديد علاقة انكلترا بها . فتمخضت المحادثات بينهما عن مشروع قدمه لورد ملنر واتفق مع الوفد على عرضه على البلاد لأخذ رأيها فيه مع التزام الحيدة ، فانتدب الوفد أربعة من أعضائه للقيام بهذه المهمة . وقد كانت الأفكار يومئذ متجهة إلى أن المشروع يصلح أساسا للمفاوضة ببعض تعديلات . (٢) الربرب : القطيع من بقر الوحش . والسرب (بكسر السين) جماعة الظباء أو النساء .

ومِن تَثَنّى الغيدِ عن بانِه مُرْتَجّة الأردافِ عن كُثْبِه(١)
ظِباؤه المنكسِراتُ الظُّبَا يَغْلِبْنَ ذا اللب على لبــه(٢)
بيضٌ رِقاقُ الحسنِ فى لمحــةٍ من ناعم الدرّ ومن رَطْبِــه
ذوابلُ النرجسِ فى أصــلهِ يَوانعُ الوردِ على قُضْبِه
زِنّ على الأرضِ سمَاء الدُّجَى وزِدْنَ فى الحسنِ على شهْبِهِ
يمشــينَ أسراباً على هِينَــةٍ مشىَ القطَا الآمِن فى سِربه(٣)
من كلّ وسْنَانَ بغير الكرى تنتبهُ الآجالُ من هُدْبه
جَفْنٌ تَلَقّى مَلَكاً بابلٍ غرائبَ السحْرِ على غَرْبه(٤)
ياظَبْيَةَ الرملِ وُقيتِ الهوى وإن سَمَتْ عيناكِ فى جَلبه
ولا ذَرَفتِ الدمْعَ يوماً وإن أسْرَفْتِ فى الدمعِ وفى سكبه
هذى الشواكى النجلُ صدنَ امرأً مُلْقَى الصِّبَا أعزَلَ من غَرْبِه(٥)
صَـيَّادَ آرامٍ رماهُ الهوَى بشادنٍ لا بُرْءَ من حُبِّه(٦)
شابَ وفى أضلُعِهِ صاحِبٌ خِلوٌ من الشيب ومن خطْبِهِ(٧)
واهٍ بجنبى ، خافقٌ . كلمــا قُلْتُ تنــاهَى ، لَجّ فى وثْبِــه
لا تنثنى الآرامُ عن قَاعِهِ ولا بنَاتُ الشَّوقِ عَنْ شِعْبِهِ(٨)

---

(١) الغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة اللينة الأعطاف . والبان : شجر يشبه به القد لطوله . والكثب ، جمع كثيب وهو التل من الرمل ، يشبه به الردف .
(٢) الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف . (٣) الهينة (بالكسر) : السكينة : الوقار . (٤) هاروت وماروت : الملكان اللذان أنزل عليهما السحر . وغرب العين : مقدمها أو مؤخرها . والغرب : السيف . وعلى هذا المعنى يكون المراد بالجفن : غمد السيف . (٥) الشواكى : المسلحة . وغرب الشباب : حدته ونشاطه .
(٦) آرام : جمع رئم ، وهو الظبى الخالص البياض . والشادن : ولد الظبية .
(٧) صاحب ، يريد القلب . (٨) القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . والشعب (بالكسر) : الناحية .

حمّلته فى الحبّ مالم يكن ليحملَ الحبُّ على قلبــه
ما خفَّ إلا للهوى والعـلا أو لجلال الوفدِ فى رَكبه
أربعـــةٌ تجمعهُمُ همـــةٌ ينقُلها الجيـلُ إلى عَقْبه[1]
قِطارهم كالقَطر هز الثرى وزاده خِصبًا على خِصبه[2]
لولا استلامُ الخَلقِ أرْسَانه شبّ فنال الشمسَ من عُجْبه[3]
كلهمُ أغيرُ من وائلٍ على حِماهُ وعلى شعبه[4]
لو قدَرُوا جاءوكم بالثرى من قُطبِهِ مُلكا إلى قُطْبِه
وما اعتراضُ الحظّ دونَ المنى من هفوةِ المحسنِ أو ذنبه
وليس بالفاضِلِ فى نفسِهِ من يُنكرُ الفضلَ على ربه
ما بالُ قومى اختلفوا بينهم فى مَدْحَةِ المشروعِ أو ثَلْبه[5]
كأنهم أسرى ، أحاديثُهم فى لَيْنِ القيـدِ وفى صُلبه
يا قومِ هذا زمنٌ قد رمى بالقيدِ واستكبرَ عن سَحْبه[6]
لو أنّ قيدًا جاءهُ من عَلٍ خشيتُ أن يأبَى على ربّه
وهـذه الضجةُ من ناسِهِ جنـــازة الرقّ إلى تُربه
من يخلع النِّيرَ يَعِشْ بُرْهةً فى أَثَر النّـــير وفى نَدْبه[7]
يا نَشَأَ الحىّ ، شبابَ الحِمَى سُلالَةَ المشرقِ من نُجْبه[8]

---

(١) يريد بالأربعة : الأعضاء المندوبين لعرض المشروع . والعقب : الولد وولد الولد . (٢) القطر : المطر . (٣) أرسان : جمع رسن ، وهو الزمام .
(٤) وائل قبيلة من العرب . (٥) ثلبه : عيبه وتنقصه . (٦) السحب : الجر على الأرض . (٧) النير : الخشبة المعترضة فى عنق الثورين بأداتها ، وتعرف عند العامة (بالناف) . والندب : جمع ندبة ، وهى أثر الجرح الباقى على الجلد .
(٨) النجب : جمع نجيب ، وهو الكريم الحسيب .

بنى الألى أصبحَ إحسانُهم دارت رَحَى الفَنّ على قطبه
موسى وعيسى نشأ بينهم فى سَعَةِ الفِكْرِ وفى رُحْبه
وعالجا أولَ ما عالجا من عللِ العالَمِ أو طبّه[1]
ما نَسِيَتْ مصرُ لكمْ بِرَّها فى حازبِ الأمرِ وفى صَعبه[2]
مَزّقتمُ الوَهْمَ وألفتم أهلّةَ الله على صُلْبه
حتى بنيتمُ هرمًا رابعًا من فِئةِ الحقّ ومن حزبه
يومٌ لكم يَبقى (كبدر) على أنصار سعد وعلى صحبه[3]
قد صارت الحال إلى جدّها وانتبه الغافلُ من لِعبه
اللّيثُ والعالم من شرقِهِ فى هيبةِ الليثِ إلى غربه[4]
قضى بأن تَبنى على نابِهِ مُلكَ بَنِينا وعلى خِلْبه[5]
ونبلُغَ المجد على عينه وندخُلَ العصر إلى جَنْبِه
ونَصِلَ النازلَ فى سِلْمِهِ ونقطعَ الداخل فى حربه
ونَصْرِفَ النيلَ إلى رأيِهِ يَقْسِمُهُ بالعدل فى شِربِهِ[6]
يُبيحُ أو يَحمى على قُدْرَةٍ حَقّ القُرَى والناسِ فى عذبه
أمْرٌ عليكم أوْ لكم فى غَدٍ ما ساء أوْ ما سَرّ من غِبّه[7]
لا تَسْتَقِلُّوهُ فما دَهْرُكُمْ بحاتمِ الجود ولا كعبِه[8]

---

(١) الطب : الشهوة ، وهو أيضا علاج الجسم والنفس . (٢) حازب الأمر : شديده . (٣) بدر : أكبر وقعة انتصر فيها الإسلام على أعدائه . (٤) الليث : الأسد البريطانى . وهنا يبدأ الشاعر فى سرد نقط المشروع الهامة . (٥) الخلب (بالكسر) : الظفر . (٦) الشرب (بالكسر) : النصيب من الماء .
(٧) الغب : العاقبة . (٨) حاتم طى ، وكعب بن مامة : من أجواد العرب .

تسمعُ بالحقّ ولم تَطّلع ... على قنا الحقّ ولا قُضْبِه(١)

ينالُ باللّين الفتى بعض ما ... يعجزُ بالشدّةِ عن غَصْبه

فإن أنِستم فليكنْ أُنسُكم ... فى الصبر للدهر وفى عَتْبه

وفى احتشام الأُسْدِ دونَ القذَى ... إذا هى اضطُرّت إلى شُرْبِه(٢)

قد أسقطَ الطّفرةَ فى مُلْكِه ... من ليس بالعاجِز عن قَلْبه(٣)

يا رُبّ قَيْدٍ لا تحبّونه ... زَمانُكم لم يتقيّد به

ومطلَبٍ فى الظن مستبعدٍ ... كالصبح للناظرِ فى قُرْبِه

واليأسُ لا يَحمِلُ من مؤمنٍ ... ما دامَ هذا الغيبُ فى حُجْبه

مشروع ٢٨ فبراير

أُعِدّتِ الراحةُ الكبرى لمن تَعِبا ... وفازَ بالحقّ مَن لم يَألُهُ طلَبا(٤)

وما قَضتْ مصرُ مِن كلٍّ لُبانَتَها ... حتى تَجُرّ ذيولَ الغِبطَةِ القُشُبا(٥)

فى الأمرِ مافيه من جِدٍّ فلا تَقِفوا ... من واقِعٍ جزعاً أو طائرٍ طرَبا(٦)

لا تُثبتُ العينُ شيئًا أو تُحققهُ ... إذا تَحَيّرَ فيها الدمعُ واضطَرَبا(٧)

---

(١) القنا : الرماح . والقضب : السيوف . (٢) احتشام : إحجام .

(٣) الطفرة : الوثبة فى ارتفاع . وأسقط الطفرة : تركها . وقلب الملك : تبديله وتغيير نظامه . (٤) لم يأل : لم يقصر . قال تعالى «لايألونكم خبالا» . وهذا البيت من الحكم الغالية التى لاتتاح لغير أمير الشعراء ، فكم وراء جهاد الحياة من راحة وكم وراء الضعف من قوة . (٥) اللبانة : الحاجة . والقشب ـ جمع قشيب : الجديد . وفى هذا البيت استفزاز للهمم وبيان لأن سبيل المجد طويل وميدانه متسع . (٦) الجد : الاجتهاد فى الأمر . وفى هذا البيت نوع من البيان المربى الأمم فى نهوضها ، فكثيرا مايستفز الطرب أناسا فيطير بهم ، أو يستحكم اليأس منهم فيرديهم . (٧) تثبت العين : تصحح . وفى هذا البيت تصوير للتردد والذعر والهلع والشك الذى يصيب الإنسان من أموره فلا يستطيع الاهتداء ، ولا يستبين طريق الصواب .

والصبحُ يُظلِم فى عينيك ناصعُهُ إذا سدلتَ عليه الشكَّ والرِّيَبا[1]
إذا طابتَ عظيمًا فاصبرن له أو فاحشدنَّ رماح الخط والقُضُبا[2]
ولا تعِدّ صغيرات الأمورِ له إن الصغائرَ ليست للعُلا أُهُبا[3]
ولن ترى صحبةً تُرضى عواقبُها كالحقِّ والصبرِ فى أمرٍ إذا اصطحبا[4]
إن الرجالَ إذا ما أُلجئوا لجئوا إلى التعاون فيما جَلَّ أو حَزَبا[5]

***

لاريب أنّ خُطَا الآمالِ واسعة وأن ليل سراها صُبْحُهُ اقترِبا[6]

(١) الريب : جمع ريبة ، مثل سدرة وسدر : الظن . وكم من رجل تسدُّ أمامه كوى الحياة وتضيق عليه الأرض بما رحبت ولا سبب لهذا إلا الشكوك والأوهام .
(٢) الخط : موضع باليمامة ينسب إليه على لفظ ، فيقال : رماح خطية . والرماح : لاتنبت به ولكنه ساحل للسفن التى تحمل القنا إليه وتعمل به . وقال الخليل : إذا جعلت النسبة اسما لازما قلت : خطية ، بكسر الخاء ، ولم تذكر الرماح ، وهذا كما قالوا : ثياب قبطية (بالكسر) ، فإذا جعلوه اسما حذفوا الثياب وقالوا قبطية (بالضم) ، فرقا بين الاسم والنسبة . وما أحسن أن تنتشر هذه الحكم بين أفراد أمتنا الناهضة حتى تعرف حقوقها وواجباتها .
(٣) أهب : جمع إهاب ككتاب وكتب . والإهاب : الجلد .
(٤) بين فى هذا البيت شاعرنا نوعا من أنواع الصحبة هو خيرها وهو وحده المحمود عواقبه ، ذلك النوع هو أن يصحب الحق ، وهو السمح الكريم ، صبر جميل على وثبات الباطل حتى يدمغه فإذا هو زاهق . والصبر من خير الفضائل التى هى جماع كل خير ، ولهذا ذكر فى مواطن كثيرة من القرآن الكريم . وروى أنه كان الرجلان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا التقيا لم يتفرقا حتى يرضى كل منهما أخاه بالصبر والحق :
(٥) ألجئوا : اضطروا وأكرهوا . ولجأوا : اعتصموا . وجل الشئ يجل (بالكسر) : عظيم ، فهو جليل . وحزبهم الأمر يحزبهم ، من باب قتل : أصابهم . ولعمرى إن المفزع الوحيد عند وثبات الأحداث إنما هو فى الاعتصام بالتعاون والقضاء على التحزب . (٦) السرى : جمع سرية ، بضم السين وفتحها . يقال : سرينا سرية من الليل ، وسرية . قال أبو زيد : ويكون السرى أول الليل وأوسطه وآخره . وقد استعملت العرب سرى فى المعانى تشبيها لها بالأجسام ، مجازا واتساعا . قال الله تعالى . « والليل إذا يسر » . وكأن الشاعر أراد جفز الهمم وشحذ العزائم لاجتلاء صبح الآمال .

وأن راحةَ مصرٍ وصاحبها عهدًا وعقدًا بحقٍ كان مُغتَصبا[1]
قد فتحَ اللهُ أبوابًا لعلَّ لنا وراءها فُسَحُ الآمالِ والرحَبا[2]
لولا يدُ اللهِ لم ندفعْ مناكبَها ولم نعالجْ على مصراعها الأرَبا[3]
لا تَعْدمُ الهِمَّةُ الكبرى جوائزَها سِيَّان من غَلَبَ الأيام أو غُلبا[4]
وكلُّ سعيٍ سيَجزِى اللهُ ساعيهُ هيهاتَ يَذهبُ سعيُ المحسنين هبا[5]
لم يُبرمِ الأمرُ حتى يَستبين لكم أساء عاقبةً أم سرَّ مُنقَلَبا[6]
نِلْتُمْ جليلًا ولا تعطون خَرْدَلةً إلّا الذى دَفَعَ الدستورُ أو جَلبا[7]
مهدتْ عقباتٌ غيرُ هينةٍ تَلْقَى ركابُ السُّرى من مثلها نَصَبا[8]

---

(١) الراحة : بطن الكف ؛ والجمع : راحات وراح . قصد الشاعر فى هذا البيت أن مصر أصبح بين يديها عهد جديد وأن فى يد مليكها عقدا وثيقا ، ومظهر ذلك كله استقلال البلاد الذى أعلنه جلالة الملك بعد أن غدا العادى زمنا طويلا عليه .

(٢) فسح : جمع فسحة ، مثل غرفة وغرف . و لرحب : جمع رحبة ، مثل قصبة وقصب ، الساحة المنبسطة . (٣) يد الله : قدرة الله . والمناكب . جمع منكب ، كمجلس ، وهو مجتمع رأس العضد والكتف . وعالج الأمر ؛ باشره بمشقه . والمصراع من الباب : الشطر . والأرب : الحاجة . ولقد شاء الشاعر أن يصور جهاد الأمة وقد دجا ليل الحوادث واستأسد العادى والأمة تصابره وتدافع الخطوب وتلق عنها نيرها وتريد الإفلات من عنتها إلى حيث أبواب النصر . (٤) ما أحسن أن يودع الشاعر فى ثنايا هذا البيت الأمل الواسع يدركه ذو الهمة الكبيرة ولو بعد حين . (٥) فى هذا البيت شفاء لما يصيب النفوس من ألم الإخفاق وصدمات الأيام ، فلئن أعيا الإنسان شأن تلك الحياة فلن يعدم الخير العميم فى دار النعيم . وبذلك يعد المرء بإحدى الحسنيين ولن يذهب العرف بين الله والناس .

(٦) لقد شاء أن تقيس الأمة أمرها بمقياس صحيح حتى تتجاوز الخطل .

(٧) وفى هذا البيت أراد أن يضع بين يد الأمة كل دقيق وجليل من أمرها حتى تستبين حقيقة أمرها . فقال : إن ما جد ، وإن كان جليلا ، إلا أنه قليل إذا قيس بحقوق الأمة الكاملة . ثم شاء أن يضع على عواتق رجال الأمة الأمور الخطيرة فى حاضرها ومستقبلها فقال : إن الأمر الدستور يدفع ما شاء ويجلب ما نفع . (٨) الركاب (بالكسر) : المطى ، الواحدة : راحلة ، من غير لفظها . والسرى : السير ليلا ، جمع=

وأقبلت عقبــاتٌ لا يُذللها ... في موقفِ الفصلِ إلّا الشّعبُ مُنتخِبا
له غــداً رأيهُ فيهـا وحِكمتهُ ... إذا تمهّلَ فوق الشوكِ أو وثبا [١]
كم صعبَ اليومُ من سهلٍ هممتَ به ... وسهلَ الغدُ في الأشياء ما صعُبا [٢]
ضمّوا الجهودَ وخلّوها مُنكّرةً ... لا تملئوا الشدقَ من تعريفها عجبا
أفي الوغى ورحى الهيجاء دائرةٌ ... تحصون من مات أو تحصونَ ما سُلِبا
خلّوا الأكاليل للتاريخ إنّ له ... يداً تؤلّفهـا دُرّا ومخشلبا [٣]
أمرُ الرجال إليه لا إلى نفـرٍ ... من بينكم سَبَقَ الأنباء والكُتُبا
أملَى عليه الهوى والحقدُ فاندفعت ... يداه ترتجلانِ الماء واللهبا [٤]
إذا رأيت الهوى في أمة حَكَماً ... فاحكمْ هنالك أن العقل قد ذهبا

—— سرية ، مثل مدية ومدى . ونصبا : تعبا . وقد صور شاعرنا فى هذا البيت ما قطعته الأمة من مراحل جهادها فى سبيل حريتها . (١) فى هذين البيتين يبين الشاعر ما للآراء المجتمعة من تصريف الأمور وقيادة الأمم وتهوين الصعاب ، وسبيل ذلك اصطفاء نخبة رجالها إذا جد الجد وحزب الأمر . فإن شاءوا بحكمتهم جاوزوا الصعاب وتخطوا شوك القتاد ، وإن قعدت بهم هممهم وأعوزتهم حكمتهم ذاقوا وأذاقوا الأمة عذاب الهون وقلبوها على جمر الغضا . (٢) قصد الشاعر إلى أن بعيد النظر ، يرى الدهر قلبا ، والأحداث لا تبقى سرمدا ، فلا يؤيسه الخطب الدائم ، ويرجو فى الغد ما أعجزه اليوم .

(٣) يريد الشاعر أن يبين ما يعتور الأمم فى نهوضها ، فيثنيها عن غايتها ، ويعوق وثوبها ثم هو بعد يأمر أمته بأن تحاذر الوقوع فى هذا الشر ، ورأس تلك الآثام الاعتداد بالنفس ، والإعجاب بالعمل ، وانتفاخ الأوداج صلفا وكبرياء . ثم شاء أن يضرب مثلا بالجيش المقاتل ينسى ما هو فيه من جلائل الأخطار ويعمد إلى حطام فإن يحصيه ويجمعه . فلا جرم أن يصيب هذا الجيش الفشل اللازم ، ولقد أدب الله المؤمنين أدبا عاليا حينما خالفوا محمدا صلى الله عليه وسلم ولاح لهم النصر فأخذوا يجمعون الغنائم ، ويحصون الأسلاب ، ففشلوا وندموا . وذلك مفصل فى سورة آل عمران . الأكاليل : جمع إكليل ، شبه عصابة تزين بالجوهر ، ويسمى التاج إكليلا . والمخشلب : الزجاج .

(٤) ترتجلان : تبتدئان من غير تهيئة وقد شاء الشاعر أن ينحى على أولئك الذين يضعون أنفسهم موضع التاريخ فيكيلون الثناء ، ويفحشون فى الألقاب ، ويخلطون بين المتناقضين .

قالوا الحماية زالتْ ، قلت لا عجبٌ ‏ بلْ كان باطلها فيكم هو العجبا
رأسُ الحمايةِ مقطوعٌ فلا عَدِمَتْ ‏ كنانةُ الله حزْمًا يقطعُ الذَنَبا
لو تسألونَ (ألنبي) يوم جندَلها ‏ بأى سيفٍ على يافوخِها ضربا [1]
أبالذى جر يومَ السِلمِ مُتّشحًا ‏ أم بالذى هزَّ يومَ الحربِ مُختضبا
أم بالتكاتُفِ حول الحقِّ فى بلدٍ ‏ مِن أربعينَ ينادِى الويْلَ والحَربا [2]
يا فاتحَ القدسِ خَلِّ السيفَ ناحيةً ‏ ليس الصليبُ حديداً كان بل خشَبا
إذا نظرتَ إلى أين انتهتْ يدُه ‏ وكيف جاوز فى سلطانه القُطُبا
علمتَ أن وراء الضعف مقدرةً ‏ وأن للحقِّ لا للقوةِ الغَلَبا

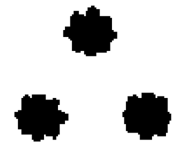
* * *

* يابنَ السَّنَى عالياً ، والعزِّ مُمتنِعاً ‏ والبأسِ مُحتدِمًا ، والعرفِ مُنسكبا [3]
* قياصرِ النيل من أعلاه مُنفجرًا ‏ إلى مَطارِحِه فى المِلح مُنسربا [4]
* والقاهرين على (الرومىّ) ماتركتْ ‏ سفينُهُمْ ثَبَجًا فيه ولا عُبُبا [5]
* قد جلَّلَ التركَ أحياناً لواؤُهمُ ‏ وما تلفَّتَ حتى ظلَّلَ العَرَبا
* إنَّ الجلالةَ فى ناديكَ سائلةٌ ‏ ألم تكنْ لكَ حتى رُمْتَها لَقَبا [6]
* بُردُ الجلالةِ جلَّ الله ناسِجهُ ‏ لبستَه نسبًا فى المهد أو حَسَبا
* مازال قبلكَ إسماعيلُ يَنْشُره ‏ حتى طَوَى فى ثَنَى أذياله الشُهُبا [7]

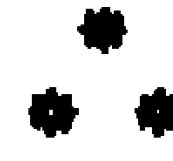
---

(١) جندلها : أرداها . اليافوخ : مقدم الرأس . (٢) حرب ، كفرح : كلب واشتد غضبه ، فهو حرب . (٣) السنى : مقصور ، ضوء البرق ، والسناء ، من الرفعة . ممدود . والعرف : العطاء . (٤) طرح الشىء وبالشىء : رماه ، وبابه قطع . (٥) الرومى : بحر الروم وهو البحر الأبيض المتوسط . وثبج كل شىء : وسطه . وعبب (بضمتين) : المياه المتدفقة . (٦) يشير إلى وقائع إبراهيم وما كان للأسرة المحمدية العلوية من الفتوح فى حصون الأتراك ، وكذا ما كان لهم مع العرب الوهابيين . (٧) الثنى : الأثناء .

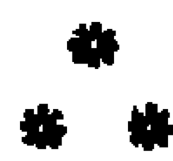
(*) انقصت من الشوقيات ٢١٢ بيت منذ عام ١٩٥٦ ص ٨٢ إلى ص ٨٤ .



* باهِ الملوكَ بهذا التاج إنّ له — فى جوهرِ الشمسِ لا فى الماسِ مُنْتَسَبا
* وتهْ عليهم بعرشٍ غيرِ ذى لِدةٍ — من عهدِ خوفو على الماء استوى عجبا[1]
* لو استطعْنَا لزدنا فيه قائمةً — ولاتخذْنا له أمّ السُّها عتبا[2]



* أتى لكَ المُلكُ منضورَ الزمانِ ترى — على جوانبه آذارَ أو رَجَبا[3]
* فاملأْ بجلبك من صفو لياليَهُ — واجعلْ حواشىَ دنياهُ هى الرّغبا[4]
* واحملْ نوائبَ قومٍ أنت سيدُهمُ — وسيدُ القوم أقضاهُمْ لمَا وَجَبا
* لقد بَدَأْتَ فأتممْ غيرَ مُدّخرٍ — جُهدًا ولا همةً لا تعرفُ التعبا
* هذى الفتوحُ كتابٌ أنتَ حليتُه — جهودُ آلكَ فيه فُصّلَتْ ذَهَبا
* أمنيةٌ دأبتْ مصرٌ لتُدركها — واللهُ والناسُ فى إنصاف من دأبا
* ولم تَر الشعبَ مجموعًا ومفترقًا — إلّا على جانبيها انضمّ وانشعبا
* يا ربَّ من ماتَ فى شَرْخِ الشبابِ بها — ومَنْ قضى دونها جَوْعانَ مُغتربا
* وصابرٍ تَلْهجُ الدنيا بنكبتِه — تخالُه من جميل الصبر ما نُكبا
* وهمةٍ كُتِبَت بالتبرِ من نَشَأٍ — قد وُورِىَ السجنَ أو قد وُورِىَ التُّربا[5]



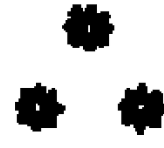
---

(١) اللدة الترب، وهو الذى يولد مع الإنسان : وخوفو : هو صاحب الهرم الأكبر ومؤسس الأسرة الرابعة المصرية . والمراد بالماء هنا : النيل (٢) السها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى، ويضرب به المثل فى تناهى الارتفاع .

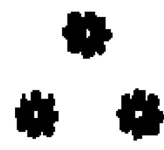
(٣) المنضور : الذى صير ناضرا . وآذار : مبدأ الربيع فى الشهور العبرية .

(٤) الرغب : المرغوب النهج . (٥) النشأ : جمع ناشئ : وهو الذى جاوز حد الصغر . والترب : جمع تربة، وهى المقبرة .

* (فؤادُ) حلّيتَ جيدَ النيل مأثرةً حذوتَ فى صوغِها آباءك النُّجبا
* مازلتَ فى السلمِ تغزو كلَّ مُعضلة بالحِلْم حتى اقتحمت المعقِلَ الأشِبا[1]
* وإن للمجدِ آفاتٍ إذ جُمعتْ وجدتهُنَّ اثنتين : الحقدَ والغَضبا



* إن سَرَّكَ المُلكُ تَبْنيه على أسس فاستنهِض البانِيَيْن : العلمَ والأدبا
* وارفعْ له من حبال الحقِّ قاعدةً ومُدَّ من سبب الشُّورَى له طنبا[2]



* قل للكنانةِ قوم الصدقِ من مَلِكٍ مؤيدٍ بالهُدَى لا ينطق الكذِبا
* دارُ النيابةِ قد صُفّتْ أرائكُها لا تُجْلِسوا فوقها الأحجارَ والخُشُبا
* اليومَ ياقومُ إذ تَبْنون مجلسَكم تَبْنون للعقِبِ الأيامَ والحِقَبا[3]
* فما هو الفردُ إن شِئْتم سَما صعَدًا إلى الثُّرَيّا وإن شِئْتم هَوَى صَببا[4]
* وإن رضيتُمْ عَمرتُمْ ركْنَه ثقةً وإن غَضِبتمْ تَرَكْتم ركنَهُ خَربا
* وإنما هو سلطانٌ يُدان له إذا تكفّل بالأعباء وانْتَدبا
* يقول عنكم ويقضى غيرَ مُتَّهَمٍ العهدُ ماقال والميثاقُ ما كَتَبا

---

(١) المعقل : الحصن . والشجر الأشب : الملتف الذى يصعب اقتحامه .

(٢) الطنب : الوتد ، أو الحبل الذى يشد به سرادق البيت . (٣) العقب : الولد وولد الولد والحقب . جمع حقبة ، وهى مدة من الدهر لاحدّ لها ، وقد تطلق على السنة .

(٤) الصبب نهر أو طريق يكون فى حدور .

الله والعلم(*)

لمنْ ذلك الملكُ الذى عزَّ جانبُهْ ؟ لقد وعظَ الأملاكَ والناسَ صاحبُه (١)
أملكَك يا (إدوردُ) والملك الذى يَغَارُ عليه والذى هو واهبُه (٢)
أراد به أمرًا جلتْ صدورُه فأتبعهُ لُطفًا جلّت عواقبه (٣)
رمى وآستردَ السّهمَ والخلقُ غافلٌ فهل يتقيه خلقُه أو يُراقبه؟ (٤)
أيبطُلُ عيدُ الدهرِ من أجل دُمّلٍ وتَخبُو مجاليه وتُطوَى مواكبه؟ (٥)
ويرجع بالقلب الكسيرِ وُفودُه وفيهم مصابيحُ الورى وكواكبه ؟
وتسمو يدُ الدهرِ آرتجالا بيأسها إلى طُنُبِ الأقواس والنصرُ ضاربُه؟ (٦)
ويستغفرُ الشعبُ الفخورُ لربه ويجمعُ من ذيل المَخيلةِ ساحبُه؟ (٧)

(*) نظمت هذه القصيدة بمناسبة حفلة تتويج الملك إدوارد السابع وتأجيل إقامة الحفلة لإصابة جلالته بدمل وذلك فى سنة ١٩٠٢ .

(١) عز جانبه : قوى . وعظ الأملاك والناس : نصحهم وذكرهم بالعواقب.

(٢) الملك الذى يغار عليه والذى هو واهبه ، هو الله تعالى .

(٣) جلت صدوره : عظمت . وصدور الأمر : جمع صدر . وصدر كل شىء : أوله . وعواقبه : جمع عاقبة ، وهى آخر كل شىء أيضا . وأتبعه لطفا : ألحقه . والمعنى أن الله الذى وهب هذا الملك قضى فيه بأمر عظيم هو موت الملكة فيكتوريا ، ولكنه لطف فى هذا القضاء بتتويج الملك إدوارد ، فكانت عواقب اللطف عظيمة كما كانت أوائل الخطب عظيمة .

(٤) استرد السهم : رده وأرجعه إليه ، والألف والسين زائدتان . والغفلة : غيبة الشىء عن بال الإنسان وعدم تذكره له وقد غفل ، فهو غافل . (٥) يبطل عيد الدهر : يتعطل . تخبو تطفأ . ومجاليه : مواضعه ، من جلا الأمر : وضح وانكشف . والمواكب : جمع موكب ، وهو القوم الراكبون للزينة . (٦) تسمو : تعلو وارتجل الأمر : ابتدأه من غير تهيئة قبل . والبأس : الشدة . والطنب : حبل الخباء .

(٧) المخيلة : الكبر .

وُيحَجبُ ربّ العيد ساعة عيدِه ... وتَنقص من أطرافهن مآربُه ؟ (١)
ألا هكذا الدنيا وذلك ودُّها ... فهلا تأنّى فى الأمانىّ خاطبُه ؟ (٢)
أعدَّ لهـا إدورْدُ أعياد تاجه ... وما فى حساب الله ما هو حاسبه
مشت فى الثرى أنباؤها فتساءلت ... مشارقهُ عن أمرها ومغاربه (٣)
وكاثَرَ فى البر الحصى من يجوبه ... وكاثَرَ مَوجُ البحر فى البحر راكبه (٤)
إلى موكِبٍ لم تُخرج الأرض مثله ... ولن يتهادى فوقها ما يقاربُه (٥)
إذا سار فيه سارت الناس خلفه ... وشـدَّتْ مغاويرَ الملوك ركائبُه (٦)
تُحيط به كالنمل فى البر خيله ... وتملأُ آفاقَ البحار مراكبُه
نظامُ المجالى والمواكب حلّهُ ... زمانٌ وشيك ريبُه ونوائبه (٧)
فبينا سبيلُ القومِ أمنٌ إلى المنى ... إذا هو خوفٌ فى الظنون مذاهبه (٨)

---

(١) يحجب : يمنع عن الناس . المآرب : جمع مأربة ، وهى الحاجة .

(٢) الود ، مفتوح الواو ومضمومها ومكسورها ، هو المودة . تأنى فى الأمر : ترفق وتنظر . والأمانى : جمع أمنية : ما يتمناه المرء . الخاطب : الداعى إلى نفسه ، من قولهم خطب المرأة : دعا أهلها إلى تزويجها منه . والمراد أن من يطلب لنفسه مودة الدنيا ينبغى له أن يترفق فى ذلك فضمير خاطبه ، يرجع إلى « الود » .

(٣) الثرى : التراب . والمراد الأرض . الأنباء : الأخبار ، والضمير للأعياد . مشارقه ومغاربه ، أى مشارق الأرض ومغاربها . وأمرها : أى الأعياد أيضا ، بمعنى أن أنباء تلك الأعياد ذاعت فى أقطار الأرض فتساءلت عنها مشارقها ومغاربها .

(٤) كاثره غالبه بالكثرة والبر : ضد البحر . والحصى : جمع الحصاة وجاب البلاد يجوبها : قطعها . لكثرة المقبلين على تلك الأعياد صار من يجوبون منهم الأرض من الكثرة بحيث يغلبون الحصى إذا كاثروه ، وكذلك راكبو البحر المقبلون عليها يغلبون موجه بالمكاثرة . (٥) يتهادى : يمشى مشيا غير قوى متمايلا . وما يقاربه ، أى ما يدانيه . (٦) شد الشىء : أوثقه ، ومنه شد الرحال . والمغاوير : جمع مغوار ، وهو الكثير الهجوم على العدو لشجاعته . الركائب : جمع ركوبة ، وهى كل ما يركب .

(٧) نظام الشىء : ملاكه وطريقته التى عليها يستقيم ، وهو أيضا الخيط الذى ينظم به اللؤلؤ . والمجالى : جمع مجلى . وشيك : قريب . والريب هنا : ما يكره من الحوادث والنوائب : جمع نائبة ، وهى ما يصيب الإنسان من مكروه . (٨) بينا : كبينما ؛ =

إذا جاءت الأعيادُ فى كل مِسمَع تجوبُ الثرى شرقًا وغربًا جوائبه [1]

رجاءٌ فلم يلبثْ ، فخوفٌ فلم يدُمْ سل الدهرَ أىُّ الحادثَين عجائبه ؟ [2]

فياليت شعرى أين كانتْ جنودُه ؟ وكيف تراختْ فى الفِداء قواضبه ؟ [3]

ورُدّت على أعقابهن سفينُه وما ردَّها فى البحر يومًا محاربه ؟ [4]

وكيف أفاتتْه الحوادث طَلْبةً ؟ وما عوَّدتْه أن تفوتَ رغائبه [5]

لكَ الملكُ يامن خَصَّ بالعز ذاتَه ومَن فوقَ آرابِ الملوكِ مآربه [6]

فلا عرشَ إلا أنت وارث عزه ولا تاجَ إلا أنت بالحق كاسبه [7]

وآمنتُ بالعلم الذى أنت نورُه ومنك أياديه ، ومنك مناقبه [8]

تُؤامنُ من خوفٍ به كلَّ غالبٍ على أمره فى الأرض ، والداء غالبه [9]

سلوا صاحبَ المُلكين هل مَلَكَ القُوَى وأُسْدُ الشَّرى تعنو له وتحاربه [10]

ظرف زمان للمفاجأة . وقيل هاالابتداء . وعلى كل حال تقع بعدها جملة اسمية أو فعلية ، ويحتاجان إلى جواب يتم به المعنى . والسبيل : الطريق . وأمن : مأمونة . والظنون : جمع ظن ، وهو غير اليقين . والمذاهب : الطرق . والمسالك : جمع مذهب .

(١) المسمع : الأذن . وجاب الأرض يجوبها : قطعها ، ومنه الجواب .

(٢) الرجاء : الأمل . ولم يلبث : لم يمكث . (٣) شعرى : علمى ، من شعر بالشىء شعرا ، إذا فطن إليه وعلمه . وياليت شعرى ، أى ليتنى علمت . وتراخت : أبطأت . وقواضبه : سيوفه القواطع . (٤) ردت : أرجعت . وأعقاب : جمع عقب ، وهو مؤخر القدم : يقال : رجع على عقبه : ورجعوا على أعقابهم ، أى على الطريق الذى كانوا يضعون فيه أقدامهم . والسفين : جمع سفينة . (٥) أفاتته طلبته : أذهبتها عنه . والطلبة : الشىء المطلوب . وسكون اللام لضرورة الشعر . والرغائب : جمع رغيبة ، وهى الأمر المرغوب فيه ؛ والعطاء الكثير أيضا . (٦) خصه بالشىء : جعله له دون سواه . والآراب : جمع أرب ، وهو الحاجة . (٧) العرش : سرير الملك . والتاج : أصله للعجم ، يقال : توج ، إذا لبس التاج ، كما تقول العرب : عمم ، إذا لبس العمامة ، ثم استعمل على وجه العموم . وكاسبه : نائله ورابحه . (٨) أياديه : جمع يد ، وهى هنا النعمة . ومناقبه : جمع منقبة ، وهى الفعل الطيب . (٩) تؤامن : أى تعطى الأمان . وكل غالب على أمره ، أى لايعجزه شىء .

(١٠) القوى : جمع قوة ، ضد الضعف . وتعنو : تخضع وتذل .

وهل رفع الداء العضالَ وزيرُه ؟ وهل حجب البابَ الممنَّع حاجبه [١]

وهل قدَّمتْ إلا دُعاء شعوبُه ؟ وساعفَ إلا بالصلاة أقاربه ؟ [٢]

هنالك كان العلم يُبلِي بلاءه وكان سلاح النفس تُغنى تجاربه [٣]

***

كريمُ الظُّبا لا يقرب الشرَّ حدُّه وفى غيره شرُّ الورى ومعاطبه [٤]

إذا مر نحو المرء كان حياتَه كأصبَع عيسى نحو ميتٍ يخاطبه

وأيسرُ من جُرح الصُّدودِ فعالُه . وأسهلُ من سيفِ اللّحاظِ مضاربه [٥]

عجيبٌ يُرَجَّى « مشرطًا » أو يهابُه من الغرب راجيه ، من الشرق هائبه [٦]

فلو تُفتدَى بالبيضِ والسُّمْر فديةٌ لألقتْ قناها فى البلاد كتائبه [٧]

ولو أنّ فوق العلم تاجًا لتوَّجوا طبيبًا له بالأمس كان يصاحبه [٨]

فآمنت بالله الذى عزَّ شأنه وآمنتُ بالعلم الذى عزَّ طالبه [٩]

---

(١) الداء العضال : الشديد الذى يعيى الأطباء والباب الممنع : الذى لا يرام .

(٢) ساعف : ساعد . (٣) يبلى بلاءه : يجتهد اجتهاده والتجارب : جمع تجربة ، من جربت الشيء ، إذا اختبرته مرة بعد أخرى .

(٤) كريم الظبا ، من إضافة الصفة للموصوف ، أى الظبا الكريمة . والظبا : جمع ظبية ، وهى حد السيف أو السنان أو نحو ذلك . والمراد السيوف أو نحوها ليستقيم المعنى فيكون مجازا من إطلاق اسم الجزء على الكل . والمعاطب : المهالك ؛ جمع معطب .

(٥) الصدود : الإعراض . وفعاله : جمع فعل . واللحاظ : جمع لحظ . ومضاربه : جمع مضرب . (٦) عجيب : صفة موصوف مقدر ، أى أمر عجيب . ويرجى : أى يرجو . والمشرط : المبضع الذى يفتح به الطبيب الجراحات . ويهابه : يخافه . و«من» فى «من الغرب راجيه . . . الخ» فاعل «يرجى» . يقول : إنه لأمر عجيب أن هذا الملك الذى يرجوه الغرب ويخافه الشرق يتعلق رجاؤه أو خوفه بمشرط الطبيب الذى يفتح له دمله . (٧) تفتدى : تستنقذ بالفدية والبيض والسمر : السيوف والرماح . والقنا : جمع قناة ؛ وهى الرمح . والكتائب : جمع كتيبة ، وهى الطائفة من الجيش مجتمعة .

(٨) توجوه : ألبسوه التاج . (٩) عز شأنه : قوى . وطالب العلم : محصله .

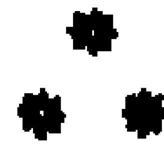
ذكرى كارنارفون

– في الموت ما أعيا وفي أسبابه … كل آمرئٍ رَهنٌ بِطَيِّ كتابِهِ (١)
– أسدٌ لعمرُك ، مَنْ يموتُ بظُفُرِه … عندَ اللقاءِ كمن يموتُ بنابِه (٢)
– إن نامَ عنكَ فكلُّ طبٍّ نافعٌ … أو لم ينمْ ، فالطبُّ من أذنابه
– داءُ النفوسِ وكلُّ داءٍ قبله … هم نسينَ بجيشه بذَهابه (٣)
– النفسُ حَرْبُ الموتِ إلا أنَّها … أتتِ الحياةَ وشُغْلَها من بابه (٤)
– تَسَعُ الحياةَ على طويل بلائها … وتضيقُ عنه على قصيرِ عذابه (٥)
– هو منزلُ الساري وراحةُ رائحٍ … كَثُرَ النهارُ عليه في إتعابِه (٦)
وشفاءُ هذي الروحِ من آلامها … ودواءُ هذا الجسم من أوْصابه (٧)
مَن سرَّه ألَّا يموتَ فبالعلا … خَلَدَ الرجالُ وبالفَعالِ النَّابِهِ (٨)
– ما مات من حازَ الثرى آثارَه … واستولتِ الدنيا على آدابه (٩)

---

(١) ما أعيا : أي ما أتعب وأعجز عن إدراك حقيقته . ورهن بطي كتابه : أي باق في الحياة كبقاء الرهن حتى ينتهي أجله . (٢) لعمرك : يقول النحاة : إنه قسم ، اللام فيه لتوكيد الإبتداء . وهو مبتدأ خبره محذوف ، أي لعمرك قسمي ، أو ما أقسم به .
(٣) الداء : العلة والمرض . ونسين . أي النفوس . (٤) حرب الموت : أي حرب للموت . والمراد أنها تكرهه وتدافعه . أتت : جاءت . والضمير في « شغلها » للحياة والضمير في « بابه » للموت . (٥) بلاء الحياة : ما فيها من ألم وهم . أي إن النفس تسع الحياة وتحتملها مع ما فيها من هموم وآلام لا تنتهي وتضيق عن الموت وتأباه . وهو ليس فيه إلا شيء من الألم قصير . (٦) هو : أي الموت . والساري : الذي يقطع الليل سيرا . الرائح : الذاهب . وإتعاب : مصدر أتعب . (٧) وشفاء هذي الروح ، إلى آخر البيت : متصل بالبيت الذي قبله . والأوصاب : الأوجاع ، جمع وصب .
(٨) العلا ، إما الرفعة والشرف ، وإما جمع عليا : وهي المنزلة الرفيعة . الفعال النابه . الفعل الشريف المذكور . (٩) حاز الشيء : ضمه إليه . والثرى : التراب الندى والآثار : جمع أثر ، وهو ما بقي من الشيء واستولت على آدابه : غلبت عليها وتمكنت منها . والآداب : جمع أدب ، وهو كل ما يتحرج به الإنسان فن مضيلة من الفضائل ،

قل للمُدِلِّ بماله وبجــــاهه   وبما يُجِلّ النـاسُ من أنسابه (١)
هذا الأديمُ يصدّ عن حُضّارهِ   وينامُ ملءَ الجفن عن غُيّابه (٢)
إلا فتى يمشى عليه مجــدِّدًا   ديباجتَيْــــه معمَّـــرًا بخرابه (٣)
صادتْ بقارعةِ الصّعيدِ بعوضةٌ   فى الجوّ صــــائدَ بازِه وعُقابه (٤)
وأصاب خُرطومَ الذبابة صفحةٌ   خُلقتْ لسيفِ الهندِ أو لذُبابه (٥)
طارتْ بخافية القضاء ورَأرأتْ   بكريمتَيْه ولامستْ بلُعابه (٦)
لا تسمعنّ لعُصبةِ الأرواح ما   قالوا بباطلِ علمهمْ وكِذابه (٧)
الرّوحُ للرحمن جلّ جلاله   هى من ضنائنِ علمه وغِيابه (٨)
غُلِبوا على أعصابهم فتوهّموا   أوهامَ مغلوبٍ على أعصـــابه



(١) المدل بماله ... الخ ، الذى يتيه به على أقرانه والجاه : القدر والمنزلة . ويجل : يعظم . (٢) الأديم الجلد المدبوغ ، وقد يطلق على وجه الارض ، وهو المراد هنا . يصد عن حضاره : يعرض عنهم . والحضار : جمع حاضر . وجفن العين : غطاؤها من أعلاها وأسفلها ، والمراد العين نفسها . والغياب : جمع غائب . (٣) الديباجتان : الخدان . أى إلا فتى يمشى على وجه الأرض يجدد خديه . والمراد ما يكون له كالخدين لوجه الإنسان . (٤) القارعة : الشديدة من شدائد الدهر . والصعيد : بلاد مصر العليا . والباز والعقاب ، من جوارح الطير . يقول : إن تلك البعوضة صادت فى الجو من كان يصيد بزاته وعقبانه . (٥) الخرطوم : الانف . والمراد بالذبابة : تلك البعوضة نفسها وصفحة كل شىء : جانبه . وذباب السيف : طرفه الذى يضرب به . (٦) الخافية : واحدة الخوافى ، وهى مادون الريشات العشر من مقدم الجناح . والقضاء هنا : معناه الصنع والتقدير . والمراد به قضاء الله . ويقال : رأرأ بعينيه ، إذا حدد النظر ، أو إذا أدارهما . والكريمتان : العينان . واللعاب : ما يسيل من الفم . والضمير فى « طارت » يرجع إلى الذبابة . (٧) العصبة من الرجال : ما بين العشرة إلى الأربعين . والمراد هنا الجماعة بغير عدد . والكذاب . الكذب . (٨) ضنائن علمه : أى خصائص علمه مما اختص به نفسه فلا يعلم به سواه وغيابه : إما جمع غيب ، وهو ماغاب عنك من الامر ، وإما مصدر غاب يغيب ، وهو كالغيب فى معناه .

ما آبَ جبّارُ القرُونِ وإنما ... يومُ الحسابِ يكونُ يومَ إيابه [١]

فذروه فى بلد العجائب مغمَدًا ... لا تشهَروه كأمس فوق رقابه [٢]

المستبدُّ يُطاقُ فى ناووسه ... لا تحت تاجيه وفوق وِثابه [٣]

والفردُ يُؤمَن شرُّه فى قبره ... كالسيفِ نام الشرُّ خلفَ قِرابه [٤]

هل كان (توتنخ) تقمّصُ رُوحه ... قُمُصَ البعوض ومستخسَ إهابه [٥]

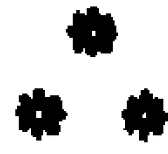
أو كان يَجزيك الردَى عن صُحبةٍ ... وهو القديمُ وفاؤه لصحابه [٦]

تالله لو أهدَى لك الهرمينِ من ... ذهب ، لكان أقلَّ ما تُجزَى به

أنت البشيرُ به ، وقيِّمُ قصره ... ومقدّمُ النبــلاء من حجّابه [٧]

أعلَنتَ أقوامَ الزمانِ مكانَه ... وحشَدتَهم فى ساحِهِ ورحابه [٨]

لولا بَنانُك فى طَلاسِمِ تُربِهِ ... ما زادَ فى شرفٍ على أترابِه [٩]



(١) آب : رجع . جبار القرون : يريد توت عنخ آمون . يوم الحساب : اليوم الآخر . (٢) ذروه : اتركوه . بلد العجائب : الاقصر ، لما فيها من عجائب الآثار . مغمدا : أى باقيا فى قبره كما يبقى السيف فى غمده . لاتشهروه ، من شهر السيف إذا سله ، يعنى لاتخرجوه محمولا على الرقاب كما كان يحمل على الرقاب التى يملكها وهو حى .

(٣) المستبد : من استبد بالشىء إذا انفرد به : يطاق ، من أطاق الشىء ، إذا قدر عليه . والناووس : هو مقبرة النصارى خاصة ، وقد استعمل لمقبرة موتاهم . الوثاب : السرير الذى لايبرح الملك عليه (٤) قراب السيف ، قيل : هو غمده ؛ وقيل : هو وعاء يوضع فيه السيف بغمده ، وقيل غير ذلك . (٥) تقمص روحه قمص البعوض ، أى لبسها . والقمص : جمع قميص . المستخس : الخسيس . الإهاب : الجلد الذى لم يدبغ .

(٦) يجزيك : يقضيه لك ويثيبك عليه . الردى : الهلاك . الوفاء : ضد الغدر . الصحاب : جمع صاحب . (٧) البشير : المبشر بالخير . قيم القصر : سائس أمره . النبلاء : جمع نبيل ، وهو الذكى النجيب . الحجاب : جمع حاجب . (٨) أقوام : جمع قوم . حشدتهم : جمعتهم . الساح : جمع ساحة ، وهى الموضع المتسع أمام الدار ونحوها . الرحاب : جمع رحبة ، وهى الساحة . (٩) البنان : أطراف الأصابع ؛ مفردها : بنانة . الترب : التراب . أترابه : لداته ، جمع ترب ، أوهم من ولدوا معه .

أُخْنَى الحمامُ على ابن هِمةٍ نفسهِ ... في المجد ، والباني على أحسابه[1]

الجائبُ الصخرَ العتيدَ بمحاجرٍ ... دبَّ الزمانُ وشبَّ في أسرابه[2]

لو زايلَ الموتى محاجرَهم به ... وتلفتوا لتحيروا كضبابه[3]

لم يألُه صبرًا ولم يَنِ همةً ... حتى انثنى بكنوزه ورغابه[4]

أفضَى إلى خَتمِ الزمان ففضَّهُ ... وحبا إلى التاريخ في محرابه[5]

وطوَى القرونَ القهقرى حتى أتى ... فرعونَ بين طعامه وشرابه[6]

المندلُ الفيَّاحُ عودُ سريره ... واللؤلؤُ اللمَّاحُ وشْيُ ثيابه[7]

وكأن راحَ القاطفين فرَغْن من ... أثمـاره صبحًا ومن أرطابه[8]

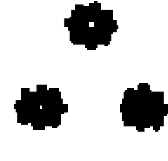
جدث حوى ماضاق(غمدانٌ) به ... من هالة المُلْك الجسيم وغابه[9]

(١) أخنى عليه : أهلكه . والحمام : الموت . الأحساب : جمع حسب ، وهو ماللرجل من مفاخر الآباء . أو هو دين الرجل أو ماله . (٢) العتيد : الحاضر المهيأ . دب ، يقال : دب الصبي إذا مشى . شب : أدرك شبيبته . الأسراب : جمع سرب ، وهو البيت تحت الأرض (٣) زايل : فارق . والموتى : جمع ميت . محاجرهم : النواحي التي اتخذت لهم من الأرض ، أو هي القبور في الأرض المتحجرة الضباب جمع ضب . (٤) لم يأله صبرا ، أي لم يقصر في حمله على الصبر . ولم ين همة أي لم تضعف همته ، من ونى في الأمر ، إذا ضعف عنه . انثنى : رجع . الكنوز : جمع كنز. الرغاب : جمع رغيبة ، وهي هنا الشئ المرغوب فيه ؛ وتكون أيضا بمعنى العطاء الكثير.

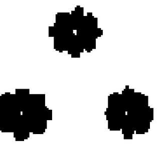
(٥) أفضى إلى ختم الزمان : وصل إليه . فضه : كسره . حبا إلى التاريخ : دنا منه. المحراب : صدر المجلس . وقيل هو أشرف المجالس ، ومنه محراب الصلاة .

(٦) طوى القرون : قطعها . والقرون : جمع قرن ، وهو الجيل من الناس ، مدته ثمانون سنة ، وقيل أكثر ، وقيل أقل. القهقرى: الرجوع أي طوى القرون حتى رجع بها القهقرى . (٧) المندل العود المعروف بطيب رائحته . الفياح : الفياض بنشره وطيبه . اللماح : الشديد اللمعان . وشي الثوب : نقشه وتحسينه . والضمير في «سريره» و «ثيابه» لفرعون (٨) الراح : جمع راحة ، وهي الكف . القاطفين : جمع قاطف ، وهو من يجني الثمر . أثمار : جمع ثمر . أرطاب جمع رطب ، وهو ما نضج من البلح . والمراد بالأثمار والأرطاب : التحف والآثار الغالية التي وجدت في قبر فرعون وهي لم تزل على جدتها كأنها مصنوعة الآن . (٩) الجدث القبر . حوى =

بنيانُ عمرانٍ وصرحِ حَضارةٍ ... في القبر يلتقيان في أطْنابه[1]
فترى الزمانَ هناك قبل مَشيبه ... مثلَ الزمان اليومَ بعد شبابه
وتحسُّ ثَمّ العلمَ عند عُبابه ... تحت الثرى والفنَّ عند عُجابه[2]



ياصاحبَ الأخرى بلغت محلة ... هي من أخي الدنيا مُناخُ رِكابه[3]
نزل أفاقَ بجانبيه من الهوى ... من لا يُفيقُ وجدّ من تَلعابه[4]
نام العدوّ لديه عن أحقاده ... وسلا الصديق به هوى أحبابه[5]
الراحةُ الكُبْرى مِلاكُ أديمه ... والسلوة الطُّولى قِوامُ ترابه[6]



(وادي الملوك) بكت عليكَ عيونُه ... بمرَقْرَقٍ كالمزنِ في تسكابه[7]

= الشيء : أحرزه . غمدان : قصر كان مشهورا ، يرجحون أنه يشرح بن الحارث ابن صيفي بن سبأ جد بلقيس ملكة اليمن ، هو الذي بناه وجعل له أربعة وجوه : أحمر وأبيض وأصفر وأخضر ، وبنى داخله قصرا بسبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعا . وقيل كان ارتفاع السقف مائتي ذراع . الهالة : دارة القمر . الغاب : الرماح ، جمع غابة .

(١) العمران : اسم لما يعمر به المكان وتحسن حاله . الصرح : القصر ، وكل بناء مرتفع . الحضارة : الإقامة في الحضر . الأطناب : جمع طنب ، وهو الحبل الذي يشد به السرادق ، ويستعمل مجازا في الناحية، وهي المرادة هنا. (٢) تحس العلم : تشعر به. ثم: ظرف مكان بمعنى هناك . العباب : ارتفاع السيل وكثرته . العجاب: ما جاوز حد العجب .

(٣) المحلة : المنزل المناخ : مبرك الإبل ، ومحل الإقامة مجازا . الركاب : الإبل . والأخرى : يريد بها الآخرة . والخطاب للورد المرثى . يقول : بلغت منزلا هو نهاية المسير لأهل الدنيا : وهو القبر . (٤) النزل : ما هيئ للضيف أن ينزل عليه . أفاق : صحا واستيقظ . الهوى : إرادة النفس غير المحمودة . التلعاب : اللعب .

(٥) الأحقاد : جمع حقد ، وهو الغضب الثابت . سلا الشيء: نسيه وغفل عن ذكره . الهوى في هذا البيت : العشق . (٦) ملاك الشئ : قوامه . السلوة : السلو . الطولى: مؤنث الأطول : أي العظيمة الطول القوام : ما يقوم به . (٧) دمع مرقرق: أي دائر في حماليق العين . المزن : السحاب الأبيض ، جمع مزنة . التسكاب : الانسكاب .

ألقى بياضَ الغَيم عن أعطافه — حزنا وأقبل في سواد سحابه [1]

يأسَى على حِرْباء شمس نهاره — ونزيل قيعته وجارِ سَرابه [2]

ويوَدّ لو ألبستَ من بَرْدِيِّه — بُردين ثم دُفنت بين شعابه [3]

نوّهتَ في الدنيا به ورفعته — فوق الأديم بطاحِه وهِضابه [4]

أخرجت من قبر كتاب حضارة — الفنّ والإعجازُ من أبوابه [5]

فَصَّلْته فالبرقُ في إيجازه — يبني البريدُ عليه في إطنابه [6]

طَلَعَا على (لوزانَ) والدنيا بها — وعلى (المحيطِ) وماوراء عُبابه [7]

(١) الغيم : السحاب واحدته : غيمة . الأعطاف : جمع عطف، وهو جانب الشئ . وعطف الرجل : جانبه من رأسه إلى وركيه . (٢) الحرباء : اسم للذكر ، والأنثى : حرباءة ، وهي حيوان اسمه أم حبين . يستقبل الشمس ويدور معها كيف دارت ويتلون بحرها ألوانا مختلفة ، ويضرب مثلا في التقلب . القيعة ، قيل : جمع قاع ، وهو أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال ؛ وقيل : هي مفرد في معنى القاع . السراب : ماتراه نصف النهار من شدة الحر كأنه ماء يلصق بالأرض . (٣) البردى : نبات تعمل منه الحصر ، وهو ينبت كثيرا في مناقع الماء . برديه ، مثنى برد : ثوب مخطط . والمراد هنا مطلق ثوب ، الشعاب، جمع شعب : وهو الطريق المنفرج بين جبلين . والضمائر في : « يود » و « برديه » و « شعابه » يرجع إلى وادي الملوك . (٤) نوه به : رفع ذكره وعظمه . الأديم هنا : وجه الأرض . البطاح : جمع أبطح ، وهو مسيل واسع فى دقاق الحصى . الهضاب : جمع هضبة ، وهي الجبل المنبسط على وجه الأرض .

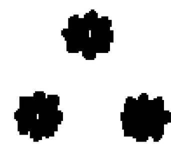
(٥) الفن : في الأصل . النوع من الشئ ، ثم توسعوا فأرادوا به الصناعة والعلم وما إليهما . والإعجاز : مصدر أعجز ، وهو أداء المعنى بطريق لاقدرة لأحد عليها .

(٦) فصلته : بينته . والبرق : وميض السحاب ، واستعمل الآن في نقل الرسالات « بالتلغراف » مجازا لسرعة النقل ، كأنه الوميض . البريد : المسافة التي يقطعها الرسول ، والمراد به الآن نقل الرسالات بواسطة « البوستة » . الإيجاز : اختصار الكلام . والإطناب : إطالته . (٧) طلعا : أي البريد والبرق . لوزان : مدينة في سويسرة كان بها مجلس الدول الذي تم فيه الصلح بين تركية واليونان سنة ١٩٢٢ وإلى هذا المجلس يشير بقوله « والدنيا بها » . المحيط : البحر الذي يحيط باليابسة . وماوراء عبابه : بلاد أمريقة التي يحيط بها المحيطان المتجمدان من الشمال والجنوب ، والمحيطان الأطلسي والهادي من الشرق والغرب . والمعنى أن البرق والبريد طلعا على العالم المتحضر كله بخبر تلك الآثار التي وجدت في القبر .

جئت الشعوبَ المحسنين بشافع   من مثلِ متقَنِ فنهم ولبابه[١]
فرفعتَ رُكناً للقَضيةِ لم يكن   (سحبانُ) يَرفعه بسحر خطابه[٢]

أيهـــا العمال

أيها العمّالُ أفنوا الـ   ـعمرَ كدًّا واكتسابَا
واعمُروا الأرضَ فلولا   سعيُكم أمستْ يَبَابا[٣]
إنّ لى نصحاً إليكم   إنْ أذِنْتُمْ وعتابا
فى زمانٍ غَبِيَ النا   صحُ فيه أو تغابى
أين أنتم من جدودٍ   خَلّدُوا هذا الترابا؟
قلدوه الأثرَ المعـ   ـجز والفنّ العجابا
وكسوه أبدَ الدهـ   ـر من الفخرِ ثيابا
أتقَنوا الصنعة حتى   أخذوا الخُلْد اغتصابا
إنّ للمتقن عندَ الله   والناس ثوابا
أتقِنُوا يُحْبِبْكُمُ الله   ويرفعْكُمْ جنابا
أرضيتمْ أن تُرَى (مصـ   ـر) من الفنّ خرابا؟
بعدَ ما كانتْ سماءً   للصناعاتِ وغابا



(١) الشافع : من يعاونك عند غيرك أو يسعى لك فى مطلبك . المتقن : المحكم . اللباب : المختار ، الخالص من كل شىء . (٢) الركن : الجانب الأقوى من الشىء . سحبان : رجل من وائل كان خطيبا فصيحا ، ويضرب به المثل فى ذلك فيقال : أخطب من سحبان . (٣) الأرض اليباب : الخراب .

أيها الجمع لقد صر ... ت من المجلس قابا[1]
فكُنِ الحرَّ آختياراً ... وكنِ الحرَّ انتخابا
إن للقوم لعيناً ... ليس تألوكَ آرتقابا
فتوقَّعْ أن يقولوا: ... من عن العمالِ نابا؟
ليس بالأمر جديراً ... كلُّ من ألقى خِطابا
أو سخا بالمال أو قد ... م جاها وانتسابا
أو رأى أمِّيَّةً فاخ ... تلبَ الجهل آختلابا
فتخيَّرْ كلَّ من شبَّ ... على الصدقِ وشابا
وآذكرِ الأنصارَ بالأمـ ... ـسِ ولا تنس الصحابا
أيها الغادون كالنحـ ... ـلِ آرتياداً وطِلابا
في بكورِ الطير للرز ... قِ مجيئاً وذهابا
اطلبوا الحقَّ برفقٍ ... وآجعلوا الواجب دابا[2]
وآستقيموا يفتحِ الله ... لكمْ باباً فبابا
اهجروا الخمرَ تُطيعوا الله ... أو تُرضوا الكتابا
إنها رِجسٌ فطوبَى ... لامرئٍ كفَّ وتابا
تُرْعِشُ الأيدي ومن ير ... عشْ من الصنَّاع خابا
إنما العاقلُ من يجـ ... ـعلُ للدهر حسابا
فاذكروا يومَ مشيبٍ ... فيه تبكون الشبابا
إن للسن لهمًّا ... حين تعلو وعذابا
فاجعلوا من مالِكم للشيب ... والضعف نِصابا

---

(١) يريد بالمجلس: دار النيابة.
(٢) أي دأباً، وخففت للضرورة.

وآذكروا فى الصحة الدا ٭ إذا ما السُّقمُ نابا
وآجمعوا المال ليوم فيه تلقون آعتصابا
قد دعاكم ذنبَ الميـ ـتةِ داعٍ فأصابا
هى طاووس وهل أحـ ـسنُه إلا الذنابى ؟

نجاة (*)

هنيئاً أميرَ المؤمنـين فإنما نجاتك للدين الحنيف نجاة (١)
هنيئاً لطٰه والكتاب وأمةٍ بقاؤكَ إبقاءٌ لها وحياة (٢)
أخذت على الأقدار عهداً وموثقا فلستَ الذى تَرْقَى إليه أذاة (٣)
ومن يك فى بُرد النبىّ وثوبه تَجُزْه إلى أعدائه الرَّمَيات (٤)
يكاد يسيرُ البيتُ شكراً لربه إليكَ ويسعى هاتفاً عرفات (٥)
وتستوهبُ الصفحَ المساجدُ خُشَّعا وتبسط راح النوبة الجُمعات (٦)

(*) ألقيت على جلالة الخليفة قذيفة فى سبتمبر سنة ١٩٠٥ ، ثم شاء الله أن يكتب له النجاة من شرها ، فكتب الشاعر يهنئه .

(١) أتاك الشىء هنيئا ، وهو هنىء لك ، أى سائغ ثابت لامشقة فيه . (٢) طه : من أسماء النبى محمد صلى الله عليه وسلم . الكتاب : القرآن الكريم . والأمة : المسلمون جميعا . (٣) الأقدار : جمع قدر ، وهو مايقدره الله من قضائه . ويعرفه بعضهم بأنه تعلق إرادة الله بالأشياء . العهد هنا : الضمان . الموثق : العهد . ترقى إليه : تصعد . الأذاة : المكروه . (٤) البرد : ثوب مخطط . تجزه : تتعداه إلى غيره . الرميات : جمع رمية . (٥) البيت : الكعبة . عرفات : مكان على مقربة من مكة ، الوقوف به ركن من أركان الحج . (٦) تستوهب الصفح : تطلب هبته . والصفح : الإعراض عن الذنب . خشعا : جمع خاشع . الراح : جمع راحة ، وهى الكف .

وتستغفرُ الارضُ الخصيبُ وماجنت ولكن سقاها قاتلون جناة (١)
وتثني من الجرحى عليك جراحُهم وتأتى من القتلى لكَ الدعوات (٢)
ضحكتَ من الأهوال ثم بكيتهم بدمع جرت فى إثره الرحمات (٣)
تثابُ بغاليه وتُجزَى بطهره إلى البعثِ أشلاءٌ لهم ورفات (٤)
وما كنت تُحييهم فكِلهم لربهم فما مات قومٌ فى سبيلك ماتوا (٥)
رمتهم بسهم الغدر عند صلاتهم عصابةُ شر للصلاة عداة (٦)
تبرأ عيسى منهمُ وصحابُه أأتباعُ عيسى ذى الحنان جفاة؟ (٧)
يُعادون دينا لا يُعادون دولةً لقد كذبت دعوَى لهم وشكاة (٨)
ولا خيرَ فى الدنيا ولا فى حقوقها إذا قيل طلّابُ الحقوقِ بغاة (٩)
بأى فؤادٍ تلتقى الهولَ ثابتا وما لقلوب العالمين ثبات؟ (١٠)

---

(١) تستغفر: تطلب المغفرة . الأرض الخصيب: الكثيرة العشب . كناية عن كثرة خيرها . وما ، فى « ما جنت » للنفى . (٢) تثنى عليك: تمدحك . الجرحى: جمع جريح . والجراح: جمع جرح . القتلى: جمع قتيل . (٣) الأهوال: جمع هول ، وهو الخوف من الأمر لايدرى الإنسان مايهجم عليه منه ، بكيتهم: أى الجرحى والقتلى . الرحمات: جمع رحمة . (٤) تثاب: تجازى . بغاليه وطهره ، الضمير فيهما للدمع . البعث هنا: من بعث الموتى . أى لنشرهم يوم القيامة . الرفات: الحطام وكل ما تكسر وبلى . أشلاء الإنسان: أعضاؤه بعد البلى والتفرق . (٥) كلهم لربهم . من وكل إليه الأمر . أى تركه له وفوضه إليه . فى سبيلك: أى من أجلك وبسببك .

(٦) الغدر: الخيانة وعدم الوفاء . العصابة: الجماعة قيل العشرة؛ وقيل: ما بين العشرة والأربعين . العداة: جمع عدو . والمراد نصارى الأرمن الذين دبروا حادث القنبلة . (٧) تبرأ منه: تخلص منه وأنكره . عيسى بن مريم: النبى عليه السلام . الصحاب: جمع صاحب . أتباع: جمع تابع ، والهمزة للاستفهام . الحنان: الرحمة . الجفاة: جمع جاف ، وهو الغليظ الخلق . (٨) الشكاة: الشكوى ، وهى التظلم .

(٩) الطلاب: جمع طالب . البغاة: جمع باغ ، وهو الظالم . (١٠) الفؤاد: القلب . تلتقى الهول: تستقبله . الهول: المخيف المفاجئ . الثبات: الاستقرار . والخطاب لأمير المؤمنين .

إذا زُلزلتْ من حولك الأرضُ رادها ... وقارك حتى تسكنَ الجنبات[١]
وإن خرجت نار فكانت جهنما ... تُغَذَّى بأجسادِ الورَى وتُقَات[٢]
وترتج منها لجـــةٌ ومدينـــة ... وتَصلَى نواحٍ حرّها وجهات[٣]
تمشيتَ في برد الخليـــل لخضتها ... سلاما وبردًا حولك الغمرات[٤]
وسرتَ وملء الأرض حولك أدرع ... ودرعك قلبٌ خاشع وصلاتُ[٥]
ضحوكاً وأصنافُ المنايا عوابسٌ ... وقورًا وأنواعُ الحتوفِ طغاة[٦]
يحوطك إن خان الحماةَ انتباهُهم ... ملائكُ من عنـــد الإلـه حماة[٧]
تشير بوجهٍ أحمـــديٍّ منوّرٍ ... عيونُ البرايا فيـه مُنحسرات[٨]
يُحيِّي الرّعايا والقضاء مُهلّلٌ ... يُحييه والأقدار معتـــذرات[٩]

(١) زلزلت الأرض : أرجفت . راد الأرض : تفقدها ليرى هل تصلح للنزول بها . الوقار : الحلم والرزانة . الجنبات : النواحى ، جمع جنبة . (٢) تغذى ، من غذاه : أطعمه . أجساد : جمع جسد . الورى : الخلق . تقات : من قاته ، أعطاه قوتا ، وهو مايؤكل ليمسك الرمق . (٣) ترتج : اضطرب . لجة الماء : معظمه . تصلى حرها تجده وتحسه . النواحى : جمع ناحية . الجهات : جمع جهة . والمراد : يرتج منها البر والبحر . وتحترق بها جهات الأرض ونواحيها : أى إنها نار عامة عظيمة . (٤) تمشيت : مشيت . البرد : الثوب . الخليل : هو النبى إبراهيم عليه السلام . وقصة خوضه النار التى أوقدها له النمروذ مشهورة . سلاما : أى سلامة . وبردا : أى لا حرا . الغمرات : الشدائد والمكاره . (٥) ملء الشىء : مايملؤه . أدرع : جمع درع ، وهى ثوب ينسج من زرد الحديد ويلبس فى الحرب للوقاية من سلاح العدو . (٦) الضحوك : الكثير الضحك . المنايا : جمع منية ، وهى الموت . عوابس : كوالح الوجوه متجهمات . الوقور : الحليم الرزين . الحتوف : جمع حتف ، وهو الموت أيضا . طغاة : جمع طاغ ، وهو الظالم المسرف فى ظلمه (٧) يحوطك : يحفظك ويتعهدك . الحماة : جمع حام . الانتباه : اليقظة للأمر . الملائك : الملائكة . (٨) وجه أحمدى ، منسوب إلى أحمد ، وهو النبى صلى الله عليه وسلم ، نسبة تشريف وتبعية . منور : مضىء . منحسرات : يريد حسيرات . والعين الحسيرة : الكليلة التى ينقطع بصرها من طول المدى . (٩) يحيى الرعايا : يسلم عليها . ورعايا الملك : القوم الخاضعون له ، جمع رعية . القضاء هنا : تقدير الله . مهلل : من التهليل ، وهو رفع الصوت بلا إله إلا الله . والأقدار : جمع قدر .

نجاتك نعمى للإله سنية | لها فيك شكرٌ واجبٌ وزكاة[١]
فصيِّر أميرَ المؤمنين ثناءها | مآثر تحيي الأرضَ وهي موات[٢]
إذا لم يَفتنا من وجودك فائت | فليس لآمالِ النفوس فوات[٣]
بلَوْناك يقظان الصوارم والقنا | إذا ضَيَّعَ الصِّيدَ الملوكَ سُبات[٤]
سَهرت ولذَّ النومُ وهو مَنيَّة | رَعَايا تولَّاها الهوَى ورُعاةَ[٥]
فلولاك مُلكُ المسلمين مضيَّع | ولولاك شملُ المسلمين شتات[٦]
لقد ذهبت راياتُهم غير راية | لها النصرُ وسم والفتوح شِيات[٧]
تَظلُّ على الأيام غراء حرة | محجّلةٌ في ظلها الغَزَوات[٨]
حنيفيةٌ قد عزّها ، وأعزّها | ثلاثون مَلكا فاتحون غُزَاة[٩]

---

(١) النعمى ، كالنعمة : ما أنعم به عليك . سنية : رفيعة عظيمة . (٢) صير : أي اجعل . مآثر : جمع مأثرة ، وهي المكرمة . أرض موات : لا ينتفع بها .

(٣) فاته الشيء : أعوزه وذهب عنه فلم يدركه . الآمال : جمع أمل ، وهو الرجاء .

(٤) بلوناك : جربناك واختبرناك . اليقظان : المتنبه المستيقظ . الصوارم : جمع صارم ، وهو السيف القاطع . القنا : جمع قناة ، وهي الرمح . الصيد : جمع أصيد ، وهو الملك ، لأنه لا يلتفت من زهوه يمينا ولا شمالا ، والأصل أنه الجمل الذي لا يستطيع الالتفات من داء الصيد . السبات : النوم والراحة . (٥) سهرت : أرقت فلم تنم . لذ النوم ، رعايا ورعاة ، أي صار لذيذا لهم . والرعاة : جمع راع ، وهو الوالي .

(٦) مضيع : مهمل أو مفقود . الشمل : ما اجتمع من الأمر وما تفرق منه ، يقال : جمع الله شملهم ، أي ما تشتت من شملهم ، وفرق الله شملهم ، أي شتت ما اجتمع منه . الشتات : المشتت المتفرق . (٧) الراية : العلم ، جمعها رايات . الوسم : الأثر . والعلامة . الفتوح : جمع فتح ، وهو النصر . الشيات : جمع شية ، وهي العلامة .

(٨) تظل : تبقى ، والمراد : الراية . الغراء : مؤنث الأغر ، وهو الفرس بجبهته بياض قدر الدرهم ، والأبيض من كل شيء . والكريم الفعال الواضحها . ومن المجاز : يوم أغر محجل . ومثله : راية غراء محجلة . المحجلة ، من التحجيل ؛ وهو بياض في قوائم الفرس . والمراد أن بها بياضا كأنه التحجيل . الغزوات ؛ جمع غزوة ، الواحدة من الغزو ؛ وهو السير إلى قتال العدو . (٩) الحنيفية : المائلة إلى الإسلام الثابتة عليه ، وهو وصف الراية أيضا . عزها : قواها . وأعزها : أجلها ملكا ، لغة في ملك . غزاة : جمع غاز .

حماها وأسماها على الدهر منهمُ ... ملوك على أملاكه سروات[١]
عمائمُ فى محلِ السنين هواطلٌ ... مصابيحُ فى ليل الشكوكِ هداة[٢]
تهادت سلامًا فى ذَراك مطيفةً ... لها رغباتُ الخلقِ والرهباتُ[٣]
تموت سباعُ الجوِّ غَرْثَى حِيالها ... وتحيا نفوسُ الخلق والمُهَجات[٤]
سنَنْت اعتدالَ الدهر فى أمر أهله ... فبات رَضيًّا فى ذَراكَ وباتوا[٥]
فأنتَ غمامٌ والزمانُ خميلةٌ ... وأنت سِنان والزمان قَناة[٦]
وأنت مِلاكُ السلم إن مادَ ركنُه ... وأشفقَ قَوام عليه ثقات[٧]
أكان لهذا الأمر غيرك صالحٌ ... وقد هوّنَتْه عندكَ السنوات[٨]

(١) حماها: دافع عنها. أسماها: أعلاها. سروات: سادات ورؤساء. وضمير «حماها» و«أسماها» الراية. (٢) عمائم، أى لهم عمائم. وهى جمع عمامة. ويقال: عمم الرجل، أى سود، كما يقال: توج، لأن العمائم تيجان العرب. المحل: الجدب ويبس الأرض من الكلأ لانقطاع المطر. الهواطل: جمع هاطلة، وهى السحابة التى يتتابع مطرها. وعمائم هواطل، مجاز، كدموع هواطل. مصابيح: جمع مصباح، وهو السراج. هداة: جمع هاد، وهو المرشد الدال على الطريق. (٣) تهادت: من التهادى، وهو أن يمشى الرجل وحده مشيا غير قوى متمايلا. والضمير إلى الراية. الذرا: أعالى الأشياء. واحدتها ذروة. مطيفة: من أطاف بالشئ، ألم به وقاربه أو حام حوله؛ أو أحاط به. الرغبات: جمع رغبة: وهى إرادة الشئ والحرص عليه. الرهبات: جمع رهبة، وهى الخوف. (٤) السباع: جمع سبع، وهو المفترس من الحيوانات مطلقا. والمراد بسباع الجو: سباع الطير. غرثى: جمع غرثان: وهو الجائع. حيالها: أى قبالتها وإزاءها. المهجات: جمع مهجة: وهى الدم: أو هى دم القلب؛ يقال: سالت مهجته؛ والنفس. يقال: بذلت له مهجتى. والخالص من كل شئ. (٥) سننت: أبنت وصورت. والاعتدال: الاستقامة. ورضيا: راضيا. والذرا: الملجأ.

(٦) الغمام: السحاب. والخميلة: الشجر الكثير الملتف حيث كان. وهى أيضا الموضع الكثير الشجر. السنان: نصل الرمح. القناة: الرمح. (٧) ملاك السلم: قوامه الذى يملك به. والسلم: السلام والأمان. وماد: تحرك واضطرب. وقوام: جمع قائم. وثقات: جمع ثقة. يقال: هو ثقة، أى موثوق به. (٨) هونته: سهلته وخففته. والسنوات: جمع سنة.

ومن يَسُس الدنيا ثلاثين حجةً تعُنْــه عليهــا حكمةٌ وأناة[١]
ملكتَ أميرَ المؤمنينَ ابن هانئٍ بفضـل له الألبـاب مُتلكاتُ
ومازلتُ حسّانَ المقام ولم تزل تَليني وتسرى منكَ لى النفحات[٢]
زهدتُ الذى فى راحتيك وشاقنى جوائزُ عنــد الله مبتغياتُ[٣]
ومن كان مثلى أحمد الوقت لم تَجُزْ عليه ولو من مثلك الصدقات[٤]
ولى دُرَرُ الأخلاق فى المدح والهوى وللمُـتنبى درةٌ وحصــاة[٥]
نجت أمة لما نجوتَ ودُورِكت بلادٌ وطالت للسرير حيــاة[٦]
وصين جلالُ الملك وامتدّ عزُّه ودام عليه الحسنُ والحسنات[٧]
وأُمّن فى شرق البلاد وغربها يتــامى على أقواتهم وعفاة[٨]
سلامىَ عن هـذا المقام مقصِّر . عليك ســلام الله والبركات[٩]

---

(١) يسس من ساس الشئ : دبره وقام بأمره . يعنه : يساعده ويظاهره . الحكمة : العدل . والعلم ووضع الأمر فى موضعه ، وصواب الأمر وسداده . والأناة : الرفق ، وهى الحلم أيضا . (٢) مازلت حسان المقام ، أى مازلت قائما منك مقام حسان من النبى عليه الصلاة والسلام . وهو حسان بن ثابت الشاعر والصحابى تلينى : تدنو منى . تسرى : تتسلسل إلى . النفحات : العطايا . (٣) زهدت الشئ : تركته ورغبت عنه . الراحتان : الكفان . شاقنى جوائز : هيجننى . الجوائز : جمع جائزة ، وهى العطية . مبتغيات : مطلوبات . (٤) لم تجز . لم تكن جائزة . الصدقات : جمع صدقة . وهى العطية ؛ يراد بها الثواب . (٥) الدرر : جمع درة : وهى اللؤلؤة العظيمة . المتنبى : أبو الطيب أحمد بن الحسين الشاعر المشهور . الحصاة الحجر الصغير . يريد أن للمتنبى الجيد والردئ من الشعر : أما هو فله الجيد دائما . (٦) نجت : خلصت . ودوركت : فعل المجهول من دركه : إذا لحقه . السرير : سرير الملك . (٧) صين : حفظ الجلال . التناهى فى عظم القدر ورفعة الشأن . والعز . القوة وعدم الذل . والحسن : الجمال . والحسنات : جمع حسنة ، وهى ضد السيئة . (٨) أمن : أعطى الأمان . يتامى : جمع يتيم ، وهو من مات أبوه . أقوات : جمع قوت ، وهو مايقوم به بدن الإنسان من الطعام . العفاة : طلاب المعروف ، جمع عاف . (٩) مقصر : من قصر عن الأمر ، إذا تركه ولم يقدر عليه .

إلى عرفات

إلى عـــرفاتِ اللهِ يابن محمدٍ ... عليكَ سلامُ اللهِ فى عرفاتِ(١)
ويوم تُولِّى وِجهةَ البيتِ ناضرا ... وسيمَ مجالِ البشرِ والقَسَماتِ(٢)
على كل أُفقٍ بالحجاز ملائكٌ ... تَزُفّ تحـــايا اللهِ والبركاتِ(٣)
إذا حُدِيتْ عيسُ الملوكِ فإنهم ... لعيسكَ فى البيداءِ خيرُ حُداةِ(٤)
لدى (الباب) جبريلُ الأمينُ براحه ... رسـائلُ رحمانيّـــةُ النَّفَحاتِ(٥)
وفى الكعبةِ الغرّاء ركنٌ مُرحِّبٌ ... بكعبةِ قُصَّادٍ وركنِ عُفاةِ(٦)
وما سكبَ الميزابُ ماءً وإنما ... أفاض عليك الأجرَ والرحماتِ(٧)
و(زمزمُ) تجرى بين عينيكَ أعينا ... من الكوثرِ المعسولِ مُنفجراتِ(٨)
ويرمون إبليسَ الرجيمَ فيصطلى ... وشانيكَ نيرانا من الجَمَراتِ(٩)

---

(١) عرفات : اسم موضع وقوف الحاج ، على مقربة من مكة وهو اسم واحد فى صورة الجمع . (٢) تولى وجهة البيت : تستقبلها . والوجهة : المكان الذى يستقبله الإنسان . ناضرا : من النضرة ، وهى الحسن . وسيم : جميل . مجال البشر ، المراد الوجه . والبشر : طلاقة الوجه ، القسمات : جمع قسمة ، وهى الوجه ، وقيل ما بين الوجنتين والأنف . (٣) الأفق : الناحية . ملائك : جمع ملك . التحايا : جمع تحية .

(٤) حديث ، من الحداء : وهو سوق الإبل والغناء لها . والعيس : الإبل البيض التى يخالط بياضها شىء من الشقرة . والبيداء : المفازة . الحداة : جمع حاد . (٥) جبريل : هو أمين الوحى . والراح : جمع راحة ، وهى الكف . (٦) ومرحب : من رحب به ، قال له مرحبا . وقصاد : جمع قاصد . وعفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف .

(٧) سكب الماء : صبه . الميزاب ، ويقال له : مئزاب ومرزاب ومزراب . ما يسيل منه الماء من مكان عال . قالوا : ومنه ميزاب الكعبة ، أى مصب ماء المطر من فوقها ، وهو المراد هنا . أفاض : أفرغ . (٨) زمزم : بئر عند الكعبة . والكوثر : نهر فى الجنة ، والكثير من الماء . والمعسول : الحلو . (٩) إبليس : علم جنس للشيطان . والرجيم : المرجوم ، وهو المطرود والملعون والمرجوم بالحجارة . ويصطلى نيرانا : يحترق بها . والشانئ : المبغض . والجمرات : الحصيات ، واحدتها جمرة .

يحيّيك (طه) فى مضاجع طُهره ... ويعلم ما عالجت من عقبات[١]

ويُثنى عليكَ (الراشدون) بصالح ... ورُبَّ ثناء من لسان رُفات[٢]

لك الدينُ يارب الحجيج جمعتهم ... لبيت طهور الساح والعرصات[٣]

أرى الناسَ أصنافا ومن كل بقعةٍ ... إليك انتهوْا من غُرْبةٍ وشتات[٤]

تساووْا فلا الأنسابُ فيها تفاوتٌ ... لديك ولا الأقدارُ مختلفات

عنَت لكَ فى التُّرب المقدسِ جبهةٌ ... يَدينُ لها العاتى من الجبهات[٥]

منوّرةٌ كالبدر شمّاء كالسها ... وتُخفض فى حق وعند صلاة[٦]

دعانى إليك الصالحُ (ابنُ محمد) ... فكان جوابى صالحَ الدعوات[٧]

وخيّرنى فى سابحٍ أو نجيبةٍ ... إليكَ فلم أخترْ سوى العبَرات[٨]

وقدمتُ أعذارى وذُلى وخَشيتى ... وجئت بضعفى شَافعًا وشكاتى[٩]

---

(١) يحييك ، من حياه ، إذا قال له : حياك الله ، أى أطال عمرك . وطه : اسم النبى عليه الصلاة والسلام . ومضاجع : جمع مضجع ، وهو مكان الاضطجاع . العقبات : واحدتها عقبة ، وهى الطريق الصعب فى أعلى الجبل ، والمراد هنا صعاب الأمور .

(٢) يثنى عليك الراشدون : يذكرونك بخير . والراشدون : الخلفاء الأربعة بعد النبي ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى . والرفات : ما بلى من جسم الإنسان بعد موته .

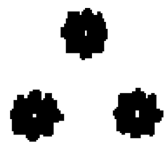
(٣) الحجيج : جمع حاج ، وهم الحجاج . والساح : جمع ساحة ؛ وهى باحة الدار . والعرصات : جمع عرصة ، وهى البقعة بين الدور ليس فيها بناء . (٤) الأصناف : الأنواع . والغربة : الاغتراب . والشتات : المتفرق . (٥) عنت لك : خضعت وذلت . والترب : التراب . ويدين لها : يطيعها . والعاتى من الجبهات ، أى الجبهة العاتية التى تجاوزت الحد فى الاستكبار والجبروت ، والخطاب لله تعالى . يريد أن جبهة الممدوح عنت لله ، وهى التى أضاعها العتاة المتكبرون . (٦) منورة : صفة للجبهة فى البيت السابق . وشماء : مرتفعة ، صفة للجبهة أيضا . والسها : كوكب من بنات نعش الصغرى . وتخفض ؛ من الخفض : ضد الرفع . (٧) الصالح بن محمد ، يريد الخديو عباس حلمى . والصالح : صفة من الصلاح . وصالح الدعوات ؛ أى الدعوات الصالحة . (٨) خيرنى : جعل لى الخيار . والسابح هنا : سفينة البحر والنجيبة : مؤنث النجيب ؛ وهو الكريم من الإنسان والحيوان . والمراد : مطية نجيبة . والعبرات : الدموع . (٩) الأعذار : جمع عذر . والذل : ضد العز . والخشية : الخوف . والضعف : ضد القوة . والشافع :

ركائبُ (عباس) العُلا كِسرَوِيةٌ ولكن لذى سيفٍ وربِ قناةِ(١)
وفى رَاحتى ماضٍ إذا ماهَزَزْته تركتُ عدُوَ الله فى السَّكَرات(٢)
أتيتَ به يارب نورًا وحكمة ونزهتَه عن ريبةٍ وأذَاة(٣)
ويارب لو سَخرت ناقةَ (صالح) لعبدك ماكانت من السَّلسَات(٤)
ويارب هل سيارةٌ أو مَطارةٌ فيدنو بعيدُ البيدِ والفلَوات(٥)
ويارب هل تُغنى عن العبد حَجّةٌ وفى العمر ما فيه من الهفوات(٦)
وتشهدُ ماآذيتُ نفسًا ولم أضر ولم أبغِ فى جَهرى ولَا خطراتى(٧)
ولا غلبتنى شِقْوةٌ أو سعادةٌ على حكمةٍ آتيتَنى وأناة(٨)

الشفيع . والشكاة : الشكوى . يقول فى هذه الأبيات الثلاثة : إن الخديو دعاه إلى الحج معه وخيره فى أن يركب سفينة البحر أو مطية البر ، فأجابه بأن دعا له دعاء صالحا ، واختار التخلف مع البكاء وقدم أعذاراً مقبولة وبسط ذله لله وخشيته منه واستشفع عنده تعالى بما به من ضعف وماله من شكوى . (١) ركائب : جمع ركوبة ، وهو الدابة المعينة للركوب . وعباس: اسم الخديو والعلا : الرفعة والشرف وكسروية : منسوبة إلى كسرى ، وهو اسم لكل ملك من الفرس . والمعنى أنها ركائب ملك . رب قناة :صاحب رمح . (٢) الراحة : الكف : والماضى : السيف . وهزته : حركته . والسكرات : جمع سكرة ، وهى غشية الموت واختلاط العقل لشدته . والمراد بهذا الماضى الذى فى راحته : القلم . (٣) أتيت به ، الضمير « للماضى » فى البيت المتقدم . والمعنى أعطيتنيه ونزهته : نحيته وباعدته . والأذاة : المكروه (٤) سخرت ، من التسخير : وهو تذليل الدابة وركوبها بغير أجرة . والسلسات : جمع سلسة ، وهى المنقادة (٥) السيارة : صيغة مبالغة من السير ، جعله المتأدبون اسما (للأوتوموبيل) . المطارة : سمى بها المركبة التى تطير فى الجو بالوسائل الصناعية . يدنو : يقرب . والبيد والفلوات : جمع بيداء وفلاة . (٦) هل تغنى عن العبد حجة : ألا هل تنفعه حجة فى مهم أمره عند الله . والهفوات : الزلات .

(٧) وتشهد أنت يارب ما آذيت نفسا : أى لم أصل إليها بأذى . ولم أضر : لم أفعل ما يضر . ولم أبغ : لم أرتكب البغى . والجهر : العلانية والخطرات . واحدها خطرة وهى ما يلوح للإنسان فى فكره . (٨) الشقوة :ضد السعادة . والحكمة : العدل والحلم وقيل ما يمنع الجهل ، وقيل هى كل كلام وافق الحق ، وقيل هى وضع الشىء فى موضعه وصواب الأمر وسداده . والأناة : الحلم .

ولا جالَ إلا الخيرُ بين سرائرى لدى سُدّة خيريّةِ الرغباتِ (١)
ولا بتّ إلا كابن مريمَ مُشفقًا على حُسّدى مستغفرًا لعداتى (٢)
ولا حُمّلتْ نفسٌ هوًى لبلادها كنفسىَ فى فِعلى وفى نَفَثاتى (٣)
وإنى ولا مَنٌّ عليك بطاعة أجلُّ وأُغلى فى الفُروضِ زَكاتى (٤)
أبالغُ فيها وهى عدلٌ ورحمة ويتركُها النسّاكُ فى الخلوَاتِ (٥)
وأنت ولىُّ العفوِ فامحُ بناصع من الصفح ماسوّدتُ من صفحاتى (٦)
ومن تضحكِ الدنيا إليه فيغترِرْ يمتْ كقتيل الغيد بالبسَماتِ (٧)



وركبٍ كإقبالِ الزمانِ محجّلٍ كريم الحواشى كابرِ الخطَواتِ (٨)
يسيرُ بأرضٍ أخرجت خيرَ أمةٍ وتحت سماءِ الوحيِ والسُّوراتِ (٩)

(١) جال: طاف غير مستقر. والسرائر: جمع سريرة وهى ما أسره الإنسان من أمره والسدة: الباب. (٢) ابن مريم: عيسى عليه السلام. ومشفقا على حسدى: حريصا على صلاحهم. والحسد: جمع حاسد. مستغفرا لعداتى: طالبا لهم المغفرة، والعداة جمع عدو (٣) الهوى: الحب. والنفثات: جمع نفثة. تطلق على الشعر مجازا، فيقال: ما أحسن نفثات فلان، أى ما أحسن شعره. (٤) المن: الامتنان بتعداد الصنائع. وأجل زكاتى أعظمها. وأغليها: أجعلها غالية. والفروض ما فرضه الله من العبادات الخمس. والزكاة: أحد هذه الفروض. (٥) أبالغ فيها: من بالغ فى الأمر. اجتهد فيه ولم يقصر. والنساك: جمع ناسك، وهو العابد المتزهد فى الخلوات، متعلق بالنساك. (٦) ولى العفو أى متوليه وصاحبه والعفو: ترك العقوبة والإعراض عن المؤاخذة امح: أزل. والناصع: الخالص الصافى. والصفح: ترك الشىء والإعراض عنه (٧) يغتر: يخدع بالشىء ويظن به الأمن فلا يتحفظ. والغيد: جمع غيداء، هى المرأة الطويلة العنق، والى تتثنى لينا، والتى لطفت بشرتها وكل حسنها. والبسمات: واحدتها بسمة؛ وهى الضحكة من غير صوت

(٨) المحجل من الخيل. ما فى قوائمه بياض، والمعنى: ركب مطاياه محجلة أو هو محجل. ويكون المراد. مشرق مضىء على سبيل المجاز، كقولهم: يوم أغر محجل. والحواشى: الجوانب والنواحى والكابر: الرفيع الشأن (٩) يسير بأرض: يريد أرض الحجاز ويريد بخير أمة العرب خاصة والمسلمين عامة. والوحى: =

يُفيضُ عليها اليمنَ أفى غَدواته ويُضفِى عليها الأمن فى الرّوحات[١]
* مشى الأروعُ (العباس) فيه يحفُّه خميسان من جُند ومن سَرَوات[٢]
* تكادُ تضىء الأرضُ تحت ظلاله وتُخرِج عِقيانا مكانَ نبات[٣]
* ومن يمشِ فى أرض الإمام (محمدٍ) يسر بين أقيالٍ وبينَ ولاة[٤]
* وأمُّ أمير النيل فى الركبِ هالةٌ من العز فى أترابها الخفِرَات[٥]
* أقلّت عُلاها فى خِباء من القنا هوادجُ كالإيوانِ ذى الشرُفات[٦]
* تُجلُّ نساء المؤمنين ثناءها ويبسُطن راحَ الحمدِ مبتهِلات[٧]

= أصله كل ما ألقيته إلى غيرك ، ثم غلب على ما يلقى للأنبياء من عند الله . والسورات : هى سورات القرآن : جمع سورة . (١) يفيض : يسيل . واليمن : الخير والبركة . والغدوات : جمع غدوة ، وهى المرة من الغدو . ويضفى عليها الأمن : يسبغه عليها . والروحات : جمع روحة ، وهى المرة من الرواح . الغدو والرواح على إطلاقهما : الذهاب والمجىء . فى أى وقت . وضمير «عليها» للأرض فى البيت السابق . (٢) الأروع من الرجال : من يعجبك بشجاعته أو بحسنه وجهارة منظره . والعباس : اسم الخديو الأخير. ويحفه : يحدق به : والخميسان : تثنية خميس ، وهو الجيش . والسروات : جمع سرى ، وهو سيد القوم ورئيسهم . وضمير « مشى الأروع العباس فيه » يرجع إلى الركب . (٣) الظلال : جمع ظل . والعقيان : الذهب الخالص . (٤) الإمام محمد ، يريد محمد رشاد أو محمدا الخامس ، وهو الخليفة يومئذ . والأقيال : جمع قيل ، وهو الملك مطلقا ؛ وقيل : من ملوك اليمن ؛ وقيل : هو الرئيس دون الملك . والولاة : جمع وال ، وهو حاكم البلد المتسلط عليه . (٥) أم أمير النيل ، والدة الممدوح وقد كانت معه فى الحج . والهالة : دارة القمر . والأتراب : جمع ترب ، وهو من ولد مع الإنسان فى زمن واحد . يقال : فلانة ترب فلانة . والخفرات : جمع خفرة ، وهى الشديدة الحياء . (٦) أقلت : حملت . والعلا : الرفعة والشرف . والخباء فى أصله : بيت من الوبر أو الصوف . القنا : الرماح . والهوادج : جمع هودج ، وهو محمل تركب فيه النساء له قبة ويستر بالثياب . والإيوان : بيت عظيم يبنى طولا . والشرفات، بفتح الراء : مثلثات متقاربة تبنى فى القصر ، واحدتها : شرفة ؛ وبضمها جمع شرفة ، وهى ما أشرف من بناء القصر . (٧) تجل ، من الإجلال ، وهو الإعظام . وثناءها : أى الثناء عليها . والراح : جمع راحة ، وهى الكف . ومبتهلات : داعيات بإخلاص ، من الابتهال : وهو أن يدعو الله بتضرع وإخلاص واجتهاد .

*) انقصت من الشوقيات ١٦ بيت منذ عام ١٩٥٦ من ص ١٠٧ إلى ص ١٠٩ .

* أخذن بتقواها وسرن بهَدْيِها ومنها علمنَ البرَّ والصـــدقات[١]
* مواكبُ لم تَعهد لغير (زُبيْدةٍ) ببغدادَ فى الأعيـادِ والجُمُعات[٢]
* أعادت حديثَ (الخيزُران) وعزّها وما أغدقتْ من أنعُم وهِباتِ[٣]

***

* تريكَ القرى آثار جدّيْك عندها وما أسلفَا من حَجةٍ وغَزاة[٤]
* هما أمّنا البيتَ الحرامَ وأنقذا ربوعَ الهدى من مُفسدِين عُصاة[٥]
* تدولُ أحاديثُ الرجالِ وتنقضِى ويبقى حديثُ الفضل والحسنات[٦]

---

(١) أخذن بتقواها : أى عملن مثلها أعمال التقوى والصلاح . والهدى : الطريقة والسيرة . (٢) مواكب : جمع موكب ، وهو الجماعة ركبانا ومشاة ؛ وقيل : ركاب الإبل للزينة . وزبيدة : امرأة هارون الرشيد الخليفة العباسى ، وأم ابنه الأمين الذى استخلف بعده ، وبنت جعفر ابن الخليفة المنصور العباسى . فهى أم ملك وزوجة ملك وحفيدة ملك وفى هذه الصفات تشاركها والدة الخديو عباس . وقد كانت زبيدة ذات خير وفضل ولها فى هذا الباب حديث طويل . وبغداد : حاضرة العراق وكانت مقر ملك العباسيين . والأعياد : جمع عيد . والجمعات : صلوات الجمعة . (٣) حديث الخيزران : خبرها ، أى سارت بسيرتها فأعادت بذلك حديث الناس فيها . والخيزران ، ابنة عطاء ، هى زوجة المهدى الخليفة العباسى ، وأم الهادى ، وكان خليفة ، وهارون الرشيد ، وكان خليفة أيضا . وكانت المواكب لا تنصرف عن بابها لكثرة ما تقضيه من حاجات الناس . وأغدقت : أكثرت . والأنعم قيل جمع نعمة ، وقيل : جمع نعما ، ومعناهما واحد ، وهو الصنيعة واليد الصالحة أو ما ينعم به على المرء . والهبات : جمع هبة ، وهى العطية .
(٤) القرى جمع قرية . والآثار : جمع أثر ، وهو ما بقى من رسم الشئ . وجديك : الخطاب للخديو . والمراد بجديه : جده محمد على الكبير وجده إبراهيم بن محمد على ، فإن الأول أرسل الثانى على رأس جيش إلى الحجاز لقتال الوهابيين فكان له النصر عليهم فى مواقع يطلب خبرها فى مواطنه . ما أسلفا : أى ما قدما . والحجة : المرة من الحج . والغزاة : اسم من الغزو ، وهو السير إلى قتال الأعداء فى ديارهم . (٥) أمنا البيت الحرام ، أى جعلاه آمنا . والبيت الحرام : الكعبة . وربوع : جمع ربع ، وهو الدار . ومفسدين : جمع مفسد . وعصاة : جمع عاص . (٦) تدول : تنقلب من حال إلى حال . وأحاديث الرجال : أخبارهم .

* وجادا (لطه) بالأساطيل دمّرت وما تجلا بالجيش ذى الهبوات (١)
* ومن عجب التاريخ ترقى إليهما أقاويلُ قومٍ بالنميم مُشاة (٢)
* وسيانِ عندى من أحبّ ومن قلى إذا أخذَ الأحبابُ بالشُبهات (٣)

*
* *

* إذا زرتَ يامولاىَ قبرَ محمدٍ وقبّلتَ مثوَى الأعظُمِ العطرات (٤)
وفاضت من الدمع العيون مهابةً لأحمدَ بين الستر والحُجرات (٥)
وأشرق نورٌ تحت كل ثنيّةٍ وضاعَ أريجٌ تحت كلّ حَصاة (٦)
لمُظهِر دين الله فوق تنوفةٍ وبانى صروحَ المجدِ فوق فلاة (٧)
فقل لرسول الله : ياخيرَ مرسَلٍ أبثّكَ ماتدرى من الحسرات (٨)
شعُوبُك فى شرقِ البلادِ وغربِها كأصحابِ كهفٍ فى عميق سُبات (٩)

---

(١) جادا تكرما . وطه : اسم النبى صلى الله عليه وسلم : وأساطيل : جمع أسطول ، وهو الطائفة من السفن . والهبوات : جمع هبوة . وهى الغبرة . (٢) ترقى : ترتفع . والمراد تقال فيهما . والأقاويل : جمع أقوال ، فهى جمع الجمع . والنميم : اسم من النم . وهو السعى بالحديث لإيقاع فتنة ووحشة . (٣) سيان : مثلان ، واحدهما سى ، وهو المثل . وقلى : أبغض . والشبهات : جمع شبهة ، وهى مايكون ظاهرا فى الرجل من مأخذ فى حاله والتباس فى أمره . (٤) إذا زرت يامولاى ، الخطاب للخديو . والمثوى : المقام . والأعظم : جمع عظم . والعطرات المتطيبات بالعطر (٥) فاضت : سال ماؤها . والمهابة : الخوف والتوقير . وأحمد : اسم النبى أيضا . والستر : مايستر به . والحجرات : جمع حجرة ، وهى البيت الصغير فى الدار . (٦) الثنية : طريق العقبة . وضاع : فاح . والأريج : الرائحة الطيبة (٧) مظهر دين الله : معلنه والجاهر به . والتنوفة : المفازة وهى الأرض الواسعة البعيدة الأطراف . والصروح : جمع صرح ، وهو القصر ، وكل بناء عال . والفلاة : القفر أو الصحراء الواسعة . (٨) أبثك : أطلعك . وما تدرى : ماتعلم . والحسرات : جمع حسرة ، وهى أشد التلهف على الفائت .

(٩) شعوبك : جمع شعب ، وهو القبيلة العظيمة من الناس . والكهف : البيت الواسع المنقور فى الجبل . والعميق : البعيد الغور . والسبات : النوم .

بأيمانهم نُورَانِ : ذكرٌ وسنة ... فما بالهم فى حالكِ الظلُمات؟ (١)
وذلك ماضى مجدِهم وفخارهم ... فما ضرَّهم لو يعملون لِآتى؟ (٢)
وهــذا زمان أرضُه وسماؤه ... مجالٌ لمقدَام كبيرِ حياة (٣)
مشى فيه قوم فى السماء وأنشئُوا ... بوارجَ فى الأبراجِ ممتنِعات (٤)
فقــل ربّ وفّقْ للعظائم أمتى ... وزيِّنْ لها الأفعالَ والعزَمات (٥)

مصر تجدد مجدها بنسائها المتجدّدات (٥)

قم حىِّ هذى النيراتِ ... حىِّ الحسَانَ الخيِّراتِ
واخفِضْ جبينَك هَيبةً ... للخُــرَّد المتخفِّرات (٦)

---

(١) أيمانهم : جمع يمين ، وهى الجهة المضادة لليسار ، والجارحة أيضا ، وهى المرادة هنا ؛ والمعنى معهم نوران ... الخ . والذكر : القرآن . والسنة : الشريعة ، وقد تطلق عند الفقهاء على جملة أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم والبال : الحال والشأن ، أى ماذا غير حالهم حتى صاروا فى الظلمات الحالكة ؟ والحالك : الشديد السواد . والظلمات : جمع ظلمة ، وهى ذهاب النور . (٢) المجد : العز والرفعة . والفخار : المباهات بالمناقب والمكارم . (٣) المجال : مكان الجولان ، وهو الطواف فى غير استقرار . والمقدام أصله الكثير الإقدام على العدو والمراد هنا : الكثير الإقدام على عظائم الأمور .

(٤) مشى فيه ، أى فى هذا الزمان . وأنشئوا : أحدثوا . وبوارج : جمع بارجة ، وهى سفينة كبيرة للقتال . والأبراج : جمع برج ، وهو فى السماء بابها ، وقيل : منزلة القمر ؛ وقيل : الكوكب العظيم . وممتنعات : محتميات . والمعنى : أن قوما بلغوا من العزة فى هذا الزمان أن مشوا فى جو السماء ، يريد طاروا فيه وأنشئوا طيارات ترتفع حتى تكاد تصل إلى السماء . (٥) وفق للعظائم أمتى : ألهمها إياها . والعظائم جمع عظيمة ، وهى ماعظم من الأمور . وزين لها الأفعال : اجعلها زينة عندها ، أى غير شينة والعزمات : جمع عزمة ، وهى الثبات والصبر فيما يعزم عليه .

(٥) ألقيت هذه القصيدة فى جمع حافل من السيدات المصريات بمسرح حديقة الأزبكية . (٦) الخرد : العذارى والمتخفرات : المستحييات .

زَيْن المقاصِرِ والحجا ـلِ وزَيْن محرابِ الصلاة [(١)]
هذا مَقَامُ الأمّهات ، فهل قدرت الأمهات ؟
لا تلغ فيه ولا تَقُلْ غير الفَواصِلِ محكَمات [(٢)]
وإذا خطبتَ فلا تكن خطبًا على مصرَ الفتاة
اذكرْ لها اليابانَ لا أمَمَ الهوى المتهتّكات
ماذا لقيت من الحضا رة يا أخيَّ الترّهات [(٣)]
لم تَلق غيرَ الرق من عُسرٍ على الشرقى عات
خُذْ بالكتاب وبالحديـ ـثِ وسيرةِ السَّلَف الثِّقَات [(٤)]
وارجع إلى سُنَن الخليـ ـقةِ واتّبِعْ نظُمَ الحياة
هذا رسولُ الله لم ينقصْ حُقوقَ المؤمنات
العلمُ كان شريعةً لنسائه المُتَفقّهات [(٥)]
رضْن التجارة والسيا سةَ والشؤونَ الأخريات [(٦)]
ولقد علت بناته لُجَجَ العلوم الزاخرات
كانت سكينةُ تملأ الدنيا وتهزأ بالرواة [(٧)]
روت الحديثَ وفسرتْ آيَ الكتاب البينات

---

(١) الزين : ضد الشين . والمقاصر : جمع مقصورة ، وهى إما الدار الواسعة المحصنة ، أو الحجرة من حجر الدار . والحجال : جمع حجل ، وهو الخلخال .

(٢) لا تلغ : لا تقل باطلا عن غير روية وفكر . والفواصل : جمع فاصلة ، وهى من السجع بمنزلة القافية من الشعر (٣) الترهات : الطرق الصغار تتشعب عن الجادة ؛ واحدتها : ترهة ، ثم استعيرت للباطل (٤) الثقاة : جمع ثقة . وثقة : الموثوق به ويوصف به المفرد وغير المفرد والمذكر والمؤنث (٥) المتفقهات ، من تفقه ؛ أى تعلم الفقه وتعاطاه . والفقه : هو علم الدين ، أو من تفقه فى العلم ، إذا تعلمه .

(٦) رضن ، من راض الشيء : ذلله وجعله مطيعا (٧) سكينة ، هى بنت الحسين بن الإمام على وحفيدة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وحضارةُ الإسلام تنـ ـطِقُ عن مكان المسلمات
بغدادُ دار العـلما ت ومنزلُ المتأدبات (١)
ودِمشقُ تحت أميةٍ أمّ الجواري النابغات (٢)
ورياضُ أندلسٍ نَمَيـ ـنَ الهاتفاتِ الشاعرات (٣)

* * *

ادعُ الرجالَ لينظروا كيف اتحادُ الغانيات
والنفع كيف أخذْنَ في أسبابه متعاونات
لما رأينَ نَدَى الرِّجا لِ تفاخُرًا أو حُبَّ ذات (٤)
ورأينَ عِندهمُ الصنا ئعَ والفُنُونَ مُضيَّعات
والبر عند الأغنيا ء من الشؤونِ المُهْمَلات
أقبلن يَبْنِينَ المنا رَ للنجاح مُوَفَّقات

* * *

للصالحات عقائلِ الـ ـوَادي هوًى في الصالحات (٥)
الله أنبتهنَّ في طاعاته خيرَ النبات
فأتينَ أطيبَ ما أتى زَهَرُ المناقِبِ والصفَات (٦)

---

(١) بغداد : مقر ملك العباسيين بالعراق . والمتأدبات : المتعلمات الأدب

(٢) دمشق ملك الأمويين في الشام . والجواري : جمع جارية وهي الفتاة

(٣) أندلس : بلاد في غرب أوربا ، هي الآن مملكة اسبانيا أو بعضها ، وكانت قديما مقر ملك إسلامي عظيم . وأول من دخلها ونقل إليها حضارة الإسلام ، وأنشأ بها ذلك الملك هو عبد الرحمن الظافر الأموي المسمى صقر قريش : ونمين الهاتفات ، من قولهم . نمته عشيرته ، أي رفعته بالانتساب إليها (٤) الندى : الجود

(٥) الصالحات : ذوات الصلاح من النساء . والعقائل : جمع عقيلة ، وهي الكريمة المخدرة . والصالحات — في آخر البيت — صفة المحذوف ، أي والأفعال الصالحات

(٦) المناقب : المفاخر .

لم يكفِ أنْ أحسَنَّ حـ ـتى زِدْنَ حضَّ المحسنات (١)
يمشينَ في سُوقِ الثوا بِ مُسَاوِمَاتٍ رابحات
يَلْبَسْنَ ذُلَّ السائلا تِ وما ذكَرْنَ البائسات (٢)
فوجُوهُهُن وماؤها سِتْرٌ على المُتَجَمِّلَات (٣)
مصرٌ تُجدِّد مجدَهَا بنسائِها المُتَجَدِّدَات
النافراتِ مِنَ الجُمو د كأنه شَبَحُ المَمَات (٤)
هل بينَهُنَّ جَوامداً فَرْقٌ وبينَ الموميَات (٥)
لما حضَنَّ لنا القضيَّةَ كُنَّ خيرَ الحاضنَاتِ (٦)
غذَّيْنها في مَهْدِهَا بِلِبَانِهِنَّ الطاهراتِ
وسَبَقْنَ فيها المُعْلِمِيـ ـنَ إلى الكريهة مُعْلَمات (٧)
يَنفُثْنَ في الفِتْيَانِ من رُوحِ الشجاعة والثَّبات (٨)
يَهْوَيْنَ تقبيلَ المُهَنّد أو مُعانَقَةَ القناة (٩)
ويَرَيْنَ حتى في الكرَى قُبَلَ الرِّجال مُحرَّمات

---

(١) الحض ، من حضه على الأمر ، إذا حمله عليه . (٢) البائسات : الشديدات الحاجة . (٣) المتجملات : من تجمل الفقيرات اللاتي لم يظهرهنّ ذل الفقر . (٤) الجمود : التيبس . (٥) الموميات : واحدتها موميا ، وهي يونانية معناها : حافظ الأجسام وتطلق اليوم على الأجسام المحنطة . (٦) القضية : هي قضية استقلال وادي النيل . (٧) المعلمون : الفرسان لهم علامة في الحرب لبطولتهم . (٨) ينفثن من قولهم : نفث الله الشيء في القلب : ألقاه . (٩) المهند : السيف . والقناة : الرمح .

٤٥

خلافة الإســـلام (*)

عادَتْ أغانى العُرْس رَجْعَ نواحِ ... ونُعيتِ بين معالم الأفراحِ (١)
كُفِّنْتِ فى ليلِ الزِّفاف بثوبِهِ ... وَدُفِنْتِ عند تبلُّج الإصباحِ (٢)
شُيِّعْتِ من هَلَعٍ بِعَبْرَةِ ضاحكٍ ... فى كلِّ ناحيةٍ وسكرةِ صاحِ (٣)
ضجَّتْ عليكِ مآذنٌ ومنابرٌ ... وبكتْ عليكِ ممالكٌ ونواحِ
الهندُ والهةٌ ومصرُ حزينةٌ ... تبكى عليكِ بمدمعٍ سَحّاحِ (٤)
والشامُ تسألُ والعراقُ وفارسٌ ... أمَحا من الأرضِ الخلافةَ ماحِ ؟
وأتتْ لكِ الجُمَعُ الجلائلُ مأتماً ... فقعدْنَ فيهِ مقاعِدَ الأنواحِ (٥)
يا لَلرِّجال لِحُرَّةٍ مَــوْؤُدَةٍ ... قُتِلَتْ بغيرِ جريرةٍ وجُناحِ (٦)
إنّ الذين أَسَتْ جِراحكِ حربُهُمْ ... قَتَلَتْكِ سِلْمُهُمُو بغيرِ جِراحِ (٧)

(*) ما كاد العالم الإسلامى يفرح بانتصار الأتراك على أعدائهم فى ميدان الحرب والسياسة ، ذلك النصر الحاسم الذى كان حديث الدنيا والذى تم على يد مصطفى باشا كمال فى سنة ١٩٢٣ ، حتى أعلن هذا إلغاء الخلافة ونفى الخليفة من بلاد الأتراك ، فنظم الشاعر هذه القصيدة يرثى فيها الخلافة وينبه ممالك الإسلام إلى إسداء النصح للغازى لعله يبنى ما هدم وينصف من ظلم . (١) الأغانى : جمع أغنية ، وهى ما يترنم به ويتغنى من شعر ونحوه . والرجع : ما يرد فى المكان الخالى على الإنسان إذا رفع صوته . والمعالم : جمع معلم ، وهو موضع الشىء الذى يظن فيه وجوده . (٢) تبلج الإصباح : إشراقه وإنارته . (٣) الهلع : الجزع الشديد . والعبرة : الدمعة قبل أن تفيض ، وقيل : هى تحلب الدمع . (٤) الوالهة : الحزينة ، أو التى ذهب عقلها حزنا . وسحاح : كثير السح ، وهو أن يسيل الماء من أعلى إلى أسفل . (٥) الجمع ، واحدتها جمعة ، وهى الصلاة المفروضة بهذا الاسم . والأنواح : النائحات . (٦) الموءودة : التى تدفن حية فى التراب . والجناح : الإثم . (٧) أست جراحك : داوتها والسلم : الصلح والسلام أيضا .

هتكوا بأيديهم مُلاءة فخرهم ... مَوْشِيَّةً بمواهبِ الفتّاح (١)

نزعوا عن الأعناق خير قلادةٍ ... ونضَوْا عن الأعطافِ خيرَ وِشاح (٢)

حَسَبٌ أتى طولُ الليالى دونَهُ ... قد طاحَ بينَ عشيَّةٍ وصباح (٣)

وعلاقةٌ فُصِمَتْ عُرَى أسبابِها ... كانتْ أبرَّ علائقِ الأرواح

جَمَعَتْ على البرِّ الحضورَ وربّما ... جمعتْ عليه سرائرَ النُّزّاح (٤)

نظَمَتْ صفوفَ المسلمين وخطوَهُمْ ... فى كلِّ غَدْوَةِ جُمْعَةٍ ورواح

بكت الصلاة ، وتلك فتنةُ عابثٍ ... بالشَّرْعِ عِرْبيدِ القضاء وَقاح (٥)

أفتى خُزَعْبَلَةً وقال ضلالةً ... وأتى بكفرٍ فى البلادِ بَراح (٦)

إن الذين جرى عليهم فقهُهُ ... خُلِقوا لفقهِ كتيبةٍ وسلاح

إن حدَّثوا نطقوا بخُرْسِ كتائبٍ ... أو خوطبُوا سَمِعوا بصُمِّ رِماح

أستغفِرُ الأخلاقَ لستُ بجاحدٍ ... مَنْ كنتُ أدفعُ دونَه وأُلاحى (٧)

مالى أُطَوِّقُهُ الملامَ وطالما ... قلّدْتُه المأثورَ من أمداحى ؟

هو ركنُ مملكةٍ وحائطُ دولةٍ ... وقَريعُ شهباءٍ وكبشُ نِطاح (٨)

---

(١) يقال : هتك الستر ونحوه : خرقه أو جذبه فقطعه من موضعه ، أوشق منه جزءا فبدا ماوراءه . وموشية : منقوشة منمنمة . والفتاح : من أسماء الله تعالى .

(٢) نضوا : خلعوا . والأعطاف : جمع عطف ، وهو الجانب من كل شيء . والوشاح : شبه قلادة ينسج من جلد عريض ويرصع بالجوهر فتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها .

(٣) طاح : ذهب . (٤) البر : الصلة والرفق . والنزاح : البعيدون ، جمع نازح .

(٥) العربيد : الشرير والكثير العربدة ، وهى سوء الخلق من السكر . والوقاح : ذو الوقاحة ، وهى قلة الحياء . (٦) الخزعبلة : الفكاهة والمزاح ، أما الباطل ، فهو الخزعبل والخزعبيل . ويقال : جاء بالكفر براحا ، أى بينا ، وقيل : جهارا .

(٧) أدفع دونه : أرد عنه بالحجة . وألاحى : من الملاحاة ، وهى الملاعنة .

(٨) القريع : الغالب فى المقارعة ، وهى أن يضرب الأبطال بعضهم بعضا . والشهباء : الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح .

أأقولُ مَنْ أحيا الجماعةَ مُلحِدٌ ... وأقول مَن ردّ الحقوقَ إباحى ؟
الحقُّ أولى مِنْ وليِّكَ حُرمةً ... وأحقُّ منك بنصرة وكفاح
فامدحْ على الحقِّ الرجالَ ولُمْهُمُو ... أو خلِّ عنك مواقفَ النُّصّاح
ومنَ الرِّجالِ إذا انبريْتَ لهدمِهم ... هَرَمٌ غليظُ مناكب الصفّاح[1]
فإذا قَذَفْتَ الحقَّ فى أجلادِهِ ... تركَ الصِّراعَ مُضَعْضَعَ الألواح[2]
أدُّوا إلى الغازى النصيحة يَنْتَصِحْ ... إنّ الجوادَ يثوبُ بعد جِماح[3]
إن الغرورَ سقى الرئيسَ براحِه ... كيفَ آحتيالُك فى صريع الراح ؟
نَقَلَ الشرائعَ والعقائدَ والقُرى ... والناسَ نَقْلَ كتائبٍ فى السّاح[4]
تركتْه كالشَّبَحِ المؤلَّهِ أمةٌ ... لم تَسْلُ بعدُ عبادةَ الأشباح
هُمْ أطلقوا يدَهُ كقيصَرَ فيهمو ... حتى تناول كلَّ غيرِ مُباح
غرّتْه طاعاتُ الجموعِ ودولةٌ ... وَجَدَ السَّوَادُ لها هوى المُرتاح
وإذا أخذتَ المجدَ مِنْ أُمِّيَّةٍ ... لم تُعْطَ غيرَ سرابِهِ اللمّاح[5]
مَنْ قائلٌ للمسلمين مقالةً ... لم يوحِها غيرَ النصيحة واح ؟
عهدُ الخلافةِ فىَّ أولُ ذائدٍ ... عن حوضها بيراعهِ نَضّاح[6]
حبٌّ لذاتِ اللهِ كانَ ، ولم يزَلْ ... وهوًى لذاتِ الحقِّ والإصلاح
إنى أنا المصباحُ لستُ بضائعٍ ... حتى أكونَ فراشةَ المصباح[7]

---

(١) المناكب هنا : الجوانب والنواحى . والصفاح : حجارة عريضة رقيقة .
(٢) الأجلال والتجاليد : جسم الإنسان وبدنه . (٣) الغازى : مصطفى كال ، وهو أيضا المراد بالرئيس فى البيت الثانى . (٤) الساح : جمع ساحة ، والمراد ساحة الحرب . (٥) اللماح : اللماع . (٦) الذائد : الحامى الدافع. والنضاح : الدافع أيضا . (٧) الفراشة : حيوان ذو جناحين يطير ويتهافت على السراج حتى يحترق .

غزوَاتُ (أدهمَ) كُلِّلَت بذَوابلٍ ... وفُتوحُ أنوَرَ فُصِّلَتْ بصِفَاحِ (١)
وَلّتْ سُيوفهما وبانَ قناهُما ... وشبا يَراعِي غيرُ ذاتِ بَراحِ (٢)
لا تبْذُلوا بُرْدَ النّبي لِعاجزٍ ... عُزُلٍ يدافعُ دونَهُ بالراحِ (٣)
بالأمس أوهى المسلمين جراحةً ... واليومَ مدَّ لهمْ يَدَ الجرّاحِ (٤)
فَلَتَسْمَعُنَّ بكلّ أرضٍ داعيًا ... يدعو إلى (الكذّابِ) أو لسَجَاحِ (٥)
ولتَشهدُنَّ بكلّ أرضٍ فِتنَةً ... فيها يُباعُ الدينُ بيعَ سَماحِ
يُفتَى عَلَى ذهب المُعزّ وسيفِهِ ... وهوى النفوس وحقدِها المِلْحاحِ (٦)

محمد على باشا الكبير

عَـلَمٌ أنت فى المشارق مفردْ ... لكَ فى العالمينَ ذكرٌ مُخلَّدْ (٧)
حبذا دُولةٌ وملكٌ كبيرٌ ... أنتَ بانى رُكنَيْهما يا محمد

---

(١) الذوابل : صفة للرماح . والصفاح : جمع صفح ، وهو عرض السيف . وأدهم وأنور : هما القائدان التركيان الكبيران ، والمراد بالرماح والسيوف هنا الأقلام .

(٢) القنا : جمع قناة . والشبا جمع شباة ، وهى حد كل شىء . البراح : والزوال .

(٣) العاجز العزل ، حسين بن على شريف الحجاز . يريد أنه طامع فى الخلافة فالأتراك إذا أصروا على خروجها منهم كانوا بذلك قد بذلوها لهذا العاجز الذى لا يملك لحمايتها إلا يدا خالية . والراح : جمع راحة ، وهى بطن الكف . (٤) بالأمس أوهى ... الخ ، الموصوف بهذا العمل هو حسين بن على أيضا ، وهو إشارة إلى خروجه على المسلمين وموالاته أعداءهم فى الحرب الكبرى . (٥) يريد أن تنحى الأتراك عن الخلافة أطمع فيها من لا يصلح لها وجعل الدعاة لهؤلاء الطامعين يظهرون بكل مكان. والمراد بالكذاب : مسيلمة الكذاب . وسجاح : امرأة كانت تدعى النبوة .

(٦) المعز لدين الله الفاطمى فى مصر ، والمراد بذهبه وسيفه : المال الذى كان يبذل لمن أطاعوه ، والعقاب الذى كان يصيب من خالفوه . (٧) العلم : سيد القوم. والمخلد : الدائم الباقى .

(*) حذفت من الشوقيات بالكامل عام ١٩٥٦ ص ١١٧ .

ولواء فى البر والبحر يُعطى مَظهرَ الشمس فى الوجود وأزيد
تُدخلُ الأرضَ فيه قُطراً فقُطراً مُدخَلَ الناسِ فى شريعة أحمد
تملأ الأرضَ صافناتٍ وتجرى لكَ فى البحرِ كل بُرجٍ مُشيدِ [1]
هكذا فلينلْ سماء المعالى من سعَى فى الورَى لمجدٍ وسؤدد
همةٌ تبتني الممالكَ شمـا ء ، ورأىٌ يسوسُهن مُسدّد [2]
وثباتٌ فى الحادثاتِ وعزمٌ مثلُ ريبِ الزمانِ لا يتردد
تضعُ السيفَ موضعًا يرتضيه ومنَ البأس ما يُذمُّ ويحمَد
وتصونُ النوالَ عن حسن صُنع لكَ يُنسى ونعمةٍ لك تُجحد [3]
لا تُبالى بحاسدٍ وعدوٍ آية الفضل أن تعادَى وتُحسد
همةُ الفاتحين حكمٌ وقهر ولكَ الهمةُ التى هيَ أبعد
ليس من يفتحُ البلادَ لتشقى مثلَ من يفتحُ البلادَ لتَسعد
علمت مصرُ والحجازُ وأرضُ السودان والشامُ أن عهدكَ عَسجد [4]
أنت إن أُحصِىَ النوابغُ فى الملك كريمُ الثنا على الدهر أوحد
أيدتهم قرابةٌ وقبيلٌ وأرى اللهَ وحدَه لك أيّد
فتولاكَ والليالى حبالى وتولَّاكَ والحوادثُ تولد
ورمى عنكَ والملوكُ رماة نصفُهم واجدون والنصفُ حُسّد [5]
ركنَ مصرٍ أقمت بعد انقضاضٍ أمةٌ جُمِّعت وأمرٌ توحد

*
* *

(١) الصافنات : الخيل تقوم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . والبرج : الحصن ، والمراد سفينة الحرب . (٢) الشماء : العالية ، وهى وصف الهمة . والمسدد : المقوم . (٣) النوال : العطاء . (٤) العسجد : الذهب ؛ وقيل الجوهر كله ، كالدر والياقوت . (٥) واجدون : غاضبون .

يا مُديمَ الرقادِ فى خير مَرقد ... قُم فما حلَّ قبلك الأرضَ فرقد [١]

وانظر الشرقَ كيف أصبح يهوِى ... وانظر الغربَ كيف أصبح يَصعد

وتأمـل ممالكاً وبلادا ... لمَس الدهرُ عِقدَها فتبدَّد

كنتَ تحميه والسيوفُ عوارٍ ... من له اليوم بالحسام المجرّد ؟ [٢]

ينشرُ النورَ والحضارةَ فيه ... كلما زُوِّدَ الشعوب تزوّد

وترى الأمرَ بينَ قلبٍ ذكىٍّ ... فى يديه وبين جَفنٍ مُسهَّد

يا عصامَ الملوك هل كنتَ تسلو ... عن عروشِ الملوك أوكنتَ تزهد [٣]

صغَّر الجاهلون بالنفس مسعا ... كَ وعذرُ النفوسِ فيه ممهَّد

ما سمعنا بفاتحٍ سلَّ سيفاً ... يأخذُ الملكَ حدُّهُ ثم أغمد

حالة سامها (الأمينَ) أخوه ... وأمورٌ بها (أميةُ) يشهد [٤]

ثبتَ فى فتنةِ الحجاز إليهم ... حين أخمدتَّها ولم تك تخمَد [٥]

وأتاهم بعُذره لك بيتٌ ... كلما جندوا إلى الحربِ جنَّد [٦]

يحفظ الملكَ ملكَ مصر عليهم ... جوهرا فوق تاجهم يتوقد

زعموا الشرقَ من فِعالك قَلْقاً ... وأرى الشرق فى يمينك أقعد [٧]

---

(١) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به . (٢) يريد بالحسام المجرد : صاحبه ، أو يريد أن محمد على هو ذلك الحسام الذى يتمناه لحماية الشرق من جديد . (٣) عصام : مضرب المثل فى علو الفرد بنفسه لا بنسبه .

(٤) سامه الشىء : أراده عليه . والأمين : الخليفة العباسى ابن هرون الرشيد . وأخوه ، هو المأمون صاحب الخلافة بعد . وكانت بينهما حرب على الخلافة ، فما زال الأمين يلح على أخيه بالحرب حتى ظفر بها . وأمية ، جد الأمين الذين قاتلوا العلويين على الملك حتى نالوه . (٥) يريد ثبت : أى رجعت . وفتنة الحجاز : هى الحرب التى أثارها الوهابيون على الدولة التركية فى الحجاز فلم يهزمهم فيها إلا جيش مصرى أرسله محمد على وجعله تحت قيادة ابنه إبراهيم . (٦) يريد أن هذا البيت الذى طالما نصر الأتراك أتاهم بعذره حيثما تقلب عليهم . (٧) أقعد ، أى أمكن وأثبت .

جئته بالحياةِ والنور والتمـ ـدينِ والرأيِ والقنا والمهند
كانَ بين الورى بركن فعززْ تَ بثانٍ والركنُ بالركنِ يشتد [1]

* * *

شرفاً فى الزمانِ آلَ عليّ جدُّكم سيدُ الملوك المسوَّد
ارجعوا فى العُلا إليه ورُوموا نهجَهُ ، نهجه الذى كان أقصد [2]
ألبسوه كما كساكم فخاراً كلما رثّت الثيابُ تجدد
واملأوا مسمعَ الزمانِ حديثاً كدويّ الخِضَمّ أرغى وأزبد [3]
إنما الناسُ أمـةٌ لا يموتو ن وأخرى تمرّ مرًّا وتنفَد
وأرى جدَّكم على الدهر حيًّا خالدَ الذكر والثناء المردَّد
كلما مرّ من مساعيه قرن مرّ يزهو بعقدهن المنضّد [4]
مُشرقاً من ثنائه مُستَسيئًا من بنيه بكل أبلجَ أصعد [5]
يتحداه فى فخارٍ ويسرى فى منارٍ على طريقٍ معبّد [6]
يا كريمَ الجدودِ عش لبلاد عيشُها فى ذَرَى جدودك أرغد [7]
ذاقت الأمنَ فى ظلالِ عليّ حين لا أمنَ فى المشَارق يُورد
مائة أحصيت على حكمه فيـ ـها وآثاره بها لا تعدّد
فلهُ معهدٌ بكل أرضٍ ولَهُ آيةٌ على كل معهد
ولنا فى علاكَ منه بديلٌ علمٌ أنت فى المشارقِ مُفرد

---

(١) عززت بثان ، أى عززته . (٢) النهج : الطريق . أقصد : أقوم .
(٣) الخضم : البحر . (٤) القرن من الزمان : مائة سنة . المنضد : المنسق بعضه إلى بعض . (٥) الأبلج : المشرق المنير . وأصعد : أكثر صعودا وارتقاء .
(٦) طريق معبد : مذلل . (٧) الذرى : هو الملجأ .

الخديو إسماعيل

حُلمٌ مدّه الكرى لك مدّا ... وسُدًى ترتجى لحلمك ردّا(١)

وحياة ما غادرت لك فى الأحـ ... ـياء قبلاً ولم تذرْ لك بعدا(٢)

لم ير الناسُ مثلَ أيام نعما ... كَ زمانا ولا كبؤسِك عهدا(٣)

كنتَ إن شئتَ بُدّل السعدُ نحسًا ... وإذا شئتَ بُدّلَ النحسُ سَعدا(٤)

قائمًا بالعَطاء والسّلب فينا ... كالليالى أو أنتَ أكبرُ أيْدا(٥)

يتمشى القضاء خلفَ نواهيـ ... ـكَ حديدَ الأظفار يطلبُ صيدا(٦)

ويُظِلُّ السراةَ منك كريمٌ ... رضيتْ رفدَه العناية رِفدا(٧)

ومُعِزٌّ يصيّرُ القيدَ تاجا ... ومُذلٌّ يصيِّرُ التاجَ قيدا

أنت من مثَّل السعادةَ لو لم ... يكُ ذاكَ النعيمُ أخذًا وردّا(٨)

(١) الحلم : مايراه النائم فى نومه . مده : بسطه وأطاله . والكرى : النوم . وسدى ترتجى لحلمك ردا ، أى و ترتجى عودة هذا الحلم رجاء . وسدى : مهملا ؛ يقال : ذهب سدى ، أى مهملا. (٢) غادرت : تركت . والأحياء : جمع حى . وقبلا ، أى أحدا قبلا ، فهو صفة لمحذوف ، ومثله : « بعدا » فى آخر البيت . والمعنى : لم تغادر أحدا متقدما عليك ولا متأخرا عنك وله مثل صفاتك وأفعالك (٣) النعمى : الدعة واليد الصالحة . والبؤس : اشتداد الحاجة . والمعنى : لم ير الناس أيام رخاء كالأيام التى كنت فيها وادعا سعيدا بنعماك ، ولا عهد شدة كالعهد الذى أصابك فيه البؤس .

(٤) السعد : اليمن . والنحس ، ضده (٥) العطاء : مايعطى من مال ونحوه والسلب : انتزاع الشىء قهرا . الأيد : القوة (٦) النواهى : جمع ناهية ، من قولهم « ماتنهاه عنا ناهية » أى ماتكفه كافة ، ومنه أوامر الله ونواهيه . حديد الأظفار : مشحوذها . (٧) الرفد : العطاء والصلة . والسراة : جمع سرى ، وهو السخى فى مروءة . (٨) مثل السعادة : أبانها وصورها للناس حتى كأنهم ينظرون إليها . النعيم : الدعة والمال . والأخذ : تناول الشىء . والرد : إرجاعه وعدم قبوله .

(*) حذفت من الشوقيات بالكامل عام ١٩٥٦ ص ١٢١ .

قصدَ الدهر منك ركنَ المعالى ورمى طوْدَها الذى كان طودا(١)
وأتى مظهرَ البلاد ومجدَ النـ ـيل والداء والدواء فردّى(٢)
والأبىّ الذى أبى العصرَ فى الملـ ـك شريكا، لو آن ذلك أجدى(٣)
لم يَنُؤ بالجبالِ دَيْنا ولكن ودّ منـه الغريمُ مالم يودا(٤)
يا أجلّ الكرامِ وجهًا وجاهًا وأبرّ الورى حفيدًا وجَدّا(٥)
وكبيرَ الحياة فى العصر والعا لِى فيـه فما أرى لك نِدا(٦)
أين كِسرى وأين قيصرُ ممـا نلتَ بالجِدِ أو بلغت مُجِدا(٧)
لِدنَ الشرقُ من لقائكَ تاجا وتَلَقّى أعوامَ رُشدِك عِقْدا(٨)
وجرتْ فيه بالسعُودِ جَوارٍ لكَ منّينَ مصرَ مُلكا ومجدًا(٩)
ومَليكاً كما تشاء معاليـ ـها خَفِيفَ الخُطا يحاولُ قصدا(١٠)

(١) ركن المعالى : جانبها الأقوى . والمعالى : جمع معلاة ، وهى الرفعة والشرف . والطود : الجبل العظيم . (٢) المظهر : مكان الظهور فى علو . والمجد : العز والرفعة . وفردى ، من داواه : أى أسقطه (٣) الأبى : الذى لا يرضى الدنية كبرا وامتناعا . الذى أبى العصر ... الخ ، أى لم يرضه . أجدى : نفع .

(٤) لم ينؤ بالجبال دينا ، أى جهدا ولا مشقة فى النهوض بالدين ولو أنه كان ثقيلا كالجبال ، ولكن الغرماء طلبوا منه مايعجز القادرين الغريم : صاحب الدين ، وكذلك من عليه الدين ، فهو من الأضداد (٥) أجل الكرام : أعظمهم . والجاه . القدرة والمنزلة . وأبر الورى : أكثرهم برا . الحفيد : ولد الولد . والجد : أب الأب وأب الأم (٦) العالى : المرتفع . والند : المثل (٧) كسرى : لقب كل ملك من ملوك العجم . وقيصر : لقب كل ملك من ملوك الروم . ونلت : أدركت وأصبت . ومجد : أى محققا ماأردته ومحكما له ، من قولهم : أجد الأمر ، إذا حققه وأحكمه .

(٨) الرشد : الاستقامة على طريق الحق . العقد : القلادة . (٩) جرت فيه ، أى فى الشرق والسعود : جمع سعد ، وهو اليمن وجوار . جمع جارية ، وتطلق على السفينة والشمس أيضا ، ويمكن أن تكون هنا وصفا من الجريان ، ويكون المعنى : أنه جرت لك فى الشرق شؤون عظيمة ... الخ . منين مصر ملكا ومجدا ، أى جعلن الملك والمجد أمنية لها . (١٠) ومليكا ، أى ومنينها مليكا . والخطا : جمع خطوة ، وهى مابين القدمين ، والقصد : إماقصد الطريق ، وهو استقامتها ، وإما ضد الإفراط والتوغل .

كل يومٍ صَرْحٌ يُشيَّدُ للعلـ ـم وظل يُمدّ فى مصرَ مـدّا(١)
ولواءٌ وعُـدّةٌ وعـديدٌ ونظامٌ تُرى به الشهبَ جُندا(٢)
وغزاةٌ فى البيضِ والسودِ تَبغى مصرُ فيها مُجـدَّدا مستردّا(٣)
وبريدٌ لمـا تسـيل به القضْـ ـبُ وثانٍ بالبرقِ أجرى وأهدى(٤)
وخطوطٌ بهـا التَّنائى تَدانٍ وبخارٌ به الأقاليمُ تَنـدَى(٥)
وبيـوتٌ لله تُرفعُ فيهـا وقصورٌ تُشادُ للحُكم شَيْدا(٦)
ورجالٌ تَشيبُ فى خدمة البـا بِ كما شبت الأهـلّةُ مُردا(٧)

(١) الصرح القصر وكل بناء عال . يشيد : يطول ويرفع أو يطلى بالشيد ، وهو الجص يمد فى مصر : يبسط فيها (٢) واللواء : العلم ، وهو دون الراية . والعدة : الاستعداد وما أعددته لحوادث الدهر من مال وسلاح . العديد : اسم من العد والنظام : إقامة الأمور على نهج واحد والشهب : جمع شهاب . وهو الكوكب مطلقا ، أو هو الكوكب من الدرارى لشدة لمعانها ، وهو أيضا ما يرى كأنه كوكب انقض . والجند : العسكر والأعوان (٣) الغزاة : اسم من الغزو . وتبغى : تطلب . مجددا ومستردا ، صفتان لموصوف محذوف ، أى تبغى مجدا مجددا مستردا (٤) البريد : أصله الرسول ثم استعمل فى المسافة التى يقطعها ، وتوسع فى استعماله على مقتضى الحاجة ، فسمى به النظام الذى تنقل به الرسائل وهو ما يسمى « بوستة » . تسيل به القضب ، هذه من استعمالات هذا الفعل فى المجاز . فإن الأصل أن يقال : يسيل بالقضب ، أى يجرى بها : وهو نحو قولهم : سالت عليه الخيل . وقول الشاعر :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

والقضب : جمع قضيب ، ومن معانيه : الغصن المقطوع ، وهو أقربها إلى المعنى المراد هنا ؛ فإنه يريد قضبان الحديد التى تمد فوق الأرض لتسير فوقها القطر البخارية ، فهى تشبه الأغصان . وثان ، يعنى وشىء ثان هو أشد جريا وأكثر اهتداء من البريد ، وذلك هو التلغراف (٥) وخطوط ، أى خطوط السكة الحديدية والتنائى : التباعد . والتدانى : التقارب . والبخار : ما يرتفع من الماء كالدخان . وهو الذى يدفع قطر السكة الحديدية فى سيرها . الأقاليم : جمع إقليم وهو قسم من الأرض يختص باسم يتميز به عن غيره . وتندى : يصيبها الندى . (٦) بيوت الله : المساجد . ترفع فيها ، فى مصر وقصور : جمع قصر . وتشاد : ترفع وتطول (٧) تشب فى خدمة الباب ، أى يدركهم الشباب وهم مرد قائمون فى خدمته . والمراد : أنها شبت كذلك فى خدمته ولا تزال تخدمه . ـــــ

وأمانيُّ للرعيــةِ تُــوفَى وحقوقٌ فى كل يوم تُؤدَّى[(١)]
ووفــودٌ إلى الممالكِ تُزجَى وثمينٌ إلى الخواقين يُهــدَى[(٢)]
وثناءٌ تسمُو له صحفُ العصــرِ وذكرٌ يسيرُ مِسكاً ونَدا[(٣)]
وبنــاءٌ بالمــأثراتِ جسامٌ يورِثُ الدهرَ والأحاديثَ وجدا[(٤)]
مَن رآه يقولُ أخلِقْ بإسمـا عيلَ أن يستوى على العصرِ فردا[(٥)]
ياكبيرَ الفؤادِ والهم والآ رابِ مهلاً مهلاً ، رويداً رويدا[(٦)]
لم تكن حقبةٌ أساءت عليّـا فى جَنَى عُمــرِهِ لتحفظَ ودا[(٧)]
خذلت منه واحدَ التركِ والعُر بِ وسامتْ سيفَ المشارقِ غمدا[(٨)]

= ويريد بالباب : باب الممدوح . والأهلة : جمع هلال ، وهو القمر فى الليلة الأولى إلى الثالثة ، وقيل إلى السابعة من الشهر ، وفى ليلة ست وعشرين وسبع وعشرين أيضا ، وهو فى غير ذلك قمر . والمرد : جمع أمرد ، وهو الشاب طر شاربه ولم ينبت .

(١) الأمانى : جمع أمنية ، وهى البغية وما يتمنى أيضا . وتوفى : تنجز وتتم . تؤدى : تقضى (٢) وفود : جمع وافد ، وهو الرسول القادم ، أو جمع : وفد ، وهو قوم يفدون على الملك ، أى يأتون إليه . وتزجى : اساق . والثمين : المرتفع الثمن . والخواقين : جمع خاقان ، وهو اسم لكل ملك من الترك : ويهدى ، أى يبعث إليهم إكراما .

(٣) الثناء : الحمد . وتسمو له : ترفع له . والمسك : هو طيب قيل من دم حيوان كالظبى ، أو من دم الظبى نفسه . والند : عود يتبخر به ، وقيل هو العنبر .

(٤) المــأثرات : جمع مأثرة ، وهى المكرمة المتوارثة . والجسام : العظيم الضخم ، وهو وصف لبناء والوجد : من معانيه الغنى والسعة وهو المراد هنا .

(٥) من رآه ، أى هذا البناء . أخلق به ، أى ما أخلقه وأجدره ويستوى : يستقر أو يستولى . وفردا : أى منفردا (٦) الهم : ما يهم الرجل فكره فيه ليفعله ويقوم به . والآراب جمع أرب ، وهو الحاجة ومهلا مهلا : هو مصدر نائب مناب فعله ، ومعناه : أمهل أمهل ، أى افعل ما تريد فى سكينة ورفق ورويدا رويدا ، وهو مصدر أرود ، دخل عليه تصغير الترخيم ، فطرحت زوائده كلها ، فصار رويدا ، ومعناه مهلا .

(٧) الحقبة من الدهر : مدة لا وقت لها ، وهو السنة أيضا . وأساءت عليا : أصابته بسوء . ويريد بعلى : محمد على : جد الخديو اسماعيل . والجنى : ما يجنى من الشجر والمعنى أساءته فى ثمرة أعماله فى حياته . والمراد أن الزمن الذى أساء إلى جدك ولم يكرمه لأعماله العظيمة لا يبقى لك على ود ولا محاسنة . (٨) خذلت واحد الترك .. الخ . تركت نصره ولم تعنه . وسامت سيف المشارق غمدا أى أرادته على أن يبقى فى غمده .

لا غراما بحاسديه ولكن رَهَبًا أن يَبلُغَ الشرقُ قصدا(١)
ولأنت ابنُه الذكيُّ فهلا جئتَ بالطَّلْبةِ الطريقَ الأسدا(٢)
فتأنيتَ والتأنى فـــلاحٌ وهو ياثاقبَ النُّهى بكَ أجدى(٣)
وحميتَ الأيدىَ العواتىَ أن تد نو وأن تَعتلى وأن تتصَدّى(٤)
بالغتْ بعد لينِها لكَ فى العُسـ ـرِ وصارالوعيدُما كان وَعدا(٥)
وإذا العصرُ والملوكُ خصومٌ لك والناسُ والمحبون أعدا(٦)
فتركتَ السريرَمضطربَ الأحـ ـوالِ من نأيِ ربهِ ليس يُهدى(٧)
لم تكن مَن جنَى عليه ولكن عوّدته الأيامُ أن تستبِدا(٨)
منعتْ مصرُ أن تُتوّجَ مصرٌ وأبى النيلُ أن يُحرِّرَ وِردا(٩)
كان يرجو الزمانُ يا ناظمَ البحـ ـرين أن تنظِمَ الممالكَ عِقدا(١٠)

(١) الغرام بالشيء : الولوع به والرهب : الخوف . والقصد ، يريد به المقصود.
(٢) الذكى : السريع الفطنة . والطلبة ، إن كان بضم الطاء وسكون اللام ، فهى السفرة البعيدة ؛ وإن كانت مفتوحة الطاء مكسورة اللام وسكونها تخفيف للوزن ، فهى ما طلبته من شيء . الأسد : المستقيم . (٣) تأنيت : ترفقت وتنظرت. والنهى : العقل : يقال : عقل ثاقب ، أى حازم . وأجدى : أى أنفع . (٤) حميت الأيدى : منعتها . والعواتى : جمع عاتية ، من العتو ، وهو الاستكبار وتجاوز الحد . وتدنو : تقرب وتعتلى : من اعتلى الشيء : أطاقه وغلبه . وتتصدى : تعترض . (٥) بالغت : من بالغ فى الأمر ، واجتهد فيه ولم يقصر . واللين : ضد الخشونة ، والعسر : ضيق ذات اليد . والوعيد : التهديد والوعد ، أن تقول للرجل أنك تجرى له الأمر وتنيله إياه .
(٦) والعصر : الدهر . والملوك : جمع ملك والخصوم : جمع خصم ، من المخاصمة ، وهى المنازعة والمجادلة . أعدا ، أى أعداء ، جمع عدو .
(٧) السرير : تخت الملك . ومضطرب الأحوال ، من الاضطراب ، وهو أن يتحرك الشيء ويموج ويضرب بعضه بعضا . والنأى : البعد . وربه : صاحبه . ويهدى ، من هداه أرشده (٨) لم تكن من جنى عليه ، أى من أذنب له . وتستبد ، من الاستبداد ، وهو الانفراد بالشيء وعدم تركه . (٩) منعت ، من المنع : وهو الحرمان من الشيء والكف عنه وتتوج ، من توجه ، ألبسه التاج . وأبى : لم يرض . ويحرر ، أى يجعله حرا. والورد : الإشراف على الماء . (١٠) يا ناظم البحرين ، من نظم الشيء : ألفه وضم =

صِلةً للأنامِ باتَ بها الو دّ شتاتاً وأصبحَ الرحبُ سدّا (١)
إن ماءً أجرَتْ يداكَ لَنَرجُو أن سيُحيِي البلادَ من حيثُ أردى (٢)
ولو آنا صُنّا وصُنتَ لعشنا الـ دهرَ في العزِّ والسيادةِ رَغدا (٣)
نهضتْ مصرُ بالزمانِ نزيلا وبأهليـــهِ يومَ ذلك وَفدا (٤)
خطروا بين زاخرَيْنِ ولاقوا ثالثاً من نَداكَ أحلى وأندى (٥)
بين فُلكٍ يجرى وآخرَ راسٍ ولواءٍ يحدو وآخرَ يُحدى (٦)
وملوكٍ صِـــيدٍ يُراحُ بهم في واسعِ الريفِ والصعيدِ ويُغدى (٧)

= بعضه إلى بعض . والعقد : القلادة . وناظم البحرين : الخديو إسماعيل ، وذلك أنه فتح قناة السويس فوصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر . (١) صلة ، مصدر وصل الشيء بالشيء ، إذا جمعهما ولاءم كليهما بالآخر . والأنام : الخلق . وشتاتا : متفرقا . وأصبح الرحب سدا ، أي مغلقا أو مسدودا : والرحب : الواسع . والمعنى أن هذه القناة التي فتحها فصارت طريقا تصل العالم ببعضه كانت سببا في التقاطع والبغضاء بينهم وصار بها كل رحب من الأمور مغلقا أمام غير الأقوياء منهم (٢) أردى : أهلك . يقول : إنا نرجو أن يحيى البلاد حيانها بهذا الماء الذي أجريته فوصلت به ذينك البحرين وكان فيه ردى البلاد ويريد الماء الذي يجري في القناة أو القناة نفسها . (٣) ولو أنا صنا وصنت ، من الصيانة ، وهي الحفظ . ورغدا : طيبا : أي لو أنك كنت قد حفظت القناة ولو أننا حفظناها أيضا ولم نفرط نحن ولا أنت فيها لعشنا أبد الدهر عيشا طيبا في عز وسعادة .

(٤) نهضت : قامت . والنزيل : الضيف ويوم ذلك : الإشارة إلى يوم افتتاح القناة : والوفد : القوم يفدون على الملك . (٥) خطروا ، أي الأقوام الذين جاءوا وفدا ، وهو من خطار الرجل ، إذا اهتز في مشيته وتبختر . وزاخرين ، أي بحرين زاخرين ، من زخر البحر ، إذا طغى وتملأ . وثالثا ، أي بحرا ثالثا . ونداك : كرمك . وأحلى : أكثر حلاوة . وأندى : أكثر خيرا وكرما . (٦) الفلك : السفينة . وآخر راس ، من رست السفينة ، إذا وقفت على الأنجر ، وهو المرساة ، ويتخذ من خشب يفرغ بينه الرصاص المذاب فيصير كصخرة . يحدو ويحدى ، من حدوته على كذا ، أي بعثته ، (٧) الصيد : جمع أصيد ، وهو الملك ؛ وقيل له أصيد ، لأنه يمشي فلا يلتفت من زهوه يمينا ولا شمالا ، فكأن به داء الصيد ، وهو داء في عنق البعير يمنعه الالتفات . والريف : أرض ذات خصب وزرع ، ومنه ريف مصر ، وهو المعنى هنا . والصعيد : مصر العليا . ويراح بهم ويغدى ، أي يذهبون بهم ويجيئون .

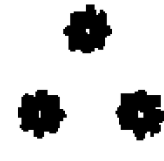
صورٌ لم يكنْ حقا وحُلْمٌ فجعَ الصبحُ فيه لما تبدّى[١]
وقناطيرُ يحفلُ الحصرُ عنها كلَّ يومٍ تمدُّها مصرُ مدّا[٢]
ليتَ شعرى هل ضمنَ في الماء أم هل يُضمرُ الماءُ للودائعِ ردّا![٣]
ليُعيدنّها إلينا بوقتٍ زمنٌ طالما أعادَ وأبدى[٤]
وملكتَ السودانَ في الطول والعرض وفي شأنه المعظمِ عِقدا[٥]
نلتَ بالمال والدما منه أرضاً بجبال الياقوتِ والدرِّ تُفدى[٦]
ثم نظَّمتَه ممالكَ كانت نارُ تنظيمها سلاماً وبردا[٧]
فهنِئْنا به السعادةَ عمرًا وأصبنا به المُعينَ المُمِدّا[٨]
وطريقَ البلاد نحو المعالى وسياجا لملكِ مصرٍ وحدّا[٩]
ليتَ لم تغشَ بعده في حماها حبَش المكرِ والخديعةِ أسدا[١٠]

(١) صور : جمع صورة . وفجع ، من الفجيعة ، وهى الرزيئة . (٢) قناطير : جمع قنطار والمراد : قناطير من المال . ويحفل الحصر ، أى يشرد ويفر . (٣) ليت شعرى ، ليت علمي ، أى ليتنى أعلم . وضمن : أى القناطر . ويضمر من أضمر في نفسه شيئا : عزم عليه . والودائع : جمع وديعة ، وهى ما يترك عند إنسان أمين . والرد : الإرجاع .
(٤) ليعيدنها ، من أعاد الشيء : أرجعه . وزمن : فاعل يعيدنها . وطالما : هى طال موصولة بها « ما » الكافة فأصبحت مستغنية عن الفاعل ، لأن الكلام محمول على النفى .
(٥) في الطول والعرض ، أى مملكته كله . (٦) الياقوت ، من الجواهر ، وهو حجر صلب رزين صاف شفاف مختلف الألوان فمنه أحمر وأصفر وأخضر وأزرق ، الواحدة ياقوتة . والدر : اللؤلؤ ، الواحدة درة . وتفدى : تستنقذ . (٧) نظمته ممالك ، أى جعله ممالك مجتمعة بعضها إلى بعض . والممالك : جمع مملكة ، وهى ما تحت أمر الملك من البلاد والعباد . وسلاما وبردا ، أى سلامة وهناءة . (٨) فهنئنا به السعادة ، أى ذقنا به السعادة ، من قولهم : هنأه الشيء ، إذا أطعمه إياه أو أعطاه إياه . وأصبنا المعين الممدا ، أى وجدنا به العون والمدد ، من أمده ، إذا أعانه وأغاثه . (٩) وطريق البلاد ، أى وأصبنا به أيضا طريق البلاد . والسياج : ما يحاط به حول الشيء . والحد : الحاجز بين الشيئين . (١٠) لم تغش : من غشى المكان أتاه . الحبش : سكان الحبشة وفي البيت إشارة لغزو مصر للحبشة في عهد إسماعيل وما أصاب جيشها هناك .

سلبوا مصرَ أىّ جيشٍ كريم كان للمجد والفخار أعدّا
أنتَ أنشأتَه فلم تر مصرُ جحفلا بعده ولم تر جُندا[1]
وتوليتَه بعطفك والبِـ ـرّ وبالمكرُمات لم تألُ جهدا[2]
مُستعيراً من الزمان مِثالا ساريا فى ضيائه مُستمِدّا[3]
فهو جيشُك العظيم ومالت راية كان حقُّها أن تُسدّا[4]
ونفضتَ اليدين يأساً على الرغـ ـم كأن لم تجد من الصبر بُدّا[5]
وإذا لم يكن من الله عون فاطِّراحُ الآمالِ بالنفس أبدى[6]
ما لعصرٍ رآك فى العز لا يُر سلُ دمعاً ولا يبلُّ خدّا ؟[7]
أين ودٌّ وعهدتَ منه وعطفٌ وولاءٌ مؤكَّدٌ كان أبدى ؟[8]
وملوكٌ له أتتكَ وسادا تٌ حداها إليكَ وفداً فوفدا ؟[9]
أبت الناسُ فيكَ للناس إلا أن يجاروا الزمان وصلًا وصدّا[10]
فرأيتَ الحميمَ أولَ جافٍ ووجدتَ الولىَّ فى البؤس ضِدّا[11]

(١) الجحفل : الجيش . (٢) توليته بعطفك ، أى أوليته عطفك . لم تأل جهدا ، أى لم تقصر فى جهدك . (٣) مستعيرا ، من استعار الشىء منه ، طلب إعارته إياه . والمثال : صفة الشىء وصورته (٤) فهوى أى فسقط . والهوى : السقوط إلى أسفل .
(٥) نفضت اليدين ، أى نفضت يديك من اليأس : كناية عن التسليم وترك المقاومة . وكأن لم تجد من الصبر بدا ، أى مفرا . (٦) العون : الإعانة . واطراح الآمال : إبعادها : وأبدى ، أى أجدر . (٧) ما لعصر ... الخ ، تعجب من أن عصره الذى رأى عزه وقوة سلطانه لا يبكى لما أصابه بعد ذلك العز ، فهو يقول : أى شىء دهى العصر حتى غفل عن البكاء والأسى . (٨) الود : المودة . وولاء مؤكدة ، أى قوى . وكان أبدى : أى كان أبداه وأظهره . (٩) وملوك ... الخ : أى وأين ملوك العصر الذين جاؤك والسادات الذين ساقهم إليك وفودا متعاقبين . (١٠) أبت الناس فيك للناس ، أى من أجل الناس . والوصل : ضد الهجران . والصد : الإعراض .
(١١) الحميم : الصديق والقريب الذى تهتم بأمره . وجاف : من الجفاء ، وهو الإعراض وقطع المودة . الولى : القريب والنصير ومن يكون ضد العدو . والضد : المخالف

ورجالاً لولاكَ لم يعرفوا العيـ ـشَ أبوْا أن يقدّموا لك حمدا
ماراوا بعدكَ الأمورَ ولكن يُحسنون الكفرانَ حلا وعقدا[١]
بان مجدُ البلاد إذ بنتَ، والصفـ ـوُ وكان الرجاء حيًّا فأودى[٢]
ودهتكَ الخطوبُ فيها فلم تتـ ـركْ صواباً لنا ولم تُبق رشدا[٣]
ولقينا من الحوادثِ مالم يكُ يعيا به دهاؤكَ ذَودا[٤]
فبكى البائسون منكَ حُساماً طالما قد هامةَ الخطب قَدّا[٥]
وبصيراً إذا المشوراتُ لم تُنـ ـجد ذويها ساسَ الأمورَ مُسِدّا[٦]
صَغُرَ الجهلُ أن يُشيرَ بَنُوه إنه لُقِّبَ العـدوَّ الألدا[٧]
نكَدٌ كلُّه وإن بدا بيضا ء تُجـرى على يديه لسَوْدا[٨]
طالما دمَّر المَالكَ تدميـ ـرا وهدّ البلادَ والناسَ هدّا[٩]



نازحَ الدار مابيْنكَ حـد ولقربِ الديار زادكَ بُعدا ؟[١٠]
هكذا من قَضى حنِيناً وشوقاً وأنِيناً مع الظلامِ وسُهدا[١١]

---

(١) الكفران: جحودالنعمة. (٢) بان : بعد . وإذ بنت : أيوقتأنبعدت . وأودي . هلك . (٣) دهتك : أصابتك . والصواب ضد الخطأ . والرشد : ضد الغي . (٤) يعيا به : : يعجز به ولم يطقأحكامه . والدهاء ، جودة الرأى . والذود: الطرد . (٥) الحسام : السيف . وقدهامة الخطب : شقها طولاأو قطعهامستأصلا . والهامة : رأس كل شيء . (٦) المشورات : جمع مشورة ، وهى اسم من أشار عليه بكذا وساس الأمور دبرها وأحسن القيام بها . ومسد ، من أسد فى قوله ، إذا أصاب . (٧) بنو الجهل : الجهلاء : لقب ، أى جعل لقبه العدو . ومرجع الضمير للجهل . (٨) النكد : شدة العيش وعسره . والسودا : السوداء ، والضمير للجهل .
(٩) دمر المالك : أهلكها . والهد : تكسير البناء . (١٠) نازحالدار : بعيدها . والبين : الفراق . ولقرب الديار ، أى وبما لقربالديار الخ (١١) الحنين : الاشتياق والأنين : التأوه والتصويت من الوجع . والسهد : الأرق .

شاكيًا للبنينَ والأمرِ والصحةِ والجاهِ والشّبيبَةِ فقــدا (١)
ومُقيما على آعــتزالٍ بأرضٍ كانَ فيها الغمامُ مهما تَبدّى (٢)
عُـد إلى مصركَ الوفيـةِ وآنزل في ثَراها وآسكن من المهدِ لحدا (٣)
لا تقل أعرضتْ بلادي وصدّت مصرُ خيرُ هوًى وأكرمُ عهدا (٤)
وقبيحٌ بالدارِ أنْ تعرفَ البغـ ـضَ وبالمهد أنْ يباشر حقدا (٥)
غفَرت مصرُ مامضى لعــليٍّ وبَنيـه وللحفيــدِ المفــدّى (٦)
ولآثارك الجــلائل فيهــا ولجسمٍ من نَأيها خرّ هدّا (٧)

* * *

ياخليــليّ لا تذمّا ليَ المــو تَ فإني من لا يرى العيش حَمْدا (٨)
لا أقولُ آسكُنا إلى هذه الدا رِ غروراً ولا أقولُ آستعدّا (٩)
أنا من لا يرى الفرارَ من المو تِ ومن لا يرى من الموتِ بدّا (١٠)
أنا من بلّ دمعُه المهــدَ بالأمـ ـسِ ولولا التعليلُ لم يأوِ مهدا (١١)
ودَعته النساء من حيثُ بشّرْ نَ، ولِيداً جمّ الحياةِ مُفَدّى (١٢)

---

(١) شاكيا للبنين ... الخ ، أى شاكيا فقد هؤلاء جميعا .
(٢) الاعتزال : التنحى عن الشيء . والغمام : السحاب الأبيض . وتبدى : ظهر .
(٣) الثرى : التراب من المهد ، أى من مهدك الذى درجت فيه . ولحدا : قبرا .
(٤) أعرضت وصدت كلاهما يؤدى معنى الآخر . (٥) البغض : ضد الحب . والحقد : الانطواء على البغضاء . (٦) غفرت : عفت : وعلى ، المراد به محمد على ، جد اسماعيل . والحفيد : ولد الولد وهو اسماعيل . (٧) ولآثارك الجلائل ، أى العظيمات . والنأى : البعد . وخر : سقط من أعلى إلى أسفل ، ومنه «فكأنما خر من السماء» ومعناه أيضا : انكب على الأرض . ومنه خر ساجدا . (٨) لاتذما ، من الذم ، وهو ضد المدح . (٩) اسكنا إلى هذه الدار ، من سكن إلى الشئ : ارتاح له : واستعدا : من الاستعداد ، وهو التهيؤ للأمر . (١٠) الفرار : الهرب . ومن لا يرى من الموت بدا ، أى مناصا . (١١) المهد : المكان الذى يهيأ للطفل ويوطأ له . والتعليل : من علله بالشئ ، أى شغله به وأطمعه فيه . (١٢) وليدا : مولودا . وجم الحياة : كثيرها =

وتولّتـــه فى البـــداية أثدا ... ه تُدِرُّ الردى وتحسب شهدا [1]
والذى تُبصِرَانِ لى من رضاء ... حرمةٌ للحياة عنـــدى تُؤدّى [2]
سنّ أهلى وأهلُ هند لقاء ... فمن البر أن أجاملَ هِندا [3]
وأسوقَ المهرَ المسمّى هموماً ... وعناء مع الزمانِ وكدّا [4]
✓ إنمـا المـــوتُ منتهى كلّ حيّ ... لم يُصِبْ مالكٌ من الملكِ خُلدا [5]
ســـنةُ الله فى العبادِ وأمرٌ ... ناطقٌ عن بقائِه لن يُردّا
وإلى اللهِ ترجعُ النفسُ يوما ... صدقَ اللهُ والنبيونَ وَعْدا

تكريم (*)

بأبى وروحى الناعمـاتِ الغِيدا ... الباسماتِ عن اليتيمِ نضيـــدا [6]

= وقويها . ومفدى : من فداه ، أى قال له : جعلت فداك . (١) وتولته : عطف على « دعته » فى البيت الذى قبله . والبداية : الابتداء . وأثداء : جمع ثدى . والردى : الهلاك . والشهد : العسل مادام لم يعصر من شمعه . (٢) الحرمة . الذمة والمهابة ، أى وما تبصر أنه من رضائى ليس إلا قياما بما للحياة من حرمة عندى .

(٣) سن أهلى ... الخ ، أى وضعوا لنا سنة ، وهى اللقاء : ويريد « بهند » الحياة . والمجاملة : إحسان العشرة . (٤) المهر : ما يجعل للمرأة صداقا من مال ونحوه . والمهر المسمى : هو الذى يذكر فى مجلس العقد .

(٥) لم يصب ، أى لم ينل . الخلد : البقاء . (*) فى وزارة سعد زغلول باشا سنة ١٩٢٤ أطلق سجناء كانت المحاكم العسكرية الإنجليزية قد أدانتهم فى مؤامرة شاع يومئذ أنها مبالغ فيها .

وقد احتفل شباب البلاد بنجاة إخوانهم ، فرجوا صاحب الديوان أن يشاركهم فى هذا الاحتفال فنظم هذه القصيدة مشيرا فيها إلى أهم ما كان يشغل بال الناس فى ذلك العهد من الحوادث . (٦) بأبى وروحى ، أى أفتدى بهما . والغيد : جمع غيداء ، وهى الجارية اللينة الأعطاف . واليتيم من كل شئ : مالا نظير له ، وهنا من الأسنان . والنضيد المنضود المتسق .

الرانياتِ بكلِّ أحـــورَ فاترٍ ... يذرُ الخليَّ من القلوب عميـدا (١)
الراوياتِ من السُّلافِ محاجراً ... الناهـــلاتِ سوالفاً وخدودا (٢)
اللاعباتِ على النســـيم غدائراً ... الراتعـاتِ مع النسيم قدودا (٣)
أقبلْنَ فى ذهب الأصيلِ ووَشْيه ... مِلْءَ الغـلائلِ لؤلؤاً وفريدا (٤)
يَحْدِجنَ بالحَدَقِ الحواسدِ دُمْيَةً ... كظباءِ وَجْرةَ مُقلتَيْنِ وجيدا (٥)
حوتِ الجمالَ فلو ذهبتَ تزيدها ... فى الوهمِ حُسناً ما استطعتَ مزيدا
لو مرَّ بالوِلْدانِ طيفُ جمالِها ... فى الخُلْدِ خرّوا رُكَّعاً وسُجودا
أشهى من العودِ المرنّم منطِقاً ... وألذُّ من أوتاره تغـــريدا
لو كنتَ سعداً مُطلِقَ السجناء لم ... تُطلِقْ لساحرِ طرْفِها مصفودا (٦)
ما قصَّرَ الرؤساء عنه سعى له ... سعدٌ فكان مُوَفَّقاً ورشيدا
يا مصرُ أشبالُ العَرينَ ترعرعت ... ومشتْ إليكِ من السجون أسودا

---

(١) الرانيات : اللاتى يدمن النظر بطرف ساكن . والأحور ، من الحور ، وهو شدة سواد العين فى شدة بياضها . والعميد من القلوب : ما هده العشق .

(٢) السلاف : أطيب الخمر ، ويراد به هنا : سحر العيون . والناهل : الريان . السوالف : صفحات الأعناق . (٣) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة من الشعر . والقدود : جمع قد ، وهو القامة . (٤) الوشى : النمنمة والتحسين . والغلائل : الأثواب الرقيقة . والفريد : الدر المنظوم . (٥) حدجه بنظره : حدد النظر إليه . والحدق : الأحداق . والدمية : الصورة المنقشة المزينة فيها حمرة كالدم ويضرب بها المثل فى الحسن ، ويراد بها هنا الحسناء . ووجرة : موضع بين مكة والبصرة تسكنه الظباء والوحوش . والمراد فى هذا البيت أن أولئك الجميلات على ما أسبغ الله عليهن من نعمة الجمال ، وقفن ينظرن إلى هذه الحسناء التى ابتدأ الشاعر فى وصفها ، يحسدنها على ما أوتيت من سحر ويدلك هذا الحسد على أن حظها من الحسن عظيم .

(٦) المصفود : الموثق المغلول . وهنا يتخلص الشاعر من هذا الغزل الرقيق ليسوق إليك ما أراد من تعزية السجناء عما نالهم من ظلم ، وتهنئتهم فيما أتيح لهم من نجاة . ثم شكر المحسنين إلى هؤلاء السجناء .

قاضى السياسةِ نالهمْ بعقابِه ... خشن الحكومة فى الشباب عتيدا [١]
أتتِ الحوادثُ دون عقدِ قضائِه ... فانهارَ بيِّنةً ودُكَّ شهيدا [٢]
تقضى السياسةُ غير مالكِ لِمَا ... حكمتْ به نقضاً ولا توكيدا
قالوا أتنْظمُ للشبابِ تحيةً ... تبقى على جيدِ الزمان قصيدا؟
قلتُ : الشبابُ أتمُّ عِقدِ مآثرٍ ... من أن أزيدهمو الثناء عقودا
قبِلَتْ جُهودَهُم البلادُ وقبَّلَتْ ... تاجا على هاماتِهمْ معقودا [٣]
خرجوا فما مدّوا حناجِرَهُم ولا ... مَنُّوا على أوطانِهم مجهودا
خَفِيَ الأساسُ عن العيونِ تواضعاً ... من بعد ما رفَع البناءَ مَشيدا
ما كانَ أفطنَهم لكل خديعةٍ ... ولكلِّ شرٍّ بالبلاد أُريدا
لما بنى اللهُ القضيةَ منهُمُ ... قامت على الحقِّ المبين عَمُودا [٤]
جادوا بأيام الشبابِ وأوْشكوا ... يتجاوزون إلى الحياةِ الجودا
طلبوا الجلاء على الجهادِ مثوبةً ... لم يطلبوا أجر الجهاد زهيدا [٥]
واللهِ : ما دون الجلاءِ ويومِه ... يومٌ تُسميهِ الكِنانةُ عيدا
وجدَ السجينُ يدًا تحطِّمُ قيْدَهُ ... من ذا يُحطِّمُ للبلاد قيودا؟
ربحت من (التصريح) أن قيودَها ... قد صِرن من ذهبٍ وكُنَّ حديدا [٦]
أوَ ما ترَوْنَ على (المنابع) عُدَّةً ... لا تنجلى، وعلى الضِّفاف عديدا؟ [٧]
يا فِتيَةَ النيلِ السعيدِ خذوا المُدَى ... واستأنِفوا نَفَسَ الجهادِ مديدا

(١) خشن الحكومة، أى قاسيا . والعتيد : الجسيم، وهنا من الظلم .
(٢) الشهيد : الشاهد . وانهيار البينة : ثبوت بطلانها . وسقوط الشهود : ثبوت تزويرهم . (٣) الهامات : الرءوس . (٤) القضية : السياسة المصرية .
(٥) يريد بالجلاء : جلاء الجنود الإنجليزية المحتلة عن أرض البلاد .
(٦) تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ (٧) منابع النيل .

وتنكبوا العدوانَ واجتنبوا الأذى ... وقفوا بمصْرَ الموقِفَ المحمودا (١)
الأرض أليَــقُ مَنْزِلا بجماعةٍ ... يبغُونَ أسبابَ السماء قعودا
أنتم غداً أهـلُ الأمورِ وإنمـا ... كُنّا عليكم فى الأمور وفودا
فابنوا على أُسسِ الزمان ورُوحِه ... رُكْنَ الحضارة باذخاً وشديدا
الهدمُ أَجْمَـلُ من بِنايةِ مُصْلِحٍ ... يَبْنِى على الأُسُسِ العتاقِ جديدا
وجهُ الكنانةِ ليس يُغْضِبُ ربَّكم ... أنْ تجعلوه كوجهه معبودا
ولّوا إليه فى الدُّروسِ وُجوهَكمْ ... وإذا فَرَغْتُمْ ، واعبدوه هُجودا (٢)
إنَّ الذى قسمَ البلادَ حباكمُ ... بلداً كأوطانِ النجومِ مَجيدا (٣)
قد كانَ ـ والدنيا لحودٌ كلها ـ ... للعبقريةِ والفنونِ مُهـودا

***

مجـدُ الأمور زوالُه فى زلّةٍ ... لا تَرْجُ لاسمِكَ بالأمور خلودا
الفردُ بالشُّورى وباسمِ نَدِيِّهـا ... لَفَظَ (الخليفةَ) فى الظلام شَريدا (٤)
خلعتْهُ دونَ المسلمين عِصابةٌ ... لم يجعـلوا للمسلمينَ وجودا
يقضونَ ذلك عن سوادٍ غافلٍ ... خُلِقَ السّوادُ مُضَلَّلاً ومَسودا (٥)
جعلوا مشيئتَهُ الغبيّةَ سُلّماً ... نحوَ الأمورِ لمَنْ أراد صعودا
— إنى نظرتُ إلى الشعوبِ فلم أجدْ ... كالجهلِ داءً للشعوب مُبيدا
— الجهـلُ لا يَلِدُ الحيـاةَ مواتُهُ ... إلا كما تَلِدُ الرمامُ الدودا (٦)

---

(١) تنكبوا العدوان ، أى تجنبوه . (٢) الهجود : جمع هاجد ، وهو النائم أو المصلى بالليل . (٣) حباه : أعطاه . وأوطان النجوم : كناية عن السماء .
(٤) الندى : المجمع . ولفظه : رمى به وطرحه . (٥) سواد الناس : عامتهم .
(٦) موات الجهل : الخراب الذى يحدث بسببه . والرمام : جمع رمة ، وهى العظام البالية ، والمراد بها هنا الجيفة . ومعنى البيت : أن الجاهل ميت . والميت بطبعه لا يلد ولا يأتى بعظيم ، فإن ولد فكالجيفة المستحيلة لا ينشأ منها إلا الدود .

لم يخلُ من صُوَر الحياة وإنما   أخطاه عُنصُرُها فمات وليدا [١]
وإذا سبى الفردُ المُسلَّطُ مجلسًا   ألفيتَ أحرار الرجال عبيدا
ورأيت فى صدر النديّ مُنوّمًا   فى عصبةٍ يتحركون رقودا
الحق سهمٌ لا ترشْـهُ بباطلٍ   ما كان سهم المُبطلين سديدا [٢]
والعيبُ بغيرِ سلاحهِ فلربّما   قتلَ الرجالَ سلاحُهُ مردودا

على سفح الأهرام [٣]

قِف ناجِ أهرامَ الجلالِ ونادِ   هل من بُناتِكَ مجلسٌ أو نادى [٤]
نشكو ونفزعُ فيه بين عيونهم   إن الأبوّةَ مفزعُ الأولاد [٥]
ونبثّهم عبثَ الهوى بتُراثهم   من كلّ ملقٍ للهوى بقياد [٦]
ونُبينُ كيف تفرّقَ الإخوانُ فى   وقتِ البلاء تفرّقَ الأضداد [٧]
إن المغالِطَ فى الحقيقةِ نفسَه   باغٍ على النفسِ الضعيفةِ عاد [٨]

---

(١) الإشارة إلى الدود ، فى البيت السابق . (٢) راش السهم يريشه : ألصق عليه الريش حتى يكون أكثر نفاذا . (٣) أمين افندى الريحانى : أديب من أدباء سوريا ، وفد إلى مصر فأقام له بعض الأدباء حفلا على سفح الأهرام شاطرهم إياه صاحب الديوان . (٤) ناج : من المناجاة ، وهى المسارة . والجلال : التناهى فى عظم القدر . و البناة : جمع بان . المجلس : مكان الجلوس . والنادى : اسم للمجلس حين يجتمع فيه القوم ليتحدثوا . فإذا تفرقوا فليس ناديا . (٥) نشكو : نعلن الشكوى . ونفزع نستغيث : وضمير « فيه » للمجلس أو النادى . بين عيونهم : أى أمامهم . والأبوة : كون الرجل أبا . (٦) نبثهم : نكاشفهم . والبعث : اللعب . والهوى : إرادة النفس وهو غالب فى الشر . القياد فى الأصل : حبل يقاد به (٧) نبين مضارع أبان الشيء أوضحه والبلاء : الغم يبلى الجسم . (٨) المغالط نفسه : موقعها فى الغلط . باغ : ظالم . وعاد : ظالم أيضا .

*
* *

قل للأعاجيبِ الثلاثِ مقالةً ... من هاتفٍ بمكانهن وشاد (١)
لله أنت فما رأيتُ على الصّفا ... هذا الجلالَ ولا على الأوتاد (٢)
لكِ كالمعابد روعةٌ قدسيةٌ ... وعليكِ روحانيةُ العُبّاد (٣)
أُسّستِ من أحلامِهم بقواعدٍ ... ورُفعتِ من أخلاقهم بِعماد (٤)

*
* *

تلك الرمالُ بجانبيكِ بقيةٌ ... من نعمةٍ وسماحةٍ ورَماد (٥)
إن نحنُ أكرمنا النزيلَ حِيالها ... فالضيفُ عندكِ موضِعُ الإرفاد (٦)
هذا (الأمين) بحائطيكِ مطوّفاً ... متقدّمَ الحجاج والوفاد (٧)
إن يعدُه منكِ الخلودُ فشعرهُ ... باقٍ ، وليس بيانُه لنفاد (٨)
إيهٍ (أمينُ) : لمستَ كل محجّبٍ ... فى الحسنِ من أثرِ العقولِ وبادى (٩)

---

(١) الأعاجيب الثلاث ، يريد بها : الأهرام الثلاثة ، وإنما كانت أعاجيب لأن الإنسان يستعظمها فتعتريه روعة عند ذلك ، وهذا هو العجب ، والمفرد : أعجوبة ، وهى اسم لما يكون العجب منه . هاتفٌ : مادح ، من هتف به ، مدحه . شاد ، من شدا الشعر : غنى به وترنم . (٢) الصفا : جمع صفاة ، وهى الحجر الصلد الضخم الذى لا ينبت . الأوتاد : الجبال .

(٣) الروعة : الفزعة والمسحة من الجمال . والعباد : جمع عابد . (٤) الأحلام : العقول ، جمع حلم . وعماد الشيء : مايسند به . والخطاب فى هذا البيت والبيتين قبله للأعاجيب الثلاث . (٥) السماحة : موافقة الرجل على مايراد منه ، وهى الجود والعطاء أيضا . والرماد : مايبقى من المواد المحترقة بعد احتراقها ، وقد كنى به عن الكرم كما يقولون : فلان كثير الرماد ، أى كريم ؛ لأنه يكثر من إيقاد النار لكثرة صنع الطعام للآكلين من الأضياف . (٦) النزيل : الضيف . وحيالها : قبالتها . الإرفاد : الإعطاء . (٧) مطوفا : دائرا حولها . والحجاج : القصاد . والوفاد : جمع وافد ، من وفد إذا قدم . (٨) إن يعده ، أى إن يجاوزه ويفته . والخلود : الدوام والبقاء ، والمراد خلود الذكر لاخلود الشخص . والنفاد : الذهاب والانقطاع .

(٩) إيه ، اسم فعل : معناه زدنى من حديثك . المحجب : المستور . البادى : الظاهر .

قم قبّل الأحجارَ والأيدى التى   أخذتْ لها عهــدًا من الآباد [١]
وخذ النبوغَ عن الكنانة إنها   مهدُ الشموس ومسقط الآراد [٢]
أمُّ القِرى إن لم تكن أمَّ القُرى   ومثابة الأعيان والأفراد [٣]
مازال يغشَى الشرقَ من لمحاتها   فى كل مُظلمةٍ شُعاع هادى [٤]
* كم من جَلائلِ أنعُم لمحمد   بل كم لإسماعيلَ بيض أيادى [٥]
* لولا اهتمامُهما لظل الشّرقُ فى   وادٍ وأبناء الزمان بوادى [٦]

***

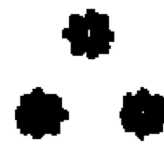
رفعوا لكَ الريحان كاسمكَ طيباً   إن العَمار تحيــةُ الأمجاد [٧]
وتخيروا للمهرَجان مكانَه   وجعلتُ موضعَ الاحتفاء فؤادى [٨]
سلف الزمانُ على المودّة بيننا   سنواتُ صحوٍ بل سناتُ رقاد [٩]

(١) الآباد : جمع أبد ، وهو الدهر . (٢) النبوغ : الإجادة . والكنانة : مصر . والآراد : جمع رأد ، والمراد رأد الضحى ، وهو وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء فى الخمس الأول من النهار . (٣) القرى : الضيافة ، أو ماقرى به الضيف . والقرى : جمع قرية . والمثابة : مجتمع القوم بعد تفرقهم . الأعيان : جمع عين ، وهو كبير القوم وشريفهم . أفراد الناس : كبارهم ، ولا يقال للإنسان الواحد فرد : بل يقال له فرد وفرد وفريد . (٤) يغشى الشرق : يغطيه . واللمحات : جمع لمحة وهى النظرة الخفيفة بالعجلة . والشعاع : ماينتشر من ضوء الشمس .

(٥) أنعم : جمع نعماء ، وهى اليد البيضاء الصالحة . ومحمد : وهو محمد على مؤسس بيت الملك فى مصر . إسماعيل : هو الخديو إسماعيل . وبيض أياد ، أى أياد بيض ، من إضافة الصفة للموصوف . (٦) لولا اهتمامهما ، أى اهتمام محمد على وإسماعيل . وفى واد : المراد فى ناحية ، وأبناء الزمان ، أى أبناء العصر من غير أهل الشرق فى ناحية أخرى . والمعنى أن عناية إسماعيل وجده محمد على هى التى أشركت الشرق فى علوم الغرب ومعارفه ووسائل رقيه . (٧) الريحان : نبات طيب الرائحة . والأمجاد : جمع مجيد ، وهو الكريم الشريف . (٨) المهرجان : هو عيد الفرس وكان يوافق أول الشتاء ثم صار فى الخريف ، والمراد به هناك الاحتفال . والاحتفاء : المبالغة فى الإكرام وإظهار السرور والفرح . (٩) سلف : مضى . والسنوات : جمع سنة . والسنات : جمع سنة ، وهى النعاس . والرقاد : النوم .

(*) انقصت من الشوقيات بيتان منذ عام ١٩٥٦ ص ١٣٧ .

وإذا جمعتَ الطيباتِ رددتَّها لعتيقِ خمـــرٍ أو قديم وداد (١)
يا نجمَ ســـوريّا ولستَ بأوّلٍ ماذا نمتْ من نيِّرٍ وقاد (٢)
اطلع على يَمَنٍ بيُمنك فى غـد وتجلَّ بعد غدٍ على بغـــداد
وأجِلْ خيالك فى طلولِ ممالكٍ مما تجوبُ وفى رُسومِ بِلاد (٣)
وسل القبورَ ولا أقول سل القُرى هل من ربيعةَ حاضرٌ أو بادى؟ (٤)
سترى الديارَ من اختلافِ أمورها نطق البعيرُ بهـا وعَىَّ الحادى (٥)



قضَّيْتَ أيام الشباب بعَـــالَمٍ لبَس السنينَ قشيبة الأبراد (٦)
ولدَ البـــدائعَ والروائعَ كلّها وعدَتْهُ أن يلدَ البيانَ عوادى
لم يَخترعْ شيطانَ حسانٍ ولم تُخرجْ مصانعُه لسانَ زياد (٧)
الله كرّم بالبيان عصابة فى العالمينَ عزيزةَ الميـــلاد
(هومير) أحدثُ من قرون بعده شـعرًا وإن لم تخلُ من آحاد (٨)

---

(١) رددتها، أى أرجعت نسبتها. والعتيق: القديم.

(٢) ولست بأول: احتراس من الإطلاق، أى وإن كنت نجم سوريا فلست الأول من نجومها، لأن الأول سواك، أو ولست أول نجم لها فقد سبقك أوائل آخرون. وماذا نمت: أى كم ذا رفعت بالانتساب إليها. (٣) الطلول: جمع طلل، وهو ماشخص من آثار الدار. والرسوم: جمع رسم، وهو الأثر. (٤) ربيعة: قبيلة من العرب. والحاضر: من ينزل الحضر. والبادى: من يذهب إلى البادية.

(٥) عى الحادى: لم يستطع البيان والإفصاح.

(٦) قضيت: خطاب للريحانى. والعالم الذى قضى به أيام شبابه، هو أمريكا التى أقام بها. قشيبة الأبراد: جديدتها. والأبراد: جمع برد. (٧) لم يخترع ... الخ، يريد أنه عالم لم يرتق فى اختراعه إلى حيث يبتدع البلاغة اللسانية التى كرم الله بها العرب. وحسان: الشاعر الصحابى المعروف. وزياد: هو زياد بن أبى سفيان، كان من أخطب العرب (٨) هومير: شاعر يونانى قديم، كان شعره قصصا يضمنه وصف الأبطال والإشادة بذكرهم، وهو صاحب الألياذة، يريد أن شعره على أنه قديم فهو =

— والشعرُ فى حيث النفوسُ تلذه لا فى الجديد ولا القديم العادى
حق العشيرة فى نبوغِكَ أولٌ فانظر لعلك بالعشيرة بادِى [1]
لم يَكفِهم شطرُ النبوغ فزدهمُ إن كنت بالشطرين غيرَ جواد
أو دَعْ لسانَك واللغات فربما غنى الأصيلُ بمنطِقِ الأجداد
— إن الذى ملأ اللغات محاسناً جعَـلَ الجمـالَ وسرَّه فى الضاد [2]

المطرية تتكلم (*)

يا ناشرَ العلمِ بهـذى البـلادْ وُفِّقتَ. نشر العلم مثل الجِهاد
بانى صروحِ المجدِ أنتَ الذى تبنى بيوتَ العـلم فى كل ناد
بالعـلم ساد الناسُ فى عصرِهم واخترقوا السبعَ الطباق الشداد [3]
— أيطلبُ المجدَ ويبغى العُـــلا قومٌ لسوقِ العلم فيهم كساد؟

= أجود من شعر الذين جاءوا بعده وإن كانت أيامهم لم تخل من شعراء مجيدين هم آحاد فى عددهم . (١) حق العشيرة ... الخ ، فى هذا البيت والأبيات بعده أمور أخذ بها الريحانى فى رفق ولين ، فهو يقول له : إن كانت معانيك فى كتابتك جيدة فألفاظك فيها رديئة ، لأنك أهملت جانب اللغة العربية ، وهى الشطر الثانى من شطر النبوغ ، وأيضا يقتضى الوفاء لعشيرتك وقومك أن تحسن لغتهم حتى تغنى بها .

(٢) الضاد : اللغة العربية وإنما سميت كذلك لأن الضاد لا توجد فى لغة سواها ولا يقوى أهل اللغات الأخرى على النطق بها .

(*) « أحس صاحب الديوان أيام كان يسكن (المطرية) بحاجة هذا البلد إلى مدرسة تهذب أبناءه ، فناشد وزير المعارف يومئذ ـ سعد زغلول باشا ـ على لسان المطرية أن يقوم بإنشاء هذا الأثر الجليل » .

(٣) ساد الناس : مجدوا وجلوا . والسبع الطباق : السموات السبع ، وهى طباق أى مطابقة بعضها بعضا .

تَقَّادُ أعمالك مُغْلٍ لهـا إذا عَلا الدرُّ غَلا الانتقاد (١)
ما أصعبَ الفعلَ لمن رامه وأسهلَ القولَ على من أراد
سمعًا لشكوايَ فإن لم تجد منك قبولا فالشكاوى تُعاد (٢)
عدلًا على ما كان من فضلِكم فالفضلُ إن وُزّعَ بالعدلِ زاد (٣)
أسمعُ أحيانا وحينًا أرى مدرسةً في كل حيٍّ تُشاد
قدمتَ قبلي مُدُنا أو قُرى كنتُ أنا السيفَ وكُنّ النِجاد (٤)
أنا التي كنتُ سريرا لمن سادَ (كإدْوَرْدَ) زمانا وشاد (٥)
قد وحّد الخالقَ في هيكل من قبلِ سقراطَ ومن قبلِ عاد (٦)
وهذّب الهندُ دياناتِهم بكل خافٍ من رموزي وباد (٧)
ومن تلاميذيَ موسى الذي أوحِيَ من بعدُ إليه فهاد (٨)
وأرضعَ الحكمةَ عيسى الهدى أيامَ تُربي مهدُه والوِساد (٩)

(١) النقاد مبالغة من النقد ، وهو في الكلام : إظهار ما به من العيوب ، وفي غير الكلام : النظر إلى الشيء لمعرفة جيده من رديئه . ومغل لها ، من أغلى الشيء ، جعله غاليا (٢) سمعا لشكواي : أي اسمعها سمعا . (٣) عدلا ، أي اطلب عدلا زائدا على ما حصل من فضلكم . (٤) النجاد : حمائل السيف . (٥) السرير : تخت الملك . وساد : صار سيد قومه متسلطا عليهم . وإدوارد : ملك الإنجليز قبل الملك جورج القائم الآن . وشاد : رفع البناء . (٦) الهيكل : بيت الأصنام . وسقراط : حكيم من حكماء اليونان . وعاد : اسم رجل من العرب الأولى سميت به قومه ، وهم الذين أرسل إليهم هود نبي الله . (٧) هذب الشيء : خلصه مما يشينه وطهره من العيوب . والخافي : المستتر . والبادي : الظاهر . (٨) موسى النبي عليه السلام . وأوحي إليه : أنزل الله عليه الوحي . وهاد : رجع إلى الحق .

(٩) الحكمة : صواب الأمر ووضع الشيء في موضعه والعلم والعدل والحلم . وعيسى : ابن مريم عليه السلام . والترب : التراب . والمهد : الموضع يهيأ للصبي . والوساد : المتكأ وكل ما يتوسد به من قماش وغيره ، أي أيام أن كان ترابي مهده ووساده .

مدرستى كانت حياضَ النُّهى قرارةَ العرفان دارَ الرشاد (١)
مشايخُ اليونان يأتونها يُلقون فى العلم إليها القِياد
كنا نُسميهم بصبيانه وصِبيتى بالشيبِ أهل السَّداد (٢)

***

ذلكَ أمسِى ما بهِ ريبةٌ ويومىَ (القبةُ) ذاتُ العِماد (٣)
أصبحتُ كالفردوسِ فى ظلِّها من مصرَ للخنكا لِظلِّى امتداد
لولا جُلَى زيتونىَ النضرِ ما أقسمَ بالزيتون ربُّ العِباد (٤)
الواحةُ الزهراء ذاتُ الغنى تُربِى التى ما مثلُها فى البلاد (٥)
تُريكَ بالصبحِ وجُنحِ الدُّجى بدورَ حسنٍ وشموسَ اتقاد

***

بَنِىَّ ياسعدُ كزُغبِ القَطا لانقصَّ الله لهم من عِداد (٦)
إن فاتكَ النسلُ فأكرِمْ بهم وربَّ نَسلٍ بالنَّدى يُستفاد
أخشى عليهم من أذى رائحٍ يجمعهم فى الفجرِ والعصرِ غاد (٧)
صَفيرُه يسلبنى راحتى ويمنعُ الجفنَ لذيذَ الرُّقاد (٨)

---

(١) مدرسة المطرية القديمة : إحدى مدارس العلم الكبرى عند المصريين القدماء ، وكان يقصدها الطلاب من بلاد اليونان وغيرها . القرارة : القاع المستدير يجتمع فيه ماء المطر . (٢) وصبيتى بالشيب ، أى وتسمى صبيتى بالشيب . (٣) القبة : ضاحية من ضواحى القاهرة بها قصر عظيم بناه الخديو عباس حلمى وقد غلب اسمها على هذا القصر . والعماد : الأبنية الرفيعة ، تذكر وتؤنث ، مفردها عمادة .

(٤) الزيتون : شجر مثمر معروف ، وثمره يسمى زيتونا أيضا ، وتسمى به ضاحية أخرى من ضواحى القاهرة مجاورة للقبة . (٥) الواحة الزهراء : هى واحة عين شمس ، والواحة : واد متسع منخفض فى الصحراء . (٦) الزغب : جمع أزغب ، وهو ماله شعر أو ريش صغير . القطا : جمع قطاة ، وهى طائر فى حجم الحمامة .

(٧) رائح غاد ، يريد قطار البخار الذى يركبه الأبناء إلى المدارس فى القاهرة .
(٨) صفيره : أى صفير القطار .

يعقوبُ من ذئبٍ بكى مُشفِقا ... فكيفَ أنيابُ الحديدِ الحِداد؟(١)
فانظرْ رعاكَ اللهُ في حَاجِهم ... فنظرةٌ منكَ تُنيلُ المرادْ(٢)
قد بَسطوا الكفَّ على أنهم ... في كرم الراحِ كصوْبِ العِهاد(٣)
إن صُلبَ (القسطُ) فما منهمُ ... إلا جوادٌ عن أبيهِ الجواد

الانقلاب العثماني وسقوط السلطان عبد الحميد

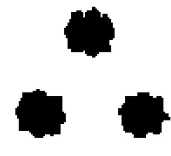
سَلْ «يلدِزًا» ذاتَ القصورِ ... هل جاءها نبأُ البدور؟(٤)
لو تستطيعُ إجابةً ... لبكتكَ بالدمعِ الغزيرِ
أخنى عليها ما أناخَ على الخوَرْنقِ والسديرِ(٥)
ودها الجزيرةَ بعد إسماعيلَ والملكِ الكبيرِ(٦)
ذهبَ الجميعُ فلا القصورُ تُرى ولا أهلُ القصورِ
فلكٌ يدورُ سعودُهُ ... ونحوسُه بيدِ المديرِ

---

(١) يعقوب النبي : أبو يوسف ، بكى على يوسف حين رجع إليه أبناؤه إخوة يوسف فأخبروه أن الذئب أكله وقد كان يخاف عليه هذا من قبل ، وقصة ذلك مبسوطة في كتب التاريخ الديني . (٢) الحاج : جمع حاجة . (٣) كصوب العهاد ، أي كنزول المطر . والعهاد : جمع عهد ، وهو المطر ينزل متعاقبا فيدرك آخره أوله . (٤) يلدز ، في لغة الترك : اسم نجم ، وقد سمي به قصر عظيم في الآستانة كان يسكنه السلطان عبد الحميد أيام ملكه . والمخاطب بقوله « سل ... الخ » هو هذا السلطان . (٥) أخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه . والخورنق : قصر كان في الحيرة بالعراق للملك النعمان الأكبر أحد ملوك بني المنذر . والسدير : قصر كان بالحيرة أيضا للمناذرة . (٦) دهاه الأمر : أصابه . والجزيرة : هي جزيرة الروضة في النيل شرق القاهرة وكان بها قصر عظيم من قصور الخديو اسماعيل ، وهو المراد .

أينَ الأوانسُ فى ذُرا ... ها من ملائكةٍ وحور (١)
المترَعاتُ من النعيـ ... ـمِ الراوياتُ من السرور (٢)
العاثراتُ من الدلا ... لِ الناهضاتُ من الغُرور
الآمراتُ على الولا ... ةِ الناهياتُ على الصدور (٣)
الناعمــاتُ الطيبــا ... تُ العَرف أمثالُ الزهور (٤)
الذاهلاتُ عن الزما ... نِ بنشوة العيشِ النضيرِ
المشرفاتُ وما انتقد ... ـن على الممالكِ والبحورِ
من كل بلقيسٍ على ... كرسيِّ عزتِهـا الوثيرِ (٥)
أمضَى نُفوذاً من زبيـ ... ـدةَ فى الإمارةِ والأمير (٦)
بين الرفارفِ والمشا ... رفِ والزخارفِ والحريرِ (٧)
والروضِ فى حجم الدنا ... والبحرِ فى حجم الغديرِ
والدرِّ مؤتلقِ السنَا ... والمسك فياحِ العبيرِ
فى مسكنٍ فوق السما ... كِ وفوق غاراتِ المغيرِ (٨)
بين المعاقلِ والقَنا ... والخيـلِ والجمِّ الغفيرِ
سموه (يلدزَ) والأفو ... لُ نهايةُ النجمِ المُغيرِ

(١) الأوانس : جمع آنسة ، وهى الطيبة النفس . والحور : جمع حورية ، وهى المرأة البيضاء الناعمة . (٢) المترعات : جمع مترعة من أترع الإناء : ملأه .
(٣) الولاة : جمع وال . الصدور : جمع صدر . ويقال له الصدر الأعظم ، وهو كبير وزراء السلطان فى الدولة التركية . (٤) العرف : الرائحة الطيبة .
(٥) بلقيس : ملكة سبأ من أرض اليمن ، وقصتها مع الملك سليمان مبسوطة فى كتب التاريخ الدينى . والوثير : اللين الموطأ . (٦) زبيدة : زوجة الخليفة هارون الرشيد . (٧) الرفارف : جمع رفرف ، وهو الفراش . والمشارف : جمع مشرف ، وهو الموضع يشرف منه ، ومشارف الأرض : أعاليها . (٨) السماك : كوكب .



دارت عليهن الدوا ئرُ فى المخادع والخدور (١)
أمسيْن فى رِق العَبيـ ـلِ وبِتْنَ فى أسرِ العَشِير (٢)
ما ينتهين من الصلا ةِ ضراعةً ومن النذور
يطلبن نُصرةَ ربِّهنّ وربُّهن بلا نصير (٣)
صبغ السوادُ حبيرَهنّ وكان من يَقِقِ الحبُور (٤)
أنا إن عجزتُ فإن فى بُرديّ أشعرَ من (جَرير)
خَطْبُ الإمامِ على النظيـ ـمِ يعزُّ شرحًا والنثير
عظةُ الملوك وعبرةُ الـ أيام فى الزمنِ الأخير
شيخُ الملوكِ وإن تضعْـ ـضعَ فى الفؤادِ وفى الضمير
نستغفرُ المولى له والله يَعفو عن كثير
ونراه عند مُصابه أولى ببِاكٍ أو عَذير
ونصونُه ونُجلُّه بين الشماتةِ والنَّكير
— عبدَ الحميد حسابُ مثـ ـلِك فى يدِ الملكِ الغفور
— سُدتَ الثلاثينَ الطوا لَ ولسْنَ بالحُكم القصير (٥)
— تنهى وتأمر ما بدا لكَ فى الكبير وفى الصغير
— لا تستشيرُوا فى الحمى عددُ الكواكب من مُشير

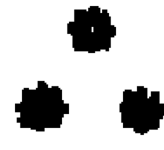
(١) الدوائر : جمع دائرة ، وهى النائبة من صروف الدهر . والمخادع : جمع مخدع ، بضم الميم وكسرها ، بيت يكون فى البيت الكبير يحرز فيه الشىء . (٢) العبيل : الضخم الغليظ . (٣) ربهن : سيدهن ، وهو السلطان عبد الحميد .
(٤) الحبير : الناعم الجديد . اليقق : الشديد البياض . (٥) الثلاثين الطوال : الأعوام التى مضت له وهو سلطان .

ـ كم سبّحوا لكَ في الروا ج والملوكَ لدى البُكور
ـ ورأيتهم لكَ سُجّدًا كسجود موسى في الحضور [١]
ـ خفضوا الرؤوسَ ووتّروا بالذل أقواسَ الظُّهور [٢]
ـ ماذا دهاكَ من الأمو ر وكنتَ داهيةَ الأمور؟
ماكنتَ إن حدثَتْ وجـ ـتْ بالجزوعِ ولا العَثُور
أين الرويةُ والأنا ةُ وحكمة الشيخ الخبير؟
إن القضاء إذا رمى دكَّ القواعدَ من (ثَبير) [٣]
دخلوا السريرَ عليكَ يحـ ـتكمون في رب السرير [٤]
أعظمْ بهم من آسريـ ـنَ وبالخليفةِ من أسير!
أسدٌ هصورٌ أنشبَ الـ أظفارَ في أسدٍ هَصور [٥]
قالوا اعتَزِلْ ـ قلتَ اعتزلـ ـتُ ـ الحكمُ لله القدير
صبروا لدولتكَ السنيـ ـنَ وما صبرتَ سوى شهور
أوذيتَ من دُستورهم وحنَنْتَ للحُكم العَسير
وغضبتَ كالمنصورِ أو هارون في خالي العصور [٦]
ضنوا بضائع حقِّهم وضنَنْتَ بالدنيا الغَرور
هلا احتفظتَ به احتفا ظَ مُرحِّبٍ فرحٍ قرير

---

(١) كسجود موسى في الحضور: أي حضوره حين تجلى له الله فكلمه.
(٢) وتروا بالذل أقواس الظهور: أي جعلوا الذل وترا لأقواس ظهورهم، يعني أن الذل قوس ظهورهم كما يفعل الوتر بالقوس إذا شد عليها.
(٣) ثبير: جبل معروف. (٤) يحتكمون في رب السرير: يتصرفون فيه وفق مشيئتهم. (٥) أنشب أظفاره في الشيء: أعلقها فيه.
(٦) أبو جعفر المنصور وهارون الرشيد، من الخلفاء العباسيين.

هو حليـــةُ الملكِ الرشيـ ـدِ وعصمةُ الملكِ الغَرير
وبه يُبارَك فى المـــا لكِ والملوكِ على الدهور



يأيهـــا الجيشُ الذى لا بالدعىّ ولا الفَخُور
يَخَفى فإن ريعَ الحمى لفت البرية بالظهُــور[١]
كالليث يسرفُ فى الفِعا لِ وليس يُسرف فى الزئير[٢]
الخاطبُ العليـــاء بالـ أرواح غاليةِ المهـــور
عنـــد المُهيمن ما جرَى فى الحقّ من دمكَ الطَّهور
يتـلو الزمانُ صحيفةً غرّا مُذَهّبـةَ السُّـطور
فى مدح (أنورك) الجرى ء وفى (نيازيك) الجسور
يا (شوكت) الإسلام بل يا فاتحَ البـــلد العسير[٣]
وابنَ الأكارم من بنى (عمَر) الكريم على (البشير)[٤]
القابضين عـــلى الصليـ ـل بجدهم وعلى الصرير[٥]
هل كان جدُّك فى ردا ئك يوم زحفك والكرور
فقنصت صـــيادَ الأسو د وصدت قناصَ النسور

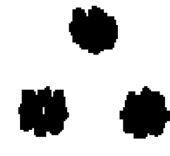
---

(١) ريع الحمى : أى راعه شىء وأفزعه . (٢) الزئير : صوت الأسد .

(٣) أنور ونيازى وشوكت : كانوا من كبار القواد فى الجيش العثمانى وكانوا على رأس الحركة التى قام بها هذا الجيش لحمل السلطان عبد الحميد على إعادة الدستور وجعله أساس الحكم فى البلاد التركية . (٤) عمر : هو الخليفة عمر بن الخطاب كان شوكت باشا من سلالته . والبشير : من أسماء النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

(٥) الصليل : الصوت يسمع عند المقارعة بالسيوف . الصرير : صوت القلم عند الكتابة به .

وأخذت (يلدزَ) عَنوة   وملكت عنقاء الثغور (١)



المؤمنون (بمصر) يُهـ   ـدون السلامَ إلى الأمير

ويُبايعونك يا (محمّدُ) في الضمائر والصدور (٢)

قد أمّلوا لهلالهم   حظَّ الأهلّةِ في المسير

فابلغ به أوْجَ الكما   ل بقوة اللهِ النصير

أنت الكبيرُ يقلّدو   نك سيفَ (عثمانَ) الكبير

شيخُ الغُزاةِ الفاتحيـ   ـنَ حسامُه شيخ الذكور (٣)

يمضي ويغمد بالهدى   فكأنه سيف النذير (٤)

بشرى الإمام محمد   بخلافة الله القدير

بشرى الخلافة بالإما   م العادلِ النزهِ الجدير

الباعثِ الدستور في الـ   إسلام من حُفر القبور

أوْدَى « معاويةٌ » به   وبعثته قبل النشور (٥)

فعلى الخلافة منكما   نورٌ تلألأ فوق نور (٦)

---

(١) أخذ الشيء عنوة ، أي قهرا . العنقاء : طير معروف الاسم مجهول الجسم يضرب مثلا لكل عزيز ممتنع ، والمراد أنه ملك ثغر الآستانة الذي يشبه العنقاء في عزته وامتناعه .

(٢) محمد : هو السلطان محمد رشاد الخامس الخليفة بعد السلطان عبد الحميد .

(٣) الذكور : جمع ذكر ، وهو السيف .   (٤) النذير : من أسماء النبي .

(٥) أودى به : ذهب به وأضاعه . ومعاوية بن أبي سفيان : أول ملوك الدولة الأموية . وقد كان حكم الخلفاء الراشدين قبله شورى بين المسلمين ، وهي معنى حكم الدستور . فلما أخذ معاوية الملك استقل فيه برأيه .   (٦) منكما : أي من الخليفة ومن الدستور .

تهنئـــــة (*)

الدهرُ جاءك باسط الأعذار ... فاقبلْ فأمرُ الدهرِ للأقدارِ
هل كنتَ تدفعُ حاضرًا أو غائبا ... عن مصر حكمَ الواحدِ القهار ؟
ذَاقت نَواكَ ورُوِّعت بثلاثةٍ ... بالداءِ بعد المحْلِ بعد النـار [1]
ودهى الرعية ما دهى فتساءلوا ... فى كل نادٍ ، أينَ ربُّ الدار ؟ [2]
ذكروكَ والتفتُوا لعلك مُسعدٌ ... ذِكْرَ الصغير أباه فى الأخطار [3]
فأسى جِرَاحَهُمُ وبلَّ صداهمُ ... طيبُ الرسائلِ منكَ والأخبار [4]
لهفِى على مُهجٍ غوالٍ غالهـا ... عافى الدبيب محجَّبُ الأظفار [5]
خمسونَ ألفاً فى المدائن صادَهم ... شركُ الردَى فى ليـلةٍ ونهار [6]
ذهبوا فليتَ ذهابَهم لعظيمةٍ ... مرموقةٍ فى العَصرِ أو لفخار [7]
فالموتُ عند ظِلال (موشا) رائعٌ ... كالموتِ فى ظِلِ القَنا الخطَّار [8]

(*) أصابت (الكوليرا) بلدا من بلاد الصعيد فى غيبة أمير البلاد يومئذ . فنظم صاحب الديوان هذه القصيدة يهنئه فيها بسلامة العودة ورحمة الله التى زاملتها فأدركت هذا البلد وحمته شر المغيب من هذا الوباء .

(١) نواك : بعدك . والمحل : الجدب ، يشير بالداء والمحل والنار ، إلى ما حدث فى صيف تلك السنة من ظهور مرض الكوليرا فى بعض جهات الصعيد ، ومن شرق الزرع لقلة ماء النيل ، ومن شبوب النار فى جهات كثيرة من ريف البلاد . (٢) دهى الرعية مادهى أى أصابها ما أصابها . (٣) مسعد : معين . الأخطار : جمع خطر ، وهو الإشراف على الهلاك . (٤) أسى جراحهم : داواها . والصدى العطش .

(٥) اللهف : الحزن . والغوالى : جمع غالية ، الثمينة . وغالها : أهلكها وأخذها من حيث لاتدرى . والدبيب : المشى على هيئة كمشى الطفل والنملة . (٦) المدائن : جمع مدينة . والشرك حبائل الصيد : (٧) مرموقة : من رمقه ، لحظه لحظا خفيفا أو أطال النظر إليه . (٨) ظلال : جمع ظل . وموشا : قرية من أعمال الصعيد فتكت الكوليرا بأهلها فى تلك السنة فتكا شديدا : الرائع : المفزع . القنا الخطار : الرماح المضطربة .

(*) حذفت بالكامل من الشوقيات منذ عام ١٩٥٦ ص ١٤٨ .

أهلاً بلطفِ الله بعد قضائه ... سكنَ القضاءُ به فليسَ يجارى
لما التمسناهُ تمثّــلَ فانجلى ... قمرا (برأس التين) للنُّظّار (١)
عاد الأمانُ وعدتَ يا بنَ محمد ... والبدرُ يحملُ عند أمن السارى (٢)
إن شئتَ فانزل فى القلوبِ كرامةً ... أو شئتَ فى الأسماعِ والأبصار
رحُبت لمصرَ بكَ السلامةُ وانقضى ... ما للحوادثِ عندها من ثار (٣)
فاستقبلا صفوَ الليالى واسحبا ... ذيلاً على الأسواءِ والأكدار (٤)
وانظــرْ إليها نظرةً علَويّةً ... يدنو بها القاصى من الأوطار (٥)
إن الحكومةَ من يمينك فى يدٍ ... مأمونةِ الإيرادِ والإصدار
والأمرُ يجرى فى الصلاح لغاية ... بين المرائى منكَ والأنظار (٦)
فانصرْ بهمتِك العلومَ وأهلها ... إن العلومَ قليلةُ الأنصار
لا يُظهرُ الكبراءُ آيةَ عزمهم ... حتى يُعِزوا آيةَ الأفكار
فتَّ النجومَ الزهرَ فى طلب العُلا ... ونزلتَ فوقَ منازلِ الأقمار (٧)
وظهرتَ فى شرقِ البلادِ وغربها ... كالشمس مظهرَ رفعةٍ ووقار
والأرضُ من أنوارِ ذاتك أشرقت ... لا تُخلِها أبداً من الأنوار

---

(١) التمسناه : طلبناه . وتمثل ، من قولهم : تمثل الشىء لفلان ، إذا حضرت صورته فى ذهنه . وانجلى : ظهر ووضح . ورأس التين : قصر فى الإسكندرية على ربوة لسان من الأرض يمتد فى البحر الأبيض ، وهو مقرّ صاحب العرش فى الصيف . والنظار : جمع ناظر . (٢) ابن محمد : الخديو عباس . السارى : من يمشى عامة الليل . (٣) رحبت : اتسعت . (٤) فاستقبلا : أى أنت ومصر . والأسواء : جمع سوء . والأكدار : جمع كدر . (٥) علوية : منسوبة إلى على جده . والأوطار : جمع وطر ، وهو الغرض . (٦) المرائى : جمع مرآة . والأنظار : جمع نظر . (٧) النجوم الزهر : المنيرة ، جمع أزهر . والمنازل : جمع منزلة ، وهى موضع النزول .

هُزّتْ مناكبُها بأعظم مسلمٍ في الناسِ بعد خليفةِ المختار (١)
من مبلغٌ دارَ السعادة أنها سعِدت بعالٍ في الملوكِ مَنار (٢)
أسنَى وفادتَهُ بها وأجلَّه حامى الحقيقة والحمَى والجار (٣)
بردُ الخلافةِ والسياسةُ جذوةٌ وحَمى الخلافةِ والسيوفُ عوارى (٤)
لك عنده ماشئت من حب ومن عطفٍ ومن نصرٍ ومن إكبار
عرشٌ على البسفورِ معتزٌّ به عرشٌ قوائمهُ على الأنهار (٥)
لكَ في كتاب الدهر يا ابن محمدٍ طَغرى مذهّبةٌ من الأشعار (٦)
ودّ الرشيدُ لو آنها لزَمانِه في جملة الحسناتِ والآثار (٧)
ويودّ قيصرُ لو تكونُ لعصرِه سمةً يتيه بها على الأعصار (٨)
لا أقنع الحساد ، أين مكانها أمرى إلى حَكَمٍ من الأدهار

---

(١) مناكبها : أى الأرض . وهى المواضع المرتفعة فيها . (٢) دار السعادة : الآستانة ، وكان الخديوى قد زارها فى تلك السنة . والمنار : العلم يجعل فى الطريق للاهتداء. (٣) أسنى وفادته : رفعها . والوفادة : القدوم . حامى الحقيقة : هو من يدفع عما يلزم الدفاع عنه ، والمراد السلطان عبد الحميد . (٤) برد الخلافة : صفة لحامى الحقيقة ؛ أو هو خبر لمبتدأ محذوف ، أى هو برد الخلافة .. الخ . والبرد : ضد الحر . الجذوة : الجمرة الملتهبة . والحمى : ما لا يجترأ عليه . (٥) عرش على البسفور : المراد عرش الخلافة . والبسفور : اسم أحد بوغازى الآستانة وهو يصل بحر مرمرة بالبحر الأسود . والمراد بالعرش الثانى : عرش مصر . (٦) لك فى كتاب الدهر : الخطاب للخديو . الطغرى : كلمة تترية ، وهى علامة كانوا يكتبونها بالقلم الغليظ فى طرف كتب الأوامر فتقوم مقام السلطان . والمراد بها هنا : شعر صاحب الديوان . (٧) الرشيد : هو هارون الرشيد الخليفة العباسى .
(٨) قيصر : ملك الروم .

انتحار الطلبة(*)

ناشئٌ فى الورد من أيامِهِ حسبُهُ اللهُ أبا الوردِ عثر (١)
سدّد السهمَ إلى صدرِ الصِّبا ورماه فى حواشِيه الغُرر (٢)
بيدٍ لا تعرفُ الشرَّ ولا صلُحت إلا لتلهُو بالأُكر (٣)
بُسطت للسمِّ والحبل وما بُسطت للكأس يومًا والوتَر
غفرَ اللهُ له ، ما ضرَّه لو قضى من لذةِ العيش الوطَر
لم يُمتَّع من صِبا أيامه ولياليه أصيلٌ وسحر (٤)
يتمنى الشيخُ منه ساعةً بحجابِ السمعِ أو نورِ البصر (٥)
ليس فى الجنةِ ما يُشبِهه خفةً فى الظلّ أو طيبَ قِصر
فصِبا الخُلد كثير دائم وصِبا الدنيا عزيزٌ مختصر

* * *

كل يوم خبر عن حَدثٍ سئِم العيشَ ومن يَسأم يذَر (٦)
عاف بالدنيا بناءً بعدما خَطب الدُّنيا وأهدَى ومَهر (٧)
حلَّ يومَ العُرسِ منها نفسَه رحِمَ اللهُ العرُوس المحْتضَر (٨)

(*) رأى صاحب الديوان ذلك المفزع الوبيء الذى يفزع إليه صغار الطلبة فى مصر بعد سقوطهم فى الامتحانات فنظم لهم هذه القصيدة يقطع عليهم فيها سبيل اليأس ، ويبسط لهم سبيل الأمل . (١) حسبه الله : أى كفاه الله . (٢) الصبا الميل إلى جهالة الفتوة ، الحواشى الجوانب . (٣) الأكر : جمع أكرة ، وهى الكرة . (٤) الأصيل وقت ما بعد العصر إلى المغرب . والسحر : قبيل الصبح . (٥) منه ، أى من صبا الأيام . (٦) الحدث : الشاب . ويذر : يترك .

(٧) عاف : كره . وبناء ، من قولهم : بنى بأهله ، أى زفت إليه . خطب : من خطبة الزواج . أهدى : أعطى الهدية . مهر : أعطى المهر . (٨) المحتضر ، أى الميت فى صباه ، من اختضار الكلأ ، أى قطعه وهو أخضر .

ضاقَ بالعيشةِ ذرعاً نهوَى   عن شَفا اليأس وبئس المنحدَر (١)
راحلاً فى مثلِ أعمارِ المنى   ذاهباً فى مثـلِ آجالِ الزهَر
هارباً من ساحةِ العيش وما   شارفَ الغمرةَ منها والغُدُر (٢)
لا أرى الأيامَ إلا معركا   وأرى الصنديدَ فيه من صَبر (٣)
ربَّ واهى الجأش فيه قصَفٌ   مات بالجبنِ وأودَى بالحذَر (٤)

***

لامه الناسُ وما أظلمَهم   وقليلٌ من تَغاضَى أو عذَر
ولقد أبلاكَ عذراً حسناً   مرتدىَ الأكفان ملقىً فى الحُفر
قال ناسٌ صرعةٌ من قدرٍ   وقديماً ظَـلَمَ الناسُ القَدَر
ويقول الطبُّ بل من جِنة   ورأيتُ العقلَ فى الناسِ نَدَر (٥)
ويقولون جفاءٌ راعَه   من أبٍ أغلظَ قلباً من حَجر (٦)
وامتحانٌ صَعَّبتهُ وطأةٌ   شدّها فى العلم أستاذ نَكِر (٧)
لا أرى إلا نظاماً فاسداً   فكَّكَ العلم وأودى بالأسَر ؟
من ضحاياهُ، وما أكثرها!   ذلكَ الكارهُ فى غَض العُمُر (٨)

مارأى فى العيش شيئاً سرّه   وأخف العيش ماساء وسَرّ

---

(١) ضاق بالشىء ذرعا : ضعفت عنه طاقته ولم يجد مخلصا من مكروهه . والشفا : حرف كل شىء . (٢) شارف الشىء : قاربه ودنا منه . وغمرة الشىء : شدته ومزدحمه . والغدر : جمع غدير ، وهو النهر أو القطعة من الماء يغادرها السيل . (٣) الصنديد : السيد الشجاع (٤) الواهى : الضعيف المتداعى إلى السقوط . الجأش : نفس الإنسان ، أو هو رواع القلب عند الفزع . والقصف : الخور والضعف . أودى : هلك . (٥) الجنة الجنون . (٦) الجفاء : غلظة العشرة . (٧) النكر : الفطن . (٨) غض العمر ، أى العمر الغض الناضر .

نزل العيشَ فلم ينزِل سوى | شُعبةِ الهم وبيداءِ الفِكَر (١)
ونهارٍ ليس فيـــهِ غِبطةٌ | وليـالٍ ليس فيهنّ سَمَر (٢)
ودروسٍ لم يُذلّل قطفَهـا | عالمٌ إن نطقَ الدرسَ سحر (٣)
ولقد تُنهِكه نهكَ الضّنَى | ضرّةٌ منظرها سُقمٌ وضَرَ (٤)
ويلاقِي نصباً مما انطوَى | فى بنى العَلاتِ من ضِغنٍ وشر (٥)
إخــوةٌ ما جمعتهم رحِمٌ | بعضُهم يمشُون للبعضِ الخَمر (٦)
لم يرفرِفْ مَلكُ الحبِّ على | أبويهم أو يُباركْ فى الثمر
خلقَ اللهُ من الحبِّ الورَى | وبنَى المُلكَ عليه وعَمَــر

* * *

نشأ الخير ، رويداً ، قتلكم | فى الصبا النفسَ ضلالٌ وخُسُر (٧)
لو عصيتُمْ كاذبَ اليأسِ ، فما | فى صِباها ينحرُ النفسَ الضجِر (٨)
تضمرُ اليأسَ من الدنيا وما | عندها عن حادثِ الدُّنيا خَبر
فيمَ تجنون على آبائِكم | ألمَ الثُّكلِ شديداً فى الكِبَر ؟
وتعقّون بلاداً لم تزل | بين إشفاقٍ عليكم وحذر ؟

---

(١) شعبة الهم : الطائفة منه . (٢) الغبطة : حسن الحال . والسمر : الحديث فى الليل . يذلل ، من ذلل الشيء ، جعله هينا . وقطف الثمر : جنيه وجمعه . وقطاف الشيء ، أخذه بسرعة . (٣) تنهكه : تضنيه . والضنى : المرض والهزال . وضرة المرأة : امرأة زوجها ، وهما ضرتان وهن ضرائر . (٥) بنو العلات ، بفتح العين هم بنو أمهات شتى من رجل واحد . والضغن : الحقد . (٦) بعضهم يمشون للبعض الخمر ، بفتح الخاء : أى يختلونهم . ومنه قولهم : هو يدب له الضراء ويمشى له الخمر .
(٧) نشأ الخير ، أى يا نشأ الخير . والنشأ ، بفتح الشين : جمع نشء ، بسكونها ، وهو النسل . ورويدا : أى مهلا لتسمعوا ما أقول . والخسر ، بضم السين : الخسران
(٨) لو عصيتم كاذب اليأس ، حض ، معناه : اعصوا كاذب اليأس .

– فمصابُ الملك في شُبّانه كمصابِ الأرضِ في الزرعِ النَّضِر
– ليسَ يدرى أحدٌ منكم بما كانَ يُعطَى لو تأنّى وانتظر
– ربَّ طفلٍ برح البؤسُ به مُطِرَ الخيرَ فتيًّا ومَطَر (١)
– وصبيٍّ أزرت الدُّنيا به شبَّ بين العزّ فيها والخَطَر (٢)
– ورفيعٍ لم يُسَوِّدْه أبٌ مَنْ أبو الشمسِ ومن جدُّ القَمَر ؟
– فلكٌ جارٍ ودُنيا لم يدُم عندها السعدُ ولا النحسُ استَمَر
– روِّحوا القلب بلذات الصبا فكفى الشيبُ مجالاً للكَدَر (٣)
– عالجوا الحكمةَ واستشفوا بها وانشُدوا ما ضلَّ منها في السِّيَر (٤)
– واقرءوا آدابَ من قبلكمُ ربما علَّم حيًّا مَنْ غبَر (٥)
– واغنموا ما سخَّرَ اللهُ لكم من جَمالٍ في المعاني والصُّوَر (٦)
– واطلبُوا العلمَ لذاتِ العلمِ لا لشَهاداتٍ وآرابٍ أُخَر (٧)
– كم غلامٍ خاملٍ في درسه صارَ بحرَ العلمِ أستاذَ العُصُر
– ومُجِدٍّ فيه أمسى خاملاً ليس في من غابَ أو في من حَضَر

*
* *

قاتلُ النفس ولو كانت له أسخَطَ اللهَ ولم يُرضِ البَشَر
ساحة العيشِ إلى الله الذى جعلَ الوِردَ بإذنٍ والصَّدَر (٨)

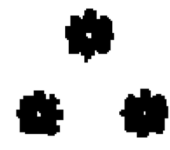
---

(١) برح به : جهده وآذاه . ومطر الخير – بضم الميم – أى أصابه كما يصيب المطر الأرض . ومطر ، بفتح الميم ، أى صدر عنه الخير كالمطر . (٢) أزرت به : تهاونت (٣) روحوا القلب ، أى أنعشوه وطيبوه . (٤) الحكمة : صواب الأمر وسداده ووضع الشىء فى موضعه . السير – بكسر السين : جمع سيرة ، وهى للإنسان طريقة سلوكه بين الناس . (٥) من غبر : من مضى . (٦) اغنموا – من غنم الشىء : فاز به من غير مشقة وأخذه بغير بدل . (٧) آراب : جمع أرب ، وهو الحاجة .
(٨) الورد : بلوغ الماء . والصدر : الرجوع عنه .

لا تموتُ النفس إلا باسمــه   قامَ بالموتِ عليهــا وقهر
إنمـا يسمحُ بالروحِ الفــتى   ساعة الروعِ إذا الجمعُ اشتجر (١)
فهنــاك الأجرُ والفخرُ معًا   من يعشْ يُحْمَدْ، ومن ماتَ أُجِر

عبث المشيب

ظلمَ الرجالُ نساءهم وتعسفوا   هل للنساء بمصر من أنصار؟ (٢)
يا معشرَ الكتاب: أينَ بلاؤُكم   أين البيانُ وصائبُ الأفكار؟ (٣)
أيهمُّكم عبثٌ وليس يهمُّكم   بنيانُ أخلاقٍ بغير جدار؟ (٤)
عندى على ضيم الحرائر بينكم   نبأٌ يثيرُ ضمائرَ الأحــرار (٥)
ممـا رأيتُ وما علمتُ مسافرا   والعلمُ بعضُ فوائدِ الأسفار
فيــه مجالٌ للكلام ومذهبٌ   ليراعِ (باحثة) (وست الدار) (٦)



كثرت على دارِ السعادة زمرةٌ   من مصر أهلُ مزارعٍ ويسار (٧)
يتزوَّجون على نساءٍ تحتهم   لا صاحبات بغى ولا بِشرار (٨)

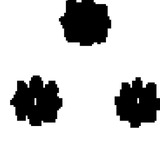
(١) الروع: الفزع، ويأتى بمعنى الحرب، وهو المراد هنا.

(٢) تعسفوا: ظلموا أولم ينصفوا. (٣) البلاء: الاختبار. (٤) العبث: اللعب. الجدار: الحائط. (٥) الحرائر: جمع حرة. الضمائر: جمع ضمير، وهو قلب الإنسان وباطنه. (٦) باحثة: هى المرحومة ملك ناصف، وكانت قد اتخذت لنفسها اسم « باحثة البادية » تذيل به مقالات كانت تذيعها بواسطة الصحف فى شئون اجتماعية ونسوية. وست الدار: اسم كانت تذيل به مقالات فى الصحف أيضا.

(٧) دار السعادة: هى الآستانة. الزمرة: الجماعة متفرقة. اليسار: الغنى.

(٨) البغى والبغاء، مقصور وممدود: الزنى.

شاطرتهم نِعم الصبا وسقيْتهم ... دهرًا بكأس للسُّرور عُقَـــار (١)
الوالداتُ بنيهـــمُ وبنـــاتِهم ... الحائطاتُ العرضَ كالأسـوار (٢)
الصابراتُ لضَرّة ومَضَـــرّة ... المحيياتُ الليـلَ بالأذكار

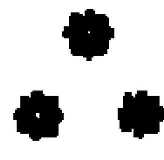


من كل ذى سبعين يكتمُ شيبه ... والشيبُ فى فوْديه ضوء نهـار (٣)
يأبى له فى الشيب غير سفاهة ... قلبٌ صـغيرُ الهمّ والأوطار (٤)
ما حـــاله عطفٌ ولا رفقٌ ولا ... برٌّ بأهــــل أو هوًى لديار
كم ناهدٍ فى اللاعبات صغيرةٍ ... ألهته عن حفَدٍ بمصر صِغار (٥)
مهما غدا أو راح فى جولاته ... دفعته خاطبـــةٌ إلى سمسار (٦)
شغلُ المشايخ بالمتاب، وشغله ... بتبـــدل الأزواج والأصهار (٧)
فى كل عامٍ همُّه فى طَفـلة ... كالشمس إن خطبت فللأقمار (٨)
يرشـــو عليها الوالدين ثلاثةٌ ... لم أدر أيهمُ الغليظُ الضارى؟
المـال حلّلَ كلّ غير محلل ... حتى زواج الشـيب بالأبكار

---

(١) شاطرتهم، من شاطره الشىء، ناصفه إياه. والعقار: الخمر، لأنها تعقر العقل، أو لأنها تعاقر الدن، أى تلازمه (٢) الوالدات: أى اللاتى هن والدات أبنائهم وبناتهم. والحائطات - من حاط الشىء: حفظه وتعهده. والعرض: هو جانب الرجل الذى يصونه من نفسه أو سلفه، أو من يلزمه أمره أو هو موضع المدح والذم من الإنسان. والأسوار: جمع سور. (٣) الفودان: تثنية فود، وهو معظم الرأس مما يلى الأذن، وقيل هو ناصية الرأس. (٤) الهم: مايهم به الإنسان فى نفسه. ويقال: رجل هم، أى ذو همة يطلب معالى الأمور. الأوطار: جمع وطر، وهو الحاجة.
(٥) النـاهد: الجارية ارتفع ثديها. والحفد، بفتح الفاء: جمع حافد، وهو ولد الولد، كالحفيد. (٦) الخاطبة: من تتوسط فى تزويج الرجال من النساء.
(٧) المشايخ: أى من أدركتهم الشيخوخة مثله. والمتاب: التوبة.
(٨) الطفلة - بفتح الطاء: الرخصة الناعمة.

سحر القلوبَ ، فرب أيِّم قلبها … من سحره حجر من الأحجار
دفعت بُنيّتها لأشأم مضجع … ورمت بها فى غربة وإسار (١)
وتعللت بالشرع قلت كذبته … ما كان شرعُ الله بالجزار (٢)
ما زُوِّجت تلك الفتاة وإنما … بِيعَ الصبا والحسنُ بالدينار
بعض الزواج مذمَّمٌ ، ما بالزنا … والرق إن قِيسا به من عار
فتشت لم أرَ فى الزواج كفاءة … ككفاءة الأزواج فى الأعمار



أسفى على تلك المحاسن كلما … نُقِلت من (البال) إلى الدوّار
إن الحجابَ على (فروقٍ) جنةٌ … وحجاب مصر وريفها من نار
وعلى وجوهٍ كالأهلة رُوِّعت … بعد السفور ببرقع وخمار (٣)
وعلى الذوائبِ وهى مسكٌ خولطت … عند العناق بمثل ذوب القار (٤)
وعلى الشفاه المُحْيِيات أماتها … ريحُ الشيوخ تهبُّ فى الأسحار
وعلى المجالس فوق كل خميلةٍ … بين الجبالِ وشاطئٍ محبار (٥)
تدنو الزوارق منه تنزلُ جؤذراً … بقلادة أو شادِناً بسوار (٦)
يرفُلن فى أزُرِ الحرير تنوعت … ألوانه كالزهر فى آذار (٧)

---

(١) أشأم مضجع ، أى أشد المضاجع شؤما . والإسار : الأسر .
(٢) تعلل بالشىء : تلهى به واكتفى . وكذبته : أى كذبت عليه :
(٣) وعلى وجوه : أى وأسفى على وجوه . والأهلة : جمع هلال . والخمار - بكسر الخاء : ماتغطى به المرأة رأسها . (٤) الذوائب : جمع ذؤابة ، وهى الناصية . والقار ، قيل : هو ما يسمى بالزفت (٥) الخميلة : الشجر الكثيف الملتف ، وقيل : الموضع الكثير الشجر . والمحبار : الأرض السريعة النبات الحسنة . (٦) الجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، تشبه به الحسان لجمال عينيه . والشادن : ولد الظبية . (٧) يرفلن - من رفل فى ثيابه : أطالها وجرها متبخترا . والأزر : جمع إزار ، وهو كل ماسترك . وآذار الشهر الثالث من السنة المسيحية .

الطاهراتُ اللحظِ أمثـال المهى ... الناطقـــاتُ الجرْسِ كالأوتار (١)
الدهرُ فرّقَ شملهنّ فُزْ به ... يارُبّ تجمَعُهُ يد المقـــدار

أبو الهـــول (*)

أَبَا الهَوْلِ ، طالَ عليكَ العُصُرْ ... وبُلِّغْتَ فى الأَرض أقصى العُمُرْ (٢)
فيالِدَةَ الدَّهْـــرِ ، لا الدّهرُ شَبّ ... ولا أنت جاوزتَ حَدَّ الصغَر (٣)
إلَامَ ركوبُكَ مَتْنَ الرما ... لِ لِطَىِّ الأُصيل وجَوْب السَّحَرْ (٤)
تسافر مُنتقـــلا فى القرو ... نِ فأيانَ تُلقى غُبار السفر ؟
أبينكَ عَهْـــدٌ وبين الجبا ... لِ ، تزولان فى الموْعِدِ المُنتظَر ؟ (٥)

---

(١) المهى : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية . والجرس : الصوت .

(*) رفع الستار فى مسرح حديقة الأزبكية يوم افتتاحه عن تمثال أبى الهول ، يناجيه رجل بهذه القصيدة .

(٢) « طال عليك العصر » العصر والعصر والعصر والعصر : الدهر . فالعصر هنا مفرد لا جمع . ومعنى طول الدهر على أبى الهول : أنه عمر أعماراً طوالا . وقد أوضح ذلك مع زيادة فى التوكيد بقوله : « وبلغت فى الأرض أقصى العمر » . والعمر ـ بضم العين والميم ـ لغة فى العمر . (٣) « فيالدة الدهر » فيا أخا الدهر وقرينه ، فكأنك والدهر توءمان ، خلقتما معا فى أوان . والبيت كما ترى آية فى الإبداع وروعة البيان . « ولا أنت جاوزت حد الصغر » أى برغم أنك بلغت فى الأرض أقصى العمر .

(٤) « إلام ركوبك » إلى : من حروف الجر دخلت على ما الاستفهامية ، فبنيت بناء كلمة واحدة وسقطت الألف من « ما » طلباً للخفة واعتداداً بإلى الموصولة بها . وكذلك يفعلون فى بم وفيم وهم ولا يفعلون ذلك بما الخبرية ، ومن العرب من يقف على مثل هذا بالهاء فيقولون : إلامه وعمه وفيمه ولمه ـ هذا وإنه لتصوير شعرى بديع رائع لتصوير أبى الهول راكباً متن الرمال يطوى الليل والنهار ، ويسافر متنقلا فى القرون والأدهار . و « جوب » فى معنى طى . (٥) « فى الموعد المنتظر » يوم يزول كل شىء ، أى اليوم الآخر .

*
* *

أبا الطول ! ماذا وَراءَ البقـــا ءِ ـ إذا ما تطاول ـ غيرُ الضَّجَر؟[١]
عجِبْت لِلُقمانَ فى حِرصِه على لُبَدٍ والنُّسُورِ الأُخَر[٢]
وَشَكوَى لبيـــد لطولِ الحيا ةِ ، ولو لم تَطُلْ لَتَشَكّى القِصَر[٣]

---

(١) « ماذا وراء البقاء » يقول : ما وراء البقاء المتطاول غير السأم . قال زهير بن أبى سلمى : سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ٭ ثمانين حولا لا أبالك يسأم

(٢) « للقمان » هو لقمان بن عادياء . وتزعم العرب أنه الذى بعثته عاد فى وفدها إلى الحرم ليستسقى لها ، فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بقرات سمر من أظب عفر فى جبل وعر لا يمسها القطر أو بقاء سبعة أنسر كلما أهلك نسر خلف بعده نسر . فاستحقر الأبقار وآثر النسور . فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ له : ياعم ، ما بقى من عمرك إلا عمر هذا . فقال لقمان : هذا لبد . ولبد ـ بلسانهم : الدهر . قالوا وكان يأخذ فرخ النسر فيجعله فى حوبة فى الجبل الذى هو فى أصله فيعيش الفرخ خمسمائة سنة أو أقل أو أكثر فإذا مات أخذ آخر مكانه حتى هلكت كلها إلا السابع ، أخذه فوضعه فى ذلك الموضع وسماه لبدا ، وكان أطولها عمراً فضربت العرب به المثل فقالوا : طال الأبد على لبد . قال الأعشى : وأنت الذى ألهيت قيلا بكأسه ٭ ولقمان إذ خيرت لقمان فى العمر
لنفسك أن تختار سبعة أنسر ٭ إذا ما مضى نسر خلوت إلى نسر
فعمر حتى خال أن نسوره ٭ خلود وهل تبقى النفوس على الدهر
فعاش لقمان ـ كما زعموا ـ ثلاث آلاف وخمسمائة سنة . وقال النابغة :
أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا ٭ أخنى عليها الذى أخنى على لبد
وهذا لقمان بن عادياء غير لقمان الحكيم وغير لقمان اليهودى الذى آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، وكلا الاثنين مذكور فى القرآن الكريم .

(٣) « وشكوى لبيد » أى وعجبت لشكوى لبيد لطول الحياة . . . الخ وهو لبيد ابن ربيعة الشاعر الجاهلى الإسلامى المخضرم صاحب المعلقة المشهورة التى أولها :
عفت الديار محلها فمقامها ٭ بمنى تأبد غولها فرجامها
كان لبيد من المعمرين . روى أنه مات وهو ابن مائة وأربعين . وقيل وهو ابن سبع وخمسين ومائة أول خلافة معاوية . أما شكواه التى ألمع إليها فذلك حيث يقول :
ولقد سئمت من الحياة وطولها ٭ وسؤال هذا الناس كيف لبيد
يقول : إذا لم يكن وراء البقاء المتطاول إلا الضجر فإنى أعجب للقمان فى حرصه على أن تطول حياته ولِلبيد ، الذى وإن مل الحياة وسئم من طولها ، فإنه لا محالة كان أكثر شكاة إذا هى لم تطل ، لأن حب الحياة جبلة مركوزة فى الطباع .

ولو وُجدت فيك يا ابنَ الصّفا ةِ لحقتَ بصانعك المقتـــدر [١]
فإنّ الحيـــاة تَفُلُّ الحديـ ـدَ إذا لَبِسَتْهُ وتُبْـــلى الحجَر [٢]

*
* *

أبا الهول ما أنت في المُعضِلا تِ؟ لقد ضَلَّتْ السُّبْلَ فيك الفِكرا [٣]
تحيَّرتِ البـدْوُ ماذا تكو نُ وضَلّتْ بوادي الظنونِ الحضَر [٤]
فكنتَ لهُم صُورةَ العُنفوا نِ، وكُنتَ مِثالَ الحِجَى والبَصَر [٥]
وَسِرُّكَ في حُجْبِـــهِ كُلَّما أطَلّتْ عليهِ الظُّنونُ استتر [٦]
وما رَاعَهُم غيرُ رأسِ الرجا لِ على هَيكلٍ من ذوات الظُّفُر
ولو صُوِّروا مِن نَواحي الطِّبا عِ تَوالَوا عليكَ سِباعَ الصُّوَر [٧]
فَيارُبَّ وَجهٍ كَصافي النَّميـ ـرِ تَشابهَ حامِـــلُهُ والنَّمِر [٨]

---

(١) «وجدت» أي الحياة «ويا ابن الصفاة». الصفاة: الحجر الصلد الذي لا ينبت شيئا. وفي المثل: فلان ما تندى صفاته. وفي الحديث: لا تقرع لهم صفاة، أي لا ينالهم أحد بسوء. وأبو الهول ابن الصفاة، لأنه من الحجر. «لحقت... الخ»: أي لأدركك الموت (٢) فإن الحياة، من المعاني المبتكرة التي لا اظن صاحب الديوان قد سبق إليها على هذا الوجه. (٣) ما أنت في المعضلات، خبرني أي معضلة أنت في المعضلات وأي معمى! (٤) تحيرت، يقول: حار الناس قاطبة في أمرك حاضرهم والبادي. (٥) صورة العنفوان، لما ينطوي عليه جسمك الذي صور على صورة الأسد من معاني القوة. «مثال الحجى والبصر» لما ينم عنه وجهك ورأسك المصوران على صورة وجه الإنسان من معاني الفطنة والبصر بالأمور. (٦) يقول: ومع ذلك لا يزال سرك مكنونا في حجبه والناس من أمرك في ظلام.

(٧) ولو صوروا، أي مكان ينبغي أن يروع الناس منك إن كان رأسك على هيكل من ذوات الظفر، لأن الناس لو صوروا من نواحي شيمهم وطباعهم لنالوا عليك كأنهم وحوش. وهذا معنى حسن بديع، وقد زاده حسناً وأكده بقوله: فيارب وجه كصافي النمير. (٨) النمير: الماء الناجع في الرأي أو النامي أو الكثير. والنمر. هو ذلك الحيوان المعروف بمكره وخبثه وشراسته. وهذا البيت من جوامع الكلم وروائع الحكم، ولا يخفى ما فيه من الجناس بين النمير وبين النمر، وللشعراء فيما يتصل بهذا المعنى ويقاربه ما يخطئه العد والإحصاء فمن ذلك ما يقول القائل.

*
* *

أبا الهول ويحكَ لَا يُستقَلْ ـلُ مَعَ الدهر شيءٌ ولا يُحتَقَر (١)
تهزّأتَ دَهرًا بِديك الصباح فنقّـرَ عينيك فيما نَقَـر (٢)

= لايغرنك ما ترى من أناس * إن تحت الضلوع داء دويا
ويقول الأبيوردى :
يلقاك والعسل المصفى يجتنى * من قوله ومن الفعال العلقم
يبدى الهوى ويثور ـ إن عرضت له * فرص ـ عليك كما يثور الأرقم
ويقول الشريف الرضى :
لاتجعلن دليل المرء صورته * كم مخبر سمج عن منظر حسن
ويقول : وكم صاحب كالرمح زاغت كعوبه * أبى بعد طول العمر أن يتقوما
تقبلت منه ظاهراً متبلجا * وأدمج دونى باطنا متجهما
ولو أننى كشفته عن ضميره * أقمت على ما بيننا اليوم مأتما
وقال آخر .
يعطيك ودا صادقا بلسانه * ويجن تحت ضلوعه ألوانا
وقال أبو فراس :
وقد صار هذا الناس إلا أقلهم * ذئابا على أجسادهن ثياب
وقال آخر : ظننت بهم خيراً فلما بلوتهم * نزلت بواد منهم غير ذى زرع
ويقول أبو تمام .
إن شئت أن يسود ظنك كله * فأجله فى هذا السواد الأعظم
ليس الصديق بمن يعيرك ظاهرا * متبسما عن باطن متجهم

(١) لا يستقل : لا يعد قليلا . وهذا البيت كالتمهيد لما بعده .

(٢) ديك الصباح : يريد الزمن . والعلاقة بين الديكة وبين الصباح من ناحية صياحها فيه معروفة ، وأنه لتخيل شعرى جميل . ومن بارع حسن التعليل أن جعل سبب عبث الدهر بأبى الهول وتشويهه خلقه حتى أسال بياض عينيه وسل سوادها هزء أبى الهول به وسخره منه وعدم اكتراثه له ، ثم تعبيره عن الدهر بديك الصباح . هذا ولمناسبة ذكر ديك الصباح نقول : إنه ورد فى بعض الآثار : لاتسبوا الديكة فإنها تدعو إلى الصلاة . ولابن المعتز :
بشر بالصبح هاتف هتفا * هاج بالليل بعد ما انتصفا
مذكر بالصبوح عاج بنا * كخاطب فوق منبر وقفا =

أسال البياضَ وَسَــلَّ السَّوادَ ... وَأَوْغَــلَ مِنقـارُه فى الحفَرْ
فعُـــدتَ كأنكَ ذو المَحْبِسَيْـ ... ـنِ ، قَطيعَ القيام سليبَ البصَر [1]
كأنَّ الرمالَ عـــلى جانبَيْـ ... ـكَ وبينَ يديك ذنوبُ البَشَر
كأنَّكَ فيها لواء القضـــا ... ءِ على الأرض أو دَيْدَبانُ القَدَر [2]
كأنَّكَ صاحبُ رَمْــلٍ يرَى ... خَبـايا الغيوبِ خِلالَ السَّطَر [3]

***

أبا الهـــولِ أنت نديمُ الزما ... نِ نَجِيُّ الأوانِ سَميرُ العُصُر [4]

= صفق إما ارتيـاحة لسنا الـ ∗ ـفجر وإما على الدجى أسفا

وللمعـــرى :

أيا ديك عدت من أياديك صيحة ∗ بعثت بهـا ميت الكرى وهو نائم
هتفت فقال الناس أوس ابن معير ∗ أو ابن رباح بالمحـــلة قائم

إلى أن يقول :

عليك ثياب خاطها الله قادرا ∗ بها رُمّتك العاطفات الروائم
وتاجك معقود كأنك هرمز ∗ يبـاهى به أملاكه ويوائم
وعينك سقط ما خبا عند قرة ∗ كلمعة برق مالهـا الدهر شائم
وما زلت للدين القديم دعامة ∗ إذا قلقت من حامليها الدعائم

أوس بن معير ، وهو مؤذن رسول الله بمكة بعد الفتح ، وابن رباح ، هو بلال ، كان يؤذن لرسول الله سفرا وحضرا . ورُمّتك : عطفت عليك ولزمتك . ويوائم : يوافق ويلائم . والسقط : ما سقط من النار بين الزندين قبل استحكام الورى . والقرة : البر .

(١) المحبسين ، المحبس : الموضع الذى يحبس فيه . وكان يقال عن أبى العلاء المعرى : رهين المحبسين ، أى رهين عماه وبيته ، فكأنه من عماه فى محبس . وكذلك أبو الهول عدة شاعرنا بعد أن نقر ديك الصباح عينيه كأنه من عماه وسكونه فى محبسين .

(٢) ديدبان ، فارسية معربة ، أصلها ديده بان ، ومعنى ديده : العين . وبان : أى ذو ، أى الرقيب والعين . ومعناها الخاص : الجندى المكلف بالحراسة . (٣) السطر : السطر . والسطر : الصف من الكتاب والشجر ونحوهما . ومعنى البيت ظاهر .

(٤) نجى الأوان : النجى بوزن فعيل : الذى تساره . وفى الحديث : اللهم بمحمد نبيك وبموسى نجيك . هو المناجى المحدث للإنسان .

بسطتَ ذراعيك من آدمٍ ... ووليتَ وجهك شطر الزُّمَر [١]
تطلُّ على عالَمٍ يستهلْ ... لُ وتوفى على عالَمٍ يحتضَر [٢]
فعينٌ إلى من بدا للوجو ... دِ، وأخرى مُشيّعة من عبَر [٣]
لحدَّث فقد يُهتدى بالحديـ ... ـثِ، وخبِّر فقد يؤتسَى بالخبَر [٤]
ألم تَبلُ فرعونَ في عزّه ... إلى الشمس مُعتزيًا والقمر [٥]
ظليلَ الحضارة في الأوَّليـ ... ـنَ، رفيعَ البناء، جليلَ الأثر [٦]

(١) من آدم: أي من قديم القديم. والزمر: جمع الزمرة، الجماعة من الناس، والمراد هنا الناس جميعا. (٢) يستهل: يعنى يقدم على الدنيا، من استهل الصبي بالبكاء: رفع صوته وصاح عند الولادة. ويحتضر: حضر فلان واحتضر، إذا نزل به الموت.

(٣) وأخرى مشيعة من عبر: من مضى، وإن هذا البيت لمشبع من الروعة والجلال.

(٤) لحدث، هذا البيت هو كالمدخل لما بعده. (٥) ألم تبل فرعون، بلاه يبلوه بلوا وابتلاه: جربه واختبره. وفرعون: لقب يطلق على كل من ولى ملك مصر، كالنجاشي لملوك الحبشة، وقيصر لملوك الرومان. وفرعون، أصلها في الهيروغليفية مركبة من « بى » وهي أداة التعريف كأل، وراع أي الشمس، فتكون كلمة واحدة. وراع أو راهو: معبود قوى وحاكم جبار يقاتل احتفاظا بالحياة وإبقاء على الكون. ومن هنا كان العتو والجبروت وما في معناهما من مدلولات كلمة فرعون عند العرب. وإذن لا يقصد بفرعون فرعونا معينا ولكن جميع فراعنة مصر، وقد ابتلاهم أبو الهول. إلى الشمس معتزيا، يقول: ألم تبل يا أبا الهول فرعون وهو في عزه حتى لكأنه من العز والمنعة بحيث يناطح الشمس والقمر، لأن من اعتزى إلى شيء قاربه وشاكله، وقد كان أكثر الفراعنة يضعون على تيجانهم صورة أوزيريس، الشمس. وإيزيس، القمر، لأنهما من أصنامهم، فلعله يشير إلى هذا مع إرادة معنى العز والمنعة. (٦) ظليل الحضارة: مكان ظليل، ذو ظل دائم يستظل به. يريد أن حضارة فرعون كانت من الكمال بحيث تظل الناس ويرتعون في ذراها وكنفها والحضارة، بكسر الحاء وفتحها: الإقامة في الحضر. والحضرة والحاضرة: خلاف البدو والبادية، وهي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار. قال القطامي:

فمن تكن الحضارة أعجبته ... فأى رجال بادية ترانا

وقال المتنبي:

حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفى البداوة حسن غير مجلوب

ولكن الحضارة هنا بمعنى التمدين:

يُؤَسّسُ فى الأرض للغــــابريـ ـنَ ويغرسُ للآخرين الثمر (١)
وراعك ماراعَ مِنْ خَيْلِ قَمْبِـ ـزَ تَرمى سَـــنابكها بالشَّرَر (٢)
جَوارِفُ بالنّار تغزُو البـــلا د وآونةً بالقَنـــا المشْتَجِر
وأبصرْت إسكَنْدرًا فى الملَا قَشيبَ الملَا فى الشّبابِ النّضِر (٣)

---

(١) «للغابرين» : الغابر ، من الأضداد ، فيكون بمعنى الباقى ويكون بمعنى الماضى ومن ثم يكون معنى البيت : إما أن فرعون يخلد ذكر الماضين بإقامة الآثار لهم والتماثيل ويغرس الآتين ما يجنون ثمره من دور العلم والعرفان وما إليها ، وإما أن فرعون يؤسس للآتين ويغرس لهم كل ما يجدى ويثمر . (٢) «قمبيز» هو ابن كورش الأكبر الذى أسس دولة الفرس العظيمة . ومعلوم أن الفرس من الدول التى غزت مصر واستولت عليها حينا من الدهر . قال المؤرخون : أخذ الفرس فى غزو مصر أزمان الأسرة السادسة والعشرين وذلك حين ولى الملك «أبسمتك الثالث» أحد ملوك هذه الأسرة . فأعد الفرس لهذه الغزاة المعدات الكبيرة وجاء ملكهم «قمبيز» بجيش جرار لفتح البلاد التى طالما تاقت نفس أبيه كورش إلى إخضاعها . وكانت مصر إذ ذاك حصينة غاية فى المنعة . يقول مؤرخو الإغريق : إن أحد الجنود اليونانية هو الذى خان مصر والمصريين ودل الفرس على أسهل الطرق التى يمكنهم بواسطتها أن يدخلوا البلاد فهوجمت مدينة «بلوز» «الفرما» بحرا وزحفت الجنود الفارسية على مصر برا وبعد مقاومة عنيفة جهتى بلوز ومنف سقطت البلاد وأخذ قمبيز أبسمتيك أسيرا وكان ذلك سنة ٥٢٥ ق.م. ثم سار قمبيز أول أيامه سيرة حسنة وعامل المصريين معاملة طيبة يحترم دياناتهم وتقاليدهم ولكنه بعد ذلك لبس لهم جلد النمر وحنق على البلاد ومن فيها فكر على المعابد والهياكل فهدمها وقتل بيده العجل أبيس أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة وعند عودته إلى فارس مات فى الطريق سنة ٥٢١ ق م. ولما ولى ملك فارس دارا الأول زار مصر وأراد أن يصلح ما أفسده قمبيز فأبدى احتراما كبيرا لديانة المصريين ومعبوداتهم وشيد هيكلا عظيما للمعبود آمون بواحة سيوة الكبرى وعضد التجارة وشيد كثيرا من المدارس وفتح الخليج الموصل ما بين النيل والبحر الأحمر ، ورأى المصريون آخر أيامه ما لحقه من الخسائر فى واقعة «مرتون» فى حربه مع الإغريق فخرجوا عن طاعته وطردوا الفرس من البلاد بقيادة أحد الأمراء الوطنيين سنة ٤٨١ ق . م . ثم غزا الفرس مصر ثانية وما زالوا بها حتى طردهم المصريون سنة ٤٠٥ ق . م .

(٣) «اسكندر» هو الإسكندر الأكبر المقدونى الفاتح العظيم . قال المؤرخون : بعد أن هزم الإسكندر الفرس فى واقعة أسوس زحف على مدينة صور فأخذها عنوة ═

تبلَّجَ فى مِصْرَ إكليلُهُ ... فلم يَعْدُ فى المُلْكِ عُمْرَ الزَّهَرِ (١)

وشاهدتَ قيصرَ كيفَ استبدّ ، وكيف أذلّ بمصرَ القَصَرْ (٢)

وكيفَ تَجَبَّرَ أعوانُه ... وساقوا الخلائقَ سَوْقَ الحُمُر

وكيف ابتلوا بقليل العديد ... من الفاتحين كريمِ النَّفَر

= وبذلك تم استيلاؤه على الشام ثم قدم إلى مصر وكان الفرس قد استدعوا حاميتها منها بسبب حروبهم مع الإسكندر . ولما وصل الإسكندر إلى «بلوزه» الفرماء سنة ٣٣٢ ق.م. رحب به المصريون لما سمعوه عن عدالة حكمه ولما لاقوه من الذل والهوان فى حكم الفرس ، ففتحت له مصر أبوابها ودخلها دون عناء ، حتى إن الوالى الفارسى لم يجرؤ على مقاومته وقابله فى منف بترحاب ، ومن ثم سار الإسكندر إلى واحة آمون الكبرى ودخل معبد آمون ولقبه الكهنة بابن آمون . فاحترم ديانة المصريين وقدم القرابين لمعبوداتهم ولم يهمل مع ذلك التقاليد الإغريقية فأدخل منها فى مصر الموسيقى والألعاب النظامية . ولما رأى الإسكندر أن قرية «راقوده» وهى قرية صغيرة كانت بقرب الإسكندرية — ذات موقع بحرى موفق أنشأ بجوارها حاضرة جديدة له هى الإسكندرية وبعد أن استوثق الأمر للإسكندر فى مصر خرج إلى فتوحاته الأخرى فى المشرق . وكانت وفاته سنة ٣٠٢ ، وكان عمره إذ ذاك ٣٢ سنة ونيفا ، ولم يقم بمصر كما ترى إلا قليلا فذلك حيث يقول فى البيت التالى : « فلم يعد فى الملك عمر الزهر » وخلف الإسكندر على مصر البطالسة وما زالوا بها إلى ان استولى الرومان عليها .

(١) إكليله : تاجه . (٢) قيصر ، أسلفنا أن قيصرا هذا لقب ملوك الرومان . قال المؤرخون : ما كادت دولة الرومان تظهر بين ممالك الأرض حتى أخذت العلائق تنشأ بينها وبين دولة البطالسة فى مصر . ولبثت بين الدولتين مدة طويلة من أيام مجد البطالسة إلى انقراضهم تدورت أثناءها فى عدة أطوار : ابتدأت بمصادقة الرومان للبطالسة ثم انتقلت إلى حمايتهم لهم ثم السيطرة عليهم ، ثم انتهت باستيلائهم على مصر سنة ٣٠ ق.م. فى عهد أغسطس . ودخلت مصر باستيلاء الرومان عليها فى عهد حول سياسى طويل . امتد نحوا من ٦٧٠ سنة لم يكن لها فيه شىء يذكر فى التاريخ بل كانت تكفل لإنتاج الحبوب وتصديرها إلى روميه لسد أهم جزء من الخراج . وما زال الرومان بمصر حتى أدال الله منهم بالعرب سنة ٦٤١ م . على يد عمرو بن العاص . فذلك حيث يقول «وكيف ابتلوا بقليل العديد .. الخ» القصر : أى الأعناق . قال الشاعر :

لا تدلك الشمس إلا حذو منكبه ... فى حومة تحتها الهامات والقصر

رَمَى تاجَ قيصر رَمْىَ الزُّجا ج ، وفَلَّ الجموعَ وثَلَّ السُّرُر (١)
فدع كلَّ طاغيــةٍ للزما ن فإن الزمانَ يُقيم الصَّعَر (٢)
رأيتَ الدياناتِ فى نَظْمِهــا وحينَ وَهى سلكها وانتــثر (٣)
تشـاد البيوتُ لهــا كالبرو ج إذا أخذَ الطَّرْفُ فيها انحسَر (٤)
تَلاقَى أساساً وشُمَّ الجبــا لِ كما تتلاقى أصولُ الشجر (٥)
وإيزيسُ خَلْف مقاصــيرها تَخَطَّى الملوكُ إليها السُّــتُر (٦)
تضىء عــلى صفحات السما ء وتشرقُ فى الأرض منها الُحجر (٧)

(١) رمى ، أى هذا النفر القليل ، وهم أصحاب عمرو بن العاص . وفل الجموع : هزمها . وثل السرر : كسرها . والسرر : جمع سرير ، والمراد هنا العروش التى يجلس عليها القياصرة . (٢) الصعر : ميل فى العنق وانقلاب فى الوجه إلى أحد الشقين ، وقد صعر خده ، أماله من الكبر . قال المتلمس :

وكنا إذا الجبار صعر خده * أقمنا له من درئه فتقوما

والزمان يقيم الصعر : يعدل الطغاة ؛ يقال : أقمت الشىء فقام ، أى استقام .

(٣) فى نظمها وحين وهى سلكها : فى حالتى قوتها وضعفها . (٤) انحسر : كل . والبصر يحسر عند أقصى بلوغ النظر . (٥) تلاق : تتلاق ، بحذف إحدى التاءين ، يريد أنها راسخة رسوخ الجبال .

(٦) إيزيس : هى من معبودات قدماء المصريين ، وهى أخت أوزيريس وزوجته فى الوقت نفسه ، وأم هوورس وهار بوقراط . يرى قدماء المصريين أن إيزيس هذه وليت أمر مصر مع أخيها وزوجها أوزيريس حينا من الدهر ازدهرت فيه الزراعة . ويؤخذ من تقاليد إيزيس أنها عندهم رمز للقمر وأوزيريس رمز للشمس ، ومن هنا يريد « بإيزيس » القمر . وقوله « تخطى » ، أى تتخطى ، بحذف إحدى التاءين .

(٧) قوله « تضىء على صفحات السماء » ، أى إيزيس بمعنى قمر السماء الحقيق : وقوله « وتشرق فى الأرض منها الحجر » ، أى القمر ، بمعنى المعبود فى الأرض . وعلى ذلك يكون فى الكلام استخدام ، وهو عند علماء البيان أن يراد بلفظ ، له معنيان ، أحدهما ثم يراد بضميره الآخر ، أو يراد بأحد ضميرين أحدهما ثم بالآخر الآخر ، فالأول كقول معوذ الحكماء :

إذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وإن كانوا غضابا

فإنه أراد بالسماء الغيث وبضميره النبت . الثانى كقول البحترى :

وآبيسُ فى نِـيرِهِ العـالَمو ... نَ ، وبعضُ المقابِد نيرٌ عَسِرْ (١)
تساس به معضِلات الأمو ... رِ ، ويُرْجى النعيمُ ويُخشى سَقَر
ولا يشـعرُ القـوم إلّا به ... ولو أخذَتْهُ المُدى ما شَعَر
يَقلُّ أبو المِسْكِ عَبْـدًا له ... وإنْ صاغَ أحمدُ فيه الدرَر (٢)
وآنسـتَ موسى وتابوتَه ... ونُورَ العَصا والوصايا الغُرَر (٣)
وعيسى يَلُمُّ رِداءَ الحيـا ... ءِ ومريمُ تجمع ذيلَ الخَفَر (٤)
وعمْرو يسوقُ بِمصرَ الصِّحا ... بَ ويُزْجى الكتابَ ويحدو السُّوَر (٥)

= فسق الفضا والساكنيه وإن هم ٭ شـبوه بين جوانح وقلوب

فإنه أراد بضمير الفضا فى قوله « والساكنيه » المكان . وفى قوله « شبوه » ، أى أوقدوه : الشجر . والحجر : جمع حجرة ، كغرفة وغرف .

(١) وآبيس : هو العجل أبيس ، رووا أن تيفون إله الشر تغلب أخيرا على أوزيريس إله الخير وقتله فتقمصت روحه جسد عجل ، وكان هذا العجل عندهم يمثل الخصب والتوليد الخلق ، وكانوا يعتقدون أن العجل الذى تقمصته روحه هو ابن بقرة حملت به بواسطة شعاع من الشمس وشعاع من القمر وله علامات ظاهرة فى جسده ، فإنه يكون أسود اللون وفى جبهته سمة بيضاء مربعة أو مثلثة وصورة نسر على ظهره وصورة خنفساء تحت لسانه . وكان الكهنة عند ما يجدون العجل بعد موت سلفه يركبون مركبة حربية ويسيرون به باحتفال عظيم إلى هليوبوليس ، وكانوا يضعونه فيها فى هيكل يتركونه مفتوحا للعبادة أربعين يوما ، وكان الأهالى عند موته ينوحون ويلبسون ثوب الحداد ويضعونه فى ناووس ثمين جدا وكانوا يقومون بالاحتفال بأيامه المقدسة كل سنة عند ارتفاع النيل ، وذلك بإقامة الولائم والأفراح ، وكانوا يطرحون فى ذلك الوقت إناء من الذهب فى النيل لإخماد غضب التماسيح . « فى نيره » النير : هو الخشبة المعترضة على عنق الثورين المقرونين للحراثة بأداتهما ، وهم يقولون : فلان تحت نير فلان . يريدون الخضوع والاستخذاء . (٢) أبو المسك : كافور الإخشيدى . و« أحمد » ، أبو الطيب المتنبى .

(٣) التابوت الذى وضع فيه موسى وقذف به فى النيل ، وعصى موسى وما كان منها من الآيات ، والوصايا العشر ، كل أولئك معروف فلا حاجة بنا إلى الإفاضة فيه .

(٤) وعيسى يلم رداء الحياء . يقول : وشاهدت عيسى ، وهو المثل الأعلى للحياء ، ومثله فى ذلك العذراء . (٥) وعمرو ، يقول : وقد رأيت عمرو بن العاص إذ يسوق المسلمين لفتح مصر ويزجى كتاب الله وآياته .

فكيف رَأيتَ الهُدَى والضلا | لَ ودُنيا الملوكِ وأخرى عُمر؟[١]
ونَبْذ المُقَوقس عَهْد الفجو | رِ وأخْذَ المقوقس عهدَ الفَجَر[٢]
وتَبْديله ظلمات الضلا | لِ بِصُبح الهداية لما سَفَر[٣]
وتأليفه القِبطَ والمسلمين | كما ألفت بالولاء الأُسَر[٤]
أبا الهول ، لو لم تكن آيةً | لكان وفاؤكَ إحدى العِبَر[٥]
أطلتَ على الهرمين الوقو | فَ كثاكلةٍ لا تَريم الحفر[٦]
تُرَجِّى لبانيهما عودةً | وكيف يَعودُ الرميم النخِر؟[٧]
تجوس بِعينٍ خِلالَ الديا | رِ وتَرمِى بأخرى فضاء النهر[٨]
تَرومُ بمَنفِيسَ بِيضَ القِبا | بِ وتَسمو القنا والخميس الدثر[٩]

---

(١) فكيف رأيت ، يقول : خبرني يا أبا الهول كيف رأيت فرق ما بين هدى المسلمين وأخرى عمر ، أى دنياه التي كأنها الأخرى في الصلاح وما إليه من كل ما كان مائلا أيام الفاروق رضي الله عنه وأرضاه ، وما بين الضلال ودنيا الملوك من القياصرة والفرس والروم ومن إليهم (٢) والمقوقس هو سيروس ، بطريق الطائفة الملكانية بالإسكندرية والحاكم الإدارى بمصر من قبل الرومان ، والذى فتح عمرو بن العاص مصر في عهده . وفي المقريزى : أنه يسمى المقوقس بن قرقفت . ولعله محرف عن سيروس . عهد الفجور : عهد الانحراف عن الصراط السوى ، عهد الإسراف في المعاصى والآثام ، عهد الرومان الذى استبدل به المقوقس .. عهد الفجر : أى عهد الخير العميم ، عهد النور ، عهد التقى والإصلاح عهد الإسلام ، إذ والى المسلمين وعبد لهم طريق الفتح . (٣) وتبديله ، في معنى البيت الذى قبله ، ولما سفر ، وسفر الصبح وأسفر : أضاء (٤) وتأليفه ، أى المقوقس والأسر : جمع الأسرة ، وأسرة الرجل : عشيرته ورهطه الأدنون . (٥) إحدى العبر : إحدى الآيات . (٦) أطلت ... الخ : بيان لوفاء أبى الهول . كثاكلة . يقول : إنك في إطالتك الوقوف على الهرمين وفاء منك كثاكلة ولدها لا تبرح قبره ولا تزايله . والثاكلة : هي التي فقدت ولدها . ولا تريم ، أى لا تبرح . والحفر : جمع حفرة . وهي ما يحفر في الأرض والمراد بها هنا القبر . (٧) لبانيهما ، أى لبانى الهرمين .

(٨) تجوس : تطوف وتتخلل . والنهر والنهر ، واحد الأنهار ، يعنى نهر النيل .

(٩) تروم : تنشد وتطلب . وبمنفيس : منف ، وموضعها اليوم البدرشين وميت رهينة هي عاصمة ملك الفراعنة ، والذى بناها هو مؤسس الأسرة المالكة ، وكانت =

ومَهدَ العـــلوم الخطيرَ الجـلا   لِ وعهدَ الفنون الجليلَ الخطَر
فلا تستبين سِـــوى قريةٍ   أجَـــدَّ محاسِـــنَها ما اندثر (١)

— كما قال شاعرنا : مهد العلوم الخطير الجلال * وعهد الفنون الجليل الخطر

ولا يخفى ما فى هذا البيت من العكس ، والعكس هذا من المحسنات البديعية ، وهو أن تقدم فى الكلام جزءا ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت مثل قول الحماسى :

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

وقول أبى الطيب : فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

وقول الآخر : إن الليالى للأنام مناهل * تطوى وتنشر دونها الأعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

الخميس الدثر : الجيش الكثير . يقول : إنك يا أبا الهول لأوفى الأوفياء إذ كأنى بك وقد فقدت تلك الحضارة الباهرة والمدنية الزاهية الزاهرة التى تحليت بها حينا من الدهر وشاهدت عصرها الذهبى ثم ذهبت وذهبت أهلوها وأصبحت منفردا وحيدا :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

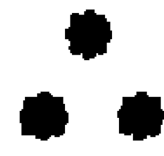
فأبى عليك وفاؤك إلا أن تطيل الوقوف على الهرمين شأن الثكول فقدت وحيدها ، فأبى عليها وجدها أن تريم قبره ، وكأنك فى وقوفك هذا ترجى لبنى الهرمين عودة لعود معها تلك المعانى الساميات . وتنشد بعينيك — وهى منك عن كثب — عهد القوة والعظمة والسلطان وعهد العلوم والعرفان وعهد الفنون الخطيرة الجلال مما رأيت فى الزمن الخالى ، فلا تصيب شيئا من ذلك ولا تقع عينك من مقيس هذه إلا على قرية قد اندثرت ودمنة قد عفت ، تكاد لإغراقها فى الجمود ، إذا الأرض دارت بها لم تدر . فترى فى هذه الأبيات صورة أبى الهول فى وقوفه هذا صورة شعرية آية فى الإبداع والتخيل الشعرى ، ثم ترى فيها وصف عظمة المصريين وأن مصر كانت مهد الحضارة والتمدين . ولا جرم فقد أمها وجاور فيها للاستفادة أمثال ليكرغ وصولون من كبار المشرعين وفيثاغورس وأفلاطون وإقليدس من شيوخ الفلاسفة ، كما تؤم اليوم بلاد المغرب المجاورة فيها والإفادة منها . ومن هنا قال بعد ذلك : ... فهل من يبلغ عنا الأصول .

(١) « أجد محاسنها ما اندثر » . يقول : إن طولها الدوارس ورسومها المندثرة البوالى أجدت محاسنها . وهو معنى دقيق عجيب ، ولعله ينظر إلى قول أبى نواس .

لمن دمن تزداد حسن الرسوم * على طول ما أقوت وطيب نسيم
تجافى البلى عنهن حتى كأنما * لبسن على الإقواء ثوب نعيم

هذا ويجوز أن يكون « أجد » مبتدأ و « ما اندثر » خبر ، أى أن أجد ما فى هذه القرية وأجله هو آثارها الدوارس .

تكاد لإغـــراقها فى الجو ... دِ إذا الأرض دارت بها لم تَدُرْ
فهل من يبلغ عنّا الأصو ... لَ بأن الفروعَ اقتدت بالسير؟[1]
وأنا خَطبنا حِسان العُلا ... وَسقنا لها الغـالىَ المدّخر
وَأنا ركِبنا غمار الأُمو ... رِ وأنّا نزَلنـا إلى المؤتمر[2]
بكل مُبين شديد اللدا ... د وكلّ أريبٍ بعيـد النظر[3]
تُطالب بالحق فى أمّـــة ... جرى دمُها دونه وانتَشر[4]
وَلم تفتخـــر بأساطيلها ... ولكن بِدستورها تَفتخر[5]
فَلم يَبقَ غيرُك من لم يخَف ... ولم يَبقَ غيرُك من لم يَطر
تحرّكْ أبا الهول هذا الزما ... نُ تحرّكَ ما فيه ، حتى الحَجر



« فلما أتمها أجابه آخر كان يختفى وراء التمثال وينطق بلسانه » :

نجىّ أبى الهول آن الأوا ... نُ ، ودان الزمانُ ، ولانَ القدر
خبأتُ لقومِك ما يستقو ... نَ ، ولا يَخبأ العذبَ مثلُ الحجر
فعندى الملوك بأعيانهـا ... وعندَ التوابيتِ منها الأثَر
محا ظلمةَ اليأس صُبحُ الرجا ... ء وهـذا هو الفلقُ المنتظَر

---

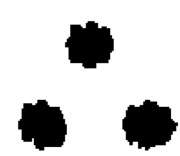
(١) الأصول : أصولنا وآباؤنا الذين وصف . الفروع : نحن المصريين أبناء هذا الجيل . واقتدت بالسير ، حذت حذو أصولها ، إذا كان منافى هذه الآونة ما قصه بعد .

(٢) غمار الأمور : شدائدها ، جمع غمرة . المؤتمر : مؤتمر الصلح الذى عقد على أثر انتهاء الحرب الأوربية العامة سنة ١٩٢٠ الذى فزعنا إليه فى شخص الوفد المصرى .

(٣) الشديد اللدد ، أى الشديد الخصومة . والجدل : الذى لا يغلب . والأريب : العاقل البعيد النظر .

(٤) تطالب ، أى الفروع . ودونه : دون هذا الحق .

(٥) ولم تفتخر : أى إنها مع ذلك لم تعتز بقوتها المادية من جيش وأسطول وما إلى ذلك . ولكنها تعتز بحقها الطبيعى الذى ليس إلا به كيانها .



« ثم انشق صدر أبي الهول عن فتى وفتاة مثلا أمامه وأنشدا هذا النشيد » :

اليومَ نسودُ بوادينا ونُعيدُ محاسِنَ ماضينا
ويَشيدُ العزّ بأيدينا وطنٌ نَفديهِ ويَفدينا
وطنٌ بالحق نُؤيّدُه وبعينِ الله نشيّده
ونُحسّنُه ونزيّنُه بمآثرنا ومساعينا
سر التاريخ وعُنصُره وسريرُ الدهرِ ومنبَره
وجِنانُ الخلد وكَوثرُه وكفى الآباء رياحينا
نتخذُ الشمس له تاجا وضُحاها عرشاً وهّاجا
وسماء السُّؤدَدِ أبراجا وكذلك كان أوالينا
العصرُ يراكُمْ والأُمَم والكرنكُ يلحظُ والهرمُ ...
أبني الأوطان ألا هِمَمٌ كبناء الأوّلِ يبنينا
سعيًا أبدًا سعيًا سعيًا لأثيل المجد وللعَليا
ولنجعلْ مصرَ هي الدنيا ولنجعلْ مصرَ هي الدنيا

مملكة النحل

مملكةٌ مُدبّرهْ بامرأة مؤمّره
تحملُ في العمّال والصنّاع عبء السيطرهْ
فاعجبْ لعمّالٍ يُوَلّونَ عليهم قيصرهْ

تحكمهمْ راهبةٌ ذكّارة مُغبّرهْ[١]
عاقــدةٌ زُنّارَهـا عن ساقها مشمره
تلثّمَتْ بالأُرجوا نِ وارتدته مئزره
وارتفعتْ كأنّهــا شرارةٌ مُطَــيّره
ووقعتْ لم تختلِجْ كأنهــا مُسمَّرهْ[٢]

* * *

مخلوقة ضــعيفةٌ من خَلْقٍ مُصَوَّره
يا ما أقل ملكَها وما أجلَّ خطــره
قفْ سائلِ النحلَ به بأيّ عقــلٍ دبّره؟
يُعجبكَ بالأخلاقِ وهــ ىَ كالعقولِ جوهره
تغنى قوى الأخلاقِ ما تغنى القوى المفكّره
ويرفعُ اللهُ بهــا مَنْ شاء حتى الحشره

* * *

أليس في مملكةِ النّحْل لقومٍ تبصره؟
مُلكٌ بناهُ أهــلُهُ بهمةٍ ومَجــدَره[٣]
لو التمستَ فيه بطّالَ اليدين لم تَرَه
تُقتَلُ أو تُنفى الكسا لى فيه غيرَ مُنذَره
تحكم فيه قيصره في قومها موقّره
من الرجالِ وقيو دِ حُكمِهمْ محرّره

---

(١) التغبير . ترديد الصوت بالقراءة . (٢) الاختلاج : الاضطراب .
(٣) يقال . هذا الأمر محدرة ذاك ، أي جدير به .

لا تورثُ القومَ ولو كانوا البنينَ البرَرَه
الملكُ للإناثِ فى الدستور لا للذكره [1]
نيِّرةٌ تنزلُ عن هالتها لنيِّرهْ
فهل تُرى تخشى الطّما عَ فى الرجال والشّرَهْ؟ [2]
فطالما تلاعبُوا بالهمج المُصَيَّرهْ
وعبروا غفلتَها إلى الظهور قنطرَهْ
وفى الرجال كرمُ الضعفِ ولؤمُ المقدُرهْ
وفتنةُ الرأى وما وراءها من أثرهْ
أنثى ولكن فى جنا حيْها لبَاةٌ مُخْدِرهْ [3]
ذائدةٌ عن حوضِها طاردةٌ مَنْ كدَّرَهْ
تقلّدَتْ إبرتَها وادّرعتْ بالحبَرَهْ
كأنها تُركيّةٌ قد رابطت بأنقرَهْ
كأنها (جانداركُ) فى كتيبةٍ مُعسكِره
تلقَى المُغيرَ بالجنو دِ الخُشُنِ المنمَّره
السابغين شِكّةً البالغين جسَرَه [4]
قد نَثَرَتْهم جُعبةٌ ونفضتْهم مِثْبرَه [5]
منْ يَبْنِ مُلْكاً أو يَذُدْ فبالقنا المجرَّرَه
إن الأمورَ همةٌ ليس الأمورُ ثرثره
ما الملكُ إلّا فى ذرى الـ ألوية المُنَشَّره

(١) الذكرة : الذكور . (٢) الطماع : الطمع . (٣) اللباة : اللبؤة .
(٤) الشكة : السلاح . والجسرة : الجسارة . (٥) المثبرة : بيت الإبر .

عرينهُ مذ كان لا يحميه إلّا قَسْوَرَه[١]
رَبُّ النيوبِ الزُّرْقِ والـ ـمخالبِ المذكَّره

* * *

مالكة عاملةٌ مُصلحةٌ مُعَمِّرَه
المالُ في أتباعها لا تَستبينُ أثره
لا يعرفون بينهم أصلاً له من ثَمره
لو عَرَفوه عَرَفوا من البلاءِ أكثرَه
واتخذوا نقابةً لأمرهم مسيِّره
سبحانَ مَنْ نَزَّهَ عنـ ـهُ مُلكَهم وطهَّرَه
ساسَه بحُزةٍ عاملةٍ مسخَّرَه
صاعدةٍ في معملٍ من معملٍ مُنحدِره
واردةٍ دسكرةً صادرةٍ عن دسكره[٢]
باكرةٍ تستنهضُ الـ ـعصائبَ المبكِّره[٣]
السامعين الطائعيـ ـنَ المحسنينَ المَهَرَه
من كلِّ مَنْ خطَّ البنا ء أو أقامَ أسطرَه
أو شدَّ أصلَ عقدِهِ أو سدَّه أو قوَّره[٤]
أو طاف بالماء على جدرانه المجدَّره[٥]

* * *

وتذهب النحلُ خِفا فًا وتجيء مُوقَرَه

---

(١) القسورة : الأسد . (٢) الدسكره : القرية . (٣) العصائب : جمع عصابة .
(٤) قور الشيء : قطعه من وسطه خرقا مستديرا . (٥) المجدرة ، أى المشيدة

حوالبَ الشمعِ من الـ خمائلِ المنــــوّره
جوالبَ الماذىّ من زهرِ الرياضِ الشيّره (١)
مشدودةٌ جيوبُهـا على الجنَى مُزَرَّرَه
وكلُّ خُرطومٍ أدا ةُ العَسَـلِ المُقطَّرَه
وكلُّ أنفٍ قانئٍ فيه من الشهدِ بُرَه (٢)
حتى إذا جاءت به جاستْ خلالَ الأدوره (٣)
وغيّبته كالسُّــلا فِ فى الدّنانِ المُخضَرَه (٤)
فهل رأيتَ النحلَ عن أمانة مُقصّـــره ؟
ما اقترضتْ من بَقْلَةٍ أو آستعارتْ زَهَرَه
أدّتْ إلى الناسِ بهِ سُكّرة بسكّــره

فى سبيل الهلال الأحمر

جبريلُ هلّلْ فى السماء وكبّرِ وآكتبْ ثوابَ المحسنينَ وسطِّرِ
سلْ للفقيرِ على تكرُّمهِ الغنى وآطلب مزيداً فى الرخاء لمُوسِرِ
وآدعُ الذى جعَلَ الهلالَ شِعارَه يفتحْ على أمَمِ الهلالِ وينصُرِ
وتولَّ فى الهيجاء جندَ محمّدٍ وآقمدْ بهم فى ذلك المستمطَرِ
يا مِهرجانَ البرِّ أنتَ تحيةٌ لله من ملإٍ كريمٍ خيّرِ
هم زينوكَ بكلِّ أزهرَ فى الدُّجى واللهُ زانكَ بالقَبولِ الأنْوَرِ

(١) الماذى : العسل : والشيرة : الحسان . (٢) البرة الحلقة فى الأنف .
(٣) الأدورة : الديار ، يراد بها الخلايا هنا . (٤) السلاف : أفضل الخمر .

حسُنتْ وجوهُك في العيون وأشرقتْ ... من كلّ أبلجَ في الأكارمِ أزهرِ
كثُرتْ عليك أكفُّهمْ في صوبها ... فكأنها قِطَعُ الغمامِ المُمطِرِ
لو يعلمونَ (السوقَ) ما حسناتُها ... بِيعَ الحصَى في السوقِ بَيْعَ الجوهرِ
جبريلُ يَعرِضُ والملائكُ باعةٌ ... أينَ المساومُ في الثوابِ المشترى ؟
ومجاهدين هناكَ عند مُعسكَرٍ ... ومن المهابةِ بين ألفِ معسكَرِ
مُوفين للأوطانِ بين حياضها ... لا يسمحون بها وبين الكوثرِ [1]
عَرَبٌ على دينِ الأُبوّةِ في الوغى ... لا يطمئنونَ القِرْنَ مالم يُنذَرِ [2]
ألِفوا مُصاحبةَ السيوفِ وعوّدوا ... أخذَ المعاقلِ بالقنا المتشجّرِ [3]
يمشونَ من تحتِ القذائفِ نحوَها ... لا يسألونَ عن السّعيرِ الممطِرِ
في أعيُنِ البارى وفوق يمينه ... جرحى نجاتُهمُ كجرحى خيبرِ [4]
من كلّ ميمونِ الضّمادِ كأنما ... دمُ أهلِ بدرٍ فيه أو دمُ حيدرِ [5]
جذلانُ ، هيّنةٌ عليه جراحهُ ... وجراحهُ في قلبِ كلّ غضنفَرِ
ضُمِدتْ بأهدابِ الجفونِ وطالما ... ضُمِدتْ بأعرافِ الجيادِ الضُّمَّرِ [6]
عُوّادُهُ يتمسّحونَ بِرُدْنِهِ ... كالوفدِ مَسّحَ بالحطيمِ الأطهرِ [7]
وتكادُ من نورِ الإلهِ حِيالَهُ ... تبيَضُّ أثناؤه (الهلالِ الأحمرِ)

***

(١) أى لا يسمحون بالكوثر بديلا منها لو خيروا بين حياض نيلها وبينه .
(٢) القرن : الكفء والنظير . (٣) القنا : الرماح . والمشتجر : المشتبك .
(٤) البارى : ناحت السهام . (٥) الحيدر : الأسد ، ولقب من ألقاب الإمام على بن أبى طالب . والضماد عصابة الجرح . (٦) الضمر : جمع ضامر ، وهو من الخيل القليل اللحم الدقيق . والأعراف : جمع عرف ، وهو شعر عنق الفرس .
(٧) الردن : أصل الكم .

* يا بنتَ إلهامى دعاء معظِّم ... لسماء عزِّكِ فى البرية مُكبِرِ (١)
* توفيقُ مصرَ وأنتِ، أصلٌ فى الندى ... وفتاكِ الفرعُ الكريمُ العُنصُرِ (٢)
* أنتم جمالُ الشرقِ زيّنَ ملوكَه ... لا زالَ يتكمَّ جمالَ الأعصُرِ
* لكمُ الندى ، آثارُه وحديثُه ... شُغلُ السميعِ ونورُ عينِ المبصِرِ
* النيلُ فجّرَ مَشرَعيْنِ وعيْلماً ... وتفجّرت يمناكِ خمسةَ أبحرِ (٣)
* أحييْتِ فى فضلِ الملوكِ وعزّهم ... ما مات من أمّ الخليفةِ جعفرِ
* إن الذى قد ردّها وأعادها ... فى بردتيْك أعاد فىّ البُحترى
* فنظمتُ مانثرتْ يمينُكِ شاكراً ... لا يَحْسُنُ الإحسانُ مالم يُشْكرِ
* إنى رأيتُ على الرجالِ مظاهراً ... فعلمتُ أن الفضلَ كلُّ المظهرِ
* وعلمتُ أن من النساء ذخيرةً ... غير النساء لنفسِها لم تَذخَرِ
* لما توليتِ الهلالَ رفعتِه ... بين السُّها شرفاً وبين المُشترى
* ولكم دعوتِ نساءَ مصرَ لصالحٍ ... فنهضنَ فيه يقلنَ عائشةُ أوْمِرى
* فكأنهن عقائلٌ من هاشمٍ ... وكأنكِ الزهراءُ فوق المنبرِ

الأزهـــر (*)

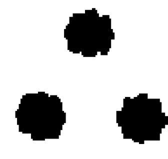
قمْ فى فمِ الدُّنيا وحَيِّ الأزهَرَا ... وآنثُرْ على سَمْعِ الزمانِ الجوهَرَا

---

(١) بنت الهامى : هى صاحبة السمو أم المحسنين ووالدة الخديو عباس الثانى .
(٢) توفيق : يقصد به الخديو توفيق . وفتاكِ : الخديو عباس .
(٣) المشرع : المورد ، ويراد به هنا فرع النيل . والعيلم : البحر والمراد بالأبحر الخمسة : أصابعها الخمسة . (*) قيلت هذه القصيدة بمناسبة إصلاح الأزهر الشريف والبدء فيه فى سنة ١٩٢٤ .

(*) انتقصت من الشوقيات ١٣ بيت منذ عام ١٩٥٦ ص ١٧٧ .

وآجعلْ مكانَ الدرِّ إن فَصَّلْتَه ... في مدحِه خَرزَ السماء النيِّرا
وآذكرْه بعد المسجدين مُعظِّمًا ... لمساجدِ الله الثلاثةِ مُكْبِرا (١)
وآخشعْ مَلِيًّا، وآقضِ حقَّ أئمّةٍ ... طلعوا به زُهْرًا وماجوا أبْحُرا
كانوا أجلَّ من الملوكِ جلالةً ... وأعزَّ سلطانًا وأفخمَ مَظهرا
زمنُ المخاوفِ كان فيه جنابُهم ... حَرَمَ الأمانِ وكان ظِلُّهمُ الذَّرا (٢)
من كلِّ بحرٍ في الشريعةِ زاخرٍ ... ويُريكَهُ الخُلُقُ العظيمُ غَضَنْفَرا
لا تَحْذُ حذوَ عِصابةٍ مفتونةٍ ... يجدون كلَّ قديمِ شيءٍ مُنْكَرا
ولو استطاعوا في المجامعِ أنكروا ... من مات من آبائِهم أو عُمِّرا
من كلِّ ماضٍ في القديمِ وهَدْمِه ... وإذا تقدّمَ للبنايةِ قَصَّرا
وأتى الحضارةَ بالصناعةِ رَثّةً ... والعلمِ نَزْرًا والبيانِ مُثَرْثِرا (٣)

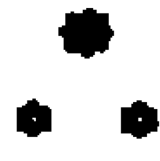


يا معهدًا أفنى القرونَ جدارُه ... وطوى الليالىَ رُكْنُه والأعصُرا
ومشى على يَبَسِ المشارقِ نورُه ... وأضاء أبيضَ لُجِّها والأحمَرا
وأتى الزمانُ عليه يحمى سُنّةً ... ويذودُ عن نُسُكٍ ويمنعُ مَشْعَرا (٤)
في الفاطميِّين انتمى يَنْبوعُهُ ... عذبَ الأصولِ كجَدِّهم متفجّرا (٥)
عَيْنٌ من الفُرقانِ فاضَ نَميرُها ... وحَيًا من الفُصْحَى جَرى وتحدّرا (٦)
ما ضرَّني أنْ ليس أُفْقُكَ مَطْلَعي ... وعلى كواكبِه تعلّمتُ السُّرَى
لا والذي وكَلَ البيانَ إليكَ لم ... أكُ دونَ غاياتِ البيانِ مُقصِّرا

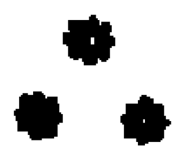
---

(١) المسجدان: المسجد الحرام والمسجد الأقصى. (٢) الذرا: الملجأ. (٣) النزر: القليل. والمثرثر: المخلط. (٤) النسك: العبادة. والمشعر: موضع مناسك الحج.
(٥) جد الفاطميين: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقد كان مضرب المثل في التبحر في العلوم. (٦) الفرقان: القرآن. والحيا: المطر. والفصحى: اللغة العربية.

لما جَرى الإصلاحُ قمتُ مُهنّئا باسمِ الحنيفةِ بالمزيدِ مُبشّرا (١)
نَبأ سَرى فكسا المنارةَ حبْرةً وزها المُصلّى واستخفّ المِنْبرا (٢)
وسَما بأروقةِ الهُدى فأحلّها فَرْعَ الثُّريّا وهي في أصلِ الثرى
ومشى إلى الحلَقاتِ فانفرجتْ له حلَقاً كهالاتِ السماءِ مُنَوّرا
حتى ظنَنّا الشافعيّ ومالِكاً وأبا حنيفةَ وابنَ حنبلَ حُضّرا
إن الذي جعلَ العتيقَ مثابةً جعلَ الكنانيّ المباركَ كَوْثرا (٣)
العلمُ فيه مناهِلاً ومجانيا يأتي له النُّزّاعُ يبغونَ القِرى (٤)



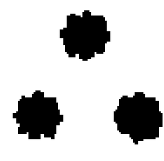
* الله أكبرُ يا بنَ اسماعيلَ لم تتركْ لصُنّاعِ المآثرِ مَفخَرا
* بالأمسِ تُنهِضُ مِصرَ في دُستورِها واليومَ تُنهِضُ للسِّماكِ الأزهرا
* مِننٌ على الوادي السعيدِ، تقلّبتْ أعطافُهُ في وشيِهِنّ مُنشّرا
* حرّكْنَ فيه النيلَ قبلَ وفائِه فوَفَى، وهيّجنَ الربيعَ فبكّرا
* الأزهرُ المعمورُ قُلّدَ حُرّةً لك في الهِباتِ حَرِيّةً أن تشكرا
* أرعيتَه عينَ العِنايةِ مُصلِحاً وأجلْتَ فيه يدَ البِناءِ مُعمّرا
* وعدٌ وعدتَ له، بوادِرُ صِدقِه كالبرقِ لم يفْتُرْ حتى أمطرا
* وبلغتَ بالمعروفِ غايةَ صَفوِه أيكونُ معروفُ المُلوكِ مكدّرا؟
* لم تَبْغِ بالضعفاءِ عُدواناً ولم تقذفْ على حَرَمِ الشريعةِ عسكرا



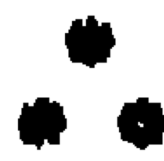
---

(١) الحنيفة: الشريعة. (٢) المنارة: المئذنة. والحبرة: السرور.
(٣) العتيق: المسجد الحرام. والمثابة: مجمع الزمر. (٤) النزاع: القصاد، والقرى: الضيافة.
(*) انتقصت من الشوقيات ١٧ بيت منذ عام ١٩٥٦ من ص ١٧٩ إلى ص ١٨١.

* نظـــراً وإحساناً إلى عُميانِهِ ... وكُنِ المَسيحَ مُداوِياً ومُجَبِّرا
* واللهِ ما تدرى : لعلّ كَفيفَهم ... يومًا يكونُ أبا العَلاء المُبصِرا
* لو تَشتريه بنِصفِ مُلكِكَ لم تَجِدْ ... غَبْناً، وجلّ المشْتري والمُشْتَرى
* إن فاتهم من نورِ وجهِك فائتٌ ... لم يَعدَموا لوجوهِ بِرِّكَ مَنْظَرا
* لَمسوا نَداكَ كمَنْ يشاهد مُزنةً ... ويدُ الضَّريرِ وراءها عينٌ ترى (١)
* زِدْهُمْ أبا الفاروقِ إنّك خَيِّرٌ ... من خَيِّرٍ ولَدَ الكريمَ الخَيِّرَا



يافِتيةَ المعمورِ سار حديثُكمُ ... نَدًّا بأفواهِ الرّكابِ وعَنْـــبَرا (٢)
المَعْهَدُ القُدْسِيُّ كانَ نَدِيُّه ... قُطباً لدائرة البـــلادِ ومِحْوَرا
وُلِدَتْ قضيتُها على محـــرابِه ... وحَبَت به طفلا وشبّتْ مُعْصِرًا (٣)
وتقدّمَتْ تُزْجِى الصفوفَ كأنّها ... (جانْدَرْكُ) فى يدها اللواء مُظَفَّرا



هُزُّوا القُرى من كهفها ورقيمها ... أنتم لعمْرُ اللهِ أعصابُ القرى
الغـــافِلُ الأُمِّىُّ ينطِقُ عنكم ... كالببّغاء مردِّدا ومكرِّرا
يُمسِى ويُصبحُ فى أوامِرِ دينِـــهِ ... وأمورِ دُنيـــاهُ بكم مُستبصِرا
لو قلتمُ اختَرْ للنّيابةِ جاهِـــلاً ... أو للخطابَةِ باقلاً لتخـــيّرا (٤)
ذكرَ الرِّجالُ له فألّهَ عُصْـــبَةً ... منهم، وفَسّقَ آخرينَ، وكفّرا (٥)
آباؤكم قرأوا عليـــه ورتّلوا ... بالأمسِ تاريخَ الرجالِ مُزَوّرا

---

(١) المزنة السحابة الممطرة . (٢) المعمور : الأزهر . (٣) طفلا : أى طفلة . والمعصر : الفتاة المدركة . (٤) باقل : عربى يضرب به المثل فى العى والفهاهة (٥) فسقه : رماه بالفسق . وكفره : نسبه إلى الكفر .

حتى تلفتَ عن محاجر رومةٍ فرأى (عرابى) فى المواكب (قيصرا)
ودعا لمخـــلوقٍ وآلهَ زائلاً وارتدَّ فى ظُلَمِ العصور القهقرى
* لجنى على العرش البلاء وما نوى وجنى على الوطنِ البلاء وما درَى
* كونوا سياجَ العرشِ والتمسوا له نصراً من المَلِكِ العزيزِ مؤزّرا
وتفيّأوا الدستورَ تحت ظلالهِ كنفاً أهش من الرياضِ وأنضرا
لا تجعلوه هوى وخُلفاً بينكم ومجرَّ دُنيا للنفوسِ ومتجرا
اليومَ صرَّحتِ الأمورُ فأظهرتْ ما كانَ من خُدَعِ السياسة مُضمرا
قد كان وجهُ الرأيِ أن نبقَى يداً ونرى وراء جنودِها إنكلترا
فإذا أتتنـــا بالصفوف كثيرةً جئنا بصفٍّ واحدٍ لن يُكسَرا
غضِبت فنضَّ الطَّرْفَ كلُّ مكابرٍ يلقاكَ بالخـــدِّ اللطيمِ مُصعّرا
لم تلقَ إصلاحاً تهابُ ولم تجـــد من كتلةٍ ما كان أعيا ملنرا (١)
حظٌّ رجَوْنا الخير من إقباله عاث المُفرِّقُ فيـــه حتى أدبرا
دارُ النيـــابةِ هُيئت درجاتها فلْيرْقَ فى الدرَجِ الذوائب والذرا (٢)
الصارخون إذا أُسِيء إلى الحِمَى والزائرون إذا أُغيرَ على الشرى
لا الجاهلون العاجزون ولا الأُلى يمشون فى ذهَب القيود تبختُرا

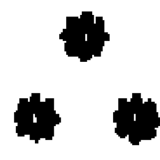
---

(١) المراد بالكتلة: الأمة مجتمعة. واللورد ملنر: هو أحد الوزراء الإنجليز، وكان قدم إلى مصر فى جماعة من قومه سنة ١٩٢٠ ليتقصوا رغائبها وآمالها، فقاطعتهم البلاد وأحالتهم على الوفد المصرى الذى كانت وكلته فى الدفاع عن حقها إذ ذاك.

(٢) المراد بالذوائب والذرا: علية القوم وأكفاؤهم.

الجامعـــة(*)

يا باركَ اللهُ في عباس مِن ملِكٍ ... وباركَ اللهُ في عمـات عباسِ
ولا يَزَلْ بيتُ إسماعيلَ مرتفعاً ... فرعٌ أشمُّ وأصلٌ ثابتٌ راس
وبارك الله في آساسِ جامعةٍ ... لولا الأميرةُ لم تُصبح بآساس
يا عمةَ التاج ما بالنيلِ من كرمٍ ... إن قيسَ بحرُكمُ الطامى بمقياس
لم تسكبِ التبرَ يمناه ولا قذفت ... كرائمَ الدرّ والياقوتِ والمـاس
ولا بنى الدارَ بالعرفانِ زاهيةً ... زهو السماء بمصباحٍ ونبراس
كانت على الأمسِ أدراساً معالمُها ... واليومَ تبدو قياماً غيرَ أدراس [1]
كسوتها وهى أهل للذى لبستْ ... كما كسا جنباتِ الكعبة الكاسى
شمائلٌ كانــ إسماعيلُ معدنها ... قد يَخرُجُ الفرعُ شبهَ الأصل للناس
ما الخيزرانُ وما ابناها وما وهبا؟ ... وما زبيدةُ بنتُ الجود والباس [2]
سكينة العلمِ فى الفردوس ضاحكةٌ ... إليكِ تخطرُ بين الورد والآس
تقولُ: مصرُ من الزهراءِ مشرقةٌ ... كأنــ أيامَها أيامُ أعراسِ
فما كصُنْعِكِ صنعٌ فى محاسنه ... ولا لفضلِك فى الأجيال من ناس



يا بانىَ المجدِ وابنَ المولَعينَ به ... انشرْ ضياءَ الهدى من طَىّ أرماس [3]

(*) ألقيت هذه الأبيات فى دار الجامعة المصرية يوم الاحتفال بافتتاحها. وقد كان الفضل فى إنشائها لصاحبة السمو الأميرة فاطمة إسماعيل.

(١) الأدراس: البالية. (٢) أى ماذا يكون هؤلاء إذا قيسوا إليكم فى الكرم والجود. (٣) الخطاب للخديو عباس. والأرماس: القبور.

(*) حذفت من الشوقيات بالكامل منذ عام ١٩٥٦ ص ١٨٢ .

والقِ فى أرضِ منفٍ أسَّ جامعةٍ ... من نورها تهتدى الدنيا بنبراس
وانفُضْ عن الشرق يأساً كاد يقتله ... فلا حياةَ لأقوامٍ مع الياس
تركُ النفوسِ بلا علمٍ ولا أدب ... تركُ المريض بلا طبٍّ ولا آسى
ملوكُ مصرَ كرامُ الدهر إن جُمعوا ... رأسٌ ، وبيتكمُ تاجٌ على الراس
سبحانَ من تبعثُ الدَّولاتِ قدرتُه ... بغـدادُ مصرٌ وأنتم آلُ عباس

وداع فروق وتهنئة العيد [١٧]

تجلّد للرحيل فما استطاعا ... وداعاً جنـةَ الدنيا وَداعا [١]
عسى الأيامُ تجمعُنى فإنى ... أرى العيشَ افتراقا واجتماعا
ألا ليتَ البلادَ لهـا قلوبٌ ... كما للناسِ تنفطِرُ التِياعا [٢]
وليتَ لدى (فروقٍ) بعضَ بَثِّى ... وما فعلَ الفراقُ غداةَ راعا [٣]
أما واللهِ لو علِمت مكانى ... لأنطقت المآذنَ والقِلاعا
حوت رِقّ القواضِب والعَوالى ... فلما ضِفتُها حوت اليراعا [٤]
سألتُ القلبَ عن تلك الليالى ... أكنّ لياليـاً أم كُنّ ساعا [٥]
فقال القلبُ بل مرت عِجالاً ... كدقاتى لذكراها سِراعا
أدار (محمدٍ) وتراثَ (عيسى) ... لقد رَضِيـاكِ بينهما مشاعا [٦]

---

(١) تجلد : تكلف الجلد وأظهره . والجلد : قوة الصبر . (٢) تنفطر : تنشق . والالتياع : احتراق القلب من الهم أو الشوق . (٣) فروق : الآستانة . والبث : أشد الحزن . راع : أفزع . (٤) القواضب : السيوف القطاعة ، مفردها : قاضب . والعوالى : جمع عالية ، وهى من الرمح أعلى رأسه ، أو نصفه الذى يلى السنان ، أو مادخل منه تحت السنان إلى ثلثه . (٥) الساع : جمع ساعة . (٦) المشاع (بفتح الميم وضمها) : المشترك غير المقسوم .

— فهــل نبذ التعصب فيكِ قومٌ　　يمــدُّ الجهــلُ بينهم النزاعا
أرى الرحمنَ حصّنَ مسجديه　　بأطــولِ حائطٍ منكِ امتناعا
فكنتِ لبيتِه المحجوجِ ركنا　　وكنتِ لبيتِه الأقصى سِطاعا [1]
هواؤكِ والعيونُ مفجّرات　　كفى بهما من الدنيا متاعا [2]
وشمسُــكِ كلما طلعت بأفقٍ　　تخطّرت الحيــاة به شعاعا
وغيدُكِ هنَّ فوق الأرض حورٌ　　أوانسُ لا نقــابَ ولا قِناعا
حوالَيْ لجــةٍ من لازوردٍ　　تعالى اللهُ خلقاً وابتــداعا
يروحُ لُجَيْنُها الجارى ويغــدو　　على الفردوسِ آكاما وقاعا [3]

* * *

* ودارِ الأمــيرِ على (جبوقلى)　　كهمتِه عُــلوًّا وارتفــاعا [4]
* بنــاها مستهامٌ بالمعــالى　　وبالحسَــنات يبنيهــا تِباعا
* ركبنا الكهرُباء لها فسارت　　تسابقُ فى السماواتِ السباعا
* رأيتُ بهــا بساط الريح يجرى　　وكنتُ أجلُّ آيتــه سَماعا
* أجالسُ مثلَ مُجريه مقــاما　　وحظًّا فى الممالكِ واتســاعا
* أرى عزَّ (الرشيدِ) وكيف يُبنى　　وكيفَ يحوزُ فى الشُّهْبِ الضِّياعا [5]
* بلغنــا ذِروةً فى الأُفقِ طالتْ　　فما تركتْ لأنجُمــهِ طَماعا [6]
* نظرتُ على السماءِ مكانَ (عيسى)　　فلم أر بيننــا إلا ذِراعا

---

(١) السطاع : عمود البيت . (٢) العيون : هى عيون الماء .
(٣) لجينها ، أى اللجة . واللجين : الفضة . والآكام : التلال . والقاع : أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال والآكام . (٤) الأمير ، هو الخديو عباس : وجبوقلى : ناحية فى الآستانة . (٥) الضياع : جمع ضيعة ، وهى الأرض المغلة . (٦) الذروة : أعلى الشىء . والطماع (بفتح الطاء) : الحرص على الشىء .
(*) انتقصت من الشوقيات ٣٢ بيت منذ عام ١٩٥٦ من ص ١٨٤ إلى ص ١٨٦ .

* وشارفت الأديمَ الطهرَ حولى أرى أثر البُراقِ زكا وضاعا [١]
* وبحرٍ كالمكارم من أميرى إذا رفع العفاةُ لها شِراعا [٢]
* رَكبنا متنَ زاخرِه نُوافى خِضمًا زاخرًا ملكًا مُطاعا [٣]
* كهارون الرشيدِ ندًى وبأسًا وكالمأمون فى جَلَلٍ زَماعا [٤]
* أبا القمرين عرشك فى قلوبٍ تجاوزُ فى الولاءِ المُستطاعا
* تَرى فيه الصِّيانَ لحق مصرٍ فلولا العرشُ يعصِمُه لضاعا [٥]
* يودّ سواكَ لو تُهدَى إليه ولن تَشرى القلوبُ ولن تُباعا
* أذاعَ حسودُ مجدِكَ كلَّ سوءٍ فمجته النفوسُ وما أذاعا [٦]
* أمثلك يمنعُ الأوطانَ خيرًا وأنتَ خُلقتَ من خيرٍ طِباعا
* شجاعًا كنتَ فى يوم عصيبٍ تُوفِّيها المحبةَ والدّفاعا
* جَنحتَ إلى السلامِ فكان حِلمًا وقِدمًا زيّنَ الحِلمُ الشجاعا
* ومن صَحِب الحياةَ بغير عَقلٍ تورّطَ فى حوادِثها اندفاعا [٧]
* عروسُ الشرقِ مصرُ ولا أبالى لقد شبّت وما بلغ الرضاعا
* أخذتَ بشُورَويِّ الحكم فيها وما تألو مناهجَه اتّباعا [٨]

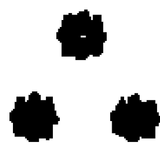
---

(١) شارفت الأديم .. الخ: قاربته ودنوت منه البراق: دابة كان يركبها الأنبياء. وزكا: نما وصلح. وضاع — من قولهم: ضاع العطر: أى تحرك وانتشرت رائحته.

(٢) العفاة: جمع عاف، وهو كل طالب فضل أو رزق. (٣) المتن: الظاهر. والزاخر: الطامى الممتلئ. والخضم: البحر. (٤) فى جلل، أى فى أمر جالل، وهو العظيم. والزماع (بفتح الزاى): المضاء فى الأمر والعزم عليه.

(٥) الصيان: الحفظ. والضمير فى «يعصمه» لحق مصر. (٦) وما أذاع، أى ومجت ما أذاع. (٧) تورط فى الشىء: وقع منه فى مشكلة. (٨) أخذت، الخطاب لأبى القمرين. ويريد به الخديو عباس أيضا. وشورورى الحكم، أى الحكم القائم على الشورى المستنبط منها.

* تُدرِّجُها على ذُلُلٍ سِمــاحٍ ... من الأحكامِ سَنًّا واشْتِراعا [1]
* وأنت مُنيلُهــا ما تَبتغيــه ... وأكرم من يروم لها النَّفاعا [2]
* أليسَ إليــكَ تاجاها وعرشٌ ... يُظِلُّ بقاعَ (ثَيِبَــةَ) والرِّقاعا [3]
* أعدّ بالعِــلم سُوددها فإني ... وجدتُ العصْرَ عِلمًا واختراعا
* نزلتَ لدى (الخليفةِ) في محلٍّ ... تطيرُ قلوبُ حُسَّـــده شَعاعا [4]
* حللتَ مكانَ (عز الدين) منه ... ومثلك من يُجَلُّ ومن يُراعى [5]
* ألستَ سَليلَ من بعثَ السرايا ... إلى الجوْزاء تأخذها افتراعا ؟ [6]
* وردَّ على المهيمنِ ملكَ مصرٍ ... وأمَّن مسجدَيه والبِقاعا ؟ [7]



* ليالي الشهر يا مولاي ولَّتْ ... كعمْرِ الحاسدِ الشاني سِراعا
* وجاء العيــدُ بالآمالِ تَتْرى ... كغرَّتك ائتــلافًا والتماعا
* أخوه بالحِجازِ يذوب شوقًا ... ويسأل عنــك مكة والرباعا

---

(١) تدرجها ، أي تدنيها شيئاً فشيئا . والذلل : جمع ذلول ، وهو السهل الموطأ . وسماح : جمع سمح ، وهو من الأحكام ما لا ضيق فيه . والاشتراع : مصدر اشترع الأحكام

(٢) النفاع (بفتح النون) : اسم من النفع . (٣) تاجاها ، أي تاجا قطريها ، وهما قطرا مصر والسودان . (٤) تطير شعاعا : أي تتبدد من الخوف ونحوه والضمير في « حسده » المحل . (٥) عز الدين : هو الأمير يوسف عز الدين : كان ولي العهد في خلافة السلطان محمد رشاد الخامس ، ومات قبل أن ينتقل إليه الأمر .

(٦) السليل : الولد . والسرايا : جمع سرية ، وهي القطعة من الجيش . والجوزاء : برج في السماء . والافتراع ، مصدر افترع البكر : أزال بكارتها . (٧) المهيمن : اسم من أسماء الله ، ولعله يريد أنه رد ملك مصر إلى خلافة المسلمين فكأنه رده إلى الله تعالى . والمسجدان : المسجد الحرام في الحجاز والمسجد الأقصى في الشام . وهو يشير في هذين البيتين إلى ما فعله محمد علي الكبير مع الوهابيين من حرب وقتال .

رحلة الشرق (*)

أقدِمْ فليس على الإقدام مُمتنع ... واصنع به المجدَ فهو البارعُ الصنَعُ (١)
الناس في كل يوم من عجائبه ... ما لم يكن لامرئٍ في خاطرٍ يقَع
هل كان في الوهم أن الطيرَ يخلفها ... على السماء لطيفُ الصنع مُخترع ؟
وأن أدراجها في الجو يسلكها ... جنٌّ جنودُ سليمانٍ لها تبع ؟
أعيا العُقابَ مدامٍ في السماء وما ... راموا من القبة الكبرى وما فرعوا (٢)
قل للشباب بمصرٍ : عصركم بطلٌ ... بكل غايةِ إقدامٍ له ولع
أسّ الممالك فيه همّة وحجى ... لا الترهات لها أسٌّ ولا الخدع
يُعطى الشعوبَ على مقدار مانبغوا ... وليس يبخسهم شيئا إذا برعوا
ماذا تعدُّون بعد البرلمان له ... إذا خيارُكمُ بالدَّولة اضطلعوا ؟ (٣)
البرُّ ليس لكم في طوله لجُمٌ ... والبحر ليس لكم في عرضه شُرُع (٤)
هل تنهضون عساكم تلحقون به ... فليس يلحق أهلَ السير مضطجع
لا يُعجبنَّكمُ ساعٍ بتفرقةٍ ... إن المقصَّ خفيف حين يقتطع
قد أشهدوكم من الماضي وما نبشت ... منه الضغائن مالم تشهد الضبع
ما للشباب وللماضي تمرُّ بهم ... فيه على الجيَف الأحزابُ والشيَعُ

(*) بعد رحلة طويلة شاقة في صحراء ليبيا استطاع الرحالة المصري الكبير أحمد حسنين بك أن يسدي إلى العلم يداً بيضاء، وأن يكشف للناس عن مجاهل هذه البيداء، فلما عاد قابلته البلاد بالحفاوة والترحاب واحتفل به القوم احتفالا لحيا ألقيت فيه هذه القصيدة.

(١) الصنع : الحاذق . (٢) فرع الجبل : صعده . (٣) اضطلعوا : أي نهضوا بها . (٤) الشرع جمع الشراع والمراد بها هنا السفن، من إطلاق الجزء على الكل . واللجم والشرع : يراد بهما قوة البر وقوة البحر .

إن الشباب غدٌ ، فليَهدِم لغَدٍ والمسالك فيـــه الناصحُ الورع
لا يَـنْـعنَكم بِر الأبوة أن يكون صُنعكم غيرَ الذى صَنعُوا
لا يُعجِبَنكمُ الجـاهُ الذى بَلغوا من الولاية ، والمـالُ الذى جمعوا
ما الجاهُ والمـالُ فى الدنيا وإن حَسُنا إلا عوارِيُّ حَظٍ ثم تُرتَجع[١]
عليكمُ بخيال المجـــد فأتلفوا حِيالَهُ وعلى تمثاله اجتمعوا
وأجملوا الصبرَ فى جدٍ وفى عَمَلٍ فالصبر ينفعُ ما لا يَنفعُ الجزَع
وإن نَبغتمْ ففى علم وفى أدب وفى صناعات عصرٍ ناسُه صُنُع
وكلُّ بنيانِ قومٍ لا يقوم على دعائم العصرِ من رُكْنيْهِ مُنصَدِع
شَريفُ مكةَ حُرٌّ فى ممالكه فهل تُرى القوم بالحرية انتفعوا ؟

* * *

كم فى الحياة من الصحراء من شَبَه كلاهما فى مفاجاةِ الفتى شَرع[٢]
وراء كل سـبيل فيهما قَدَرٌ لا تعلمُ النفسُ ما يأتى وما يَدع
فلستَ تدرى وإن كنتَ الحريصَ متى تهبُّ ريحـاهما أو يطلعُ السبُعُ
ولستَ تأمنُ عند الصحو فاجئةً من العواصف فيها الخوفُ والهَلع
ولست تدرى وإن قدرتَ مُجتهِدا متى تَحُطُّ رحالا أو متى تضع
ولست تملِكُ من أمر الدليل سوى أن الدليـلَ وإن أرداك مُتَّبع
وما الحياة إذا أظمَتْ وإن خدَعَت إلا سرابٌ على صحراء يلتمِعُ

* * *

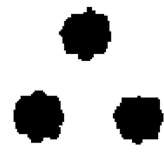
أكبرتُ من (حسنَيْنٍ) هِمَّةً طَمَحتْ تَرومُ ما لا يَرومُ الفِتيةُ القنعُ
وما البطولةُ إلا النفسُ تَدفعُها فيما يُبلِّغها حَمـدًا فَتندفع

(١) العوارى : جمع عارية ، وهى العطية بلا عوض . (٢) شرع : أى سواء .

ولا يُبالى لمـا أهلٌ إذا وَصَلُوا ... طاحوا على جَنَبات الحدِ أم رَجعوا
رَحّالةَ الشرق ، إن البيدَ قد عَلِمتْ ... بأنك الليثُ لم يُخلَقْ له الفَزَع
ماذا لَقيتَ من الدوّ السّحيق ومِن ... قفرٍ يَضيقُ على السارى ويَتّسع؟ (١)
وهل مَرَرْتَ بأقوامٍ كفِطْرَتِهم ... من عهد آدمَ لا خُبْثٌ ولا طَبَع؟ (٢)
ومن عَجيبٍ لغير اللهِ ما سَجدوا ... على الفَلا ولغير الله ما رَكَعوا
كيف اهتدى لهمُ الإسلام وانتَقلتْ ... إليهمُ الصلوات الخمسُ والجُمَع
جَزَتْك مصرُ ثناءً أنت مَوْضِعُهُ ... فلا تُذُبْ من حياءٍ حين تَستَمِعُ
ولو جَزَتْكَ الصحارى جئتَنَا مَلِكا ... من الملوكِ عليك الريشُ والوَدَعُ (٣)

براءة(*)

— الناسُ للدنيـا تَبَعْ ... ولمن تُحالِفُهُ شِيَعْ
— لا تهجَعَنَّ إلى الزما ... نِ فقد يُنبهُ من هَجَعْ (٤)
— وآرباً بحِلْمكَ فى النوا ... زلِ أن يُلِمَّ به الجزع
— لا تخلُ من أمل إذا ... ذهب الزمان فكم رجع
— وانفعْ بوُسعك كلِّه ... إن الموفَّقَ من نفع



مصر بنت لقضاتها ... ركناً على النجمِ ارتفع

---

(١) الدو : المفـازة . (٢) الطبع : الشين والعيب والدنس . (٣) الريش والودع : عنوان العظمة فى أواسط أفريقيا . (*) حرم الأستاذ مرقص فهمى حنا من الاشتغال بالمحاماة ثم برأه القضاء من تلك التهمة التى عزيت إليه ، فاحتفل بعودته إلى المحاماة احتفالا ألقيت فيه هذه القصيدة . (٤) الهجوع : النوم .

فيه احتمى استقلالها ... وبه تحصّن وامتنع
فليهنها وليهننا ... أن القضاء به اضطلع (١)
الله صانَ رجالَه ... عما يُدنِّسُ أو يَضع
ساروا بسيرة مُنذِرٍ ... وأبي حنيفة في الورَع
وكأن أيام القضا ... ء جميعها بهمُ الجمع
قل للمُبرَّأ مرقص ... أنت النقيُّ من الطبع (٢)
هذا القضاء رماكَ بال ... يمنى وباليسرى نزَع
هـذا قضاء الله عـ ... ـجّل الحكومة متّبَع
عُدْ للمحاماة الشري ... فة عَوْدَ مشتاقٍ وَلِع
والبسْ رداءكَ طاهراً ... كرداءِ مرقص في البيع (٣)
وادفعْ عن المظلوم وال ... محروم أبلغَ من دفع
واغفرْ لحاسدِ نعمةٍ ... بالأمس نالك أو وقع (٤)
ما في الحياة لأن تعا ... تِبَ أو تحاسِبَ متّسَع

الصحافة (*)

لكلِّ زمانٍ مضى آيةٌ ... وآيةُ هذا الزمانِ الصحُفْ
لسانُ البلادِ ونبْضُ العباد ... وكهفُ الحقوق وحربُ الجنَف (٥)

---

(١) اضطلع : قوى . (٢) الطابع : الشين والعيب . (٣) البيع : جمع بيعة ، وهي متعبد النصارى . (٤) وقع فلان في فلان : سبه وعابه . (*) ألف أصحاب الصحف العربية نقابة تجمع كلمتهم وقد ألقيت هذه القصيدة في الاحتفال بإنشائها . (٥) الجنف : الحيف .

تسيرُ مسيرَ الضُّحى فى البلادِ ... إذا العِلمُ مزّق فيها السَّدف (١)
وتمشى تعَـلَّمُ فى أمّـةٍ ... كثيرة من لا يَخُطّ الألف !
فيا فتيةَ الصُّحْفِ صبراً إذا ... نبا الرزقُ فيها بكم واختلف
فإن السعادةَ غيرُ الظهو ... رِ ، وغيرُ الثراء ، وغيرُ الترف
ولكنها فى نواحى الضمير ... إذا هو باللؤم لم يُكتَنَفْ
خذوا القصدَ واقتنِعوا بالكفاف ... وخلوا الفضُولَ يَغِلْها السَّرف (٢)
وروموا النبوغ فمن ناله ... تلقَّى من الحظ أسنى التُّحَف
وما الرزقُ مجتلِبٌ حرفةً ... إذا الحظ لم يهجُرِ المحترف
إذا آختِ الجوهَرىَّ الحظوظُ ... كفلنَ اليتيمَ له فى الصَّدَف (٣)
وإن أعرضتْ عنه لم يحلُ فى ... عيونِ الخرائد غيرُ الخزف (٤)

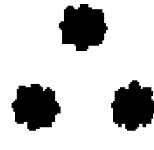
***

رعى اللهُ ليلَتكم ، إنها ... تلت عنده ليلةَ المنتصَف (٥)
لقد طلعَ البَدْر من جُنحِها ... وأوما إلى صُبحِها أن يقِف
جَلوتم حواشيَها بالفنون ... فمن كلِّ فنٍّ جميلٍ طَرَف
فإن تسألوا ما مكان الفنونِ ... فكم شرف فوق هذا الشَّرَف (٦)
أريكةُ (موليرَ) فيما مضى ... وعرشُ (شكسْبيرَ) فيما سَلف
وعُودُ (ابن ساعدةٍ) فى عكاظ ... إذا سال خاطرُه بالطُّرَف (٧)

---

(١) السدف : الظلام . (٢) الفضول : فضلات المال الزائدة عن الحاجة . وغالها السرف يغولها . أتى عليها . (٣) اليتيم : اللؤلؤ المنقطع النظير . (٤) الخرائد : العذارى . (٥) المنتصف : منتصف شعبان . (٦) الشرف أولا : العلو والمجد . والشرف ثانيا : الموضع العالى ، وهنا المسرح . (٧) عود ابن ساعدة ، أى ومنبر قس بن ساعدة ، وهو أخطب خطباء الجاهلية .

فلا يرقَيَنْ فيه إلا فتى | إلى درجاتِ النبوغ انصرف
تعلَّمَ حكمتَه الحاضرين | وتُسمِعُ في الغابرينَ النُّطَف [1]



حمدنا بلاءكمُ في النضالِ | وأمسِ حمدنا بلاء السلف
ومن نسيَ الفضل للسابقين | فما عرف الفضل فيما عرف
أليس إليهم صلاح البناء | إذا ما الأساسُ سما بالغرَف ؟
فهل تأذنون لذى خلةٍ | يَفضُّ الرياحينَ فوق الجيف ؟
فأين (اللواء) وربُّ اللواء | إمام الشباب مثالُ الشرف ؟ [2]
وأين الذى بينكم شبله | على غاية الحقِّ نعم الخلف ؟
ولا بدّ للغرس من نَقلةٍ | إلى من تعهد أو من قطف
فلا تجحدنَّ يد الغارسين | وهذا الجَنَى في يديك اعترف
أولئك مروا كدود الحرير | شجاها النفاعُ وفيه التلف [3]

عيد الفداء (*)

أمّا العتابُ فبالأحبّةِ أخلَقُ | والحبُّ يَصلُحُ بالعتاب ويصدُق
يا من أُحبُّ، ومن أُجِلّ، وحسْبُه | في الغيدِ منزلةً يُجَلّ ويُعشَق

---

(١) الغابرين : الآتين . والنطف : جمع نطفة ، وهى أصل النسل .
(٢) رب اللواء : المرحوم مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء .
(٣) النفاع : النفع . (*) كان لهذه القصيدة يوم نشرت ضجة هائلة ، لعلها استمدت معظمها من تلك الأبيات التى تنطق فيها ذكرى الشباب ، والتى قلما وفق إلى مثلها شاعر ولقد نظمت هذه القصيدة معارضة لأخرى من رويها للمرحوم إسماعيل صبرى باشا .

البعد أدناني إليك فهل تُرى | تقسو وتنفرُ أم تلينُ وترفق ؟
في جاهِ حسنِك ذلّتي وضراعتي | فاعطِفْ فذاك بجاهِ حُسنكَ أليق !

* * *

خلقَ الشباب ولا أزالُ أصونُه | وأنا الوفيُّ مودّتي لا تخلُق (١)
صاحبتُه عشرينَ غيرَ ذميمةٍ | حالي به حالٍ وعيشِيَ مُونق (٢)
قلبي ادّكرتَ اليومَ غيرَ موفّقٍ | أيامَ أنتَ مع الشبابِ مُوفّق
خفقتَ من ذكرى الشبابِ وعهده | لهفي عليك ! لكلّ ذكرى تخفُق
كم ذُبتَ من حُرَقِ الجوَى، واليومَ من | أسفٍ عليه وحسرةٍ تتحرق
كنتَ الشِّباكَ، وكان صيداً للصِّبا | ما تَسترِقُّ من الظباء وتُعتق
خدعتْ حبائلُك الملاحَ هُنيهةً | واليومَ كل حُبالة لا تَعلَق
هل دون أيامِ الشبيبةِ للفتى | صفوٌ يُحيطُ به وأنسٌ يُحدِق ؟

* * *

* مولاي حُكْمُكَ في الرقابِ مُقيّدٌ | سمْحٌ، فأما في القلوب فمطلَق
* أنّى اتجهتَ توجّهتْ مشغوفةً | هذا الجلالُ زِمامُها والرونق
* العيدُ من رُسُل العناية، فاغتبِطْ | بصنوف ما حملَ الرسولُ الشيّق
* الناسُ تنحَرُ والصلاةُ مُقامةٌ | وعِداك يُنحَرُ جمعُهم ويُمزّق
* بكرَ الأذانُ محيّيًا ومهنّئا | ودعا لك الناقوسُ فيما ينطق
* أثنى الخطيبُ عليك قبل صلاته | وأجلَّ ذكرَكَ في الصلاة البطرَق

* * *

(١) خلق الشيء : بلي . (٢) الحالي : الحلو ، أو المزين .

*) انقصت من الشوقيات ١٨ بيت منذ عام ١٩٥٦ من ص ١٩٣ إلى ص ١٩٤ (١٣ — عبقرياته — ١

* ترجى الفيالقَ، والقلوبُ خوافقٌ   فوق الجنود ، فكلُّ قلبٍ فيلَق
* فى موكبٍ لفتَ الزمانَ جلالُه   يزهو بلألاءِ العزيزِ ويُشرق
* والأرض حاليةُ الوجوهِ بنورِه   والشمسُ غيْرَى تجتليه وترمُق
* والروحُ يكلأ، والملائكُ حُرّسٌ   وعنايةُ اللهِ الحفيظِ تُحلِّق
* حتى حللتَ بعابدينَ لحلِّهــا   ســعدُ الديارِ وبدرُها المتألق
* فى كلِّ إيوانٍ وكلِّ خميــلةٍ   ساحٌ ميمّمةٌ وبابٌ يُطرَق
* خلْقٌ على قدمِ المهابةِ ماثلٌ   فى سُــدّةِ العزِّ المنيعةِ مُطرِق
* حتى إذا رُفِع الحجابُ تدفقوا   يتشرفون براحــةٍ تتدفق
* وتعارضتْ فيك القرائحُ وانبرى   لأبى نُواس البحتريُّ المفلِق (١)
* قلمان، فى يدك الكريمةِ منهما   ويدَىْ أبيكَ أبى المكارم مَوْثِق
* لما عفوت وكان ذلك شيمة   طَرِبا وهزهما السجينُ المطلق
* فى ذمةِ اللهِ الكريم وحفظِه   أملٌ بعرشك للبــلاد مُعلّق

نكبة بيروت (*)

ياربِّ أمرُكَ فى الممالكِ نافذ   والحكم حُكْمُكَ فى الدمِ المسفوك
إن شئتَ أهرقْتَهُ وإن شئتَ احمِهِ   هو لم يكن لسواكَ بالمملوك
واحكم بعدلِك إنّ عدلَك لم يكن   بالممترَى فيــه ولا المشكوك
ألأجلِ آجالٍ دنت وتهيــأتْ   قدرتَ ضربَ الشاطئِ المتروك؟

(١) يريد بأبى نواس : اسماعيل صبرى باشا . وبالبحترى : نفسه .
(*) قيلت على أثر ضرب الأسطول الإيطالى مدينة بيروت .

ما كان يحميه ولا يُحمَى به ... فُلْكان أنعم من بواخر «كوكِ» (١)
هذى بجانبها الكسيرِ غريقة ... تهوى ، وتلك بركنها المدكوك

***

بيروت،مات الأسدُ حتفَ أنوفِهمْ ... لم يشهَروا سيفاً ولم يحموك
سبعون ليثاً أحرِقوا أو أغرِقوا ... ياليتهم قتِلوا على «طبروك»
كلٌّ يصيدُ الليثَ وهو مقيَّدٌ ... ويعزّ صيدُ الضيغمِ المفكوك
يامضرِبَ الخِيَمِ المنيفَةِ للقِرى ... ماأنصفَ العُجْمُ الألى ضربوك (٢)
ماكنتِ يوما للقنابل موضعًا ... ولو أنّها من عسجدٍ مسبوك
بيروتُ ، ياراحَ النزيلِ وأنسَه ... يمضى الزمانُ علىّ لا أسلوك
الحسنُ لفظٌ فى المدائنِ كلّها ... ووجدته لفظا ومعنى فيك
نادمتُ يومًا فى ظلالِكِ فتيةً ... وسَمُوا الملائكَ فى جلالِ ملوك (٣)
يُنسونَ (حسانًا) عصابةَ (جِلّقٍ) ... حتى يكادَ بجلقٍ يَفديك (٤)
تالله ماأحدثتِ شرًّا أو أذًى ... حتى تراعَىْ أو يُراعَ بنوك
أنت التى يحمِى ويمنعُ عِرضَها ... سيفُ الشريفِ وخنجرُ الصّعلوك

(١) أى لم تكن تستطيع حمايته هاتان السفينتان الصغيرتان اللتان أعدتا به للرياضة والتنعم لا للحرب والقتال . (٢) القرى : الضيافة . (٣) واسمه فى الحسن فوسمه، أى غلبه فيه . (٤) حسان بن ثابت ، شاعر النبى صلى الله عليه وسلم . وعصابة جلق : هم ملوك غسان ؛ وجلق : هى دمشق ، وكان حسان بن ثابت كثيرا ما يفد على آل غسان ويمدحهم وينال منحهم ، فما يناسب هذا المقام قوله :

لله در عصابة نادمتهم ... يوما بجلق فى الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأول
يغشون حتى ماتهر كلابهم ... لايسألون عن السواد المقبل

إن يجهلوكِ فإنّ أمّك سوريا والأبلق الفــردَ الأشمّ أبوك [١]
والسابقين إلى المفاخرِ والعُلا بَلْهَ المكارمَ والنــدَى أهلوك
سالتْ دماؤ فيكِ حول مساجدٍ وكنائسٍ ومدارسٍ و «بُنوك»
كنا نؤمّلُ أن يُمَدَّ بقاؤها حتى تَبِلَّ صدَى القنا المشبوك
لك فى رُبَى النيلِ المبارَك جيرةٌ لو يقدِرون بدمعهم غسلوك
* يكفيكِ برءا للجراح ومرهمًا أن الأمير «محمدًا» يأسوك [٢]
* لو يستطيعُ كرامُ مصر كرامة «لمحمّدٍ» بقــلوبهم ضمدوك
* هو فى أبناء المجد صورة جدّه أذكرتِ «إبراهيمَ» فى ناديك ؟

تكليل أنقرة وعزل الآستانة

قمْ نادِ (أنقرةً) وقل يَهنيكِ مُلْكٌ بَنَيْتِ على سيوف بَنِيكِ
أعطيْتِه ذَوْدَ اللبَاةِ عن الشرى فأخــذْتِه حُرًّا بغير شَريك [٣]
وأقمتِ بالدّمِ جانبيْه ولم تزلْ تُبنَى الممالكُ بالدم المســفوك
فعقدت تاجَكِ من ظُبًى مسلولةٍ وحللتِ عَرْشَك من قنًا مشبوك [٤]
تاجٌ ترى فيــه إذا قلّبْتَــه جُهْدَ الشريفِ وهِمّةَ الصّعلوك [٥]

---

(١) الأبلق : جبل لبنان . (٢) محمد : الأمير محمد على باشا . (٣) الذود ، مصدر ذاده عن الشيء : دفعه عنه . واللبأة : أنثى الأسد . والشرى : مكان جانب الفرات تكثر فيه الأسود ، ويضرب به المثل فى ذلك . (٤) الظبى : جمع ظبي ، وهى حد السيف والسنان ونحوهما . (٥) الجهد (بضم الجيم وفتحها) : الطاقة ، وقيل المشقة
(*) انقصت من الشوقيات ٣ أبيات منذ عام ١٩٥٦ ص ١٩٦ .

وترى الضحايا من معاقد غاره ... وعلى جوانب تبره المسبوك (١)
وتراه فى صخب الحوادث صامتاً ... كالصخر فى عصف الرياح النوك (٢)
خــــرزاته دم أمة مهضومة ... وجهود شـــعب مجهد منهوك
بالواجب التمس الحقوق وخاب من ... طلب الحقوق بواجب متروك
لا الفردُ مسّ جبينك العالى ولا ... أعوانه بأكفهم لمسوك (٣)
لما نفرت إلى القتال جماعة ... أصلوك نار تلصص وفتوك (٤)
هدروا دماء الأسد فى آجامها ... والأسد شارعة القنا تحميك (٥)
يابنت (طوروس) الممرد طأطأت ... شم الجبال رؤسهـــا لأبيك (٦)
أمعنتما فى العز واستعصمتما ... هو فى السحاب وأنت فى أهليك (٧)
نحت الشعوب من الجبال ديارهم ... والقوم من أخلاقهم نحتوك
فلو أن أخلاق الرجال تصورت ... لرأيت صخرتها أساساً فيـــك

---

(١) المعاقد : مواضع الانعقاد . والغار : شجر عظيم ؛ واحدته غارة . وكان الإغريق الأقدمون والرومان أيضا يضفرون منه أكاليل لأبطالهم المتنصرين فى الحروب والتبر : الذهب غير المضروب . والمسبوك : المذوب المفرغ فى القالب

(٢) الصخب : الصوت شديدا . وعصف الرياح : اشتدادها . والنوك ، جمع نوكاء ، وهى الحمقاء . (٣) لا الفرد أى لا الفرد المستبد بالحكم ، والخطاب لأنقرة . ويريد بالفرد : السلطان محمد وحيد الدين . وأعوانه : وزراءه الذين أرادوا أن يخمدوا حركة الأناضول ضد اليونان والإنجليز . (٤) نفرت إلى القتال : ذهبت إليه مسرعة . وأصلوك : أحرقوك ، أى أولئك الأعوان . والتلصص : أن يصير الإنسان لصا وأن يتخلق بأخلاق اللصوص . والفتوك : مصدر فتك به ، أى بطش . وفتك فلان فى الخبث : إذا بالغ فيه . (٥) الأجمة : الشجر الكثير الملتف ، جمعها أجم ، بفتح الجيم ؛ وجمع الجمع آجام ، وهو الوارد فى البيت . وهو يشير إلى فتوى شرعية كانت حكومة الآستانة قد أذاعتها فى أول أمر القائمين فى الأناضول تحلل بها قتالهم . (٦) طوروس : جبل عظيم فى آسيا الصغرى . والممرد : المطول المملس . (٧) أمعنتما : أبعدتما . واستعصمتما : امتنعتما .

إن الذين بَنوكِ أشبَهُ نيّةً ... بشباب (خَيْبَرَ) أو كهول (تبُوك) (١)

حَلَفوا على الميثاق لا طَعِموا الكرى ... حتى تذوقى النصرَ، هل نصروك؟ (٢)

زَعموا (الفرنسى) المُحجَّلَ صورةً ... فى حَلْبَةِ الفرسان من حاميكِ (٣)

(النسرُ) سَلَّ السيفَ يبْغِى نفسه ... وفتاكِ سَلَّ حُسامَه يبنيك (٤)

والنسرُ مملوكٌ لسلطان الهوى ... ووجدتُ نسرَكِ ليس بالمملوك

يا دولةَ الخلقِ التى تاهت على ... رُكْن السماك بركنها المسموك (٥)

بينى وبينَكِ ملّةٌ وكتابُها ... والشرقُ يَنْمِينى كما يَنْميك

قد ظنَّنى اللاحى نطقتُ عن الهوى ... ورَكِبْتُ مَتْنَ الجهلِ إذ أطريك (٦)

لم يُنْقِذِ الإسلامَ أو يَرْفَعْ له ... رأساً سوى النفر الأُلى رفعوك

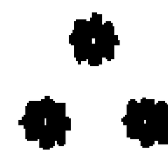
رَدُّوا الخيالَ حقيقةً، وتطلعوا ... كالحق حصحص من وراء شكوك (٧)

لم أكذب التاريخَ حين جعلتُهُمْ ... رُهْبانَ نُسْكِ لا عُجولَ نَسيك (٨)

لم تَرْضَى ذَنباً لنجمك همّتى ... إنّ البيانَ بنجمه يُنبيك (٩)

قلمى وإن جهِلَ الغبىُّ مكانهُ ... أبقى على الأحقاب من ماضيك (١٠)

ظَفرتْ بيونانَ القديمةِ حِكْمتى ... وغزا الحديثةَ ظافراً غازيك



(١) خيبر اسم مكان كان به سبعة حصون، غزاه النبى صلى الله عليه وسلم. وتبوك: أرض بين المدينة والشام، نسبت إليها غزوة من غزوات النبى أيضا.

(٢) الميثاق: أمور كان القائمون بدعوة القتال قد أخذوا على أنفسهم أن يقاتلوا حتى تتم الأمة. (٣) الفرنسى: نابليون بونابرت. (٤) النسر: لقب نابليون. يريد بفتاك ـ فى هذا البيت ـ وبحاميك ـ فى البيت قبله ـ مصطفى كمال.

(٥) السماك: كوكب معروف. والمسموك: المرفوع. (٦) اللاحى: اللائم. متن الجهل: ظهره. (٧) حصحص الحق: بان بعد كتمانه. (٨) النسيك: الذهب والفضة. (٩) ينبيك: يخبرك. (١٠) الأحقاب: جمع حقب، بضم الحاء، قيل: هو ثمانون عاما، وقيل هو الدهر.

مني لعهدكِ يا (فروقُ) تحيـــةٌ ... كعيونِ مائك أو رُبى واديك [1]
أو كالنسيم غدا عليك وراح من ... فُوفِ الرياض ووشْيِها المحبوك [2]
أو كالأصيل جرى عليك عقيقُه ... أو سالَ من عِقْيانه شاطيك [3]
تلك الخمائلُ والعيونُ ، اختارها ... لك من رُبَى جناته باريك [4]
قد أفرَغت فيك الطبيعةُ سحرها ... من ذا الذي من سحرها يَرقيك
خلعت عليكِ جمالها وتأملت ... فإذا جمالُك فوق ما تكسوك
تالله ما فتنَ العيونَ ولذّها ... كقلائد الخُلجان في هاديك
عن جيدكِ الحالي تلفتَتِ الرُّبى ... واستضحكت حُورُ الجنان بفيك
إن أنسَ لا أنسَ الشبيبة والهوى ... وســوالفَ اللذاتِ في ناديك [5]
ولياليًا لم ندرِ أين عِشاؤُها ... من فجرها لولا صياحُ الديك
وصَبُوحنا من (بَنْدِلَار) و(شِرْشِر) ... وغَبوقَنا (بتَّرابِيا) و(بُيوك) [6]
لو أن سلطانَ الجمال مخلَّدٌ ... الملِحةِ لعذلتُ مَن عــذلوك
خلعوكِ من سلطانِهم فَسَلِيهمُ ... أمن القلوب ومُلكِها خلعوك؟
لا يَحزُنَنْك من حُماتِك خطةٌ ... كانت هي المُثلَى وإن ساءوك
أيقالُ فتيانُ الحِمى بك قصَّروا ... أم ضيّعوا الحرماتِ ، أم خانوك؟

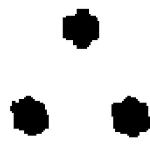
---

(١) فروق ، هي الآستانة . (٢) فوف الرياض : زهرها ، تشبيها لها بفوف الثياب ، وهي نوع من برود اليمن . والوشي : نمنمة الثوب وتحسينه ، وهو أيضا نوع من الثياب الموشية ، تسمية لها باسم المصدر . والمحبوك ـ من حبك الحائك الثوب : حسن أثر الصنعة فيه . (٣) الأصيل : هو مابعد العصر إلى المغرب . والعقيان : الذهب الخالص . (٤) الخمائل : جمع خميلة ، وهي الشجر الكثير الملتف .

(٥) إن أنس لا أنس ، أي إن نسيت شيئاً فلست أنسى الشبيبة .. الخ .

(٦) الصبوح : شراب الصباح . والغبوق : شراب العشي. وبندلار وترابيا وبيوك ، أسماء أمكنة في الآستانة .

وهمُ الخفافُ إليك كالأنصار إذ ... قلّ النّصيرُ وعزّ مَنْ يفديك
والمشتروكِ بمالِهم ودمائهم ... حين الشيوخُ بجُبّةٍ باعوك
هدروا دماء الذائدين عن الحمى ... بلسانِ مفتى النارِ لا مفتيك (١)
شربوا على سرّ العدو وغرّدوا ... كالبومِ خَلْف جدارك المدكوك (٢)
لَوْ كنتِ (مكة) عندهم لرأيتهم ... (كمحمدٍ) و (رفيقهِ) مجروك (٣)



يا راكبَ الطامى يجوبُ لجاجَه ... من كل نيّرةٍ وذاتِ حُلوكِ (٤)
إن جئتَ (مرمرةَ) تحُثُّ الفلكَ فى ... بهجٍ كآفاق النعيم ضحوكَ (٥)
وأتيتَ (قرن التبر) ثمّ تحفّهُ ... تحفُ الضّحى من جوهرٍ وسلوكِ (٦)
فاطلع على (دار السعادةِ) وابتهلْ ... فى بابها العالى وأدّ ألُوكى (٧)
قل للخلافةِ قولَ باكٍ شمسها ... بالأمس لما آذنتْ بدلوكِ (٨)
يا جذوةَ التوحيدِ هل لك مُطفئٌ ... واللهُ جل جلاله مُذكيك (٩)
خَلتِ القرون وأنتِ حربُ ممالكٍ ... لم يُغفِ ضدُّك أو يَنَمْ شانيكِ (١٠)
يَرميك بالأممِ الزمانُ وتارة ... بالفرد واستبداده يرميك

---

(١) الذائدين عن الحمى : جمع ذائد ، وهو المدافع . ومفتى النار : شيخ الإسلام الذى أفتى بقتالهم . (٢) شربوا : أى الشيوخ .

(٣) عندهم : عندفتيان الحمى الذين اشتروك بمالهم ودمائهم . (٤) الطامى : البحر . واللجاج : جمع لجة : من كل نيرة ، أى من لجة نيرة بيضاء . يكنى بذلك عن البحر الأبيض المتوسط . وذات حلوك : أى ومن كل لجة سوداء ذات حلوك ، يكنى بذلك عن البحر الأسود . (٥) مرمرة : هو بحر مرمرة ، تدخله من مضيق الدردنيل ويصله بالبحر الأسود مضيق البسفور . (٦) قرن التبر ، هو القرن الذهبى ، وهو جزء من البسفور.

(٧) دار السعادة ، هى الآستانة . والألوك : الرسالة . (٨) الدلوك : غروب الشمس . (٩) مذكيك : موقدك . (١٠) لم يغف : لم ينم . والشانئ : المبغض

عودى إلى ما كنتِ فى عهد الهدى عُمَرٌ يسوسُك (والعتيقُ) يليك [١]
إن الذين توارثوك على الهوى بعد (ابن هندٍ) طالمَا كذبوك [٢]
لم يَلْبَسُوا بُردَ النبى وإنما لبِسُوا طقوس الروم إذ لَبِسُوك
إنى أعيذُك أن تُرَىْ جبّارةً كالبابوية فى يَدَىْ (رُدريك)
أو أن تُزَفَّ لكِ الوراثة فاسقا (كيزيد) أو كالحاكم المأفوك [٣]
فضّى نيوبَ الفَرد ثم خذى به فى أىّ ثوْبَيْـــهِ به جاءوك [٤]
لا فرق بين مُسلِّطٍ متتوج ومُسلِطٍ فى غير ثوب مليـــكِ
إنى أرى الشورى التى اعتصموا بها هى حبلُ ربك أو زمام نبيك

عيـــد الدهر وليلة القدر (*)

المُلكُ بين يديكَ فى إقبـــاله عَـــوّذتُ مُلكَكَ بالنبى وآله [٥]
حرٌّ ، وأنتَ الحرُّ فى تاريخِه سمحٌ وأنتَ السمحُ فى أقياله [٦]

---

(١) يشير إلى ترك الملك المحصور فى أسرة واحدة والرجوع إلى جعله حقا يتولاه من تبايعه الأمة ، كما كان لعهد الخلفاء الراشدين . (٢) ابن هند : هو معاوية ابن أبى سفيان أول الخلفاء من بنى أمية . (٣) يزيد : هو يزيد بن الوليد ، من ملوك بنى أمية . كان من أصحاب الدعارة والفسوق . والحاكم : هو الحاكم بأمر الله أحد الملوك الفاطميين فى مصر ، كان فاسقاً مختبلا وكانت له بدع وضلالات يحمل الناس عليها قسرا .

(٤) فضى نيوب الفرد : انثريها ؛ ومنه قولهم : فض الله فم فلان : أى نثر أسنانه . والنيوب : جمع ناب .

(*) « قيلت فى احتفال بالمولد النبوى الشريف » .

(٥) الملك بين يديك : الخطاب للخليفة محمد رشاد الخامس . (٦) حر : أى الملك . يريد أنه غير مقيد بسلطة الفرد المستبد . وأنت الحر فى تاريخه ، لأن الخليفة محمد رشاد أول خليفة دستورى . وسمح ، يقال : رجل سمح ، أى ذو سماحة وعطاء . والأقيال : جمع قيل ، وهو الملك .

فيضاً على الأوطانِ من حُريةٍ ... فكلاكما المفتكُ من أغلالهِ [١]
سعِدَت بعهدكما المباركِ أمةٌ ... رقّت لحالكَ حقبةً ولحالهِ [٢]
يَفديكَ نصرانيُّه بصليبه ... والمنتمى (لمحمدٍ) بهلالهِ
وفتى الدروزِ على الحزُونِ بشيخه ... والموسَوىّ على السهولِ بمالهِ [٣]
صدَقوا الخليفةَ طاعةً ومحبةً ... وتمسكوا بالطهرِ من أذيالهِ
يجدون دولتَك التى سعِدوا بها ... من رحمةِ المولى ومن أفضالهِ
جدّدت عهدَ (الراشدين) بسيرةٍ ... نسجَ (الرشادُ) لها على منوالهِ
بُنيت على الشورى كصالحِ حُكمهم ... وعلى حياةِ الرأى واستقلالهِ
حقٌّ أعزَّ بك المهيمنُ نصرَه ... والحقُّ منصورٌ على خُذّالهِ [٤]
شرُّ الحكومةِ أن يُساسَ بواحدٍ ... فى الملكِ أقوامٌ عِدادُ رمالهِ
ملكٌ تشاطِرُه مَيامنَ حالهِ ... وترى بإذن الله حُسنَ مآلهِ [٥]
أخذَت حكومتُكَ الأمانَ لظَبيه ... فى مُقفراتِ البيدِ من رِئبالهِ [٦]
مكنتَ للدستورِ فيه وحُزتَه ... تاجاً لوجهكَ فوقَ تاجِ جلالهِ [٧]
فكأنكَ (الفاروقُ) فى كُرسيه ... نَعِمَت شعوبُ الأرضِ تحت ظلالهِ [٨]
أو أنتَ مثلُ (أبى تُرابٍ) يُتقى ... ويهابه الأملاكُ فى أسمالهِ [٩]

---

(١) كلاكما ، أى أنت والملك . والمفتك: المطلق . والأغلال : جمع غل ، بضم الغين ، وهو طوق من حديد يجعل فى العنق . (٢) الحقبة : المدة من الدهر .

(٣) الحزون : جمع حزن ، بفتح الحاء ، ماغلظ من الأرض .

(٤) الخذال : جمع خاذل ، وهو الذى لاينصرك . (٥) الميامن : جمع ميمنة ، وهى اليمن والبركة . (٦) الرئبال : الأسد . (٧) مكنت للدستور ، أى جعلته مكيناً ثابتاً : والدستور : هو القانون الذى ينظم حكم الشورى .

(٨) الفاروق : لقب عمر بن الخطاب : (٩) أبو تراب ، كنية على ابن أبى طالب . والأسمال : الثياب البالية ؛ واحدها سمل ، بفتح الميم .

عهدُ النّبيّ هو السمَاحةُ والرضى (بمحمد) أولى وسمح خلاله
بالحقّ يحمله (الإمامُ) وبالهدى فى حاضرِ الدستور واستقباله
يابنَ الخواقين الثلاثينَ الأُلى قد جمّلوا الإسلامَ فوقَ جَماله (١)
المُبلغِين الدينَ ذروةَ سعدِه الرافِعينَ الملكَ أوجَ كماله (٢)
المُوطِئينَ من الممالكِ خيلَهم مالم يَفُز (إسكندرٌ) بوصاله (٣)
فى عَدلِ (فاتحهم) و (قانونيِّهم) ما يَحتذى الخلفاء حذْوَ مثاله (٤)
أما الخلافة فهىَ حائطُ بيتِكم حتى يُبين الحشر عن أهواله
أُخِذَتْ بحدِّ المشرَفىّ وحازها لكمُ القنَا بقِصاره وطِواله (٥)
لا تسمعوا للمُرجِفين وجهلِهم فمصيبة الإسلامِ من جُهاله (٦)
طمَع القريبِ أو البعيد ببَنائها طمعُ الفتى من دَهرِه بمحاله
ما الذئبُ مُجترئا على ليثِ الشرى فى الغابِ مُعتَديا على أشباله (٧)
بأضلَّ عقلا وهوًى فى أيمانكم ممن يُحاوِل أخذها بشماله

* * *

رضى المهيمن والمسيح وأحمدٌ عن جيشِك الفَادى وعن أبطاله
الحازِمين من الثرَى بسهوله الدائسين على رءوس جِباله

(١) الخواقين : جمع خاقان ، وهو اسم لكل ملك من ملوك الترك .
(٢) الأوج : العلو . (٣) اسكندر ، هو المقدونى الفاتح العظيم .
(٤) فاتحهم وقانونيهم : لقبان أولهما السلطان محمد الفاتح ، لقب به لأنه أول ملك فى الإسلام استطاع أن يفتح القسطنطينية ويقضى على كل سلطة للروم بها ، وثانيهما السلطان سليمان القانونى ، لقب به لأنه أول واضع قانون للدولة التركية . (٥) المشرفى : السيف ، نسبة إلى موضع فى اليمن كانت تصنع به السيوف . (٦) المرجفون : من يخوضون فى الأخبار السيئة ليوقعوا فى الناس الاضطراب . (٧) الأشبال : جمع شبل ، وهو ولد الأسد .

القاتلين عدوهم فى حصـــنه بالرأى والتدبير قبـــل قتاله
الآخذين الحصنَ عزّ ســـبيله مثلَ السها أو فى آمتناعِ مَنساله [1]
المعرضـــينَ ولو بساحة يلدز فى الحربِ عن عِرض العدو وماله
القـــارئينَ على (عليّ) علمها وعلى الغـــزاةِ المتقين رجاله [2]
الملكُ زُلزِلَ فى (فروقٍ) ساعةً كانوا له الأوتادَ فى زلزاله
لولا انتِظامُ قلوبِهم كصُفوفِهم لنَثَرتُ دمعى اليومَ فى أطلاله [3]
والمرء ليس بصادقٍ فى قوله حــتى يُؤَيِّدَ قولَه بفِعـــاله
والشعبُ إن رام الحياةَ كبيرةً خاضَ الغـــمارَ دمًا إلى آماله [4]
شكرُ الممالكِ للسَّخىّ بروحه لا للسَّـــخىّ بقيـــله أو قاله
إيه (فروقُ) الحسنُ نجوى هائم يسمو إليـــكِ بجَـــدّه وبِخاله [5]
أخرجتِ للعربِ الفصاحِ بيانَه قبسًا يُضىء الشرقَ مثـــلَ كماله [6]
لم تُكثِرِ (الحمراء) من نظرائِه نسلًا ولا (بَغداد) من أمثاله [7]
جعلَ الإله خيالَه (قيس) الهوى وجُعلتِ (ليــلَى) فِتنةً لخياله [8]
فى كلِّ عامٍ أنتِ نزهةُ روحِه ونعـــيمُ مُهجتِه وراحةَ باله

(١) السها: كوكب خفى من بنات نعش الصغرى. (٢) على: هو على بن أبى طالب. والضمير للحرب. (٣) الأطلال: ماشخص من آثار الديار.
(٤) الغمار – بضم الغين وفتحها: لفيف الناس. (٥) إيه، اسم فعل للاستزادة من الحديث. والنجو: المسارة بالكلام، وهى السر أيضا. والهائم: المحب والذاهب من العشق أو غيره لا يدرى أين يتوجه، يريد نفسه، أى إنه هائم بحب فروق، وهى الآستانة، لما بها من حسن. ومعنى «يسمو إليك بجده وبخاله» أنه من أصل تركى، من ناحية أبويه. (٦) أخرجت: الخطاب لفروق، والضمير للهائم فى البيت قبله.
(٧) الحمراء: هى مدينة غرناطة بالأندلس: وبغداد: حاضرة العراق.
(٨) قيس هو قيس بن الملوح، وقيل هو قيس بن معاذ المعروف بالمجنون وليلى: هى محبوبته التى جن بها. يقول: إن الله صرف خياله فى الشعر إلى الآستانة فهو يجيد المعانى فى وصفها حتى شغف بها كشغف قيس بليلى:

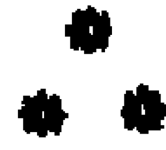
يَغشاكِ قد حنّت إليـــكِ مطيّه ويئوبُ والأشواقُ ملءُ رِحاله
أفراحُه لمـــا رآكِ طليقـــةً أفراحُ (يوسف) يوم حلّ عِقاله [1]
وسرورهُ بكِ من قيودِك حرّةً كسرورِ (قيسٍ) بانفلاتِ غزاله [2]
الله صاغكِ جنّتينِ لخلقِـــه محفـــوفتينِ بأنعمٍ لعيـــاله
لو أن لله اتخاذَ خميـــلةٍ ما اختارَ غيرَكِ روضةً لجلاله [3]
فكأنما الصفتانِ فى حُسنَيْهما ديباجتا خدٍّ يَتيهُ بخَـــاله [4]
وكأنما (البُوسفورُ) حوضُ (محمدٍ) وسط الجنانِ وهنّ فى إجلاله [5]
وكأنّ شاهقةَ القصور حيالَه حُجُراتُ (طه) فى الجنان وآله [6]
وكأنّ عيدَكِ عيدُها لما مشى فيهـا البشيرُ ببِشره وجمـــاله [7]
تِيهى بعيدكِ فى الممالك واسلَمى فى السلمِ للآلافِ من أمثـاله
واستقبلى عهدَ الرشادِ مجمّـــلًا بمحاسنِ الدُّستور فى استهلاله
دار السعادة أنتِ ، ذلك بابهـا شُلّت يدٌ مُدّت إلى إقفـــاله

---

(١) يقول : إنه فرح لها كما فرح يوسف عليه السلام بخروجه من السجن .
(٢) يشير بقوله : كسرور قيس بانفلات غزاله ، إلى ما قيل من أن المجنون رأى ظبية فى حبالة صيادين فسألهما أن يطلقاها ويضع مكانها شاة من غنمه ، ففعلا .
(٣) الخميلة : الشجر الكثير الملتف والروضة ما اجتمع من الحدائق . (٤) الديباجتان : تثنية ديباجة ، وهى الوجه ؛ يقال : فلان يصون ديباجته ، والديباجتان (أيضا) : الخدان . والخال : شامة فى الخد . (٥) حوض محمد : يريد الحوض المورود يوم القيامة . ومحمد : هو النبى صلى الله عليه وسلم . (٦) حياله : أى قبالته وإزاءه . والحجرات جمع حجرة ، وهى الغرفة . وطه ، اسم من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم .
(٧) البشير من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم أيضا .

وداع اللورد كرومر

أيامُكم أم عهدُ إسماعيلا؟ ... أم أنتَ فرعون يسوسُ النيلا؟[1]
أم حاكمٌ فى أرض مصر بأمرِه ... لا سائلا أبداً ولا مسؤولا؟
يا مالكاً رِقّ الرقاب ببأسه ... هلا اتخذتَ إلى القلوب سبيلا[2]
لما رحلتَ عن البلادِ تشهدت ... فكأنكَ الداء العياء رحيلا
أوسعتنا يومَ الوَداع إهانةً ... أدبٌ لعمرك لا يُصيبُ مثيلا
هلا بدا لك أن تجامل بعدما ... صاغ الرئيسُ لك الثنا إكليلا[3]
انظر إلى أدبِ الرئيسِ ولطفِه ... تجدِ الرئيسَ مهذبا ونبيلا



فى ملعب للمُضحِكات مشيَّدٍ ... مثّلتَ فيه المُبكياتِ فُصولا[4]
شهدَ (الحسينُ) عليه لعنَ أصولِه ... وتصدّرَ (الأعمى) به تطفيلا[5]
جُبنٌ أقلَّ وحطَّ من قدريهما ... والمرء إن يجبُن يعشْ مرذولا
لما ذكرتَ به البلادَ وأهلَها ... مثّلتَ دورَ مماتها تمثيلا[6]

---

(١) اسماعيل : هو الخديو اسماعيل باشا . وفرعون : لقب كل ملك من ملوك مصر الأقدمين . (٢) رق الرقاب : استعبادها . والبأس : الشدة والقوة .

(٣) الرئيس : هو مصطفى باشا فهمى ، كان رئيس مجلس الوزراء لعهد اللورد كرومر : وهو الذى أقام له حفلة توديع فى دار الأوبرة يوم خروجه من مصر وخطب له يودعه ويثنى عليه ، ثم خطب اللورد فأمان الأمة وأمان الخديو اسماعيل فى وجه الأمير حسين كامل « السلطان حسين » ولم يراع شيئا من الأدب ولا المجاملة .

(٤) يريد : ملعب دار الأوبرة . (٥) الحسين : هو السلطان حسين كامل . والأعمى : هو الشيخ عبد الكريم سلمان ، وكان قد ضعف بصره وكاد يكف .

(٦) لما ذكرت به : أى بذلك الملعب .

أنذرتَنـــا رِقًا يدومُ وذِلةً | تَبـــقى وحالاً لا ترى تحويلا
أحسِبتَ أن الله دونكَ قدرةً ؟ | لا يملكُ التغييرَ والتبـــديلا
اللهُ يحكمُ فى الملوكِ ولم تكن | دولٌ تنازعه القُـــوى لتَدولا [1]
فرعونُ قبلكَ كان أعظمَ سطوةً | وأعـــزَّ بين العالمين قَبيـلا [2]
اليومَ أخلَفت الوعودَ حكومة | كنا نظُن عهودَها الإنجيـلا
دخلتْ على حكمِ الوداد وشرعه | مصرا فكانتْ كالسُّلالِ دُخولا [3]
هدَمت معالمها وهدَّت رُكنَهـا | وأضاعت آستقلالهـا المأمولا [4]
قالوا جلبتَ لنا الرفاهة والغنى | جحدوا الإلٰهُ وصنعَه والنيـلا [5]
* وحياةَ مصر على زمانِ محمد | ونهوضَها من عهد إسماعيلا
* ومدارساً بنى البـــلادَ حوافلا | حظُّ الفقير بهن كان جَزيلا [6]
* ومعاقـــلا لا تمّحى آثارها | وجيوشَ إبراهيم والأسطولا [7]
* وجداولا بين الضياع جواريا | تذرُ اليبابَ مزارعا وحقولا [8]
* ومدائنا قد خُطِّطت وطرائقا | كانت حُزوناً فاستحالَ سُهولا [9]
* والقطنَ مزروعاً بفضل محمـــدٍ | فى مصر محلوجاً بهـا مغزولا [10]

---

(١) لتدول ، يقال : دالت الأيام ، إذادارت . (٢) القبيل الجماعة من أصل واحد . (٣) السلال ـ بضم السين : هو داء السل . (٤) المعالم : جمع معلم ، وهو موضع الشيء الذى يظن الناس فيه وجوده . (٥) قالوا جلبت : الخطاب للورد كرومر . (٦) حوافل : جمع حافلة : أى ممتلئة .

(٧) المعاقل : جمع معقل ، وهو الملجأ . (٨) الجداول : جمع جدول ، وهو النهر الصغير . والضياع : جمع ضيعة ، وهى الأرض المغلة . واليباب : الأرض الخراب . والحقول جمع حقل ، وهو الأرض الصالحة للزرع والغرس . (٩) الحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض . (١٠) بفضل محمد ، هو محمد على ، لأنه جاء بالقطن فزرعه فى مصر وأنشأ له محالج ومغازل .

(*) انتقصت من الشوقيات ١٢ بيت منذ عام ١٩٥٦ ص ٢٠٧ إلى ص ٢٠٨ .

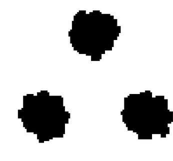
* قد مدّ إسماعيلُ قبلك للورى | ظلّ الحضارة فى البلاد ظليلا
* إن قيس فى جودٍ وفى سرفٍ إلى | ما تُنفقون اليوم عدّ بخيلا
* أو كان قد صرعَ المفتشَ مرةً | فلكم صرعتَ بدنشواى قتيلا (١)
* لا تذكُرِ الكرباجَ فى أيامه | من بعد ما أنبتّ فيه ذُيولا (٢)
* وامدح قصوراً شادَهُن بواذخا | قد أصبحتْ مأوى لكم ومقيلا (٣)
* لو أنه لم يَبْنِها لتخــذتمُ | منها المضاربَ والخيامَ بديلا (٤)
كم منّة موهومةٍ أتبعتَها | منا على الفَطِن الخبير ثقيـلا (٥)
فى كل تقريرٍ تقولُ خلقتُكم | أفهل ترى تقريرَك التنزيلا ؟ (٦)
هل من نَداك على المدارس أنها | تَذَرُ العلومَ وتأخذُ (الفُوتبولا) (٧)
أم من صيانتِك القضاء بمصر أن | تأتى بقاضى دنشواىَ وكيلا ؟ (٨)

---

(١) المفتش : هو إسماعيل باشا مفتش الأقاليم . يقال إن الخديو إسماعيل غضب عليه فأرسل إليه من قتلوه . ودنشواى : قرية من أعمال إقليم المنوفية ولأهلها عناية بتربية الحمام . مر بها جنود من جيش الاحتلال فى صيف سنة ١٩٠٦ فصادوا حمامها بينادقهم وأراد أصحابه أن يمنعوهم بالامتناع عن صيده فلم يسمعوا ، وكبر عليهم الأمر فاعتدوا على الناس بعد الحمام ، وأقبل بعض أهل القرية يدافعون عن أنفسهم وإخوانهم فظن أحد الجنود أنهم يريدونه بسوء فحمل على نفسه يعدو فى الحر الشديد ، وأصيب بضربة شمس فمات . وإذ ذاك أمر اللورد كرومر أن يعاقب أهل هذه القرية ، فحركوا محاكمة صورية وشنق عدة أفراد منهم وعذب آخرون بالجلد وسجن آخرون حتى عفا عنهم الخديو عباس . (٢) من بعد ما أنبت فيه ذيولا : أى جعلت للكرباج شعبا فى طرفه تشبه الذيول ، مبالغة فى الإيلام بالضرب به . (٣) البواذخ : جمع باذخ ، وهو الطويل المرتفع . والمقيل : موضع القيلولة . (٤) المضارب : جمع مضرب ، بكسر الميم ، وهو بيت عظيم من الشعر . (٥) المن : أن تعد لغيرك ما فعلته معه من الصنائع كأن تقول : فعلت لك كذا وأعطيتك كذا ، وهو قبيح مذموم . (٦) كان اللورد كرومر يضع كل سنة تقريرا مطولا عن الحالة العامة فى مصر والسودان ، وكان فى كل تقرير يدعى لنفسه من وجوه الإصلاح فى مصر ما يكذبه الواقع .

(٧) الندى : الكريم . تذر : تترك . والفوتبول : كلمة لغة الانكليز معناها « كرة القدم » . (٨) قاضى دنشواى : هو أحمد فتحى زغلول باشا . كان قاضيا فى المحكمة =

أم هل يَعُدُّ لك الإضاعةَ منـةً جيشٌ بجيشِ الهند باتَ ذليـلا
انظـــر إلى فتيانِه ماشأنُهم أو ليسَ شأناً فى الجيوش ضئيلا ؟
حرمتهم أن يبلغوا رُتبَ العُـلا ورفعتَ قومَكَ فوقَهم تفضيلا
فإذا تطلَّعت الجيوشُ وأمَّلت مُستقبلًا لم يملِكوا التأميـــلا
من بعد ما زَفُّوا لإدوردَ العُلا فتحاً عريضاً فى البـلادِ طَويلا [١]



لو كنتُ من حمر الثيابِ عبدتُكم من دونِ عيسى مُحسناً ومُنيلا [٢]
أو كنتُ بعضَ الإنكليز قبلتُكم مِلكاً أقبِّلُ كفَّه تقبيـلا
أوكنتُ عضواً فى (الكلوب) ملأتُه أسفاً لفُرقتكم بُكاً وعويلا [٣]
أو كنتُ قسيسًا يَهيـــمُ مبشرًا رتّلتُ آيةَ مدحِكم ترتيـــلا [٤]
أو كنتُ صرَّافا بلندنَ دائناً أعطيتُكم عن طيبـــةٍ تحويلا
أو كنتُ (تيمسكم) ملأتُ صحائفى مدحاً يردَّدُ فى الورى موصولا [٥]
أوكنتُ فى مصرٍ نزيلا جاهدًا سبَّحتُ باسمك بُكرة وأصيلا
أو كنت (سريونا) حلفتُ بأنكم أنتم حبوتُم بالقناةِ الجيـــلا [٦]

ـــ المخصوصة التى عاقبت أهل دنشواى بالشنق والجلد والسجن ، جعله اللورد كرومر بعد هذه المحاكمة وكيلا لوزارة الحقانية وقد كان رئيسا لمحكمة مصر الابتدائية الأهليـة .

(١) يشير إلى فتح السودان وأن الجيش المصرى هو الذى قام بعبئه كله ، ولم يكن لجنود الإنكليز فيه من أثر يذكر . وإدوارد : هو ملك الإنكليز . (٢) حمر الثياب: هم الإنكليز . يقول : لو كنت إنكليزيا لعبدتك ولم أعبد عيسى لأنك أنلت الإنكليز وأحسنت إليهم بما لا مثيل له من إنالة وإحسان ، الخطاب للورد كرومر .

(٣) الكلوب : دار ندوة فى القاهرة يشترك فى الإنفاق عليه كل من يشاء من السراة المصريين وكبار الموظفين الإنكليز . (٤) ذلك لأن اللورد كرومر كان يؤيد التبشير بالمسيحية فى مصر ويحمى القسوس القائمين به . (٥) أو كنت تيمسكم ، أى لو كنت جريدة التيمس الخاصة بكم . (٦) المسيو دى سريون مدير شركة قناة السويس .

ما كان من عقباتها وصعابها ... ذلَّلتموه بعزمكم تذليلا
عهدُ الفرنج ، وأنت تعلمُ عهدَهم ... لا يبخسون المحسنينَ فتيلا
فارحل بحفظِ الله جلَّ صنيعُهُ ... مستعفيًا إن شئتَ أو معزولا
واحمل بساقك ربطةً فى لندن ... واخلف هناكَ غِرایَ أو كمبيلا (١)
أو شاطِر الملكَ العظيمَ بلاده ... وسُسِ الممالكَ عرضَها والطولا
إنا تمنينـا على الله المُنى ... واللهُ كانَ بنيلهن كفيلا
من سبَّ دينَ محمدٍ فمحمدٌ ... مُتمكنٌ عند الإله رَسولا (٢)

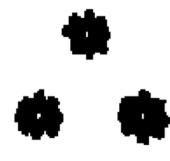
....

السلطان حسين كامل

الملكُ فيكم آلَ إسماعيـلا ... لا زال بيتُكمُ يُظلُّ النيلا
لطفَ القضاء فلم يُمِلْ لوليكم ... ركنًا ولم يَشفِ الحسودُ غليلا (٣)
هذى أصولكمُ وتلك فروعُكم ... جاء الصميمُ من الصميمِ بَديلا (٤)
الملكُ بين قصورِكم فى داره ... من ذا يريدُ عن الديارِ رحيلا ؟
(عابدينُ) شُرِّفَ بابنِ رافعِ رُكنه ... عـزًّا على النجمِ الرفيعِ وطولا (٥)

(١) واحمل بساقك ربطة : يشير إلى نشان عند الإنكليز يسمى نشان ربطة الساق ، قيل يوم عزل كرومر إنه أنعم عليه به . وغراى وكمبيل ، وزيران من وزراء الإنكليز .
(٢) كان اللورد كرومر قد طعن على الدين الإسلامى فى تقريره سنة ١٩٠٦ فزعم أنه دين لا يصلح لهذا العصر . فشاعرنا يشير إلى ذلك بقوله : من سب دين محمد ... الخ.
(٣) فلم يمل ، بضم الياء وكسر الميم - من أمال الشىء : جعله مائلا . والغليل : الحقد والحسد . (٤) الصميم : الخالص الأصيل ؛ يقال : هو من صميم القوم ، أى من أصلهم وخالصهم . (٥) عابدين : اسم القصر الذى يتوج فيه أمراء مصر وملوكها ويتخذونه مقرا لهم حين رعاية شئون الدولة . والمراد بابن رافع ركنه : الأمير حسين كامل . ورافع ركنه : هو الخديو إسماعيل .
(*) حذفت من الشوقيات بالكامل منذ عام ١٩٥٦ ص ٢١٠ .

ما دام مغناكم فليس بسائلٍ	أحوَى فرَوعًا أم أقلّ أصُولا (١)
أنتم بنُو المجدِ المؤثّل والندَى	لكمُ السيادةُ صِبيةً وكُهولا (٢)
النيلُ إن أحصَى لكم حسناتِكم	ملأ الزمانَ محاسنًا والجيلا
أحيا أبوكم شاطئَيه وابتَنى	مجدًا لمصرَ على الزمانِ أثيلا (٣)
نشر الحضارةَ فوق مصرَ وسُوريا	وأمتدّ ظلًا للحجازِ ظليلا
وأعاد للعربِ الكرامِ بيانَهم	وحمَى إلى البيتِ الحرامِ سبيلا (٤)



حفِظَ الإله على الكنانةِ عرشَها	وأدام منكم للهلالِ كفيلا (٥)
بنيانُ (عمرٍو) أمّنته عنايةٌ	من أن يُزعزَع ركنُه ويَميلا (٦)
وتداركَ البارى لواءَ (محمدٍ)	فرعَى له غُررًا وصانَ حُجولا (٧)
فى برهةٍ يَذَرُ الأسرةَ بحسُها	مثلَ النجومِ طوالعًا وأفولا (٨)
اللهُ أدركَه بكم وبأمّةٍ	كالمسلمينَ الأوّلينَ عُقولا
حلفاؤُنا الأحرارُ إلّا أنهم	أرقى الشعوب عواطفًا وميولا
أعلى من الرومان ذكرًا فى الورى	وأعزّ سلطانًا وأمنعُ غِيلا (٩)
لما خلا وجهُ البلاد لسَيفهم	ساروا سماحًا فى البلاد عُدولا

(١) المغنى : المنزل . (٢) المؤثل : أى الأصيل . (٣) الأثيل : الأصيل أيضا . (٤) يشير فى هذين البيتين إلى ما فعله محمد على الكبير من فتح الشام ومحاربة الوهابيين فى الحجاز . (٥) الكنانة : هى مصر . (٦) عمرو : هو القائد الإسلامى عمرو بن العاص ، فاتح مصر لعهد الخليفة عمر بن الخطاب .

(٧) محمد : هو محمد على الكبير والغرر : جمع غرة ، وهى بياض فى جبهة الفرس قدر الدرهم . والحجول : جمع حجل ، وهو بياض فى قوائم الفرس . (٨) البرهة : قطعة من الزمن طويلة . ويذر : يترك . والطوالع : جمع طليعة . والأفول : جمع آفِل .

(٩) دولة الرومان : من الدول القديمة فى أوربة اتسع ملكها فتناول أقطارا كثيرا من الشرق . والغيل : موضع الأسد .

وأتوا بكابرِها وشيخِ مُلوكِها ملِكا عليهـــا صالحا مأمولا [1]
تاجان زانَهما المشيبُ بثالثٍ وجدَ الهُدى والحقُّ فيه مَقيلا [2]

***

سبحان من لا عزَّ إلا عزّه يبـــقى ولم يكُ ملكه ليزولا
لا تستطيعُ النفسُ فى ملكوته إلا رضًى لقضـــائه وقَبُـــولا [3]
الخيرُ فيما آختارَه لعبـــادِه لا يظلمُ اللهُ العبـــادَ فَتيـــلا [4]
ياليتَ شعرى هل يُحطمُ سيفه للبَغى سيفاً فى الورَى مسلولا
سلبَ البريةَ سِلمَها وهنـــاءها ورمى النفوسَ بألفِ عزرائيلا
زال الشبابُ عن الديارِ وخلّفوا للباكياتِ الثكلَ والترميلا [5]
طاحوا فطاحَ العلمُ تحتَ لوائهم وغدا التفوّقُ والنبوغ قتيـــلا [6]
اللهُ يشهدُ ما كفرتُ صنيعة فى ذا المقامِ ولا جحدت جميلا [7]
وهو العليمُ بأنّ قلبىَ موجع وجعًا كداء الثاكلاتِ دَخيلا
مما أصابَ الخلقَ فى أبنائهم ودها الهلالَ عمـالكًا وقبيـــلا [8]
أأخونُ إسمـاعيلَ فى أبنائه ولقد وُلدتُ ببابِ إسماعيلا ؟
ولبستُ نعمتَه ونعمةَ بيتـــه فلبستُ جزلا وآرتديتُ جميلا [9]

---

(١) كابرها وشيخ ملوكها : المراد به الأمير حسين كامل . (٢) تاجان : هما تاج مصر وتاج السودان . (٣) الملكوت : العز والسلطان والملك العظيم .

(٤) الفتيل : القشرة التى فى شق النواة . (٥) الشباب : جمع شاب . والثكل : أن تفقد المرأة ولدها . والترميل : أن تصير المرأة أرملة ، وهى التى مات زوجها .

(٦) طاحوا : هلكوا أو أشرفوا على الهلاك . والتفوق : الترفع . والنبوغ : الظهور فى شىء وإجادته . (٧) الصنيعة : الإحسان . وجحدت : أنكرت .

(٨) ودها الهلال : أى دولة الهلال ، وهى الدولة العثمانية . والقبيل : الجماعة من أصل واحد . (٩) الجزل : الكثير من الشىء .

ووجدت آبائى على صدق الهوى ... وكفى بآباء الرجالِ دليلا
رؤيا (علىٍّ) يا (حسينُ) تأولت ... ما أصدقَ الأحلامَ والتأويلا [١]
وإذا بناةُ المجدِ راموا خُطةً ... جعلوا الزمانَ محققا ومُنيلا
القومُ حينَ دها القضاءُ عقولهم ... كسروا بأيديهم لمصرَ غُلولا [٢]
هدَموا بوادى النيلِ ركنَ سيادةٍ ... لهمُ كركنِ العنكبوتِ ضئيلا
ارقأ سريرَ أبيكَ والبس تاجه ... واْكرُم على (القصرِ المشيدِ) نزيلا
مرت أويقاتٌ عليه مُوحشا ... كالرمس لا خلوا ولا مأهولا [٣]
ليست معالى الأمرِ شيئا غائبا ... عنكم ، وليس مكانُكم مجهولا
كم سُستموه فى الشبيبةِ مُضلِعاً ... وحملتُموه فى المشيب ثقيلا [٤]
وحميتمُ زرعَ البلادِ وضرعَها ... وهززتمُ للمكرُماتِ نخيلا [٥]
يا أكرمَ الأعمامِ حسبُك أن ترى ... للعبرتين بوجنتَيك مَسيلا [٦]
من عثرةِ ابنِ أخيكَ تبكى رحمةً ... ومن الخشوع لمن حباكَ جزيلا [٧]
ولو آستطعتَ إقالةً لعثاره ... من صدمةِ الأقدار كنتَ مُقيلا [٨]

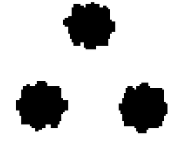
---

(١) على : هو محمد على الكبير . وحسين : هو السلطان حسين كامل . والرؤيا ، هى أن محمد على كان يحلم دائما بانشاء مملكة مصرية منفصلة عن الدولة العثمانية ، فهو يقول: إن هذا الحلم حقق بتولية السلطان حسين التى زالت بها عن مصر السيادة التركية .

(٢) يريد بالقوم : الأتراك ، أى إنهم لما دخلوا الحرب ضد انكلترة وحلفائها أدى ذلك إلى أن تعلن انكلترة زوال السيادة التركية ، فكأنهم هم الذين أزالوها بأيديهم . والغلول : جمع غل ، بضم الغين ، وهو طوق من حديد يجعل فى العنق .

(٣) الموحش . المنزل الذى ذهب الناس عنه . والرمس : القبر . والمأهول : المكان فيه أهله . (٤) الشبيبة : فتوة الشباب . والمضلع : الحمل الثقيل يعجز صاحبه عن حمله.

(٥) الضرع ، لكل ذات ظلف أو خف : مدر اللبن ؛ ويطلق مجازا على هذه الحيوانات نفسها . (٦) المسيل : مكان السيل . (٧) العثرة : الزلة . وابن أخيك : هو الخديو عباس . والخشوع : الخضوع . وحباك : أعطاك . (٨) إقالة العثار : أن ترفع العاثر من سقطته .



يا أهلَ مصر كِلوا الأمور لربكم ... فالله خيرٌ موئلا ووكيلا (١)
جرت الأمورُ مع القضاء لغاية ... وأقرّها من يملكُ التحويلا
أخذت عِنانا منه غيرَ عِنانها ... سبحانه متصرّفا ومُديلا (٢)
هل كان ذاك العهدُ إلا موقِفاً ... للسلطتين وللبلاد وبيلا (٣)
يعتز كلُّ ذليلِ أقوامٍ به ... وعزيزُكم يُلقِي القيادَ ذليلا (٤)
دفعت بنا فيه الحوادثُ وانقضت ... إلا نتائجَ بعدها وذيولا
وانفضّ ملعبُه وشاهِدُه على ... أن الروايةَ لم تتمّ فصولا
فأدمتم الشحناء فيما بينكم ... ولبثتم فى المضحكات طويلا
كلٌّ يؤيدُ حزبَه وفريقَه ... ويرى وجودَ الآخرين فُضولا (٥)
حتى انطوت تلك السنون كملعب ... وفرغتمُ من أهلها تمثيلا
وإذا أرادَ اللهُ أمراً لم تجد ... لقضائه ردًّا ولا تبديلا

بين الحجاب والسفور

صدّاحُ يا ملكَ الكنا ... رِ ويا أميرَ البُلبلِ (٦)

---

(١) الموئل : الملجأ . (٢) العنان : اللجام تمسك به الدابة . (٣) ذاك العهد : هو عهد الحكم فى مصر قبل تولية السلطان حسين . والسلطتان ، هما السلطة الشرعية التى كان يملكها صاحب عرش البلاد والسلطة الفعلية التى اغتصبها عميد انكلترة فى مصر .
(٤) القيادة : حبل يقاد به ، والمراد أنه يخضع ويطيع . (٥) الفضول : الزيادة
(٦) الصداح . الصياح الرفيع الصوت . والكنار والكنارى . طائر حسن الصوت ريشه أبيض يضرب إلى الصفرة وقوادم جناحيه طويلة إلى الخضرة ، وينسب إلى جزائر كناريا ، وهى الجزائر الخالدات . والبلبل : طائر صغير سريع الحركة يضرب به المثل فى طلاقة اللسان .

قد فزتُ منك (بمعبدٍ) ورُزقتُ قرب (الموصِلى) (١)
وأتيحَ لى (داودُ) مِز مارًا وحسنَ ترتل (٢)
فوق الأَسرةِ والمنا بر قطُّ لم تترجّل (٣)
تهتز كالدينار فى مُرتجِّ لحظِ الأحول (٤)
وإذا خطرتَ على الملا عبِ لم تدع لممثّل (٥)
ولك ابتداءات (الفرز دق) فى مقاطع (جرول) (٦)
ولقد تخذتَ من الضُّحى صُفرَ الغلائل والحلِى (٧)
ورويتَ فى بيض القلا نسِ عن عذارى الهيكل (٨)

***

ياليت شعرىَ يا أسيـ ـرُ شجٍ فؤادك أم خَلى ؟ (٩)
وحليفُ سهدٍ أم تنا مُ الليلَ حتى ينجلى ؟ (١٠)

(١) معبد: مغنى مشهور كان أيام الدولة الأموية. والموصلى يطلق على اسحاق الموصلى وابنه إبراهيم، وكانا مغنيين وكان لهما فقه وأدب.
(٢) داود: النبى. ومزاميره: ما كان يترنم به من الأدعية والأناشيد.
(٣) الترجل: أن ينزل المرء عن ركوبته ويمشى. (٤) الأحول: من فى عينه حول. (٥) لم تدع لممثل، أى لم تترك له مايجيده من التمثيل والغناء، لأنك أجود صوتا وفنا من كل مغن وممثل. (٦) الفرزدق: لقب همام بن صعصعة الشاعر المشهور، كان فى صدر الدولة الأموية. وجرول، اسم الحطيئة، وهو شاعر أدرك الجاهلية والإسلام. والابتداءات: أوائل القصائد. والمقاطع: جمع مقطع، وهو آخر بيت من القصيدة.
(٧) الغلائل: واحدتها غلالة، بكسر الغين، وهى شعار يلبس تحت الثوب، يشير بهذا المجاز إلى أن طائره الصداح أصفر اللون. (٨) القلانس: جمع قلنسوة نوع من لباس الرأس. والعذارى: جمع عذراء، وهى البكر. والهيكل معناه هنا الموضع فى صدر الكنيسة يقرب فيه القربان كما تزعم النصارى، وفى هذا البيت أنواع من المجاز ثم كناية عن المعنى المقصود، وهو يريد أن طائره أبيض الرأس كأنه يلبس قلنسوة بيضاء كالعذارى الرهبات المنقطعات لخدمة الهيكل. (٩) الشجى: المشغول. والخلى: الخالى من الهم. (١٠) الحليف: كل شىء لزم شيئا آخر فلم يفارقه. والسهد: الأرق وعدم النوم. وينجلى: يمضى.

بالرغم منى ما تمــا لجُ فى النحاس المقفَل (١)
حِرصي عليكَ هوًى، ومَن يُحرِز ثميناً يبخــل
والشحّ تُحدثه الضرو رة فى الجوادِ المجزل (٢)
أنا إن جعلتكَ فى نضا رٍ بالحــريرِ مُجلَّــل (٣)
ولففتُه فى سُــوسَنٍ وحففتــه بقَرنفــل (٤)
وحرقتُ أزكى العود حو لَيه وأغلى الصَّــندل
وحملتــه فوقَ العيو ن وفوق رأس الجدول (٥)
ودعوتُ كل أغرَّ فى مُلك الطيورِ محجَّــل
فأتتــك بين مُطارحٍ ومجبّــذ ومــدلل (٦)
وأمرتُ بآبنى فالتقا كَ بوجهــه المتهلّل (٧)
بيمينــه فالــوذَجٌ لم يُهدَ (للمتوكــل) (٨)
وزجاجةٌ من فضة مملوءةٌ من سَلسل (٩)
ماكنتُ يا (صدّاح) عنـ ـدكَ بالكريم المفضِل
شهَد الحيــاةِ مشوبة بالرق مثــل الحنظل (١٠)
والقيدُ لو كان الجما نَ منظما لم يُحمَل (١١)

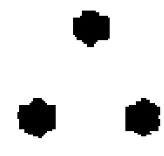
---

(١) ماتمالج، أى ماتزاول وتمارس، والمراد بالنحاس المقفل : القفص الذى حبس فيه الطائر. (٢) الجواد: الكريم. والمجزل : المكثر من العطاء. (٣) النضار : الذهب. والمجلل : المغطى. (٤) السوسن - بفتح السين الأولى وضمها : نبات طيب الرائحة.

(٥) العيون هنا : عيون الماء. والجدول : النهر الصغير. (٦) المدلل، بفتح اللام : المرفه. (٧) المتهلل : المتلألئ. (٨) الفالوذج : حلواء من دقيق وعسل وماء. والمتوكل : أحــد الخلفاء العباسيين. (٩) السلسل : الخمر اللينة.

(١٠) الشهد - بضم الشين وفتح الهاء : جمع شهدة، كغرفة وغرف : العسل.
(١١) الجمان : اللؤلؤ.

يا طيرُ لولا أن يقو لوا جُنَّ قلتُ تعقل
اسمع فرب مفصَّل لك لم يفدك كمجمِل
صبراً لما تشقى به أو ما بدا لك فافعل
أنت ابنُ رأيٍ للطبيـ ـعة فيك غيرِ مبدَّل
أبداً مَرُوعٌ بالإسا رِ مهدَّدٌ بالمقتل[1]
إن طرتَ عن كنفٍ وقعـ ـتَ على النسورِ الجهَّل[2]



يا طيرُ والأمثالُ تضـ ـربُ للبيبِ الأمثل[3]
دنياك من عاداتِها ألَّا تكونَ لأعزل[4]
أو للغبي وإن تعلـ ـلَ بالزمان المقبل
جُعلت لحرٍ يبتلى في ذى الحياة ويبتلى
يرمى ويُرمَى في جها دِ العيش غيرَ مغفَّل
مستجمع كالليثِ إن يُجهل عليه يجهـل[5]
أسمعت بالحكَمَيْن في الـ إسلام يوم (الجندل)[6]
في الفتنة الكبرى ولو لا حكمةٌ لم تشعَل[7]
رضى الصحابةُ يوم ذ لك بالكتاب المُنزل[8]

(١) الإسار: الأسر . (٢) الكنف : الجانب والناحية . (٣) الأمثل: الأفضل .
(٤) الأعزل : من لا سلاح عنده . (٥) المستجمع : من يبذل غاية إمكانه .
ويجهل عليه : يتسافه عليه . (٦) الحكمان هما أبو موسى الأشعرى ، ارتضاه الإمام على حكما له ، وعمرو بن العاص ، اختاره معاوية حكما له . وقصة هذا التحكيم مشهورة . ويوم الجندل ، هو أحد أيام الحرب بين على ومعاوية والجندل : اسم مكان .
(٧) ولولا حكمة ، أى ولولا حكمة أرادها الله تعالى لم تشعل تلك الفتنة :
(٨) رضى الصحابة ... الخ : وذلك أن أصحاب معاوية لما رأوا أن الهزيمة =

وهم المصابيحُ الروا ةُ عن النبيّ المرسَلِ
قالوا الكتابُ وقام كلُّ مفسّرٍ ومــؤوّل
حتى إذا وسعت (معا وية) وضاق بها (على)[1]
رجعوا لظلم كالطبا ئع فى النفوس موّصل
نزلوا على حكم القوىّ وعند رأى الأحيَل[2]
صدّاخ حتى ما أقو ل حفِلتَ أم لم تحفل
جاورتَ أندى روضةٍ وحللتَ أكرم منزل
بين الحفاوة من حُسيـ ـن والرعاية من على
وحنانِ (آمنة) كأ مّك فى صباكَ الأوّل[3]
صحْ بالصباح وبشر الـ ـأبنــاء بالمستقبل
واسأل لمصرَ عنايةً تأتى وتهبط من عَل
قُل ربّنا افتح رحمةً والخير منك فأرسل
أدرك كنانتَك الكريـ ـمةَ ربنا وتقبــل

العلم والتعليم وواجب المعلم(*)

قم للمعلّم وفّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

= ستكون لهم رفعوا المصاحف على أطراف الأسنة ونادوا عليا وأصحابه أن ينزلوا وإياهم على كتاب الله ، فأمر على أصحابه أن يكفوا عن الحرب .

(١) حتى إذا وسعت معاوية ، أى حتى إذا وسعت ولاية الأمر معاوية بسبب أن الحيلة التى فعلها عمرو بن العاص جازت على أبى موسى الأشعرى رجعوا الظلم ، إلى آخر ماق البيتين . (٢) الأحيل : الأكثر حيلة . (٣) حسين وعلى وآمنة : أبناؤه .

(*) ألقيت هذه القصيدة فى حفل قام به نادى مدرسة المعلمين العليا ..

أعلمت أشرفَ أو أجلّ من الذى ... يبنى ويُنشىء أنفساً وعقولا ؟ ٥
سبحانك اللهم ، خيرَ معلم ... علمتَ بالقلم القرونَ الأولى
أخرجتَ هذا العقلَ من ظلماته ... وهديته النورَ المبينَ سبيلا
وطبعته بيدِ المعلّم تارةً ... صَدِئَ الحديدِ وتارة مصقولا (١)
أرسلتَ بالتوراةِ موسى مرشداً ... وابنَ البتولِ فعلّمَ الإنجيلا (٢)
وفجّرتَ ينبوعَ البيانِ محمداً ... فسقى الحديثَ وناولَ التنزيلا (٣)
علّمت يوناناً ومصرَ فزالتا ... عن كل شمس ماتريد أفولا
واليومَ أصبحتا بحالِ طفولةٍ ... فى العلمِ تلتمسانه تطفيلا (٤)
مِن مشرقِ الأرضِ الشموسُ تظاهرتْ ... ما بالُ مغربِها عليه أديلا
يا أرضُ مذ فقدَ المعلم نفسَه ... بين الشموسِ وبين شرقِك حيلا
ذهب الذين حموْا حقيقةَ علمِهم ... واستعذبوا فيها العذابَ وبيلا
فى عالَمٍ صحِبَ الحياةَ مقيّدًا ... بالفردِ ، مخزوماً به ، مغلولا (٦)
صرعته دنيا المستبدّ كما هوتْ ... من ضربةِ الشمسِ الرءوسُ ذهولا
سقراطُ أعطى الكأسَ وهى منيةٌ ... شفتى محبّ يشتهى التقبيلا
عرضوا الحياةَ عليه وهى غباوةٌ ... فأبى وآثرَ أن يموتَ نبيلا (٧)
إن الشجاعةَ فى القلوبِ كثيرةٌ ... ووجدتُ شجعانَ العقولِ قليلا

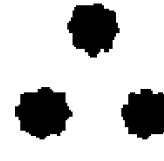
* * *

إن الذى خلقَ الحقيقةَ علقماً ... لم يُخلِ من أهلِ الحقيقةِ جيلا

---

(١) طبع السيف : صاغه . وصدئ الحديد ، أى غير مجلو ولا مصقول .
(٢) البتول : لقب السيدة مريم عليها السلام . (٣) التنزيل : القرآن .
(٤) التطفيل التطفل . (٥) أديل المغرب على المشرق : أى فاقه وانتزع منه الدولة .
(٦) مخزوماً به : أى مسخرا له . (٧) النبل : الذكاء .

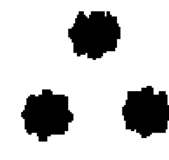
ولربما قتل الغرامُ رجالها ... قُتل الغرام، كم استباحَ قتيلا
أو كلُّ من حامى عن الحق اقتنى ... عند السواد ضغائناً وذُحولا (١)
لو كنت أعتقدُ الصليبَ وخطْبه ... لأقمتُ من صَلْبِ المسيح دليلا



أمعلمى الوادى وساسةَ نشئه ... والطابعينَ شبابه المأمولا
والحاملينَ إذا دُعوا ليُعلموا ... عبء الأمانةِ فادحاً مسئولا
* ونِيَت خُطا التعليم بعد محمدٍ ... ومشى الهُوَيْنا بعد إسماعيلا
كانت لنا قدمٌ إليه خفيفةٌ ... ورمت بدنلوبٍ فكان الفيلا (٢)
حتى رأينا مصرَ تخطو إصبَعاً ... فى العلم إن مشتِ الممالك ميلا
تلك الكفورُ وحَشوُها أمية ... من عهد «خوفو» لم تر القِنديلا
تجدُ الذين بنى «المسلّةَ» جدُّهم ... لا يُحسنونَ لإبرةٍ تشكيلا
ويُدللون إذا أُريدَ قِيادُهم ... كالبُهْمِ تأنسُ إذ ترى التدليلا
يتلو الرِّجالُ عليهمُ شهواتِهم ... فالناجحون ألذّهم ترتيلا
الجهلُ لا تحيا عليه جماعة ... كيفَ الحياةُ على يدىْ عِزريلا؟
واللهِ لولا ألسُنٌ وقرائحٌ ... دارت على فِطَنِ الشباب شمولا (٣)
وتعهدتْ من أربعينَ نفوسَهم ... تغزُو القنوطَ وتغرِسُ التأميلا
عرفتْ مواضعَ جدبهم فتتابعتْ ... كالعينِ فيضاً والغمامِ مسيلا
تسدى الجميلَ إلى البلاد وتستحى ... من أن تُكافأ بالثناء جميلا

(١) الذحول: جمع ذحل، وهو الثأر. (٢) الفيل: ورم يصيب الساق. ودنلوب: مستشار انجليزى منيت به نظارة المعارف المصرية، فأساء إلى العلم والتعليم.
(٣) الفطن: جمع فطنة، وهى الحذق والذكاء. والشمول: الخمر.
(*) أنقصت من الشوقيات بيتان منذ عام ١٩٥٦ ص ٢٢٠ إلى ص ٢٢٢.

ما كان دنلوب ولا تعليمهُ   عنـــد الشدائد يُغنيانِ فتيلا



ربُّوا على الإنصافِ فتيانَ الحِمَى   تجدوهمُ كهفَ الحقوق كهولا

فهو الذى يبنى الطباعَ قويمةً   وهو الذى يبنى النفوسَ عُدولا

ويُقيمُ منطقَ كلِّ أعوجِ منطقٍ   ويُريه رأيا فى الأمور أصيلا

وإذا المعلمُ لم يكن عَدْلا مشى   روحُ العدالةِ فى الشبابِ ضئيلا

وإذا المعلمُ ساء لحظَ بصيرةٍ   جاءتْ على يده البصائرُ حُولا (١)

وإذا أتى الإرشادُ من سببِ الهوى   ومن الغرورِ فسمِّه التضليلا

وإذا أُصيبَ القومُ فى أخلاقهم   فأقمْ عليهم مأتمًا وعـــويلا

إنى لأعذرُكم وأحسبُ عبئَكمْ   من بين أعباءِ الرجال ثقيلا

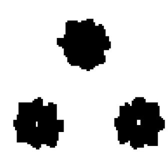
وجدَ المساعدَ غيرُكم وحُرِمْتُمُ   فى مصرَ عونَ الأمهاتِ جليلا

وإذا النساء نشأنَ فى أميَّـــة   رضعَ الرجالُ جهالةً وخمولا

ليس اليتيمُ من انتهى أبواهُ من   همِّ الحياةِ ، وخلَّفاه ذليـــلا

فأصابَ بالدنيا الحكيمةِ منهما   وبحسن تربيةِ الزمانِ بديلا

إن اليتيمَ هو الذى تلقى له   أمًّا تخلتْ ، أو أبًا مشغولا (٢)



مصرُ إذا ما راجعتْ أيامَها   لم تلقَ للسَّبت العظـــيم مثيلا (٣)

(البرلمانُ) غداً يُمدُّ رواقه   ظلاً على الوادى السعيد ظليلا

---

(١) الحول : جمع حولاء . والحولاء : من فى عينها حول والحول : إقبال الحدقة على الأنف ، وهو عيب . (٢) أما تخلت عن تربيته وأبا مشغولا عن العناية به وتهذيبه

(٣) السبت : ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ وهو اليوم الذى افتتح فيه (البرلمان) الأول . وقد كان هذا اليوم قريبا من يوم الاحتفال .

زجوا إذا التعليم حزك شجوه ... ألا يكون على البلاد بخيلا
قل للشباب: اليوم بورك غرسكم ... دنت القطوف وذللت تذليلا
حيوا من الشهداء كل مغيب ... وضعوا على أحجاره إكليلا
ليكون حظ الحي من شكرانكم ... جما وحظ الميت منه جزيلا
لا يلمس الدستور فيكم روحه ... حتى يرى جنديه المجهولا (١)
ناشدتكم تلك الدماء زكية ... لا تبعثوا للبرلمان جهولا
فليسألن عن الأرائك سائل ... أحملن فضلا أم حملن فضولا
إن أنت أطلعت الممثل ناقصا ... لم تلق عند كماله التمثيلا
فادعوا لها أهل الأمانة واجعلوا ... لأولى البصائر منهم التفضيلا
إن المقصر قد يحول ولن ترى ... لجهالة الطبع الغبي محيلا
فلرب قول في الرجال سمعتم ... ثم انقضى فكأنه ما قيلا
ولكم نصرتم بالكرامة والهوى ... من كان عندكم هو المخذولا
كرم وصفح في الشباب وطالما ... كرم الشباب شمائلا وميولا
قوموا اجمعوا شعب الأبوة وارفعوا ... صوت الشباب محببا مقبولا
أدوا إلى العرش التحية واجعلوا ... للخالق التكبير والتهليلا
ما أبعد الغايات إلا أنني ... أجد الثبات لكم بهن كفيلا
فكلوا إلى الله النجاح وثابروا ... فالله خير كافلا ووكيلا

---

(١) يريد بالجندي المجهول من يعمل في غير جلبة ولا ضوضاء وفي غير انتظار مكافأة أو جزاء

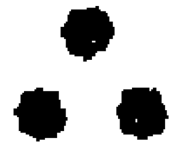
بنك مصر (*)

قف بالممالكِ وانظر دولةَ المالِ   واذكر رجالا أدالوها بإجمال
وانقلْ ركابَ القوافي في جوانبها   لا في جوانب رسمِ المنزلِ البالي
ما هيكلُ الهرَمِ الجيزيّ من ذهبٍ   في العين أزين من بنيانها الحالي
علا بها الحرصُ أركانا وأخرجها   على مثالٍ من الدنيا ومنوال
فيها الشقاءُ لقومٍ والنعيمُ لهم   وبؤسُ ساعٍ ونُعمى قاعدٍ سالي
والمالُ مُذ كان تمثالٌ يُطافُ به   والناس مذ خُلِقوا عبادُ تمثال
إذا جفا الدورَ فانعَ النازلين بها   أو الممالكِ فاندُبها كأطلال
يا طالباً لمعالي الملك مجتهداً   خُذها من العلم أو خذها من المال
بالعلم والمالِ يبني الناسُ مُلكَهُم   لم يُبنَ ملكٌ على جهلٍ وإقلال
سراةَ مصرَ عهدناكم إذا بُسطتْ   يدُ الدعاءِ سراعا غيرَ بُخّال
تبينَ الصدقُ من مينِ الأمورِ لكم   فامضوا إلى الماءِ لا تُلوُوا على الآلِ (١)
لا يذهبِ الدهرُ بين الترهاتِ بكم   وبين زهرٍ من الأحلام قتال
هاتوا الرجالَ وهاتوا المالَ واحتشدوا   رأياً لرأيٍ ومثقالاً لمثقال
هذا هو الحجرُ الدريُّ بينكمُ   فابنوا بناءَ قريشٍ بيتَها العالي
دارٌ إذا نزلتْ فيها ودائعكمْ   أودعتم الحبَّ أرضاً ذاتَ إغلال
آمالُ مصرَ إليها طالما طمحتْ   هل تبخلون على مصر بآمال؟
فابنوا على بركاتِ الله واغتنموا   ما هيأ اللهُ من حظٍّ وإقبال

(*) قيلت هذه القصيدة في الاحتفال بإنشاء بنك مصر بدار (الأوبرا الملكية)
(١) الآل: السراب.

مرحبا بالهلال (*)

العامُ أقبلَ قُمْ نُحَيِّ هلالا ... كالتاجِ فى هامِ الوجود جلالا
طُغرَى كتابِ الكائنات لقارئ ... يزِنُ الكلامَ ويقدُر الأقوالا
ملكَ السماء فكان فى كرسيّهِ ... بين الملائكِ والملوك مِثالا
تتنافسُ الآمالُ فيه كأنه ... ثغرُ العنايةِ ضاحكَ الآمالا
والشمسُ تُزلِفُ عيدَها وتزُفُّه ... بُشرَى بمطلعهِ السعيدِ وفالا (1)
عيدُ المسيحِ وعيدُ أحمد أقبلا ... يتباريانِ وضاءةً وجمالا
ميلادُ إحسانٍ وهجرةُ سُؤدَدٍ ... قد غيَّرا وجه البسيطةِ حالا



قمْ للهلالِ قيامَ محتفلٍ به ... أثْنِ وبالغْ فى الثناء وغالِ
نورُ السبيل، هدًى لكلِّ فضيلةٍ ... يَهدى الحكيمَ لها، وسنَّ خِلالا
ما بينَ مولِدِه وبينَ بلوغِه ... ملأ الحياةَ مآثرًا وفِعالا
متواضعٌ واللهُ شرَّف قدرَه ... بالشمسِ نِدًّا والكواكبِ آلا (2)
متودِّدٌ عند الكمالِ تخالُه ... فى راحتيك، وعزَّ ذاكَ مَنالا
وافٍ لجارةِ بيتهِ يرعى لها ... عهدَ السموءلِ عُروةً وحِبالا (3)
عَونُ السُّراةِ على تصاريفِ النوى ... أمِنوا عليه وحشةً وضلالا (4)
ويُصانُ من سرِّ الصبابةِ عندَه ... ما باتَ عند الأكثرين مُذالا (5)

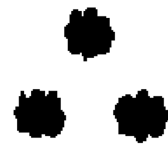
(*) قيلت هذه القصيدة فى رأس سنة ١٣٢٩ الهجرية .

(١) تزلفه : أى تقربه (٢) الند : النظير . والآل : الأهل .

(٣) جارة بيته : هى الزهرة التى تلازمه دائما . وبيته : هو الهالة التى تحيط به.

(٤) السراة : السائرون ليلا . (٥) السر المذال : الذى لا يكتم .

ويُشَكُّ فيه فلا يكلِّفُ نفسَه ... غيرَ الترفعِ والوقارِ نِضالا
ساءتْ ظنونُ الناسِ حتى أحدثوا ... للشكِّ فى النُّورِ المبينِ مجالا
والظنّ يأخذُ فى ضميرِكَ مأخذا ... حتى يُريكَ المستقيمَ محالا
ومن العجائبِ عند قلةِ جِدِّه ... رامَ المزيدَ ، لجدّ فيه فنالا
يطوى إلى الأَوْجِ السماواتِ العُلا ... ويشُدُّ فى طلب الكمالِ رِحالا
ويَفُلُّ من هُوجِ الرياحِ عزائما ... ويَدُكُّ من مَوْجِ البحارِ جبالا
ويُضىء أثناء الخمائلِ والرُّبَى ... حتى تَرَى أسحارَها آصالا
ويجولُ فى زُهرِ الرياضِ كأنه ... صَيِّبُ الربيعِ مشى بهنّ وجالا



أممَ الهلال ، مقالةً من صادقٍ ... والصدقُ أليقُ بالرجال مقالا
متلطِّفٍ فى النصحِ غيرِ مجادلٍ ... والنصحُ أضيعُ ما يكون جِدالا
من عادةِ الإسلام يرفعُ عاملا ... ويسوّدُ المقدامَ والفعّالا
ظلمتُه ألسنةٌ تؤاخذه بكم ... وظلمتموه مفرّطين كسالى
هذا هلالُكم تكفلَ بالهُدَى ... هل تعلمونَ مع الهلال ضلالا ؟
سرَتِ الحضارة حقبةً فى ضوئه ... ومَشى الزمانُ بنورِه مختالا
وبنى له العَرَبُ الأجاودُ دولةً ... كالشمس عرشا والنجومِ رجالا
رفعوا له فوق السماكِ دعائما ... من علمِهمْ ومن البيان طِوالا
اللهُ جلّ ثناؤه بلسانِهم ... خلقَ البيانَ وعلّمَ الأمثالا
وتخيّرَ الأخلاقَ أحسنَها لهم ... ومكارمُ الأخلاقِ منه تعالى
كالرسلِ عزما والملائكِ رحمة ... والأسدِ بأسا والغيوث نوالا
عَدَلوا فكانوا الغيثَ وقعًا كلما ... ذهبوا يمينًا فى الورَى وشمالا

والعدلُ فى الدُّولاتِ أُسٌّ ثابتٌ ... يُفني الزمانَ ويُنفِدُ الأجيالا
أيامَ كانَ الناسُ فى جَهَلاتِهم ... مثلَ البهائمِ أُرسلتْ إرسالا
من جهلِهم بالدين والدنيا معًا ... عبدوا الأصمَّ وألّهوا التمثالا
ضَلوا عقولًا بعد عرفانِ الهدى ... والعقلُ إن هو ضلَّ كان عِقالا [1]
حتى إذا انقسموا تقوّضَ مُلكُهم ... والملكُ إن بطَلَ التعاون زالا
لو أن أبطالَ الحروبِ تفرّقوا ... غلب الجبان على القَنا الأبطالا

يا شباب الديار [*]

غالِ فى قيمةِ ابنِ بُطرسَ غالى ... علم اللهُ ليس فى الحقِّ غالِي [2]
نحتفى بالأديب ، والحقُّ يقضِى ... وجلالُ الأخلاق والأعمال
أدبُ الأكثرين قولٌ ، وهذا ... أدبٌ فى النفوسِ والأفعال
يُظهِرُ المدحُ رونَقَ الرجلِ الما ... جد ، كالسيف يزدهى بالصِّقال [3]
رُبّ مدحٍ أذاعَ فى الناس فضلا ... وأتاهم بقــدوةٍ ومثـــال
وثنــاءٍ على فتى عمّ قومًا ... قيمة العقدِ حُسنُ بعضِ اللآلى

---

(١) العقال فى الأصل : حبل يشد به البعير ، وهنا بمعنى القيد . (*) قيلت هذه القصيدة فى تكريم واصف غالى باشا سنة ١٩٠٦ (واصف غالى بك يومئذ) . ولعلها كانت أول دعوة إلى اتحاد عنصرى هذه الأمة الكريمين ، ولعل صاحب الديوان كان يتكشف له الغيب فيرى خياله هذا الاتحاد ويدعو إليه والناس عنه عمون ، وحديث المؤتمرين ما زال يومئذ ملء الأفواه والأسماع . ولقد شاء الله أن يستجيب دعاءه ، وأن يربط بين الأخوين برباط مقدس كان لصاحب الديوان فضل الخيط الأول فى نسيجه .

(٢) غالى فى المدح : بالغ فيه . وغالى (الثانية) إما أن يراد بها الأمر ، أو يراد بها اسم والد المكرم المرحوم بطرس باشا غالى . (٣) صقل السيف صقالا : جلاه .

(*) انقصت من الشوقيات بيت واحد منذ عام ١٩٥٦ ص ٢٢٨ .

إنمـا يقدُرُ الكرامَ كريمٌ   ويُقيمُ الرجالُ وزنَ الرجال (١)
وإذا عظَّمَ البلادَ بَنوها   أنزلتهم منازِلَ الإجلال
توّجتْ هامهم كما توّجوها   بكريم من الثناء وغالى
إنمـا (واصفٌ) بناءٌ من الأخـ   ـلاق فى دولةِ المشارقِ عالى
ونجيبٌ مهذّبٌ من نجيب   هذّبتْـه تجاربُ الأحوال
واهبُ المالِ والشباب لمـا ينـ   ـفعُ، لا للهوَى ولا للضلال
ومذيقُ المقولِ فى الغرب ممـا   عَصَرَ العُرْبُ فى السنينَ الخوالى
فى كتاب حوى المحاسنَ فى الشّـعرِ وأوعى جوائزَ الأمثال (٢)
من صفات كأنها العين صدقا   فى أداء الوجوه والأشكال
ونسيبٍ تحاذِرُ الغيدُ منه   شَرَكَ الحسنِ أو شباكَ الدلال
ونظام كأنه فَلَكُ الليـ   ـل إذا لاحَ وهو بالزهر حالى
وبيانٍ كما تجـلّى على الرُّشـ   ـلِ تجـلّى على رُعاةِ الضّال (٣)
ما علِمنا لغيرهم من لسان   زال أهلوه وهو فى إقبال
بليت هاشمٌ ، وبادتْ نزار   واللسانُ المبينُ ليس يبالى
كلما همّ مجده بزوالٍ   قام لِخلٍّ لِخالٍ دونَ الزوال

* * *

يا بنى مصرَ ، لم أقلْ أمّـةَ الـ   ـقبطِ فهذا تشبُّثٌ بمحال
واحتيالٌ على خيال من المجـ   ـدِ، ودعوى من العِراض الطِّوال

---

(١) قدره : عظمه . (٢) يشير إلى كتاب فرنسى ألفه واصف باشا وكان موضع تكريمه . (٣) الضال : نوع من الشجر ، والمراد رعاة ما يأكل الضال من الحيوان ، أى رعاة الإبل .

إنما نحنُ مسلمينَ وقبطًا أمّةٌ وُحّدتْ على الأجيال
سبق النيلُ بالأبوّةِ فينا فهو أصلٌ وآدمُ الجدُّ تالى
نحن طينةِ الكريم على الله ومن ماءِ القَراحِ الزُّلال [1]
مَرّ ما مرّ من قرونٍ علينا وُسِّفاً فى القيودِ والأغلال
وانقضى الدهرُ بين زَغْرَدةِ العُر سِ وحَشْوِ الترابِ والإعوال
ما تحلى بكم يسوعُ ولا كُنّا لِطهَ ودينهِ بجمال
وأضاعُ البلادُ بالنومِ عنها وتضاعُ الأمورُ بالإهمال
يا شبابَ الديار ، مصرُ إليكم ولواء العرينِ للأشبال
كلما رُوّعتْ بشبهةِ يأسٍ جعلتكم معاقِلَ الآمال
هَيّئوها لما يليقُ بمنفٍ وكريمِ الآثارِ والأطلال
هيّئوها لما أرادَ (علىٌّ) وتمنّى على القنا والعوالى [2] *
وأنهضوا نهضةَ الشعوب لِدُنيا وحياةٍ كبيرة الأشغال
وإلى اللهِ مَن مشى بصليبٍ فى يديهِ ، ومَن مشى بهلال

على أيد الله (*)

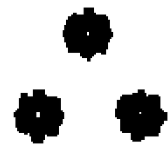
ما للقُرى بين تكبيرٍ وإهلال وللمدائن هزت عطفَ مختال؟
وللرُّبى تنظِمِ الأعلامَ زاهيةً زهوَ القلائدِ فى جيدِ الضحى الحالى [3]

(١) الماء القراح : الصافى.   (٢) يريد محمد على باشا الكبير.

(*) قيلت هذه القصيدة فى زيارة من زيارات سمو الخديو السابق عباس الثانى لمدينة طنطا.   (٣) الحالى : المزين ، وهنا لأشعة الشمس.

(*) حذفت بالكامل من الشوقيات منذ عام ١٩٥٦ ص ٢٢٨.

وللقِبابِ على أطنابها نهضتْ ... وزُيِّلتْ كعروس أو كتمثال
وللعيونِ إلى الآفاق ناظرةً ... تسمو وتطرِقُ من شوقٍ وإجلال
وللسماء تَجلتْ كالأرض زينتُها ... لجاءتا بالضُّحى والموكِب العالى
تلك الركائبُ لا رمسيسُ بُلِّغها ... ولا خطرنَ على هارونَ فى بال [1]
سيارة فى بناتِ العصرِ قد حملتْ ... سيارَ حمدٍ ومعروفٍ وإفضال [2]



يا قيصرَ المشرِقِ الأدنى وواحدَه ... إذا تباهى بأمــلاكٍ وأقيال [3]
وابنَ الذين أقاموا ركنَ دولته ... على بقيةِ أنقاضٍ وأطــلال
كنانةُ اللهِ ركنٌ أنت مانعُه ... إذا رمت ركنَها الجُلَّى بزِلزال [4]
أبان حكمُك للأجيال منهجَها ... وربَّ حكمٍ غدا نوراً لأجيال
سيعلمون إذا اشتدت سواعدُهم ... أن الحياةَ بآمالٍ وأعمــال
ما المجدُ زخرفَ أقوالٍ لطالبه ... لا يدركُ المجــدَ إلا كلُّ فعَّال
لبِستَ تاجين تلقى الشعبَ تحتهما ... من عزِّ مصرَ ومن رِضوانِها الغالى
طلعتَ والنيلُ من بين القرى، يجرى ... بحران من ذهبٍ فيها وسلسال [5]
جرى فبشَّر، واستأنى مسايرةً ... نعم البشيرُ، ونعم التابعُ التالى [6]
بالأمس قصَّر فى واديه عن كرمٍ ... واليــومَ تاب فقابِلْه بإقبال
ما الفرقُ فى غُرَرِ الأخلاق بينكما ... إذا تنزَّه عن نقصٍ وإخلال ؟
وأنت قيِّمــه يجرى فتقسِمُه ... قسْمَ النبيِّ كريمَ الفىء والمال [7]

---

(١) رمسيس: فرعون من فراعنة مصر. (٢) السيار: الكوكب. والإفضال: الإحسان. (٣) الأقيال: الملوك. (٤) الجلى: الخطب العظيم.
(٥) السلسال: الماء الصافى. (٦) استأنى: انتظر. (٧) الفىء: الغنيمة.

* * *

تودّ (طنطدة) لو أنها عَبِقٌ   من الرياحين حياكم به الوالى[1]

إن لا حظتك عيونُ الجندِ فى بلدٍ   حُرستَ فيها بأقطابٍ وأبدال[2]

اللهُ يشهد والقطبُ المكينُ بها   والناسُ أنك تُحيى رسمها البالى

آنظرْ إلى كل عالٍ من معاهدها   تنظرْ طُلَيْطلةَ فى عصرها الخالى[3]

فجّرتَ فيها عيونَ العلم فابتدرتْ   رِيًّا من المال لا رِيا من الآل[4]

بالعلم تُمْتَلَكُ الدنيا ونَضرتها   ولا نصيبَ من الدنيا لجهال

والعلمُ يعتصِمُ الملكُ الكبيرُ به   كالغابِ ما بين آسادٍ وأشبال

* * *

لما طلعتَ عليها قال (سَيِّدُها)   على يد اللهِ فى حلّ وترحال[5]

ملاحَظا بعيونِ الله من كَثَبٍ   مؤيَّدًا برســول اللهِ والآل

---

(١) طنطدة: أى طنطا. (٢) الأبدال: جمع بديل. (٣) طليطلة: من مدن الأندلس أيام أزدهارها. (٤) ابتدر إلى الشيء: أسرع إليه، والضمير للمعاهد فى البيت السابق. والآل: السراب. (٥) يريد: السيد أحمد البدوى.

١٨٨ نهج البردة

ريم على القاع بين البانِ والعَلَمِ ... أحلَّ سَفكَ دَمى فى الأشهر الحُرُمِ (١)

رمى القضاء بعينَىْ جُؤْذرٍ أسدًا ... ياساكِنَ القاعِ أدرِكْ ساكنَ الأجمِ (٢)

لمَّا رَنَا حدَّثَتنى النَّفسُ قائلةً ... يا ويحَ جنبِكَ بالسهم المُصيبِ رُمى (٣)

جحدتُها وكتمتُ السهمَ فى كَبدى ... جُرحُ الأحبة عندى غير ذى ألمِ (٤)

رُزقتَ أسمحَ مافى الناس من خُلقٍ ... إذا رُزِقتَ التماسَ العُذرِ فى الشيمِ (٥)

يا لائمى فى هواهُ والهوى قَدَرٌ ... لو شفَّكَ الوجدُ لم تَعذِلْ ولم تَلُمِ (٦)

لقد أنلتك أُذنًا غير واعيةٍ ... وربَّ مُنتَصتٍ والقلبُ فى صَمَمِ (٧)

يا ناعسَ الطَّرْفِ لاذقتَ الهوى أبدًا ... أسهرتَ مضناكَ فى حفظ الهوى فنَمِ (٨)

---

(١) الرئم (بالهمزة ويخفف بقلب الهمزة ياء) الظبي الخالص البياض . والقاع : الأرض السهلة المطمئنة . والبان : جمع بانة ، ضرب من الشجر . والعلم : الجبل . والأشهر الحرم أربعة : ثلاثة متتابعة هى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وواحد فرد ، وهو رجب وكانت العرب لاتستحل فيها القتال : وفى الشطر الثانى طباق بين قول « أحل » وقوله « الحرم » ولا يذهب عن القارئ مافى البيت من براعة الاستهلال .

(٢) الجؤذر : ولد البقرة الوحشية . والأجم : جمع أجمة ، وهى الشجر الكثير الملتف ، وهو مسكن الأسد . يريد بالجؤذر : المحبوبة التى شبهها فى البيت السابق « بالريم » لتشبيها لها بالجؤذر فى جمال عينيه واتساعهما ، ويريد « بالأسد » نفسه . وفى الشطر الثانى يستغيث بالمقتول للقاتل لا منه ـ ويستنجد الأسد بالغزال ، وهو بديع . (٣) رنا : أدام النظر مع سكون الطرف . وياويح : كلمة تقال لمن وقع فى الشدة والمكروه . يستنجد له بالرأفة والرحمة بما وقع فيه . (٤) جحدتها ، الجحود : الإنكار مع العلم .

(٥) الشيم : جمع شيمة ، وهى الخلق والطبيعة . (٦) شفه الوجد : هزله وأنحل جسمه . (٧) انتصت : سكت سكوت مستمع . وفى الشطر الثانى من البيت الطباق بين قوله « منتصت » وقوله « فى صمم » . (٨) الناعس : الوسنان . والطرف (بالفتح) : العين . والمضنى : الذى أثقله المرض . ومضناك : الذى أضنيته بما لحقه من الوله عليك . وفى الشطر الثانى طباقا بين قوله « أسهرت » وقوله « فنم » .

أفديك ألقَا ولا آلو الخيالَ فِدَى   أغراك بالبخل مَن أغراهُ بالكرم (١)
سرَى فصادفَ جُرْحًا داميًا فأسَا   ورُبّ فضلٍ على العُشّاقِ للحُلُم (٢)
مَنْ الموائس بانًا بالرُّبَى وقَنًا   اللاعباتُ بِرُوحِي السّافِحاتُ دَمِى (٣)
السّافِراتُ كأمثالِ البُدورِ ضُحًى   يُغِرْنَ شمس الضُّحَى بالحَلْى والعِصَم (٤)
القاتلاتُ بأجفانٍ بها سَقَمٌ   وللمنيّةِ أسبابٌ من السَّقَم
العاثِراتُ بألبابِ الرجال وما   أُقِلْنَ من عثراتِ الدَّلّ فى الرَّسَم (٥)
المضرماتُ خُدُودًا أسفرتْ وَجَلَتْ   عن فِتنة تُسلِمُ الأكبادَ للضَّرَم (٦)
الحاملاتُ لواءَ الحُسن مختلفًا   أشكالهُ وهو فردٌ غيرُ مُنقسِم (٧)
من كلّ بيضاء أو سمراء زُيّنتا   للعين، والحُسْنُ فى الآرامِ كالعُصُم (٨)
يُرَعْنَ للبَصرِ السامى، ومن عجبٍ   إذا أشَرْنَ أسرنَ الليثَ بالعَنَم (٩)
وضعتُ خدّى وقسّمتُ الفؤادَ رُبَى   يَرتَعنَ فى كُنُسٍ منه وفى أكَم (١٠)

(١) الألو، هنا: المنع والتقصير. وأغراه بالشىء: زينه له وحرضه عليه.

(٢) السرى: المشى فى الليل. وأسا الجرح يأسوه: داواه. (٣) الموائس: جمع مائسة، وهى المتبخترة. والبان: ضرب من الشجر واحدتها: بانة. يشبه القوام بأغصانها للدونتها: والقنا: جمع قناة، وهى الرمح. وسفح الدم: سفكه وأساله.

(٤) يقال: سفرت المرأة: كشفت عن وجهها. والحلى: ماتزين به المرأة من مصوغ المعادن وكريم الحجارة والعصم: القلائد، جمع عصمة، كعنب وعنبة.

(٥) العثرة: الزلة والسقطة. وأقاله من عثرته، أنهضه منها. والدل، قريب المعنى من الهدى: وهما من السكينة والوقار فى الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك. والرسم: حسن المشى. (٦) الضرم: اشتعال النار. (٧) اللواء: العلم، وحمل لواء الحسن، كناية عن نهاية الحسن فيه. (٨) العصم: جمع أعصم، الذى فيه العصمة، بالضم، وهى بياض اليدين، والعصماء من المعز: البيضاء الذراعين وسائرها أسود أو أحمر، وحرك الصاد إتباعا لحركة العين قبلها. (٩) يرعن: يخفن. والعنم: شجرة حجازية لها ثمرة حمراء تشبه بها البنان المخضوبة، وفى البيت جناس بين قوله: «أشرن» وقوله «أسرن». (١٠) وضع الخد هنا، كناية عن الخضوع والاستسلام. والكنس (بضمتين): جمع كناس، وهو مستقر الظباء فى الشجر والأكم: جمع أكمة، وهى =

يا بنتَ ذِي اللِّبَدِ المحمىِّ جانِبُه ألقاكِ فى الغاب أم ألقاكِ فى الأطم؟ (١)
ما كنتُ أعلم حتى عنّ مَسكَنُه أن المُنَى والمنايا مَضرِبُ الخِيَم (٢)
مَنْ أنبَتَ الغُصنَ من صَمْصامَةٍ ذَكَرٍ؟ وأخرجَ الرِّيمَ من ضِرغامةٍ قَرِم؟ (٣)
بينى وبينكِ من سُمْرِ القَنا حُجُبٌ ومثلها عِفّــــةٌ عُذْرِيّةُ العِصَم (٤)
لم أغشَ مَغنَاكِ إلا فى غضُونِ كَرًى مَغْنَاكِ أبعدُ للمُشتاقِ من إرَم (٥)
يا نفسُ دُنياكِ تُخفِى كلَّ مُبكيةٍ وإن بدا لكِ منها حُسنُ مُبتَسَم (٦)
فُضِّى بتقواكِ فاهًا كلما ضحِكتْ كما يُفَضُّ أذى الرَّقشاء بالثَّرَم (٧)
مخطوبةٌ مُنذُ كان الناسُ خاطبةٌ من أوّلِ الدّهرِ لم تُرْمِلْ ولم تَئِم (٨)

= الموضع يكون أشد ارتفاعا مما حوله. (١) اللبد: جمع لبدة، وهى الشعر المتراكب بين كتفى الأسد. والغاب: جمع غابة، وهى الشجر المتكاثف. والأطم: القصر، وكل حصن مبنى بالحجارة. (٢) عن الشىء: بان وظهر. والمنايا: جمع المنية، وهى الموت. يريد «بالمنى»: محبوبته أو لقاءها، و«بالمنايا»: أباها أو لقاءه، مبالغة ومضرب الخيم: المكان الذى تضرب فيه وتقام، أى حيث تنزل تلك المحبوبة فى جوار أبيها. وفى البيت جناس (٣) الصمصامة: السيف. والضرغامة: الأسد. والقرم: شديد الشهوة إلى اللحم، وهنا كناية عن شدة البأس والافتراس. وأراد «بالغصن» و«الريم»: معشوقته، و«بالصمصامة» و«الضرغامة»: أباها. يتعجب عن أنه كيف يولد لمثل هذا الرجل الشبيه بالسيف فى صلابته ومضائه مثل هذه المعشوقة التى هى كالغصن فى اللدونة ولطف التثنى، وأيضا كيف يكون لمن يشبه الأسد فى قوته وسطوته وبأسه مثل هذه التى تشبه الغزال فى رقته وضعفه. (٤) العفة العذرية: نسبة لقبيلة بنى عذرة اشتهر شبابها بالعشق والعفاف، والعصم: جمع عصمة، وهى المنع والحفظ. (٥) غشى المكان: وافاه والمعنى: المنزل الذى غنى به أهله. والكرى: النوم. وإرم، هى إرم ذات العماد التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم. (٦) المبتسم: بمعنى المصدر، أى الابتسام؛ ويجوز أن يراد به الموضع، أى الثغر. والإضافة فيه من إضافة الصفة للموصوف.
(٧) الرقشاء من الحيات: المنقطة بالسواد والبياض. وأذى الرقشاء: سمها. والثرم: كسر السن من أصلها. (٨) أرملت المرأة: إذا مات عنها زوجها. وآمت المرأة من زوجها تئيم. والأيم: التى لا زوج لها سواء أكانت بكرا أم كان لها زوج فقدته.

يفنى الزمانُ ويبقى من إساءتها ... جُرحٌ بآدمَ يبكى منه فى الأَدَم (١)

لا تحفِلى بجَناها أوْ جِنايتها ... الموتُ بالزَّهرِ مِثلُ الموتِ بالفحَم (٢)

كم نائم لا يراها وهى ساهرة ... لولا الأمانىُّ والأحلامُ لم يَنَم (٣)

طوراً تمُدُّكَ فى نعمى وعافية ... وتارة فى قَرَار البؤسِ والوَصَم (٤)

كم ضَلَّلتكَ ومَنْ تُحجبْ بصيرتُهُ ... إن يلقَ صاباً يَرِدْ أو علقماً يَسُم (٥)

يا ويلتاهُ لِنفسى راعها ودَها ... مُسْوَدّةُ الصحْف فى مُبْيَضّةِ اللِّمَم (٦)

ركَضتُها فى مَريعِ المعْصياتِ وما ... أخذتُ من حِمْيةِ الطاعاتِ للتُخَم (٧)

هامت على أَثَرِ اللذات تطلبُها ... والنفسُ إنْ يَدْعُها داعى الصِّبا تَهِم (٨)

---

(١) الأدم : الجلد ، يقول : مع أن حالها وحال الناس ماذكرنا فان إساءتها ما تنتهى حتى أن آدم (عليه السلام) لاينسى كيدها إلى آخر الزمان ، وفى البيت الجناس بين آدم والأدم . (٢) الجنى : ما يجتنى من الشجرة ويقطف من ثمارها . (٣) يريد بالنائم : المغتر بالدنيا الغافل عن مصائبها وغيرها . (٤) الوصم (بالتحريك) : الألم والمرض ، يقال : وصمته الحمى فتوصم ، أى آلمته فتألم . (٥) الصاب : جمع صابة ، شجر مر . والعلقم : الحنظل : ويسم ، من سام ، أى رعى يرعى .

(٦) دها ، أى دهاها . اللمم : جمع لمة ، وهى الشعر يجاوز شحمة الأذن . مسودة الصحف : كناية عن العمل السوء ؛ ومبيضة اللمم : الشيب ، والإضافة فيها من إضافة الصفة للموصوف . (٧) ركضتها ، أصل الركض : تحريك الرجل . ويقال : ركضت الفرس برجلى ، إذا استحثثته ليعدو . والمراد هنا مجرد إطلاق النفس وإرسالها فى طريق غوايتها وفيه تشبيه النفس السائمة تشبيها مضمرا فى النفس على سبيل الاستعارة المكنية . والمريع الخصيب ، ومريع المعصيات من إضافة المشبه به للمشبه ، أى المعصيات التى هى شبيهة بالمرعى المريع تستطيبه الدابة . ففيه تشبيه ضمنى لمن يرسل نفسه فى المعاصى بالبهيم الذى يستطيب المرعى ويسترسل فيه . وحمية الطاعات ، كذلك من إضافة المشبه به للمشبه ، أى الطاعات التى هى شبيهة بالحمية وفيه أيضا التشبيه ضمنى لمن يتعفف عن مساورة المعاصى بمن يمسك نفسه أن ينال ما يهيضه من ألوان الطعام . والتخم : جمع تخمة ؛ قيل : هى فساد الطعام فى المعدة ؛ وقيل : فساد المعدة بالطعام . وقوله « للتخم » ، أى للتحرز عن التخم . (٨) هامت الناقة على وجهها : ذهبت ترعى . وداعى الصبا : اللهو والشباب .

صلاحُ أمرِكَ للأخلاقِ مَرْجِعُه | فقَوِّمِ النفسَ بالأخلاقِ تستقِمِ
والنفسُ من خيرِها فى خيرِ عافيةٍ | والنفسُ من شرِّها فى مَرْتَعٍ وخِمِ (١)
تطغَى إذا مُكِّنَتْ من لذَّةٍ وهَوًى | طَغْىَ الجيادِ إذا عَضَّتْ على الشُّكُمِ (٢)
إنْ جلَّ ذنبى عن الغفرانِ لى أملٌ | فى الله يجعلنى فى خيرِ مُعْتَصَمِ (٣)
أُلقِى رجائى إذا عزَّ المجيرُ على | مُفَرِّجِ الكَرْبِ فى الدارينِ والغُمَمِ (٤)
إذا خفضتُ جَناحَ الذُّلِّ أسألُه | عِزَّ الشفاعةِ لم أسألْ سوى أَمَمِ (٥)
وإن تقدَّم ذو تقوى بصالحةٍ | قدَّمتُ بين يديه عَبرةَ النَّدَمِ (٦)
لزِمتُ بابَ أميرِ الأنبياءِ ومن | يُمْسِكْ بمِفتاحِ بابِ الله يَغتنِمِ (٧)
فكلُّ فضلٍ وإحسانٍ وعارفةٍ | ما بينَ مُستلِمٍ منه ومُلتزِمِ (٨)
علقتُ من مَدحِهِ حبلاً أعزُّ به | فى يومِ لا عِزَّ بالأنسابِ واللُّحَمِ (٩)
يُزرِى قريضى زُهَيْرًا حين أمدحُهُ | ولا يُقاسُ إلى جُودى لدَى هَرِمِ (١٠)

---

(١) المرتع — من رتعت الماشية ترتع رتوعا : أكلت ماشاءت . والمرتع : موضع الرتوع . والوخم : الردىء الوبىء . (٢) الشكم : جمع شكيمة ، وهى الحديدة المعترضة فى لجام الفرس . (٣) عصمة الله العبد : حفظه مما يوبقه ويهلكه . والمعتصم : الموضع منها ، أو بمعنى المصدر ، أى الاعتصام . (٤) الغمم : جمع غمة ، وهى الهم والحزن ، والمجير هنا : المنقذ . إذا عز المجير ، أى يوم القيامة ومفرج الكرب فى الدارين : هو الرسول الأمين صلوات الله وتسليماته عليه ، لأنه أخرج الناس فى الدنيا من ظلمة الغواية إلى نور الهداية وهو فى الآخرة صاحب الشفاعة العظمى . (٥) الأمم : اليسير . وخفض جناح الذل ، كناية عن شدة التواضع والانكسار . (٦) العبرة : تحلب الدمع .

(٧) أمير الأنبياء ، هو محمد صلى الله عليه وسلم . ولزوم بابه . كناية عن الالتجاء إلى كرمه وعدم الانحراف عن التوسل به فى قضاء الطلبات . (٨) العارفة . المعروف

(٩) اللحم : جمع لحمة ، وهى القرابة . (١٠) يزرى : يعيب . والقريض : الشعر . وزهير : هو زهير ابن أبى سلمى المزنى ، كان سيدا غنيا فى الجاهلية معروفا بالحلم والحكمة شاعرا فحلا . وهرم ، بكسر الراء : هو هرم بن سنان بن أبى حارثة المرى ، مدح زهير هرما فأحسن ، ووصله هرم فأجزل الصلة وبالغ فى العطاء .

- مُحمدٌ صفوةُ البارى ورحمتُه وبُغيةُ اللهِ من خلْقٍ ومن نَسمِ (١)
وصاحبُ الحوضِ يومَ الرسْلُ سائلةٌ متى الورودُ وجبريلُ الأمينُ ظَمِى (٢)
سَنَاؤهُ وسناهُ الشمسُ طالعةً فالجِرمُ فى فلَكٍ والضَّوْء فى عَلَمِ (٣)
قد أخطأ النجمَ ما نالتْ أُبُوَّتُهُ من سُؤددٍ باذخٍ فى مَظهرٍ سَنِمِ (٤)
نُمُوا إليه فزادُوا فى الورَى شرفًا وربَّ أصلٍ لفرْعٍ فى الفخارِ نُمى (٥)
حَواهُ فى سُبُحاتِ الطُّهرِ قبلهُمُ نُورانِ قاما مقامَ الصُّلبِ والرَّحِمِ (٦)
لما رَآهُ بَحِيـرًا قالَ نعرِفهُ بما حفِظنا من الأسماءِ والسِّيَمِ (٧)
سائلْ حِراءَ وروحَ القُدْسِ هل علِما مصونَ سِرٍّ عن الإدراكِ مُنْكَتِمِ (٨)
كم جِيئةٍ وذهابٍ شُرِّفتْ بهما بَطحاءُ مكةَ فى الإصباحِ والغَسَمِ (٩)
ووحشةٍ لابنِ عبدِ اللهِ بينهما أشهى من الأُنسِ بالأحبابِ والحشَمِ (١٠)

---

(١) النسم : جمع نسمة ، وهى النفس أو هى الإنسان . (٢) وجبريل الأمين ظمى : الملائكة لا تظمأ ، فلعل مراده بالظمأ هنا لازمه وهو الطلب ، أى الناس ، بمعنى أن حاله تقتضى ذلك إشفاقا على حالهم لما يرهقهم من شدة الظمأ وحرج الموقف .

(٣) سناؤه : رفعته . وسناه : نوره . والعلم ، هنا : العالم .

(٤) السؤدد : السيادة . والباذخ : العالى والسنم (ككتف) : المرتفع . وأبوته ، أى ذوو أبوته . والأبوة : المعنى المأخوذ من الأب ، كالأخوة والبنوة .

(٥) نموا : نسبوا . (٦) السبحات (بضمتين) : مواضع السجود . وسبحات وجه الله : أنواره . (٧) السيم ، كعنب : جمع سيمة ، وهى العلامة . وبحيرا ، بفتح الباء وكسر الحاء : الراهب النصرانى المشهور . (٨) حراء : جبل بمكة فيه غار كان يتعبد فيه النبى صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة . وروح القدس : جبريل عليه السلام ، والإضافة فيه من إضافة الموصوف للصفة ، أى الروح المقدس والقدس الطهر . ومصون سر : من إضافة الصفة للموصوف ، أى السر المصون . وقوله « منكتم » ، وصف مؤكد للسر المصون ؛ لأن السر لا يكون إلا كذلك ، وتنكير « سر » للتعظيم . (٩) البطحاء : المسيل الواسع فيه دقاق الحصى . والغسم : الإمساء وظلمة الليل وفى الإمساء والغسم ، أى من كل مرة كان يطلب فيها النبى صلى الله عليه وسلم حراء لا كل صباح وكل غسم ، فإنه صلى الله عليه وسلم كان يتزود فيقيم فى حراء الليالى والأيام . (١٠) ابن عبد الله هو النبى صلى الله عليه وسلم . والحشم : الخدم الخاصون بمولاهم . والوحشة : الخلوة والهم .

يُسامِرُ الوَحْىَ فيها قبلَ مَهْبِطِه ... ومَن يُبَشِّرْ بسيمى الخيْرِ يَتَّسِمِ (١)

لمَّا دعا الصَّحْبُ يَسْتَسْقونَ مِن ظَمَإٍ ... فاضتْ يَداه من التَّسْنيمِ بالسَّنَمِ (٢)

وظَلَّلته فصارت تَستظلُّ به ... غَمامةٌ جَذَبَتْها خِيرةُ الدِّيَمِ (٣)

مَحبَّةٌ لرسُول اللهِ أُشْرِبَها ... قَعائدُ الدَّيْرِ والرُّهبانُ فى القِمَمِ (٤)

إنَّ الشَّمائلَ إنْ رَقَّت يكاد بها ... يُغرَى الجمادُ ويُغرَى كلُّ ذِى نَسَمِ

ونُودِىَ اقرأْ تعالى اللهُ قائلُها ... لم تَتَّصِلْ قبلَ مَن قِيلت له بِفَمِ

هُناكَ أذَّنَ للرَّحمنِ فامتلأتْ ... أسماعُ مكَّةَ مِن قُدسيَّةِ النَّغَمِ (٥)

فلا تَسَلْ عن قريشٍ كيف حَيْرَتُها ... وكيف نُفْرَتُها فى السَّهْلِ والعَلَمِ (٦)

تساءلوا عن عظيمٍ قد ألَمَّ بهم ... رَمَى المشايخَ والوِلْدانَ باللَّمَمِ (٧)

يا جاهِلين على الهادِى ودعوتِه ... هل تجهلون مكانَ الصادقِ العَلَمِ ؟ (٨)

لقَّبتموه أمينَ القومِ فى صِغَرٍ ... وما الأمينُ على قولٍ بمتَّهَمِ

= والمراد بها هنا مجرد الخلوة والانقطاع عن الناس. (١) مهبطه هنا ، بمعنى هبوطه.

(٢) التسنيم : ماء بالجنة يجرى فوق الغرف. وسنم الإناء تسنيما : ملأه. فكأنه أراد بالسنم هنا الإناء المملوء. والأحاديث الواردة فى نبع الماء من بين أصابعه الشريفة كثيرة. (٣) الديم : جمع ديمة ، وهى المطر الدائم. (٤) القعائد : جمع قعيدة. وقعائد الدير : ملازموه من متنسكة النصارى. والقمم جمع قمة ، وهى أعلى الرأس وكل شىء ، والمراد بها هنا أعالى الجبل (٥) أذن للرحمن ، أى دعا إلى الله. وقوله : من قدسية النغم : ترشيح لتشبيه الدعاء إلى الله تعالى بالصوت الجميل. وقدسية النغم : النغم المطهرة المنزهة عن تطريب الغناء بتكسير الألفاظ واعتصار الحناجر وإيقاع الأصوات. (٦) فلا تسل : يعنى أن الأمر واضح غنى عن السؤال ؛ يقال عند ظهور الأمر ووضوحه : لا تسأل. العلم : الجبل. (٧) ألم : نزل. واللمم (محركة) : الجنون. المعنى أنه قد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الأمر العظيم الذى نزل بهم ، وهو أن يقوم رجل ليس له ما لهم من البأس والمنعة يزجهم عما كان يعبد آباؤهم — وهم سادات قريش وجباهها — ويأخذهم عما ألفوا من عاداتهم وأخلاقهم المغروزة فيهم ، دهشوا لهذا واستعظموه حتى جن منه شيبهم وشبابهم (٨) العلم : الظاهر المشتهر. والجاهلون على الهادى : المتعنتون. والاستفهام فى قوله « هل تجهلون » إنكارى.

فاق البُدور وفاق الأنبياء فَكَمْ ... بالخُلق والخَلق مِنْ حُسْنٍ ومن عِظَم

جاء النبيُّونَ بالآياتِ فانصَرَمتْ ... وجئتَنا بحكيم غيرِ مُنصَرِم [1]

آياتُه كلما طال المدَى جُـددٌ ... يَزِينهنّ جَلال العِتقِ والقِـدَم [2]

يكاد فى لفظَةٍ منـه مُشَرَّفةٍ ... يُوصِيكَ بالحقّ والتقوى وبالرَّحِم

يا أفصحَ الناطقِينَ الضادَ قاطبَةً ... حديثُكَ الشَّهدُ عندَ الذائقِ الفَهِم

حَلَّيتَ من عَطَلٍ جِيدَ البيانِ به ... فى كلّ مُنتَثِرٍ فى حُسْنِ مُنتَظِم [3]

بكلّ قول كريم أنت قائله ... تُحيي القلوبَ وتُحيي مَيّتَ الهِمَم

سَرَتْ بشائرُ بالهادى ومَولِدِه ... فى الشرقِ والغربِ مَسْرَى النورِ فى الظُّلَم

تَخطَّفَت مُهَجَ الطاغين من عَرَبٍ ... وطيَّرَتْ أنفسَ الباغين من عَجَم [4]

رِيعَت لها شُرَفُ الإيوانِ فانصدعت ... من صَدمة الحق لا من صدمة القُدُم [5]

أتيتَ والناسُ فَوضَى لا تَمُرُّ بهم ... إلّا على صنم قد هامَ فى صنم

والأرض مملوءة جورًا مُسَخَّرَةٌ ... لكلّ طاغيَةٍ فى الخلق مُحتَكِم

مُسَيطرُ الفرْس يَبغى فى رعيّتِه ... وقَيصرُ الرّوم من كِبْرٍ أصمّ عَم

يُعَذّبانِ عبادَ اللهِ فى شُبَهٍ ... ويَذْبحان كما ضَحَّيتَ بالغَنَم

والخَلق يفتِك أقواهم بأضعفِهم ... كاللّيثِ بالبَهْم أو كالحوتِ بالبَلَم [6]

أسْرَى بكَ اللهُ ليلًا إذ ملائكهُ ... والرسْلُ فى المسجد الأقصى على قَدَم [7]

---

(١) انصرمت : انقطعت . منصرم : منقطع . الحكيم : القرآن . وقد وصفه الله تعالى بالحكيم فى مواضع منه . (٢) جدد : جمع جديد ، كسرر وسرير . (٣) يقال : عطلت المرأة عطلا ، إذا لم يكن عليها حلى . (٤) مهج : جمع مهجة ، وهى دم القلب . (٥) ريعت . ذعرت وخافت . وشرف : جمع شرفة : وهى مايوضع على القصور ونحوها والقدم : جمع قدوم ، روى أن شرف الإيوان ، وهو مثوى سلطان الأكاسرة ، ارتجت وهوت ليلة مولده صلى الله عليه وسلم ، لم تعمل فيها المعاول ولم تهدمها القدم بل تداعت من صدمة الحق . (٦) البهم : جمع بهمة ، وهى ولد الضأن والمعز . والبلم : صغار السمك . (٧) المسجد الأقصى : بيت المقدس . وعلى قدم : قائمون محتشدون .

لَمّا خطَرتَ به التفُّوا بسيّدِهم — كالشُّهْبِ بالبدرِ أو كالجندِ بالعَلَمِ
صلى وراءكَ منهم كلُّ ذي خَطَرٍ — ومن يَفُزْ بحبيبِ اللهِ يأتَمِمِ (1)
جُبْتَ السماواتِ أو ما فوقهنّ بهم — على مُنَوَّرَةٍ دُرِّيَّةِ اللُّجُمِ (2)
ركوبةٍ لكَ من عِزٍّ ومن شَرَفٍ — لا في الجيادِ ولا في الأينُقِ الرُّسُمِ (3)
مشيئةُ الخالقِ الباري وصَنعتُهُ — وقُدرَةُ اللهِ فوقَ الشكِّ والتُّهَمِ
حتى بلغتَ سماءً لا يُطارُ لها — على جَناحٍ ولا يُسعى على قَدَمِ
وقيلَ كلُّ نبيٍّ عندَ رُتبتِهِ — ويا محمّدُ هذا العرشُ فاستلمِ
خطَطتَ للدينِ والدنيا علومَهُما — يا قارئَ اللوحِ بلْ يا لامِسَ القَلَمِ (4)
أحطتَ بينهما بالسرِّ وانكشفتْ — لكَ الخزائنُ من علمٍ ومن حِكَمِ (5)
وضاعفَ القربُ ما قُلِّدتَ من مِنَنٍ — بلا عِدادٍ وما طُوِّقتَ من نِعَمِ (6)

---

(١) ذوى خطر : ذى قدر ومنزلة . ويأتمم، أى يأتم والأصل: ومن بحبيب الله يفز، ولكنه قلب للمبالغة والمبادرة بذكر الفوز . (٢) بهم أى بملابسة بعضهم فيها، فإنه ورد أنه مر ببعضهم فى السماوات، لا كما هو المتبادر من قوله أنهم صاحبوه حين جاب السماوات . ويريد بقوله « منورة درية اللجم » البراق . (٣) « من » فى قوله « من عز ومن شرف » للتعليل، أى لأجل عزك وشرفك والأينق الرسم : النوق الشديدة الوطء لقوتها حتى كأنها ترسم فى الأرض بمشيها آثارا ظاهرة والرسم، واحدها رسوم والجياد : جمع جواد، وهو الفرس الرائع البين الجودة (٤) خطه علوم الدين والدنيا كناية عن تعليمها الناس وتفهيمهم . وقراءة اللوح ولمس القلم : كناية عن إطلاع الله له على ما أطلعه عليه من الغيوب . (٥) عن ابن عباس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «علمنى ربى ليلة الإسراء علوما شتى فعلم أخذ على كتمانه وعلم خيرنى فيه وعلم أمرنى بتبليغه».

(٦) يجوز أن يكون « القرب » فاعلا « لضاعف » . و« ما » وما بعدها مفعولا به . والمعنى أن قربه من الله تعالى قد أربى على جميع ما وليه صلى الله عليه وسلم من النعم التى لا يدركها العد، فكانت باضافة القرب إليها أضعاف ما كانت قبله ويجوز أن يكون مفعولا والفاعل « ما » وما بعدها . والمعنى أن ما تجلى الله تعالى عليه به من النعم التى لا تعد، وأولاه من الفضائل التى لا تحصى، قد زاد قربه لأنه كقرب على قرب، والأول أولى.

سلْ عُصْبةَ الشِّرْكِ حَوْلَ الغارِ سائمةً ... لولا مُطاردةُ المختارِ لم تُسِم [1]
هل أبصروا الأثرَ الوضّاءَ أم سمِعوا ... همْسَ التسابيحِ والقرآنِ من أَمَمِ؟ [2]
وهَلْ تمثَّلَ نَسجُ العَنكبوتِ لهمْ ... كالغابِ، والحائماتُ الزُّغْبُ كالرَّخَمِ؟ [3]
فأدْبَرُوا ووجوهُ الأرضِ تلعنُهمْ ... كباطلٍ من جلالِ الحقِّ مُنْهَزِمِ [4]
لولا يدُ اللهِ بالجارَيْنِ ما سَلِما ... وعَيْنُهُ حولَ رُكْنِ الدِّينِ لم يَقُمِ [5]
تواريا بجَنَاحِ اللهِ واستترا ... ومن يَضُمَّ جَناحُ اللهِ لا يُضَمِ [6]
يا أحمدَ الخيرِ لى جاهٌ بتَسْمِيَتى ... وكيفَ لا يَتَسامى بالرّسولِ سَمِى [7]
المادحونَ وأربابُ الهوى تَبَعٌ ... لصاحبِ البُرْدَةِ الفيْحاءِ ذِى القَدَمِ [8]
مَديحُهُ فيكَ حُبٌّ خالِصٌ وهَوًى ... وصادِقُ الحبِّ يُمْلِى صادِقَ الكَلِمِ [9]
اللهُ يَشْهَدُ أنى لا أعارِضُهُ ... مَنْ ذا يُعارِضُ صَوْبَ العارضِ العَرِمِ [10]

---

(١) عصبة الشرك : أى عصبة أهل الشرك الذين ذهبوا يطلبونه صلى الله عليه وسلم يوم هجرته . والغار ، كالثقب بجبل أسفل مكة . سائمة: واعية . (٢) « من أمم » من قرب. (٣) الغاب : الشجر الكثير المتكاثف . والحائمات الزغب : الحمام . والرخم : جمع رخمة ، وهى طائر على شكل النسر إلا أنه منقط بالسواد والبياض . (٤) شبه إدبارهم ونكوصهم على أعقابهم خائبين بدمغ الباطل وإدحاضه . قال تعالى ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾ . ونسبة اللعن لوجود الأرض مجاز عقلى، واللاعن: من فيها من المسلمين والملائكة ، أو المراد وجوه أهلها ، أى أعيانهم وأفاضلهم .

(٥) الجاران : الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضى الله عنه ؛ والمراد باليد : النعمة . وعينه : عنايته . وحرف الشرط مقدر فى الجملة الثانية . (٦) جناح الله : لطفه وستره . ويضم : يضمه . (٧) من أسمائه صلى الله عليه وسلم : أحمد ، وقد سمى الشاعر به تيمنا باسم الرسول الأكرم . ويتسامى : يتعالى . والاستفهام فى البيت إنكارى.

(٨) تبع : أخبر : بالمصدر مبالغة ؛ وأفرده لأنه يستوى فيه الواحد والجمع ، أو على تقدير مضاف ، أى ذو تبع ، أى مقتدون به . والقدم : التقدم والمنزلة . وصاحب البردة هو الإمام البوصيرى . (٩) مديحه حب ، أى ناشئ من الحب ، أو ذو حب ، أى دال عليه . (١٠) الصوب : الانصباب ، ومجىء السماء بالمطر . والعارض : السحاب المعترض فى الأفق . والعرم : يريد المطر الشديد .

وإنما أنا بعضُ الغابطين ومَنْ يَغبِطْ وليَّكَ لا يُذمَم ولا يُلِمِ (١)
هـذا مَقامٌ مِنَ الرَّحمَنِ مُقتَبَس تَرمى مهابَتُهُ سَحبانَ بالبَكَمِ (٢)
البدرُ دونَكَ فى حُسنٍ وفى شرفٍ والبحرُ دونَكَ فى خيرٍ وفى كَرمِ
شمُّ الجبالِ إذا طاوَلْتَها انخفضَتْ والأنجُمُ الزُّهرُ ما واسمتْها تَسِمِ (٣)
والليثُ دونَكَ بأسًا عند وثبتِهِ إذا مشيتَ إلى شاكى السلاحِ كَمِى (٤)
تهفُوا إليك وإن أدميت حَبَّتَها فى الحربِ أفئدةَ الأبطالِ والبُهَمِ (٥)
مَحبَّةُ اللهِ ألقاها وهيبَتُـه على ابنِ آمنَةٍ فى كلِّ مُصطَدَمِ (٦)
كأنَّ وجهكَ تحت النَّقعِ بدرُ دُجى يُضِىءُ مُلتثِمًا أو غيرَ مُلتثِمِ (٧)
بدرٌ تطلَّعَ فى بدرٍ فَغُـرَّتُه كغُرَّةِ النصرِ تجلو داجِىَ الظُّلَمِ (٨)
ذُكِرْتَ باليُتْمِ فى القرآنِ تَكرِمَةً وقيمةُ اللؤلؤِ المكنُونِ فى اليُتمِ (٩)
اللهُ قسَّمَ بين الناسِ رزقَهمُ وأنتَ خُيِّرْتَ فى الأرزاقِ والقِسَمِ (١٠)

---

(١) الغابط ، الذى يتمنى مثل ما للغير وليس هذا القدر بمذموم : يذم .
(٢) البكم : الخرس. وسحبان : هو سحبان وائل من بنى باهلة ، كان يضرب بفصاحته المثل . (٣) يقال : واسمه فى الحسن فوسمه ، غلبه فيه . انخفاض الجبال : كناية عن ظهورها قصيرة بالنسبة لارتفاع قدره صلى الله عليه وسلم وعلو شأنه .
(٤) الكمى : لابس السلاح . (٥) تهفوا ، هفا الظلى فى المشى يهفو هفوا وهفوانا : أسرع وخف فيه ؛ والمراد هنا شدة ميل القلوب له وانجذابها إليه صلى الله عليه وسلم . وحبة القلب : سويداؤه والبهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع .
(٦) مصطدم ، بمعنى المصدم ، أى الاصطدام ، أو الموضع ، أى موضع الاصطدام ، وهو ميدان الحرب . (٧) النقع : غبار الحرب . (٨) بدر : موضع بين الحرمين الشريفين ، وفيه كانت الغزوة المشهورة التى دمغ الله فيها الشرك وأعز الإسلام .
(٩) اليتم فى الناس : فقدان الأب ، وهو فى الأشياء التفرد وعدم وجود نظائر لها واللؤلؤة اليتيمة : التى لا نظير لها فى العقد . ذكرت باليتم فى القرآن . يشير إلى قوله تعالى ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى ﴾ . وحرك التاء إتباعا لحركة العين قبلها فى قوله (اليتم)، ولا يخفى ما فيه من حسن التعليل . (١٠) روى الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم قال : عرض على ربى أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت : لا يارب ولكن اشبع يوما وأجوع يوما .

إن قلت فى الأمرِ: لا أو قلتَ فيه: نعم | فخيرَةُ اللهِ فى لا منـكَ أو نعم
أخوكَ عيسى دعا ميتاً فقام لهُ | وأنت أحييْتَ أجيالا من الرِّمَم
والجهلُ موتٌ، فإن أوتيتَ معجزةً | فابعث من الجهلِ أو فابعثْ من الرَّجَم (١)
قالوا غزوتَ، ورُسْلُ اللهِ ما بُعثوا | لقتل نفسٍ ولا جاءوا لسفكِ دَم
جهلٌ وتضليلُ أحلامٍ وسفسطةٌ | فتحتَ بالسيفِ بعدَ الفتحِ بالقلم
لما أتى لكَ عفوًا كلُّ ذى حسبٍ | تكفَّلَ السيفُ بالجهالِ والعَمَم (٢)
والشرُّ إن تلقَهُ بالخيرِ ضقتَ به | ذرعاً وإن تلقَهُ بالشرِّ ينحسِم
سلِ المسيحيَّةَ الغرَّاءَ كم شربَتْ | بالصاب من شهوات الظالم الغَلِم (٣)
طريدة الشرْكِ يؤذيها ويوسعُها | فى كلِّ حينٍ قتالا ساطعَ الحدَم (٤)
لولا حُماةٌ لهـا هبُّوا لنصرتها | بالسيفِ ما انتفعَت بالرفق والرُّحم (٥)
لولا مكانٌ لعيسى عندَ مُرْسِله | وحُرْمَةٌ وجبتْ للرُّوحِ فى القِدَم (٦)
لسُمِّرَ البدنُ الطُّهرُ الشريفُ على | لوحَينِ لم يخشَ مؤذيهِ ولم يجِم (٧)

---

(١) والجهل موت : كالترشيح للاستعارة فى البيت السابق ، وهو تشبيه بليغ . خطاب لغير معين . والرجم : القبر . (٢) العمم : اسم جمع للعامة . (٣) الغلم : الهائج الثائر . (٤) الحدم (بالتحريك) : شدة احتراق النار . (٥) الرحم : الرقة والمغفرة والتعطف . لم يكن استعمال القوة فى إقامة الدعوة للدين شأن الدين الإسلامى وحده . وهذه الديانة المسيحية الموصوفة بديانة الرهبنة والسلام لم تبدأ الدعوة إليها حتى أصاب أهلها ما أصابهم من الطرد والقتل والتعذيب والتشريد والتمثيل بأيدى الجبابرة الطغاة من الملوك والقياصرة بل بأيدى الشعوب والأمم ، وتاريخ المسيحية بين أهل رومية مما تشيب له الولدان . فترى الدين المسيحى دين الرهبنة والسلام ما دخل البلاد إلا على رءوس الأسنة ، ولا حل إلى الأمم إلا على متون السيوف . (٦) المكان : المكانة ، بمعنى القرب وارتفاع المنزلة ؛ لأن الله تعالى منزه عن المكان والجهة . ووجبت : ثبتت له من القدم ؛ لأن الله تعالى علم الأشياء وأرادها أزلا فصارت واجبة ، بمعنى أنها لم تتخلف أبدا ، والخبر محذوف فى قوله « مكان » و « حرمة » ، أى ثابتان (٧) اسمر ، جواب الشرط فى البيت السابق . والطاهر : الطاهر من أدران المعاصى ، ووصف بالمصدر مبالغة . واللوحان : الصليب الذى أعد له صلى الله عليه وسلم ، والمراد بالتسمير : الصلب . لم يجم : لم يفزع .

جَلَّ المسيحُ وذاقَ الصَّلْبَ شانِئُه ... إنّ العقابَ بقدْرِ الذنب والجُرُمِ (١)
أخو النبيِّ ورُوحُ اللهِ في نُزُلٍ ... فوقَ السماء ودونَ العَرْشِ مُحتَرَمِ (٢)
علَّمتَهم كلَّ شيءٍ يجهلونَ به ... حتى القتالَ وما فيه من الذِّمَمِ (٣)
دعوتَهم لجهادٍ فيه سُؤْدُدُهم ... والحربُ أُسُّ نِظامِ الكونِ والأُممِ
لولاه لم نَرَ للدولاتِ في زمنٍ ... ما طالَ من عَمَدٍ أو قَرَّ من دَعَمِ (٤)
تلك الشواهدُ تَتْرَى كلَّ آونةٍ ... في الأعصُرِ الغُرِّ لا في الأعصُرِ الدُّهُمِ (٥)
بالأمسِ مالتْ عُروشٌ واعتلتْ سُرُرٌ ... لولا القذائفُ لم تُثْلَمْ ولم تُصَمِ (٦)
أشياعُ عيسى أعدُّوا كلَّ قاصمةٍ ... ولم نُعِدَّ سِوى حالاتِ مُنْقَصِمِ (٧)

(١) جل المسيح : تنزه عما رماه به اليهود من كاذب التهم وباطل الأقاويل وعما زعموا من أنهم صلبوه وقتلوه ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ . وشانئه : مبغضه ، وحرك الراء فى قوله « والجرم » إتباعا لحركة الجيم قبلها . (٢) أخو النبى ، أى فى الرسالة . روح الله ، أى روح منه ، قال تعالى : ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ وسمى روحا ، لإحيائه الموتى بإذن الله ، ولأنه نفخة من جبريل . قال تعالى : ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾ . ونسبة النفخ إلى الله تعالى مجاز ، و « من » فى الآية للابتداء . فوق السماء ، أى الدنيا محترم ، صفة لقوله : نزل ، بضمتين ، وهو فى الأصل المنزل وما هيئ للضيف أن ينزل عليه . (٣) الذمم : جمع ذمة ، وهى العهد والأمان والحق . (٤) عمد : جمع عمود . وقر : ثبت : ودعم : جمع دعامة ، وهى عماد البيت ، وهى هنا كناية عما يستقيم به نظام الممالك ويرتفع به شأن الأمم .

(٥) الغر : جمع أغر : ذى الغرة ، وهى بياض فى الجبهة . والأعصر الغر ، التى ساد فيها العلم وعمت أسباب العدل . الدهم : المظلمة التى شاع فى أهلها الجهل وفشا فيهم الظلم ، ما زالت الغلبة للقوة ولا زالت معتمد الدول ومستند الأمم فى رفع عماد الملك وتثبيت دعامة الحكم ، استوت فى ذلك الأزمان السالفة التى يظنونها أزمان تأخر وتقهقر ، والأيام الحاضرة التى يزعمونها أيام تقدم وتنور ، وفى البيت الطباق . (٦) اعتلت : علت .

(٧) قاصمة : كاسرة . ومنقصم : منكسر . فى هذا البيت مقارنة بين أهل الديانة المسيحية وأهل الديانة الإسلامية ، فذكر أى المتشيعين اليوم إلى الدين المسيحى دين الهدوء والسلام ، هم أهل القوة الحربية الدائبون على إعداد المهلكات فى الحروب ، حتى كأنهم أصبحوا ولم يبق لهم من شغل يشغلهم إلا استخراج الذهب من بطون الأرض ، وإنفاقه على مصانع الحديد والفولاذ لصنع آلات الحرب فى طول الأرض وعرض البحر . وقد افتنوا =

مهما دُعيت إلى الهيجاء قتَ لها ... تَرمى بأسْـــدٍ ويرْمى اللهُ بالرّجُم (١)
على لوائكَ منهـمْ كلّ مُنْتقم ... لله مُســـتقْتِلٍ فى اللهِ مُعـــتَزِم (٢)
مُسبّح للقـــاء الله مُضـــطرِم ... شوْقًا على سابحٍ كالبرْقِ مُضطرِم (٣)
لو صادفَ الدهرَ يَبغى نُقلة فرَمى ... بعَـــزْمِهِ فى رِحالِ الدهرِ لم يَرِم (٤)
بِيضٌ مَفاليل من فِعْل الحُروب بِهم ... مِن أسْيُفِ الله لا الهِنْديّة الخُذم (٥)
كم فى الـتّراب إذا فتّشتَ عن رجُل ... مَن مات بالعهْد أو مَن ماتَ بالقسَم (٦)
لوْلا مَواهبُ فى بعض الأنام لمَا ... تَفاوتَ الناس فى الأقْدار والقِيَمَ (٧)

= فى أسباب الإهلاك والتدبير ، ولم يكفهم أن يدمدموا على الناس ويأخذوهم بالبلاء عن أيمانهم وعن شمائلهم ومن خلفهم ومن تحت أرجلهم حتى قاموا على تسخير الرياح ليرموهم من فوق رءوسهم بكل دهياء ، على حين أن أهل الديانة الإسلامية الذين يتهمهم الظالمون بحب الفتح والجهاد ويشينون سمعتهم بحب الطعن والجلاد والولوغ فى دماء العباد هم اليوم أهل السكينة والسلام ، وهيهات أن يدانوا أهل الديانة المسيحية فى حب الفتوح والحروب أو يشاكلوهم فى ادخار آلات الحرب واستنباط معدات الكفاح . (١) الهيجاء : الحرب الرجم : النجوم التى يرمى بها . رجع إلى خطابه صلى الله عليه وسلم ، وشبه أصحابه بالأسود لما لهم من شجاعتهم وبأسهم . ورميه بهم ، كناية عن ندائه إياهم للجهاد وتقديمهم إلى مواطن الطعن والجلاد . والرمى بالرجم : يكون للشياطين ، ففيه استعارة مكنية أى إنهم كالشياطين يرمون بالرجم . (٢) على لوائك ، أى منضو تحت لوائك . استعارة العلو للتحتية استعارة تمليحية . (٣) الاضطرام : توقد النار وتأججها سابح : جواد ، شبه حميتهم ونشاطهم فى الحرب وجولانهم فيها باضطرام النار : وهو توقدها وتأججها وأخذها يمينا وشمالا ، واستعارة الاضطرام لذلك المعنى ، ثم اشتق منه مضطرم ، على سبيل التبعية . (٤) يبغى : يريد . وشبه العزم بالسهم بجامع المضاء والنفوذ فى كل . وشبه الدهر بذى رحال ، بجامع التحول فى كل ، وحذف المشبه به ورمز إليه بلازمه ، وهو الرحال ، على طريق الاستعارة المكنية . لم يرم : لم ينتقل ولم يتحول .

(٥) مفاليل ، الفل : الثلم فى السيف . والهندية نسبة إلى الهند ، وكانت مشتهرة بصنع السيوف والخذم : جمع خذم ، ككتف . السيف القاطع . بيض : أى سيوف بيض : شبههم بالسيوف لإزهاقهم نفوس الأعداء ، وهو تشبيه بليغ . ومفاليل : ترشيح للتشبيه بالسيوف .

(٦) بالعهد : أى احتفاظا بما عاهد الله ورسوله عليه من نصرته للرسول . من : تفصيل لحال الرجل ، أو تفصيل لمعنى كم . (٧) أشار فى هذا البيت إلى أن ما ناله أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم من الفوز بالسعادة وارتفاع الدرجة عند الله تعالى =

شريعة لكَ فجّرتَ العقولَ بها ... عَنْ زاخرٍ بصنوفِ العلمِ مُلتطِمِ
يلوحُ حولَ سَنا التوحيدِ جوهرُها ... كالحلْيِ للسيفِ أو كالوشْيِ للعَلَمِ (١)
غرّاء حامَتْ عليها أنفسٌ ونُهًى ... ومَن يجدْ سلسلاً مِن حكمةٍ يحُمِ (٢)
نورُ السبيلِ يُساسُ العالَمُون بها ... تكفّلَتْ بشبابِ الدهرِ والهَرَمِ (٣)
يجرى الزمانُ وأحكامُ الزمانِ على ... حُكمٍ لها نافذٍ فى الخلقِ مُرتَسِمِ
لما اعتلَتْ دولةُ الإسلامِ واتّسعتْ ... مَشت ممالكُهُ فى نورِها التَّمَمِ (٤)
وعلّمتْ أمّةً بالقفرِ نازلةً ... رَعْىَ القياصِرِ بعد الشاءِ والنَّعَمِ
كمْ شيّدَ المُصلحونَ العاملونَ بها ... فى الشرقِ والغربِ مُلكاً باذخَ العِظَمِ
للعلمِ والعدلِ والتمدينِ ما عزمُوا ... من الأمورِ وما شدّوا من الحُزُمِ (٥)
سرعانَ ما فتحوا الدنيا لملّتِهمْ ... وأنهلوا الناسَ من سلسالِها الشَّبِمِ (٦)
ساروا عليها هُداةَ الناسِ فهى بهمْ ... إلى الفلاحِ طريقٌ واضحُ العِظَمِ (٧)
لا يهدمُ الدهرُ رُكناً شادَ عدلُهمُ ... وحائطُ البغى إنْ تلمسْهُ ينهدِمِ

= إنما كان بما تقدم لهم من الفضائل والبلاء فى نصر الدين وتعرضهم للقتل والطعن فى سبيل الله تعالى، ولولا ذلك ما كان لهم فضل على سائر الناس، ولا عدت درجتهم منزلة غيرهم من العالمين. (١) الوشى: النقش. (٢) حامت: عطفت ومالت. ونهى. جمع نهية وهى العقل. والسلسل: الماء العذب. (٣) نور السبيل: لأنها يهتدى بها إلى غاية النجح والفلاح فى الدنيا والفوز والسعادة فى الآخرة. وشباب الدهر والهرم: كناية عن أوله وآخره، أو عن حالتى أقباله وإدباره. وتكفلها بشباب الدهر... الخ، أى تكفلها بما يعلى أهلها ويصلح من شأنهم على كل حال من الأحوال بلا تغيير فى أحكامها ولا تبديل لنصوصها. (٤) التمم التام (٥) الحزم: جمع حزام

(٦) سرعان: اسم فعل يستعمل خبرا محضا وخبرا فيه معنى التعجيب؛ يقال: سرعان ما فعل كذا، أى ما أسرعه. والنهل: أول الشرب؛ تقول: أنهلت الإبل، إذا شربت من أول الورد. والسلسال: الماء العذب. والشبم: البارد.

(٧) ساروا عليها: أخذوا بها وجروا على أحكامها. هداة الناس: أى حالة كونهم هادين للناس. فهى: أى الملة بهم: أى بسبب قيامهم بها ونشرهم لها.

نالوا السعادة في الدّارين واجتمعوا على عميم من الرّضوان مُقتسم

دَعْ عنكَ روما وآثينا وما حوَتا كلُّ اليواقيتِ في بَغدادَ والتُوَمِ (١)

وخلّ كِسرَى وإيوانًا يُدِلُّ به هَوَى على أثرِ النّيرانِ والأيُمِ (٢)

واتركْ رَعمسيس، إنّ الملكَ مَظهرهُ في نَهضةِ العدْلِ لا في نهضةِ الهرم (٣)

دارُ الشرائعِ رُوما كلما ذُكِرَتْ دارُ السلامِ لها ألقت يدَ السَّلَمِ (٤)

ما ضارعَتْها بيانًا عنـد مُلتأمٍ ولا حَكَتْها قضاءً عندَ مُختَصَمِ (٥)

ولا احتوتْ في طِرازٍ من قَياصِرها على رشيدٍ ومأمونٍ ومُعتصِمِ (٦)

---

(١) روما: هي المدينة المعروفة الآن بهذا الاسم، قاعدة لمملكة إيطاليا، وكانت في الزمن السابق قاعدة لمملكة الرومان المشهورة. وآثينا: قاعدة مملكة اليونان الآن، وكانت من أكبر مدن الأمم اليونانية في العصور السالفة. وبغداد: قاعدة الخلافة الإسلامية في دولة بني العباس. والتوم. جمع تومة، وهي الحبة من الفضة تعمل على شكل الدرة. (٢) كسرى. لقب لكل من يلي ملك فارس. والنيران: لعله يريد بها نيران فارس التي خبت ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك أيام كسرى أنوشروان. والأيم: الدخان. (٣) الهرم: الأهرام في مصر كثيرة، وأشهرها أهرام الجيزة الثلاثة وأكبرها أشهرها وأعجبها، حتى إذا ذكر لفظ الهرم صرف إليه. ورعمسيس: اسم بعض الفراعنة، ملوك مصر القدماء، وقد تسمى بهذا الاسم غير واحد منهم، ولعل الشاعر يريد أولئك الفراعين على الجملة الذين ينتسب مجدهم إلى مثل هذا العمل الخطير، وإن كان باني الهرم ليس رعمسيس بعينه. (٤) دار السلام: بغداد. والسلم: التسليم. (٥) ملتأم: مجتمع. ومختصم: بمعنى المصدر: أي اختصام. كما اشتهرت (روما) بقضاتها وقوانينها قد اشتهرت بخطبائها وشعرائها. وكان من عادة الرومانيين إذا نزل بهم الأمر العظيم نفروا إلى بعض أماكنهم العامة تخطبهم الخطباء، وأنشدهم الشعراء الذين كان لفصاحة ألسنتهم في الناس تأثير عجيب، ومع هذا فما دانوا في قضائهم شأو بغداد التي كان يقضى فيها بدين الله، وهو أجل من أن يقاس به غيره ويوازن به ما سواه، ولا بلغوا في فصاحتهم شأن فصحاء الدولة العباسية الذين قالوا في كل باب فهزوا النفوس وخلبوا الألباب. (٦) الطراز: علم الثوب، والجيد من كل شيء. ولا احتوت ... على رشيد الخ، أي على أمثالهم في الفضل والعدل والحزم. ورشيد: هو هارون الرشيد. ومأمون: هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد الخليفة العباسي المشهور. ومعتصم: هو أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد، ولي الخلافة يوم وفاة أخيه المأمون.

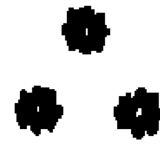
من الذين إذا سارتْ كتائبهم ... تَصرَّفوا بحدود الأرض والتُّخَمِ (١)
ويجلسون الى عِلمٍ ومعرفةٍ ... فلا يُدانُونَ فى عقلٍ ولا فَهَمِ
يُطأطِئُ العلماءُ الهامَ إن نَبَسوا ... مِن هيبةِ العلمِ لا من هيبةِ الحُكمِ
ويُمطِرون فما بالأرض من مَحَلٍ ... ولا بمن بات فوق الأرض من عُدُمِ (٢)
خلائفُ الله جَلُّوا عن مُوازنةٍ ... فلا تَقيسَنَّ أملاكَ الورى بهم (٣)
مَن فى البريَّة كالفاروق معدلةً ... وكابن عبدالعزيز الخاشعِ الحشمِ (٤)
وكالإمام إذا ما فضَّ مُزدَحَما ... بمدمعٍ فى مآقى القوم مُزدَحِمِ (٥)
الزاخرُ العذب فى علمٍ وفى أدبٍ ... والناصرُ النَّدْبُ فى حربٍ وفى سلمِ (٦)
أو كابن عفَّانَ والقرآن فى يدِه ... يَحنو عليه كما تحنو على الفُطُمِ (٧)
ويَجمَعُ الآىَ ترتيبًا ويَنظِمُها ... عِقدًا بجيد الليالى غيرَ مُنفَصِمِ
جُرحان فى كبد الإسلام ما التأما ... جُرحُ الشهيد وجُرحٌ بالكتاب دَمِى (٨)
وما بلاء أبى بكر بمُتَّهَمٍ ... بعد الجلائل فى الأفعالِ والخِدَمِ

(١) الكتائب : جمع كتيبة، وهى الجيش. والتخم ، كعنق: جمع تخوم ، وهى الفواصل بين الأرضين من المعالم والحدود. (٢) المحل : الجدب . والعدم : فقدان المال .

(٣) خلائف الله : هذا قول مستأنف عام لجميع الخلفاء المتقدمين والمتأخرين. وذكر الخلفاء الراشدين بعده من ذكر الخاص اهتماما بشأنهم وتيمنا بذكرهم ، ووصل بهم عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لشدة فضله وورعه وتشبهه بهم واقتدائه فى حكومته بحكومتهم ، فكان حقيقا أن يذكر فيهم ويلحق بهم . (٤) المعدلة : العدل .

(٥) الإمام : هو الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه . ومآقى العيون : أطرافها مما يلى الأنوف ، وهى مجارى الدمع . (٦) يقال : رجل ندب ، أى خفيف فى الحاجة سريع ظريف نجيب . (٧) ابن عفان : هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه. والفطم جمع فطيم ، وهو الصبى المفصول عن الرضاع . (٨) وجرح بالكتاب دمى: أى وجرح دمى به الكتاب ، وقلب للمبالغة . وذلك أن قتلة عثمان رضى الله عنه دخلوا عليه الدار وخبطوه بالسيوف وهو صائم والمصحف فى حجره وهو يقرأ فيه فوقع المصحف من يده وسال الدم عليه .

بالحزم والعزم حاط الدينَ فى مِحَنٍ | أضلَّتِ الحِلم من كهْل ومحتَـلم [1]
وحُدْنَ بالراشدِ الفاروقِ عن رَشَدٍ | فى الموْتِ وهُوَ يَقينٌ غير مُنْبَهِم [2]
يجادِلُ القومَ مُسْتَلًّا مُهنَّـدَهُ | فى أعظَمِ الرُّسلِ قدْرا، كيْف لم يَدُم [3]
لا تعذِلوه إذا طافَ الذهُول بِهِ | مات الحبيبُ فضَلَّ الصَّبُّ عن رَغَمِ



يا ربِّ صلِّ وسلِّمْ ما أردتَ على | نزيل عرْشك خيرِ الرُّسْل كلِّهم
مُحيى الليالى صـلاةً لا يُقطِّعها | إلا بدمعٍ من الإشْفاق مُنسجِم
مُسبِّحًا لك جُنحَ الليل مُحتملا | ضُرًّا من السُّهْد أو ضُرًّا من الورم
رَضِيَّةً نفسُه لا تشتكى سأمًا | وما مع الحُبِّ إن أخلَصْتَ من سأَم
وصلِّ ربِّى على آلٍ له نُخَبٍ | جَعَلْت فيهم لواءَ البيت والحرَم [4]
بِيضُ الوُجوهِ ووجهُ الدهرِ ذو حلَكٍ | شُمُّ الأنوفِ وأنْفُ الحادثاتِ حَمِى [5]
وأهْدِ خيرَ صلاةٍ منك أربَعةً | فى الصَّحْب صُحبتُهم مَرْعِيَّةُ الحُرَم

---

(١) يشير إلى حروب الردة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وانتصاره على المرتدين.

(٢) يقول : ماظنك بتلك المحن التى تنحرف بعمر رضى الله عنه عن الرشد ، وله ما لعلم من كمال الرشد ووفور العقل وصدق اليقين ، وتذهله عن إدراك أمر من أظهر البديهيات لديه : هو أن يدرك الموت رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٣) وذلك أنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الناس : مات رسول الله ، أسرع عمر إلى سيفه وتوعد من يقول ذلك وقال : إنى لأرجو أن يقطع أيدى رجال وأرجلهم . فلما حضر أبو بكر وأخبر الخبر كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال : بأبى أنت وأمى ، والله لا يجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها . ثم خرج إلى الناس وقال : ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت . (٤) النخب : جمع نخبة ، وهو الرجل المختار : (٥) الحلك (محركة) : شدة السواد . والشمم فى الأنف : ارتفاع القصبة وحسنها ، وهو هنا كناية عن الحمية وشرف النفس . وأنف الحادثات حمى : كناية عن اشتداد الخطب واستفحال الأمر .

الراكبينَ إذا نادَى النبيُّ بهم ... ما هالَ من جللٍ وآشتدَّ من عمم [1]
الصابرينَ ونفسُ الأرض واجفةٌ ... الضاحكين إلى الأخطار والقُحَم [2]
يارَبِّ هَبّتْ شعوبٌ من منيّتها ... وآستيقظت أممٌ من رقْدَةِ العدم
سَعْدٌ ونحسٌ ومُلكٌ أنت مالكه ... تُديلُ من نِعَمٍ فيه ومن نِقَم
رأى قضاؤكَ فينا رأيَ حكمته ... أكرِمْ بوجهك من قاضٍ ومنتقم
فآلطف لأجل رسول العالمين بنا ... ولا تزد قومه خسفا ولا تَسُم
يارَبِّ أحسنت بَدْءَ المسلمين به ... فتمّمِ الفضلَ وآمنح حسنَ مختتَم [3]

خاتمـــة رياض (*)

كبيرَ السابقين من الكرامِ ... برغمى أن أنالك بالملام [4]
مقامُك فوق ما زعموا ولكن ... رأيتُ الحق فوقك والمقام [5]
لقد وجدوكَ مفتونا فقالوا ... خرجتَ من الوقارِ والاحتشام [6]

---

(١) هاله الأمر هولا : أفزعه . والجلل ، هنا : الأمر العظيم. والعمم: التام العام من كل أمر؛ يقال : عمم ، أى تام عام . (٢) القحم : جمع قحمة ، بالضم . ومن معانيها: الأمر الشاق لا يكاد يركبه أحد ، وهو المراد هنا .

(٣) لا يخفى ما فى (حسن مختتم) من حسن الختام . (*) قيلت بعد خطبة المرحوم رياض باشا فى مدرسة محمد على الصناعية فى ٨ يونية سنة ١٩٠٤ (٤) الخطاب فى هذا البيت لمصطفى رياض باشا ، وكان قد خطب فى افتتاح مدرسة محمد على الصناعية التى أنشأتها فى الاسكندرية جمعية العروة الوثقى سنة ١٩٠٤، وكان اللورد كرومر عميد الدولة المحتلة حاضرا هذا الافتتاح ، فتملقه الخطيب بكلام كفر به نعمة مصر وأصحاب عرشها .

(٥) رأيت الحق فوقك والمقام ؛ أى وفوق مقامك . (٦) الوقار : الرزانة والحلم . والاحتشام : الاستحياء.

وقال البعضُ كيدُكَ غيرُ خافٍ ... وقالوا رميةٌ من غيرِ رام (١)
وقيل شططْتَ فى الكفرانِ حتى ... أردتَ المنعمين بالانتقام (٢)
غمرتَ القومَ إطراءً وحمداً ... وهم غمروكَ بالنِّعَمِ الجسام (٣)
— رأوا بالأمس أنفَكَ فى الثريا ... فكيف اليوم أصبح فى الرَّغام (٤)
أما واللهِ ما علمـــوكَ إلا ... صغيراً فى ولائِك والخِصام
— إذا مالم تكن للقول أهلا ... فمالكَ فى المواقف والكلام ؟
— خطبتَ فكنتَ خطباً لا خطيباً ... أضيفَ إلى مصائبنا العظام
— لهجتَ بالاحتلال وما أتاه ... وجُرحُكَ منه لو أحسستَ دامى (٥)
وما أغناهُ عمن قال فيه ... وما أغناكَ عن هذا الترامى (٦)
أحبَّتكَ البلادُ طويلَ دهرٍ ... وذا ثَمَنُ الولاءِ والاحترام
حقرْتَ لها زماماً كنتَ فيه ... لعوباً بالحكومةِ والذِمام (٧)
محاسنُه غِراسُكَ والمساوى ... لكَ الثمرانِ من حمدٍ وذام (٨)
فهلا قلتَ للشبانِ قولاً ... يليق بحافلِ الماضى الهمام ؟

---

(١) الكيد : المكر والخبث وإرادة ضرر الغير خفية . ورمية من غير رام : يريد أنه لم يقصد الكيد بما قال . وأصل المثل : رب رمية من غير رام . وهو يقال لمن يصيب فى أمر وعادته أن يخطئ . (٢) شططت : أفرطت . (٣) غمرت القوم ، من قولهم : غمرت فلانا بالمعروف والفضل ، أى بالغت فى الإحسان إليه . (٤) الثريا : سبعة كواكب فى عنق البرج المعروف بالثور . والرغام (بفتح الراء) : التراب .

(٥) لهجت بالاحتلال ، من قولهم : لهج بالشىء ، إذا أغرى به فثابر عليه . والدامى : الذى يسيل دمه . (٦) وما أغناه . . الخ ، أى ما أغنى الاحتلال عنك وما أغناك عن أن تترامى على أصحابه بمثل ما قلت . (٧) حقرت (بفتح القاف مخففة) ، استصغرت الزمام (بالزاى) : ملاك الأمر . والذمام (بالذال) : الحق والحرمة .

(٨) محاسنه : الضمير للزمام ، أى أنت الذى غرست ما لهذا الزمام من المحاسن والمساوىء ، فلك ما تثمر من حمد وذم .

يبث تجاربَ الأيامِ فيهم ... ويدعو الرابضين إلى القيام (١)
خطبتَ على الشبيبةِ غيرَ دارٍ ... بأنكَ من مَشيبِكَ فى منام
ولولا أن للأوطانِ حبًّا ... يُصِمُّ عن الوِشايةِ كالغرام
جنيتَ على قلوبِ الجمعِ يأساً ... كأنكَ بينهم داعى الحِمام (٢)
أراعَكَ مقتلٌ من مصرَ باقٍ ... فقمتَ تزيدُ سهمًا فى السهام؟ (٣)
وهل تركتْ لكَ السبعونَ عقلاً ... لعرفانِ الحلالِ من الحرام؟
ألا أنبيكَ عن زمنٍ تولى ... فتذكره ودمعكَ فى انسجام؟ (٤)
سل «الحلميةَ» الفيحاء عنه ... وسل داراً على «نور الظلام» (٥)
وسل من كان حولكَ عبدَ جاهٍ ... يُريكَ الحبَّ أو باغى حُطام (٦)
رأوا إرثاً سيذهبُ بعدَ حينٍ ... فكانوا عصبةً فى الاقتسام
ونالوا السمعَ من أُذُنٍ كريمٍ ... فنالوا منه أنواعَ المرام (٧)
همُ حزبٌ وسائرُ مصرَ حزبٌ ... وأنتَ أصمُّ عن داعى الوِئام (٨)
وكيف ينالُ عونَ اللهِ قومٌ ... سراتُهُمُ عواملُ الانقسام (٩)

---

(١) يبث : ينشر ويذيع . والتجارب : جمع تجربة ، وهى اختبار الشىء مرة بعد مرة . والرابضون : جمع رابض ، وهو من يأوى إلى المكان فلا يفارقه .

(٢) يقول : لولا أن الذين سمعوك يحبون بلادهم حبا يمنعهم من القعود عن العمل لإنقاذها من الاحتلال لأصابهم اليأس والقنوط بسبب كلامك . (٣) أراعك : أى أفزعك . والمقتل : العضو الذى إذا أصيب لا يكاد صاحبه يسلم . يقول : هل أفزعك أن رأيت بعض مقاتل مصر سليمة لم تصب فزدت سهما ليصيبها . (٤) أنبيك : أخبرك والانسجام : سيلان الدمع . (٥) الحلمية : حى من أحياء القاهرة . ونور الظلام : اسم شارع بهذا الحى فيه دار رياض . (٦) الباغى : الطالب . والحطام : المال قل أو كثر . (٧) رجل أذن (بضم الذال) : إذا كان يسمع مقال كل أحد ويقبله .

(٨) الوئام : الوفاق . (٩) السراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف السخى .

إذا الأحلامُ في قومٍ تولّتْ ... أتى الكبراء أفعالَ الطَّغام (١)

فيا تلك الليالي لا تَعودي ... ويا زمن النِّفاقِ بلا سلام (٢)

أحبُّكِ مصرَ من أعماقِ قلبي ... وحبُّكِ في صميم القلبِ نامي (٣)

سيجمعُني بكِ التاريخُ يوماً ... إذا ظهر الكرامُ على اللئام (٤)

لأجلكِ رحتُ بالدنيا شقيّاً ... أصدُّ الوجه والدنيا أمامي

وأنظرُ جنّـةً جمعت ذِئاباً ... فيصرفُني الإباء عن الزِّحام (٥)

وهبتُكِ غيرَ هيّابٍ يراعاً ... أشدَّ على العدوِّ من الحسام (٦)

سيكتُبُ عنكِ فوقَ ثرى رياضٍ ... وفي التاريخ صفحة الاتهام

أفي السبعينَ والدنيا تولت ... ولا يُرجى سوى حسنِ الختام

تكون وأنت أنت رياض مصر ... عرابي اليوم في نظر الأنام ؟

---

٢٩ ضجيج الحجيج (*)

ضجَّ الحجازُ وضجَّ البيتُ والحرمُ ... واستصرخت ربَّها في مكةَ الأممُ (٧)

قد مسها في حماك الضرُّ فاقضِ لنا ... خليفةَ الله أنتَ السيدُ الحكمُ

ألكَ الربوعُ التي ريع الحجيج بها ... أللشريفِ عليها أم لكَ العلمُ؟ (٨)

---

(١) الأحلام : العقول . والطغام (بفتح الطاء) : أوغاد الناس .

(٢) بلا سلام : أي اذهب بلا سلام . (٣) في صميم القلب : أي في القلب . والصميم : الخالص من الشيء . (٤) إذا ظهر الكرام على اللئام ، أي إذا غلبوهم .

(٥) الإباء : الكبر والنخوة . (٦) اليراع : القلم . والحسام : السيف .

(*) رفعت إلى السلطان عبدالحميد استصراخا من الشريف وأعوانه في ١٤ إبريل سنة ١٩٠٤ . (٧) ضج : فزع من شيء خافه فصاح . (٨) الربوع : جمع ربع ، وهو الدار . والحجيج : جمع الحاج .

أهين فيها ضيوفُ الله واضطهِدوا ... إن أنت لم تنتقِم فالله منتقِم
أفى الضُّحى وعيونُ الجندِ ناظرة ... تُسبى النساء ويؤذَى الأهل والحشم
ويُسفكُ الدمُ فى أرضٍ مقدّسةٍ ... وتستباحُ بها الأعراضُ والحُرَم (١)
يدُ الشريف على أيدى الولاة علت ... ونعله دون ركن البيت تُستلم (٢)
«نيرون» إن قيسَ فى باب الطُّغاةِ به ... مبالَغ فيه ، والحجاجُ ، متهم (٣)
أدِّبه أدبْ أميرَ المؤمنين فما ... فى العفو عن فاسقٍ فضلٌ ولا كرم
لا ترجُ فيه وقاراً للرسول فما ... بين البُغاةِ وبين المصطفى رَحِم (٤)
ابنُ الرسولِ فتى ، فيه شمائله ... وفيه نخوتُه والعهدُ والشَّمم (٥)
ما كان طه لرهطِ الفاسقين أبا ... آل النبي بأعلامِ الهدى خُتموا (٦)
خليفةَ الله شكوى المسلمينَ رقت ... لسدّةِ الله هل ترقى لكَ الكلِم ؟ (٧)
الحج ركن من الإسلام نُكبِره ... واليوم يوشكُ هذا الركن ينهدم (٨)
من الشريفِ ومن أعوانه فعلت ... نعمى الزيادة ما لا تفعل النقم
عزّ السبيلُ إلى طه وتربته ... فمن أراد سبيلا فالطريقُ دم (٩)

---

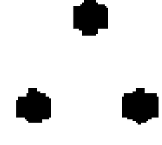
(١) الحرم : جمع حرمة ، وهو مالا يحل انتهاكه . (٢) تستلم ، من استلام الحجر وركن البيت الحرام وغيره ، وهو لمسه باليد أو بالقبلة . (٣) نيرون : طاغية رومانى قديم . والحجاج ، طاغية عربى كان واليا على العراق لعبد الملك بن مروان أحد الخلفاء الأمويين . (٤) لا ترج لا تخف ، من رجا : بمعنى خاف ، والوقار هنا : العظمة . وفى القرآن الكريم ﴿ مالكم لا ترجون لله وقارا ﴾ أى لا تخافون لله عظمة . (٥) الشمائل : جمع شمال : بكسر الشين ، وهو الطبع ، والنخوة : الحماسة والمروءة . والعهد : الوفاء والأمانة . والشمم : التكبر ، (٦) طه : من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم . والرهط : من ثلاثة إلى عشرة : ولا تكون فيهم امرأة .
(٧) رقت : صعدت . والكلم ، اسم جنس جمعى لكلمة .
(٨) تكبره . تعظمه . ويوشك : يقارب . (٩) عز السبيل ، من قولهم عز الشيء ، إذا قل فلا يكاد يوجد ولا يقدر عليه .

محمدٌ رُوِّعت فى القبر أعظمُه ... وبات مستأمنا فى قومه الصنم (١)
وعان «عونُ الرفيق» العهد فى بلدٍ ... منه العهود أتت للناسِ والذمم (٢)
قد سالَ بالدم من ذبحٍ ومن بشرٍ ... واحتز فيه الحمى والأشهرُ الحرم (٣)
وفزّعت فى الخدورِ الساعياتُ له ... الداعيـاتُ وقربُ الله مغتنَم (٤)
أبت ثكالىْ أيامىْ بعد ما أخذت ... من حولهنّ النوى والأينق الرُسُم (٥)
حُرمن أنوارَ خير الخلق من كثب ... فدمعهن من الحرمانِ منسجم (٦)
أىُّ الصغائرِ فى الإسلام فاشية ... تُودَى بأيسرها الدُولاتُ والأمم (٧)
يجيشُ صدرى ولا يجرى بها قلمى ... ولو جرى لبكى واستضحكَ القلم (٨)
أغضيتُ ضنا بعرضى أن أُلِمّ به ... وقد يروق العمى للحرّ والصمم (٩)
موّهْ على الناسِ أو غالطهمُ عبثاً ... فليس تكتمهم ما ليس ينكتم (١٠)
من الزيادةِ فى البلوى وإن عظمتْ ... أن يعلمَ الشامتون اليوم ماعلموا

---

(١) الصنم : صورة أو تمثال يتخذ للعبادة ، وقيل : هو كل ماعبد من دون الله .
(٢) عون الرفيق : اسم الشريف الذى اقترف تلك المظالم . والذمم : جمع ذمة ، وهى العهد والأمان . (٣) الأشهر الحرم ، أربعة : ذوالقعدة وذو الحجة والمحرم ورجب سميت كذلك لأن العرب كانت تجعل القتال فيها حراما ماعدا بنى خثعم وطيئ . والضمير فى سال وفيه البلد فى البيت المتقدم . واحرار الحمى والأشهر الحرم : كناية عن اقترافه القتل فيهما . (٤) فزعت : خوفت . والخدور : البيوت . والساعيات له . أى لذلك البلد . (٥) الثكالى : جمع ثكلى ، وهى من فقدت ولدها . والأيامى : جمع أيم ، وهى من لازوج لها . والنوى : البعد . والأينق : جمع ناقة . والرسم : جمع رسوم ، وهى الناقة تؤثر أخفافها فى الأرض من شدة الوطء . (٦) من كثب : أى من قرب ، والمنسجم : السائل . (٧) الصغائر : جمع صغيرة ، وهى من الذنوب أخف من الكبيرة فى حكم الشرع . وتودى : تهلك . والدولات : جمع دولة .
(٨) يجيش صدرى : يغلى غيظا استضحك ، بمعنى ضحك . (٩) أغضيت : أى صبرت وأمسكت . وضنا : بخلا . وألم به : أى بما يؤذيه ، من قولهم : ألم بالذنب ، إذا فعله . ويروق العمى ، من راقه الشىء : أعجبه . (١٠) موه على الناس : أى زخرف لهم الأخبار وزورها عليهم .

كلُّ الجراح بآلامٍ فما لمست ... يدُ الصديق فثمّ الجرحُ والألم
والموتُ أهونُ منها وهى دامية ... إذا أساها لسان للعِدى وفم



ربَّ الجزيرةِ أدركْها فقد عبَثت ... بها الذئابُ وضلَّ الراعى الغنم (١)
إن الذين تولَّوا أمرَها ظلموا ... والظلمُ تصحبُه الأهوالُ والظُّلَمُ (٢)
فى كل يوم قتالٌ تقشعرّ له ... وفتنةٌ فى ربوع الله تضطرِم (٣)
أزرى الشريفُ وأحزابُ الشريف بها ... وقسموها كإرث الميْت وانقسموا (٤)
لا تجزهم منك حلما وآجزهم عنتا ... فى الحلم ما يسمُ الأفعالَ أو يَصِم (٥)
كفى الجزيرةَ ما جرّوا لها سفهاً ... وما يحاولُ من أطرافِها العجم (٦)
تلك الثغورُ عليها وهى زينتُها ... مناهلٌ عذُبت للقوم فازدحموا (٧)
فى كل لجٍّ حواليْها لهم سفُن ... وفوق كل مكان يابسٍ قدم (٨)
والأمرُ أمراء السوء واتفقوا ... مع العداة عليها فالعداة هم
فجرّد السيفَ فى وقتٍ يُفيد به ... فإن للسيف يوما ثم ينصرِم (٩)

---

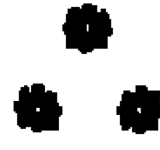
(١) رب الجزيرة ، أى ياصاحب الجزيرة ، وهى جزيرة العرب .

(٢) الأهوال : جمع هول ، وهو المخافة من الأمر لا يعرف الإنسان ما يهجم عليه منه . والظلم : جمع ظلمة . (٣) تضطرم : تشتعل . (٤) أزرى بها : تهاون .

(٥) العنت : الشدة والهلاك . وما يسم : أى ما يكون سمة وعلامة . وما يصم ، أى ما يكون وصمة وعيبا . (٦) العجم ، هنا أهل الغرب ممن كانوا يحقدون على الدولة التركية وجودها . (٧) المناهل : جمع منهل ، وهو المورد ، والمراد بالقوم : أولئك العجم . (٨) اللج : معظم الماء . (٩) جرد السيف : سله . وينصرم : يمضى .

٢٢ اســـتقبال

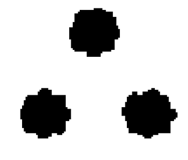
يا راكبَ الريح حيِّ النيل والهرَما ... وعظِّمِ السفحَ من سيناء والحرما [1]
وقف على أثرٍ مرَّ الزمانُ به ... فكانَ أثبتَ من أطوادِه قِيما [2]
واخفض جناحَكَ في الأرض التي حملت ... موسى رضيعاً وعيسى الطهرِ مُنفطِما
وأخرجت حكمةَ الأجيالِ خالدةً ... وبيَّنت للعبادِ السيفَ والقلما [3]
وشرُفت بملوك طالما اتخــذوا ... مطيَّهم من ملوكِ الأرض والخدَما [4]
هذا فضاء تُلمُّ الريحُ خاشعةً ... به ويمشى عليه الدهرُ مُحتشِما [5]
فرحباً بكما من طالعَين به ... على سوى الطائرِ الميمونِ ما قدِما [6]



عادَ الزمانُ فأعطى بعد ما حرَما ... وتابَ فى أذن المحزونِ فابتَسما
فيا رعى اللهُ وفداً بين أعيننـا ... ويرحمُ اللهُ ذاك الوفدَ ما رَحِما [7]
هم أقسموا لتَــدِينَنَّ السماء لهم ... واليومَ قد صدقوا فى قبرِهم قَسما [8]
والنـــاسُ بانى بناء أو متمِّمه ... وثالثٌ يتلافى منه ما انهــدَما

(١) السفح : عرض الجبل المضطجع . والحرم : ما لا يحل انتهاكه .
(٢) الأطواد : الجبال . والقمم : واحدتها قمة ، وهى أعلى كل شىء .
(٣) الحكمة : صواب الأمر وسداه . والأجيال : جمع جيل ، وهم أهل الزمن الواحد . والخالدة : الدائمة الباقية . (٤) طالما اتخذوا ... الخ ، أى طالما اتخذوا مطاياهم وخدمهم من ملوك الأرض . أولئك هم ملوك مصر الأقدمون حين كانوا يأسرون فى حروبهم ملوك الأقطار الأخرى . (٥) المحتشم : المستحى .
(٦) على الطائر الميمون ، مأخوذ من قولهم فى الدعاء للمسافر : سر على الطائر الميمون
(٧) كانت الدولة العلية قد ندبت للقيام برحلة جوية بين الآستانة والقاهرة اثنين من ضباطها الطيارين فسقطت طيارتهما فى الطريق وماتا ، فندبت الدولة غيرهما فوصلا سالمين وإلى هذا يشير بالوفدين فى البيت . (٨) لتدينن ، أى لتخضعن وتذلن .

تعاون لا يحلّ الموتُ عروتَه ... ولا يُرى بيد الأرزاء مُنْفصما [1]



يا صاحِبَيْ (أدرميدٍ) حسبها شرفا ... أن الرياح إليها ألقت اللُّجما [2]

وأنها جاوزت في القدس منطقة ... جرى البساطُ فلم يَجتَزْ لها حرَما [3]

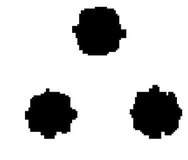
مشت على أفق مرّ البراق به ... فقبّلت أثرا للخُف مُرتَسِما [4]

ومسّحت بالمصلى فاكتست شَرفا ... وبالمغار المعلّى فاكتست عِظَما [5]

وكلما شاقها حاد على أفقٍ ... كانت مزاميرُ داود هي النَّغما [6]

جشّمتَها من الأهوالِ أربعة ... الرعدَ والبرق والإعصار والظلَمَا [7]

حتى حوتها سماء النيل فانحدرت ... كالنَّسر أعيا فوافَى الوكرَ فاعتصما [8]



يا آل عثمان أبناء العمومةِ هل ... تشكونَ جُرحا ولا نشكو له ألما [9]

(١) العروة : كل ما يوثق به ويعول عليه . والمنفصم : المنقطع .

(٢) أدرميد : اسم الطيارة التي ركباها إلى مصر . (٣) القدس : مدينة بيت المقدس في الشام . والبساط : هو بساط سليمان . وفي التاريخ الديني : أنه كان يتخذ من الريح بساطا يجريه حيث يشاء . (٤) البراق في اللغة الدينية : دابة كان يركبها الأنبياء ، وقد ركبها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة إسرائه من مكة إلى بيت المقدس . والخف : أي خف الرسول ويقال : إن أثره مرتسم هناك . (٥) المصلى : مكان الصلاة والمغار ـ بفتح الميم وضمها : الكهف . والمعلى : المرفوع . (٦) شاقها : هاجها وشوقها والحادى : سائق الإبل الذي يغني لها . ومزامير داود : ما كان يرتل في صلاته من الأناشيد والترانيم .

(٧) جشمتها : كلفتها . والأهوال : جمع هول وهو المخافة من أمر لا يعرف ما يهجم منه على الإنسان . والإعصار : ريح ترتفع بتراب بين السماء والأرض وتستدير كأنها عمود . والظلم : جمع ظلمة : (٨) حوتها : أي أحوذتها . وانحدرت : هبطت . والنسر : طائر من الجوارح كلها تخافه ، وهو حاد البصر وأشد الطيور ارتفاعا وأقواها جناحا . وأعيا : تعب . ووافى الوكر : أتاه . والوكر : عش الطائر أينما كان في شجر أو غيره . فاعتصم به : أي لزمه . (٩) العمومة : مصدر من العم ، كالخؤولة من الخال .

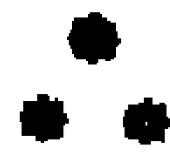
إذا حزنتم حزنّا فى القلوب لكم كالأمّ تحمل من همّ ابنها سقما
وكم نظرنا بكم نعمى نجسّمها لنا السرورُ فكانت عندنا نِعما [1]
ونبذل المالَ لم نُحمَل عليه كما يقضى الكريم حقوقَ الأهل والذّمما [2]
صبرا على الدهر إن جلّت مصائبه إنّ المصائبَ مما يوقظ الأمما
إذا المقاتلُ من أخلاقهم سلمت فكلّ شىء على آثارها سلما
وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن تولت مضوْا فى إثرها قدُما [3]
نمّ على كل ثارٍ لا قرارَ له وهل ينام مصيب فى الشعوب دما ؟
فنال من سيفكم من كان ساقيَه كما تنالُ المدامُ الباسلَ القَدَما [4]
قال العذول خرجنا فى محبّتكم من الوقارِ فيا صدق الذى زَعما
فما على المرء فى الأخلاق من حرج إذا رعى صلة فى الله أو رَحِما
ولو وهبتم لنا عُليا سيادتكم ما زادنا الفضل فى إخلاصنا قَدما
نحنو عليكم ولا ننسى لنا وطنّا ولا سريرا ولا تاجا ولا علما
هذى كرائم أشياء الشعوب فإن ماتت فكل وجودٍ يشبه العدَما

---

(١) النعمى : ما أنعم به . (٢) الذمم : جمع ذمة ، وهى العهد .
(٣) القدم (بضم القاف والدال) : أن يمضى الإنسان فلا يعرج على شىء ولا ينثنى .
(٤) المدام : الخمر . والباسل . البطل الشجاع . والقدم (بفتح القاف والدال) : الشجاع أيضا .

أرسطاليس وترجمانه (*)

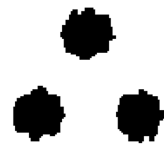
علمتَ بالقلمِ الحكيمِ وهديْتَ بالنجمِ الكريمِ
وأتيتَ من محرابه بأرسطاليسَ العظيم
مَلِكِ العقولِ وإنها لنهايةُ المُلْكِ الجسيم
شيخِ ابن رشدٍ وابنِ سيـ ـنا وابن بَرْقينَ الحكيم [1]
من كان في هَدْىِ المسيـ ـح وكان في رُشْدِ الكليم
وغدا وراح موحِّداً قبلَ البَنِيَّةِ والحطيم [2]
صوتَ الحقيقةِ بين رعـ ـدِ الجاهلية والهزيم [3]
ما بين عاديةِ السوا مِ وبين طغيانِ المسيم [4]
يبنى الشرائعَ للعصو رِ بناءَ جبارٍ رحيم
ويُفصِّلُ الأخلاقَ للـ أجيالِ تفصيلَ اليتيم [5]
في واضحٍ لَحْبِ الطريـ ـقِ من المذاهب مستقيم [6]
ورسائلٍ مثلِ السلا فِ إذا تمشَّت في النديم
قدسيةِ النفحاتِ تسـ ـكِرُ بالمذاقِ وبالشميم



يالطفِ أنت هو الصَّدَى من ذلك الصوت الرخيم

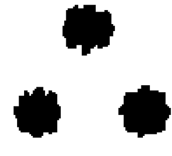
(*) ترجم الأستاذ أحمد لطفي باشا السيد كتاب أرسطاليس في علم الأخلاق إلى اللغة العربية، فكتب إليه صاحب الديوان هذه التهنئة. (١) برقين: بلدة المترجم لطفي باشا السيد. (٢) البنية: الكعبة. (٣) الهزيم: صوت الرعد.
(٤) السوام: الرعية. والمسيم: الراعي. (٥) اليتيم: اللؤلؤ.
(٦) الطريق اللحب: الواسع.

أرجَ الرياضِ نقلتَــــه   ونســـختَهُ نسخَ النسيمِ
وسريْتَ من شِعَبِ الألَمْـ   ـبِ به إلى وادى الصريمِ (١)
فتجـارتِ اللغتان الـ   ـغاياتِ فى الحسَبِ الصَّميمِ
لغَـةٌ من الإغريق قيِّـمة ، وأخرى من تميمِ
وأتيتنـــا بمفصَّـــلٍ   بالتبر عُـــلوىِّ الرقيمِ
هو ضنّةُ المُثرِى من الـ   أخـلاق أو مالُ العديمِ (٢)

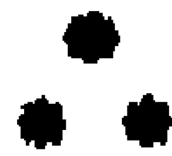


مشّاء هـــذا العصر قفْ   حدِّث عن العُصُر القديمِ (٣)
مثلْ لنا اليونانَ بيـ   ـنَ العـلم والخلق القويمِ
أخـــلاقها نور السبيـ   ـل وعِلمهـا نور الأديمِ
وشـــبابُها يتعلـــو   ن على الفراقدِ والنجومِ
لمســوا الحقيقةَ فى الفنو   ن وأدركوها فى العـلومِ
حلَّتْ مكانا عنـــدهم   فوقَ المعـــلِّم والزعيمِ (٤)
والجهلُ حظك إن أخذ   تَ العـلمَ من غير العليمِ
ولربَّ تعليم سرى   بالنشء كالمرض المنيمِ (٥)
يتلبَّس الحـلمُ اللذيـ   ـذُ عليه بالحُلمِ الأليمِ
ومدارسٍ لا تُنهضُ الـ   أخلاقَ دارسةِ الرُّسـومِ
يمشى الفسادُ بنبْتهــا   مشىَ الشرارةِ بالهشيمِ

(١) الألمب : جبل من جبال اليونان ، والصريم : واد من أودية العرب .
(٢) الضنة : الشىء الذى يضن به (٣) المشاءون : تلاميذ أرسططاليس .
(٤) هذه إشارة إلى قول أرسططاليس المشهور : أفلاطون حبيب إلى ولكن الحقيقة أحب إلى منه . (٥) المرض المنيم المنوم .



لما رأيت سوادَ قو مى فى دُجى ليل بهيم
يُسقونَ من أُميّة هى غصّة الوطن الكظيم
وسَراتُهم فى مُقعِد من مطلبِ الدنيا مُقيم
يسعَوْن للجاه العظيـ ـم وليس للحق المضيم
وبَصُرتُ بالدّستور يُز هق وهو فى عُمْر الفطيم
لم ينج من كيدِ العدُ و له ومن عبثِ الحميم
أيقنتُ أنّ الجهلَ عِلّة كلّ مجتمعٍ سقيم
وأتيتُ يا ربَّ النثيـ ـرِ بما تحبُّ من النظيم
أجزِ آجتهادك فى جَنى الثّمراتِ للنّشإ النّهيم [1]
من روضةِ العلم الصحيـ ـحِ وربْوةِ الأدب السليم
العاشقينَ العلمَ لا يألونه طلبَ الغريم
المعرِضينَ عن الصغا رِ والسماية والنميم



قسما بمذهبك الجميـ ـلِ ووجه صُحبتِك القسيم
وقديم عهد لا ضئيـ ـل فى الوداد ولا ذميم
ما كنتَ يوما للكنا نة بالعدُوّ ولا الخصيم
لما تلاحى الناسُ لم تنزلْ إلى المرعى الوخيم [2]
كم شاتم قابلته بترفّعِ الأسدِ الشتيم [3]

---

(١) النهيم : الذى لا يشبع . (٢) تلاحى الناس : تلاعنوا .
(٣) الشتيم : العابس .

وشغلت نفسك بالخصيـ ـبِ من الجهودِ عن العقيم
فخدمْت بالعـلم البلا دَ ولم تزلْ أوفى خديم (١)
والعـلمُ بنَّـاء المآ ثرِ والممالكِ من قديم
كسروا به نِيرَ الهوا نِ وحطّموا ذُلَّ الشكيم

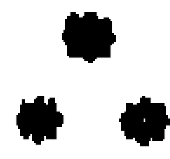
شهيـد الحق (*)

إلامَ الخُلفُ بينكمُ إلاما ؟ وهذى الضجةُ الكبرى علاما ؟
وفيمَ يكيدُ بعضكمُ لبعضٍ وتُبدونَ العداوةَ والخِصاما ؟
وأين الفوزُ ؟ لا مصرُ استقرتْ على حالٍ ولا السودان داما ؟
وأين ذهبـتمُ بالحق لما ركبتم فى قضيتهِ الظلاما ؟
لقد صارتْ لكم حُكمًا وغُنمًا وكان شِعارُها الموتَ الزُّؤاما
وثِقتم واتهمتمْ فى الليـالى فلا ثقةً أدمنَ ولا اتهاما
شببتم بينكم فى القطرِ نارًا على مُحتلِّهِ كانت سـلاما
إذا ما راضَها بالعقلِ قومٌ أجدَّ لها هوى قومٍ ضِراما
تراميتمْ ، فقال الناسُ قومٌ إلى الخُذلانِ أمرُهمُ ترامَى

(١) الخديم : الخادم .

(*) نظمها صاحب الديوان بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة المرحوم مصطفى كامل باشا . وقد تناول فيها وصف ما أصاب البلاد فى سنة ١٩٢٤ من انقسام وتشاحن وتناحر . وأشار إلى تصريح ٢٨ فبراير وموقف بعض الزعماء حياله . ثم انتقل من ذلك إلى ذكرى فقيد البلاد المرحوم مصطفى كامل فوفاه حقه . واستطرد من ذلك إلى البحث فيما تحتاج إليه البلاد من وسائل الإصلاح موجها الخطاب إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول .

وكانت مصرُ أولَ من أصبتُم ... فلم تُحصِ الجِراحَ ولا الكِلاما (١)
إذا كانَ الرُّماةُ رماةَ سوءٍ ... أحلوا غيرَ مرماها السهاما
أبعدَ العُروةِ الوُثقى وصفٍّ ... كأنيابِ الغضنفرِ لن يُراما
تباغيتم كأنكُمُ خلايا ... من السَّرطانِ لا تجدُ الضِّماما؟ (٢)
أرى طيارَهم أوفى علينا ... وحلّق فوق أرؤسِنا وحاما
وأنظرُ جيشَهم من نصف قرنٍ ... على أبصارنا ضربَ الخياما
فلا أمناؤُنا نقصوه رمحًا ... ولا خوّانُنا زادوا حساما
وتأبى الجوّ صاعقةً ورعداً ... إذا قصْرُ الدُّبارةِ فيه غاما
إذا انفجرتْ علينا الخيلُ منه ... ركبنا الصمتَ أوقدْنا الكلاما (٣)
فأُبنا بالتخاذلِ والتلاحي ... وآب بما ابتغى منا وراما (٤)

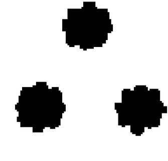


ملَكْنا مارنَ الدنيا بوقتٍ ... فلم نُحسِنْ على الدنيا القياما (٥)
طَلعنا وهي مُقبِلةٌ أُسوداً ... ورُحنا وهي مدبرة نعاما
ولينا الأمر حزباً بعد حزبٍ ... فلم نَكُ مُصلحين ولا كِراما
جعلنا الحُكم توليةً وعزلا ... ولم نعد الجزاء والانتقاما
وسُسْنا الأمر حين خلا إلينا ... بأهواء النفوس فما استقاما
إذا التصريحُ كان براحَ كفرٍ ... فلِمْ جُنّ الرجالُ به غراما؟ (٦)

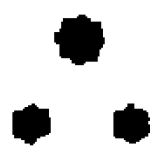
---

(١) الكلام (بكسر الكاف) : الجروح .
(٢) الضمام : ماضممت به شيئا إلى آخر . والسرطان : ورم سوداوى تظهر عليه عروق حمر وخضر متشعبة . (٣) ركبنا الصمت : أى وجدناه خيرا . وقدنا الكلام : استرسلنا فيه . (٤) التلاحي : التلاعن والتلاوم . (٥) المارن : الأنف أوما لان منه . والمراد بمارن الدنيا : ذروتها وأعلاها . (٦) البراح : الصراح . والتصريح : تصريح ٢٨ فبراير . يشير إلى موقف بعض الزعماء منه .

وكيف يكون فى أيدٍ حلالاً … وفى أخرى من الأيدى حراما؟
وما أدرى غداةَ سُقيتُموه … أترياقا سُقيتم أم سِماما؟[1]



شهيدَ الحق قُمْ تره يتيما … بأرضٍ ضُيّعت فيها اليتامى
أقام على الشفاه بها غريباً … ومرّ على القلوب فما أقاما[2]
سَقِمت فلم تَبتْ نفسٌ بخير … كأن بمهجةِ الوطن السّقاما
ولم أرَ مثلَ نعشِك إذ تهادى … فغطّى الأرض وانتظمَ الأناما[3]
تحمّلَ همّةً ، وأقلّ دينا … وضم مُروءةً وحوى زماما[4]
وما أنساكَ فى العشرينَ لما … طلعتَ حِيالها قمراً تماما
يُشارُ إليك فى النادى وتُرمَى … بعينى من أحب ومن تعامى
إذا جئتَ المنابرَ كنت قُسّا … إذا هو فى عكاظ علا السّناما[5]
وأنتَ ألذّ للحق اهتزازاً … وألطفُ حين تنطقه ابتساما
وتحمِلُ من أديم الحق وجهاً … صُراحا ليس يتّخِذ اللثاما[6]



أتذكر قبل هذا الجيل جيلا … سهرنا عن معلّمهم وناما؟[7]
مِهارُ الحقّ بغّضنا إليهم … شكيمَ القيصريّةِ واللجاما[8]

---

(١) السمام : جمع سم . والترياق : مايدفع السموم من الدواء . (٢) أى تلفظه الأفواه ولا تحس به القلوب . (٣) تهادى : تمايل على الأعناق . (٤) زمام القوم : مقدمهم وصاحب أمرهم . (٥) قس : هو قس بن ساعدة الإيادى ، ويضرب به المثل فى بلاغة الخطباء . ويروى عنه أنه كان يخطب الناس فى عكاظ وهو على ظهر بعير . (٦) الأديم : الوجه والصفحة . (٧) سهرنا عن معلمهم : أى تركنا هذا المعلم ينام وقمنا نحن على تهذيبهم وإنشائهم . (٨) المهار : جمع مهر ، والمراد بالمهار هنا الشباب . والشكيم : جمع شكيمة . وهى من اللجام حديدة تعترض فم الفرس ، والمراد بشكيم القيصرية ولجامها : قسوة الاحتلال وجبروته .

لواؤكَ كان يَسقيهم بجامٍ ... وكان الشعرُ بين يدىّ جاما [1]
من الوطنيةِ استَبقوا رحيقاً ... فضضْنا عن مُعتّقِها الختاما [2]
غرسنا كرْمَها فزكا أصولا ... بكلّ قرارةٍ وزكا مُداما [3]
جمعتهمُ على نبراتِ صوتٍ ... كنفخِ الصُّور حرّكت الرجاما [4]
لكَ الخُطَبُ التى غصّ الأعادى ... بِسورتِها وساغَت للنّدامى [5]
فكانت فى مرارتها زئيراً ... وكانت فى حَلاوتِها بُغاما [6]
بكَ الوطنيةُ اعتدلتْ وكانت ... حديثاً من خرافة أو منَاما [7]
بنيت قضيةَ الأوطانِ منها ... وصيرتَ الجلاء لها دِعاما [8]
هززتَ بنى الزمان به صبيًا ... ورُعتَ به بنى الدنيا غلاما
* وعندك للملوك بنى علىٍّ ... منازلُ فى الكرامة لا تُسامى [9]
* جمعتَ الناسَ حول العرش علما ... بأن لمصر فى العرش اعتصاما
* إذا طافوا ببيتِ الملْكِ يوما ... سبقتهم إلى الركن استلاما
* تضائِلُ شخصكَ الضاحى وقاراً ... وتخفِضُ رأسكَ العالى احتشاما [10]

---

(١) الجام : إناء من فضة . والمعنى أنك كنت تغذوهم بما كنت تنشر عليهم فى لوائك من ثمر الأدب . وكنت أنا أيضا أغذوهم بما أزجى لهم من زهور الشعر والبيان.

(٢) استبقوا الرحيق : تسابقوا إليه . والرحيق : الخمر . والمعتق : القديم وقدم الخمر يحسنها ويزيد لذة شاربها . وفضضنا الختام : فتحناه . (٣) الكرم : العنب وزكا : نما . والمدام : الخمر . (٤) الرجام : القبور . (٥) السورة : الحدة والشدة . وغص بالشىء : اعترض فى حلقه فمنعه التنفس . والمراد بغصة الأعادى ، غضبهم والندامى : جمع ندمان ، وهو نديم الشراب . والمراد بهم هنا الشيعة والأصدقاء.

(٦) البغام : صوت الظبى . (٧) خرافة : رجل عذرى اختطفته الجن فيما زعموا ثم رجع إلى قومه وأخبر بما رأى منها فكذبوه ، وأصبح حديثه هذا مثلا لكل حديث باطل . (٨) الدعام : العماد . (٩) يشير إلى الأسرة العلوية المالكة .

(١٠) ضاءل شخصه : صغره تواضعا . والضاحى : البارز .

(*) أنقصت من الشوقيات ١٨ بيت منذ عام ١٩٥٦ ص ٢٦٥ + ٢٦٦ .

* وكان العرشُ هامةَ كلّ قوم ... وإن كانوا أجلّ الناس هاما [1]
* هو العلمُ الذى تفديه مصرٌ ... ونحن الجندُ فى العلم انتظاما

***

* أبا الفاروقِ أدركها جراحا ... أبتْ إلا على يدك التئاما
* فإنكَ أنت مرهمُ كل جرحٍ ... وإن بلغ المفاصلَ والعظاما
* فكم شرٍ حسمتَ وكم بلاءٍ ... وكنا لا نرى لهما انحساما
* ويابن الغيث ، بالوادى غليلٌ ... إلى الإصلاح فامنحه الغماما
* أرى وطناً تحير ناشئوه ... فما يجدون من عمل قِواما [2]
* فلا أسُس التجارةِ فيه قرّتْ ... ولا رُكنُ الصناعةِ فيه قاما
* مدارسُ لم تهيّئهم لكسبٍ ... ولم تبنِ الحياةَ ولا النظاما
* هلمّ ، مثالَ إسماعيلَ وانسجْ ... على منواله المننَ الجساما
* كبارُ المصلحين بمصرَ عُدُّوا ... فلم يعدوا أبوّتكَ العظاما
* فخذ ما شئتَ فى الإصلاح عنهم ... تجدْ فى كل مأثرةٍ إماما
* وأنت أعزُّ بالدستور شأنا ... وأرفعُ خلف هالته مقاما
* فسُرّ بالنشءِ أن يتعلموه ... وخلّ الدهر يقرئهُ الطَّغاما [3]

---

(١) الهامة : الرأس ، جمعها هام . (٢) القوام : مايقيم الإنسان .
(٣) الطغام : أوغاد الناس ورعاعهم .

تحيـــة للترك ١٩

الدهرُ يقظانُ والأحداثُ لم تنمِ ... فما رقادُكُمُ يا أشرفَ الأُممِ؟

لعلكم من مِرَاسِ الحربِ فى نصَبٍ ... وهذه ضجعةُ الآسادِ فى الأَجَمِ (١)

لقد فتحتم فأعرضتُم على شِبَعٍ ... والفتحُ يعترضُ الدولاتِ بالتُّخَمِ (٢)

هبُّوا بكم وبنا للمجدِ فى زمنٍ ... من لم يكن فيه ذئباً كان فى الغنمِ

هذا الزمانُ تناديكم حوادثُهُ ... يا دولةَ السيفِ كُونى دولةَ القلمِ

فالسيفُ يهدمُ فجراً ما بنى سَحَراً ... وكلُّ بنيانِ علمٍ غيرُ مُنهدِمِ (٣)

قد ماتَ فى السِّلمِ من لا رأىَ يعصِمُه ... وسوّتِ الحربُ بين البَهْمِ والبُهَمِ (٤)

وأصبحَ العلمُ ركنَ الآخذين به ... من لا يُقِم ركنَه العرفانُ لم يقُمِ

الناسُ تَسحبُ فضفاضَ الغِنى مَرَحاً ... ونحنُ نلبَسُ عنه ضيقةَ العُدُمِ (٥)

يا فتيةَ الترك حيّا الله طلعتَكم ... وصانكم وهداكم صادقَ الخِدَمِ (٦)

أنتم غدُ الملكِ والإسلامِ لا برحا ... منكم بخيرِ غدٍ فى المجدِ مبتَسِمِ (٧)

---

(١) مراس الحرب : مزاولتها . والنصب : التعب . والضجعة : الرقدة . والآساد : جمع أسد . والأجم (بفتح الجيم) جمع أجمة ، وهى الشجر الملتف

(٢) فتحتم لغلبتم على البلاد التى حاربتموها حتى ملكتموها . والتخم : جمع تخمة وهى ثقل الأكل . (٣) يهدم فجرا ... الخ : أى يهدم وقت الفجر ما يكون قد بناه وقت السحر ، والمعنى أن بنيان السيف لادوام له . (٤) السلم : ضد الحرب ويعصمه : يحفظه ويقيه . والبهم (بفتح الباء وسكون الهاء) : جمع بهمة (بفتح الباء وسكون الهاء أيضا) : وهى أولاد الضأن والمعز والبقر والبهم (بضم الباء وفتح الهاء) جمع بهمة (بضم الباء وسكون الهاء) ، وهى الرجل الشجاع (٥) الفضفاض : الواسع والمرح : التبختر والاختيال والضيقة (بفتح الضاد وكسرها) : سوء الحال والعدم (بضم العين والدال وتسكن داله أيضا) : الفقر . (٦) صادق الخدم ، أى الخدمة الصادقة ، وهى جمع خدمة . (٧) أنتم غد الملك والإسلام ، أى أنتم الذين تهيئون لهما غدهما ، والمراد مقبل حالهما .

تجلكم مصر منها فى ضمائرها ... وتعلن الحب جمًّا غيرَ متّهم (١)
فنحن إن بعُدت دارٌ وإن قرُبت ... جاران فى الضاد أو فى البيت والحرَم (٢)
ناهيكَ بالسببِ الشرقىّ من نَسبٍ ... وحبذا سبَبُ الإسلام من رَحِمِ (٣)
شملُ اللغاتِ لدى الأقوامِ ملتئِمٌ ... والضادُ فينا بشملٍ غير ملتئِم (٤)
فقرِّبوا بيننا فيها وبينَكمُ ... فإنها أوثقُ الأسبابِ والذِّمَم
وكلنا إن أخذنا بالفَلاحِ يدٌ ... وسعينا قدمٌ فيه إلى قَدَم
فلا تكونُنّ تركيًّا الفتاةِ ولا ... تلك العجوزَ وكونوا تركيا القِدَم
فسيفُها سيفها فى كل معتَرَكٍ ... وعدلُها طوّقَ الإسلام بالنِّعم

٤٨ الأسطول العثمانى (*)

هزّ اللواء بعزّك الإسلامُ ... وعنَت لقائم سيفِكَ الأيام (٥)
وانقادت الدنيا إليكَ لحسبُها ... عُذراً قيادٌ أسلَسَتْ وزمام (٦)
ومشى الزمانُ إلى سريرِك تائبا ... خَجلاً عليه الذُّلُّ والإرغام

(١) جما : كثيرا . وغير متهم : أى غير مشكوك فى صدقه . (٢) الضاد ، تطلق اسما للغة العربية ، وذلك أن حرف الضاد لا يوجد فى لغة سواها ولا يقوى عليه إلا أهلها (٣) ناهيك ، كلمة استعظام وتعجب ، وتأويلها فى الكلام : أن هذا الشىء هو غاية فيما تطلبه حتى إنه ينهاك عن طلب غيره . فمعنى البيت أن السبب الشرقى هو ما يطلب من النسب بيننا وبينكم فلا تطلبوا نسبا سواه . وحبذا ، كلمة مدح . (٤) الشمل . ما تفرق من الأمر وما اجتمع ، منه يقال : جمع الله شملهم وفرق الله شملهم وملتئم : منضم وملتصق

(*) كان صاحب الديوان فى الآستانة وشاهد البارجتين اللتين اشترتها الدولة العلية من ألمانيا فأخذته هزة الطرب وعز عليه أن يرى المسلمين فى أقطار الأرض قاعدين عن إعانة أسطول الدولة فجرى لسانه بهذه القصيدة . (٥) عنت : خضعت وذلت ، والخطاب فى هذا البيت والبيتين بعده للخليفة محمد رشاد . (٦) القياد ما يقاد به ، ويستعمل بمعنى الطاعة والإذعان . وأسلست جعلته سلسا ، أى سهلا لينا . والزمام : مقود البعير .

عرشُ النبيِّ محمدٍ جنَباتُه نورٌ ورَفرفه الطَّهورُ غَمام [١]
لما جلستَ سما وعزَّ كأنما هارونُ وابناه عليه قيام [٢]
البحرُ محشودُ البوارج دونَه والبرُّ تحت ظِلاله آجام [٣]
نَعِمَ الرعيةُ فى ذَراكَ ونَضَّرت أيامَهم فى ظلكَ الأحكام [٤]
فى كلِّ ناحيةٍ وكلِّ قبيلةٍ عدلٌ وأمنٌ مورِفٌ ووِئام [٥]
حمل (الصليبُ) إليكَ من فتيانه جندًا وقاتلَ دونك (الحاخام) [٦]
والدينُ ليس برافعٍ مُلكا إذا لم يَبدُ للدنيا عليه نِظام
بالله قد دان الجميعُ، وشأنهم بالله ثم بعرشك استِعصام [٧]

*
* *

يابنَ الذين إذا الحروبُ تتابعت صلُّوا على حدِّ السيوف وصاموا [٨]
المظهرينَ لنورِ بدرٍ بعد ما خيفَ المحاقُ عليه والإظلام [٩]

---

(١) الجنبات : النواحى ، مفردها جنبة . والرفرف : كل مافضل فثنى . والطهور هو الطاهر فى نفسه والمطهر غيره . (٢) سما : ارتفع . وهارون : هو هارون الرشيد الخليفة العباسى وابناه هما الأمين والمأمون . (٣) البوارج : سفن القتال الكبيرة ، واحدتها بارجة. والآجام : جمع أجم . والأجم : جمع أجمة : وهى الشجر الكثير الملتف والأسود تتخذها مأوى لها . والضمير فى « دونه » و « ظلاله » للعرش فى البيت المتقدم يعنى أنه مصون تحميه سفن القتال المحشودة فى البحر والجيوش المقيمة فى البر كأنها الأسود فى آجامها . (٤) نعم الرعية (بفتح النون والعين) : رفهوا وأخصبوا ، والذرا : الملجأ : ونضرت أيامهم الأحكام : جعلتها ناضرة : والناضرة : الحسنة .

(٥) مورف : متسع وممتد . (٦) حمل الصليب ... الخ : يريد أن رعاياك من النصارى واليهود مخلصون يقاتلون من دونك لما أظللتهم به من العدل والأمن .

(٧) بالله قد دان الجميع : أى آمنوا به . والاستعصام : الاستمساك .

(٨) صلوا على حد السيوف وصاموا : أى لزموها كما يلزم المتعبد صلاته وصيامه .

(٩) بدر : اسم الغزوة المشهورة فى صدر الإسلام ، سميت باسم المكان الذى وقعت فيه والمحاق (مثلث الميم) قيل هو آخر الشهر حيث يمحق نور القمر ، وقيل هو ثلاث ليال من آخره .

عشرون خاقانا نموك وعشرة   غرُّ الفتـــوح خلائفٌ أعلام (١)
فسَبٌ إذا ذكِر الملوك فإنه   لرفيع أنساب الملوكِ سَــنام (٢)
لاتحفِلنّ من الجراح بقيةً   إن البقيةَ فى غدٍ تلتــام (٣)
جرت النحوسُ لغـاية فتبدّلت   ولكلّ شىء غايةٌ وتمـــام
تعِبت بأمّتِكَ الخطوبُ فأقصرَت   والدهرُ يُقصِر والخطوبُ تنام (٤)
لبثتْ تنُوشهم الحوادثُ حقبةً   وتصـدها الأخلاق والأحلام (٥)
ولقد يُداس الذّئبُ فى فَلواته   ويُهـــابُ بين قيودِه الضّرغام (٦)
زدهم أميرَ المؤمنين من القوَى   إن القوَى عـزٌ لهم وقوام
الملكُ والدّولاتُ ما يَبنِي القَنـا   والعــلمُ ، لا ما ترفعُ الأحلام (٧)
والحقّ ليس وإن عـلا بمؤيدٍ   حتى يحوّط جانبيـه حُســـام (٨)
خطّ النبىّ براحتيـه خنـــدقا   ومشى يُحيط به قَنًا وسهـــام (٩)

***

يابربروسُ على ثَراكَ تحيـــة   وعلى سَمِيّكَ فى البحارِ ســلام (١٠)

---

(١) الخاقان : هو كل ملك من الأتراك ونموك : أى رفعوك بالانتساب إليهم. وعشرة غر الفتوح : أى ونماك أيضا عشرة خواقين امتازوا بالفتح والتوسع فى الملك فاختصوا بوصف الفاتحين فلا يقال هذا الوصف لغيرهم من سلاطين آل عثمان وخلائف: جمع خليفة .

(٢) السنام : اللحم المرتفع على ظهر البعير . (٣) لاتحفلن بقية ، أى لا تبال بها فهى ستبرأ وتلتحم . يشير بذلك إلى حوادث كانت تشغل الدولة التركية يومئذ .

(٤) أقصرت : أى انتهت وأمسكت عنها . (٥) تنوشهم : تتناولهم . وتصدها : أى تصد الحوادث . والأحلام : العقول . (٦) الضرغام : الأسد .

(٧) القنا : الرماح ، والأحلام هنا : جمع حلم ، وهو ما يراه النائم .

(٨) يحوط جانبيه بواو مشددة ، أى يحفظهما ويتعهدهما . والحسام : السيف .

(٩) الخندق: حفير حول أسوار المدينة . (١٠) بربروس، هو خير الدين بربروس من أبطال العثمانيين ، جعلت الحكومة التركية اسمه علما البارجة هى الأولى فى الأسطول العثمانى

أعلمتَ ما أهدى إليك عصابةٌ — غرُّ المآثر من بنيكَ كرام؟ (١)
نشروا حديثكَ في البرية بعدما — همّتْ بطيٍّ حديثِكَ الأيام
خصوكَ من أسطولهم بدعامة — يُبنى عليها ركنُه ويُقام (٢)
شماء في عرضِ الخضمّ كأنها — برجٌ بذاتِ الرجع ليس يُرام (٣)
كانت كبعضِ البارجاتِ لحقّها — لما تحلت باسمِكَ الإعظام
ماماتَ من نُبل الرجالِ وفضلهم — يحيا لدى التاريخ وهو عظام
يمضى ويُنسى العاملونَ وإنما — تَبقى السيوفُ وتخلدُ الأقلام (٤)
وتلاك (طرغودٌ) كما قد كنتما — جَنباً لجنبٍ والعُبابُ ضرام (٥)
أرسى على باب الإمام كأنه — للفُلك من فرط الجلالِ إمام (٦)
جمعتكما الأيام بعد تفرّق — ما للقاء وللفراق دوام
سيشدُّ أزرَكَ والشدائدُ جمّةٌ — ويُعِزُّ نصركَ والخطوبُ جِسام (٧)
ما السُّفْنُ في عَدَدِ الحصى بنوافع — حتى يهزّ لواءها مِقدام
لما لحتُكما سكبتُ مدامعى — فرحاً وطال تَشوُّفٌ وقيام (٨)

---

(١) عصابة المآثر: هم رجال الحكومة العثمانية الذين أوجدوا البارجة بربروس.
(٢) الدعامة: عماد البيت. (٣) شماء: مرتفعة عظيمة. والخضم: البحر والبرج: واحد بروج السماء. وذات الرجع: هي السماء: والرجع: المطر بعد المطر.
(٤) وإنما تبقى السيوف: أي يبقى ما تفعله السيوف ويخلد ما تسطره الأقلام.
(٥) تلاك: أي جاء تاليا لك. وطرغود: هو أيضا من أبطال البحر العثمانيين، جعلت الحكومة التركية اسمه كذلك علما لبارجة أخرى والعباب: كثرة السيل وارتفاعه والمراد به هنا كثرة ماء البحر. والضرام: اشتعال النار والمعنى أن البارجة التي سميت باسم طرغود هي مع البرجة المسماة باسمك، فهما في البحر كما كنتما فيه من قبل حين كانت تشتعل نار القتال فوق عبابه. (٦) أرسى: وقف وثبت. والفلك: السفن، يستعمل للمفرد وللجمع بلفظ واحد. وفي البيت إشارة إلى أن مرسى البارجتين كان أمام قصر الخليفة. (٧) الأزر: الظهر. والجمة: الكثيرة والجسام: العظام، جمع جسيم. (٨) سكبت: صببت. والتشوف: التطلع.

وسألتُ هل من(لؤلؤٍ)أو(طارق)   في البحر تخفقُ فوقه الأعلام ؟ (١)

***

يامعشر الإسلامِ في أسطولِكم   عزٌّ لكم ووقايةٌ وسَــلام
جودوا عليه بمالكم واقضُوا له   ما توجبُ الأعلاقُ والأرحام (٢)
لا الهند قد كرُمت ولا مصر سخت   والغربُ قصّر عن ندًى والشام
سيلُ المهالكِ جارفٌ من شدّةٍ   وقُوًى ، وأنتم في الطريقِ نيام (٣)
حبُّ السيادة في شمائلِ دينكم   والجِــدُّ روحٌ منه والإقدام (٤)
والعلمُ من آياته الكبرى إذا   رجعت إلى آياته الأقــوام (٥)
لو تُقرِئون صغاركم تاريخَه   عرف البنون المجدَ كيف يُرام
كم واثق بالنفس نهّاضٍ بها   سادَ البريةَ فيــه وهو عِصام (٦)

الأندلس الجديدة

يا أختَ أندلسٍ عليك سلامُ   هوت الخلافة عنكِ والإسلام (٧)
نزل الهلالُ عن السماء فليتها   طُويت وعمّ العالمين ظلام

(١) لؤلؤ : هو حسام الدين لؤلؤ أمير الأسطول المصري في الحروب الصليبية. وطارق : هو طارق بن زياد بطل الأندلس المشهور . (٢) الأعلاق : نفائس الأشياء.
(٣) جارف ، من جرف الشيء : ذهب به كله أو أكثره .
(٤) الجد : الاجتهاد في الأمر : وروح منه : أي من دينكم .
(٥) والعلم من آياته ، أي من آيات الدين . (٦) النهاض ، مبالغة من النهوض، وهو القيام . وهو عصام ، أي كعصام : هو رجل شرف بنفسه وعمله لا بنسبه وآبائه ، حتى قيل فيه : « نفس عصام سودت عصاما » . فضرب به المثل في ذلك .
(٧) يا أخت أندلس : يخاطب مدينة أدرنه وقد كانت من أمهات المدن العثمانية في مقدونية وبها مقابر كثيرين من سلاطين آل عثمان ، جاءت الأنباء بغلبة البلغار عليها في الحرب سنة ١٩١٢ بعد أن أبلت حاميتها في الدفاع عنها بلاء حسنا .

أزرى به وأزالَه عن أوجِه ... قَدَرٌ يحطُّ البدرَ وهو تَمـام (١)
جُرحانِ تمضى الأمتان عليهما ... هـذا يَسيلُ وذاكَ لا يلتـام (٢)
بكما أُصيبَ المسلمون وفيكما ... دُفِنَ اليراع وغُيِّب الصَّمصام (٣)
لم يُطوَ مأتمُها ، وهـذا مأتمٌ ... لبسوا السوادَ عليك فيه وقاموا (٤)
مابين مَصرعِها ومصرعِك انقضت ... فيما نُحبّ ونَكره الأيام
خلت القرون كليلةٍ وتصرَّمت ... دولُ الفتوح كأنها أحلام (٥)
والدهر لا يألو الممالكَ مُنـذرًا ... فإذا غَفلنَ فما عليه مَلام (٦)

***

مقدونيـا ، والمسلمون عشيرة ، ... كيف الخؤولة فيك والأَعمام ؟ (٧)
أترَيْنهم هانوا ، وكان بعزّهم ... وعلوّهم يتخايلُ الإسـلام ؟ (٨)
إذ أنت نابُ الليثِ ، كل كتيبة ... طلعت عليـكِ فريسةٌ وطعام (٩)
مازالت الأيام حـتى بُدّلت ... وتغـير الساقى ، وحالَ الجام (١٠)

---

(١) أزرى به : وضع من شأنه . والأوج : العلو . (٢) جرحان . أحدهما: خروج أدرنة من أيدى المسلمين ، والثانى:خروج الأندلس من أيديهم . والأمتان : هما العرب أيام نكبة الأندلس ، والترك أيام ضياع أدرنة . (٣) اليراع : القلم . والصمصام السيف . (٤) لم يطو مأتمها ، أى مأتم الأندلس .

(٥) خلت : مضت . وتصرمت : انقضت . (٦) لايألو ، لايقصر ولا يبطئ

(٧) مقدونيا : اسم الإقليم الذى تقع فيـه أدرنة . والعشيرة : قبيلة الرجل . والخؤولة : النسبة إلى الخال ، كالعمومة ، وهى النسبة إلى العم .

(٨) يتخايل : يتبختر . (٩) إذ أنت ناب الليث ، أى مثل ناب الليث فى أنه مخوف لايمكن الوصول إليه . والكتيبة : الجيش ، وقيل القطعة منه ، والمعنى أن الإسلام كان يتخايل بعز أبنائه فى مقدونيا حينما كانت ممتنعة على العدو كامتناع ناب الليث على من يريده ، وحينما كانت تفنى دونها جيوش الأعداء .

(١٠) حال : تحول من حال إلى حال . والجام : إناء من فضة تسقى فيه الخمر .

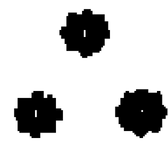
أرأيتِ كيف أُديلَ من أُسدِ الشرى   وشهدتِ كيف أُبيحتِ الآجام ؟ (١)
زعموكِ همًّا للخلافةِ ناصبًا   وهل الممالك راحةٌ ومنام ؟ (٢)
ويقول قومٌ كنتِ أشأمَ موردٍ   وأراكِ سائغة عليكِ زحام
ويراكِ داءَ المُلكِ ناسُ جهالةٍ   بالمُلك منهم علة وسَقام
لو آثروا الإصلاحَ كنتِ لعرشِهم   رُكنًا على هامِ النجوم يُقام (٣)
وهمُ يُقيِّد بعضهم بعضًا به   وقيود هذا العالَم الأوهام
صورُ العمى شتى ، وأقبحُها إذا   نظرت بغير عيونهنّ الهام
ولقد يُقام من السيوفِ وليس من   عثراتِ أخلاقِ الشعوبِ قيام

***

ومبشرٍ بالصلح قلتُ : لعله   خيرٌ ، عسى أن تصدق الأحلام (٤)
ترك الفريقان القتالَ ، وهذه   سِلمٌ أمرّ من القتالِ عُقام (٥)
ينعى إلينا الملكَ ناعٍ لم يَطأ   أرضًا ولا انتقلت به أقدام (٦)
برقٌ جوائبُه صواعقُ كلها   ومن البروقِ صواعقٌ وغَمام (٧)
إن كان شرٌّ ، زار غيرَ مفارقٍ   أو كان خيرٌ ، فالمزارُ لِمام (٨)

(١) الشرى : مكان تكثر فيه الأسود . والآجام : جمع أجم ، وهو الشجر الملتف تألفه الأسود أيضا . (٢) الهم الناصب : المتعب .
(٣) لو آثروا الإصلاح ، أى اختاروه . والهام : جمع هامة ، وهى رأس كل شيء
(٤) ومبشر بالصلح : يشير إلى ما كان قد جاء من الأنباء بأن الصلح سيتم بين المتحاربين . (٥) يقال : داء عقام ، أى لا يرجى البرء منه . وحرب عقام ، أى شديدة ، وكلا المعنيين صالح هنا . ويشير بقوله : هذه سلم .. الخ ، إلى ما كان من ممالأة الدول الأوروبية الكبرى لدول البلقان الصغيرة على تركيا وإرهاقها بشروط الصلح
(٦) ينعى إلينا ... الخ ، يشير إلى الأنباء البرقية التى تنقل شروط الصلح الظالم والناعى الذى لم يطأ أرضا ... الخ : هو سلك البرق (٧) الجوائب : الأخبار الطارئة ، جمع جائبة . (٨) اللمام : جمع لمة ، وهى المرة ، يقال : أنت ما تزورنا إلا لماما : أى من حين إلى حين .

بالأمس (أفريقا) تولت وانقضى ملكٌ على جيدِ الخضمّ جسام [١]
نظمَ الهلالُ به ممالكَ أربعاً أصبحن ليس لعقدِهن نِظام [٢]
من فتح هاشم أو أمية لم يضع آساسَها تترٌ ولا أعجام [٣]
واليومَ حكمُ اللهِ فى مقدونيا لا نقضَ فيه لنا ولا إبرام
كانت من الغَربِ البقيةَ فانقضت فعلى بَنى عثمانَ فيه سلام !



أخذَ المدائنَ والقُرى بخناقها جيشٌ من المتحالفين لهام [٤]
غصَّت به الأرض الفضاء وجوّها وكست مناكبَها به الآكام [٥]
تمشى المناكرُ بين أيدى خيله أنّى مشى ، والبغى والإجرام [٦]
ويحثّه باسم الكتاب أقِسّة نشطوا لما هو فى الكتابِ حرام [٧]
ومسيطرون على الممالك سُخِّرت لهم الشعوبُ كأنها أنعام [٨]
من كل جزارٍ يروم الصدرَ فى نادى الملوكِ وجدّه غنام [٩]

---

(١) الجيد : العنق . والخضم : البحر . وجسام : عظيم .

(٢) ممالك أربعا ، هن : مصر وطرابلس وتونس والجزائر .

(٣) من فتح هاشم أو أمية : أى هذه الممالك الأربع مما فتحه بنو هاشم وبنو أمية فى عصر الإسلام الأول . والآساس (بالمد) : جمع أساس . (٤) المتحالفون : هم دول البلقان : اليونان ورومانيا والبلغار والصرب ، تحالفوا على حرب الدولة التركية . واللهام، بضم : اللام الجيش العظيم ، كأنه يلتهم كل شىء . (٥) مناكبها : نواحيها : والآكام : التلال ، وقيل : هى الحجارة المجتمعة فى أمكنة واحدة . (٦) المناكر : جمع منكر ، وهو كل قول أو فعل ليس فيه رضى الله ، وأنى مشى : أى كيف مشى .

(٧) الأقسة : جمع قسيس . ونشطوا : خفوا وأسرعوا . (٨) ومسيطرون : أى ويحثه مسيطرون . والمسيطر : المسلط على الشىء ليشرف عليه ويتعهد أحواله . والمراد بهم ملوك دول البلقان .

(٩) يروم الصدر : يطلبه . والصدر ــ هنا ــ معناه أعلى أمكنة النادى .

سِكِّينُه ، ويمينُه ، وحِزامه ، والصولجان ، جميعها آثام (١)

*
* *

عيسى سبيلك رحمةٌ ومحبةٌ في العالمين وعصمةٌ وسلام
ما كنتَ سفاكَ الدماء ولا امرأً هانَ الضعاف عليه والأيتام (٢)
يا حاملَ الآلامِ عن هذا الورَى كثرَت عليه باسمك الآلام (٣)
أنتَ الذي جعل العبادَ جميعَهم رَحِماً ، وباسمك تقطع الأرحام
أنت القيامةُ في ولايةِ يوسفٍ واليومَ باسمِك مرتين تُقام (٤)
كم هاجه صيدُ الملوكِ وهاجَهم وتكافأ الفرسانُ والأعلام (٥)
البغي في دينِ الجميع دنيَّةٌ والسلمُ عهدٌ والقتالُ زِمام
واليوم يهتف بالصليبِ عصائبٌ هم الإله وروحِه ظُلَّام (٦)
خلطوا صليبَكَ والخناجرَ والمدى كلٌّ أداة للأذى وحِمام (٧)
أو ما تراهم ذبحوا جيرانهم بين البيوتِ كأنهم أغنام ؟
كم مُرضَع في حِجر نعمته غدا وله على حدّ السيوفِ فِطام (٨)

---

(١) الصولجان : المحجن ، وهو عصا منعطفة الرأس : (٢) سفاك الدماء : مريقها بكثرة . (٣) يشير بقوله : يا حامل الآلام . . الخ ، إلى ما يعتقده النصارى من أن السيد المسيح صلب ليحمل عن بني آدم خطيئتهم الأولى ، أي يا حامل الآلام فيما يزعمه هؤلاء السفاكون الذين يزعمون أنهم على طريقك . (٤) يوسف : هو السلطان يوسف صلاح الدين الأيوبي ، قامت في أيامه قيامة الصليبيين على المسلمين ، فحاربهم ونصره الله عليهم : (٥) هاجه : أثاره ، والضمير ليوسف . وصيد الملوك : جمع أصيد . وهو الملك ، لأنه لا يلتفت من زهوه يمينا ولا شمالا ، كالبعير الذي أصيب بداء الصيد في عنقه فلا يلتفت ؛ (٦) العصائب : جمع عصابة . وهي الجماعة من الرجال قيل ما بين العشرة والأربعين . وظلام : جمع ظالم . (٧) خلطوا صليبك ، أي الصلب الذي ينسبونه إليك . والحمام : الموت . (٨) كم مرضع : أي طفل ترضعه أمه . والفطام : فصله عن الرضاع .

وصبيّةٍ هُتكت خميلة طهرها ... وتناثرت عن نَوْرِه الأكمام (١)
وأخى ثمانينَ استُبيحَ وقارُه ... لم يُغن عنه الضعفُ والأعوام
وجريح حربٍ ظامئٍ وأدوه لم ... يعطفهُمُ جرحٌ دَمٍ وأُوام (٢)
ومهاجرينَ تنكرت أوطانُهم ... ضلوا السبيل من الذهول وهاموا (٣)
السيفُ إن ركبوا الفِرارَ سبيلهم ... والنِّطع إن طلبوا القَرار مُقام (٤)
يتلفّتون مودّعين ديارَهم ... واللحظُ ماءٌ ، والديار ضِرام (٥)

***

يا أمّـــة (بفروقَ) فرّق بينهم ... قدَرٌ تطيشُ إذا أتى الأحلام (٦)
فيم التخاذل بينكم ووراءكم ... أمم تضاع حقوقها وتضـــام ؟ (٧)
اللهُ يشهدُ لم أكن متحزّبًا ، ... فى الرّزء لا شِيَعٌ ولا أحزام (٨)
وإذا دعوتُ إلى الوئام فشاعرٌ ... أقصى منـــاه محبـــةٌ ووِئام (٩)
من تضجر البلوى فغاية جهده ... رُجعى إلى الأقدار واستِسلام (١٠)
لا يأخذنّ على العواقبِ بعضُكم ... بعضًا ، فقِدما جارتِ الأحكام

---

(١) الخميلة ، هنا : الدثار من المخمل ، وهو ثوب له وبر كالهداب ، أوهى الشجر الكثير الملتف . والنور : هو الزهر الأبيض ، والأكمام : جمع كم - بكسر الكاف - وهو غطاء النور . (٢) وأدوه : أى قتلوه ، كما تقتل البنت بالوأد ، وهو دفنها حية . وجرح دم ، أى يقطر منه الدم . والأوام : العطش ودوار الرأس .

(٣) هاموا : ذهبوا على وجوههم من الظلم ، فلا يدرون أين يتوجهون .

(٤) النطع : بساط من الجلد يفرش لمن يضرب عنقه . والقرار : المكان الذى يقرّ فيه الإنسان ، أو هو الثبات فى المكان والسكون فيه .

(٥) والديار ضرام : أى مشتعلة نارا . (٦) فروق : الآستانة . والأحلام: العقول . (٧) التخاذل . التدابر وأن يخذل بعضهم بعضا . (٨) الرزء : المصيبة والشيع : جمع شيعة ، وهى أتباع الرجل وأنصاره . والأحزام : الأحزاب .

(٩) الوئام : الوفاق . (١٠) رجعى إلى الأقدار : أى رجوع إليها .

تقضى على المرء الليالى أو له ... فالجدُ من سلطانها والذام (١)
من عادة التاريخ ملء قضائه ... عدلٌ وملء كنانتيه سهام (٢)
ماليس يدفعه المهندُ مصلتًا ... لا الكتبُ تدفعه ولا الأقلام (٣)
إن الألى فتحوا الفتوحَ جلائلا ... دخلوا على الأُسد الغياض وناموا (٤)
هذا جناه عليكم آباؤكم ... صبرًا وصفحًا ، فالجناةُ كرام (٥)
رفعوا على السيفِ البناء فلم يدم ... ما للبناء على السيوف دوام
أبقى الممالكِ ما المعارفُ أسه ... والعدلُ فيه حائطٌ ودعام (٦)
فإذا جرى رَشدًا ويمنًا أمركم ... فامسوا بنورِ العلم فهو زِمام
ودعوا التفاخر بالتراث ، وإن غلا ... فالمجدُ كسبٌ والزمانُ عِصام
إن الغرورَ إذا تملكَ أمةً ... كالزهرِ يُخفى الموتَ وهو زؤام (٧)
لا يعدلنَّ الملكَ فى شهواتكم ... عَرَض من الدنيا بدا وحطام (٨)
ومناصبٌ فى غير موضعها كما ... حلّت محلّ القدرة الأصنام (٩)
الملك مرتبة الشعوب فإن يفتْ ... عزُّ السيادة فالشعوب سَوام

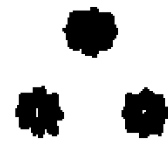
---

(١) الذام : الذم . (٢) الكنانتان : تثنية كنانة ، وهى جعبة السهام ، إما من الجلد وحده أو من الخشب وحده . (٣) المهند : السيف . ومصلتا : مجردا من غمده . (٤) الغياض : جمع غيضة ، وهى مجتمع الشجر فى مغيض ماء ، وهى أيضا الأجمة . المعنى أن أسلافكم قنعوا من البلاد التى فتحوها بمجرد الفتح والغلبة ولم يلتفتوا إلى أن أهلها يضمرون لهم العداوة ويتربصون بهم الدوائر .

(٥) هذا : أى ما أنتم فيه من عداوة . (٦) الدعام : عماد البيت .

(٧) كالزهر يخفى الموت : ذلك أن الزهر يتنفس فيفسد الهواء فى الأمكنة الضيقة فيحدث الاختناق ، والزؤام : السريع من الموت . (٨) عرض الدنيا : ما لا دوام له منها . وحطامها : ما فيها من مال كثير أو قليل . (٩) مناصب : جمع منصب ، بكسر الصاد ، وهو فى كلام المولدين ما يتولاه الرجل من العمل ، وأصله المقام . والأصنام : جمع صنم ، وهو تمثال إنسان أو حيوان يتخذ للعبادة .

- ومن البهائم مشبعٌ ومدلل ... ومن الحرير شكيمة ولجام
وقف الزمانُ بكم كموقف «طارق» ... اليأسُ خلفٌ والرجاء أمام [1]
الصبرُ والإقدام فيه إذا هما ... قتلا فأقتلُ منهما الإحجام
يُحصى الذليلُ مدى مطالبه ولا ... يُحصِى مدى المستقبِلِ المِقدام
هذى البقيةُ ، لو حرصتم ، دولةٌ ... صال الرشيدُ بها ، وطالَ هِشام [2]
قِسمُ الأئمة والخلائف قبلكم ... فى الأرضِ لم تُعدَل به الأقسام [3]
سرت النبوّةُ فى طهور فضائه ... ومشى عليه الوحى والإلهام
وتدفّق النهران فيه وأزهرت ... بغـــدادُ تحت ظلاله والشام [4]
أثرت سواحله ، وطابت أرضُه ... فالدرُّ لجٌّ ، والنضارُ رغام [5]



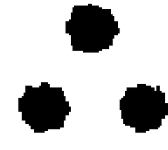
شرفًا أدرنةُ ! هكذا يقف الحمى ... للغاصبين ، وتثبتُ الأقدام [6]
وتُرد بالدم بقعةٌ أُخذت به ... ويموتُ دون عرينه الضِرغام [7]
والملكُ يؤخذ أو يُرَدُّ ولم يزل ... يرثُ الحسامَ على البلاد حسام [8]

---

(١) طارق : هو طارق بن زياد بطل الأندلس المشهور ، يروى بعض المؤرخين أنه لما عبر بجيشه البحر ليقاتل الأعداء أمر فأحرقت السفائن ثم خطب فى الجيش أن البحر وراءه والعدو أمامه فإذا نكص عن القتال وقع بين عدوين ليس منهما غير الهلاك . (٢) هذى البقية : أى ما بقى للأتراك من البلاد بعد حرب البلقان ولو حرصتم : أى ولو حرصتم عليها . والرشيد : هو هارون الرشيد الخليفة العباسى . وهشام : هو ابن عبد الملك أحد خلفاء بنى أمية . (٣) القسم (بكسر القاف) : النصيب . (٤) النهران : دجلة والفرات . وبغداد : حاضرة العراق .

(٥) أثرت : كثر فيها الغنى والمال . فالدر لج : أى كثير كاللج ، والنضار : الذهب . والرغام : التراب ، أى إنه لكثرته صار كالتراب . (٦) شرفا أدرنة : أي لقد شرفت شرفا . والحمى : ما يحمى من الشىء . (٧) العرين : مأوى الأسد . والضرغام : الأسد . (٨) الحسام : السيف .

عِرضُ الخلافةِ ذادَ عنه مجاهدٌ في اللهِ غازٍ ، وفي الرسول هُمام (١)
تستعصمُ الأوطان خلفَ ظُباته وتعزُّ حول قناته الأعــلام (٢)
(عثمانُ) في برديه يمنعُ جيشَه (وابنُ الوليد) على الحِمى قوّام (٣)
علمَ الزمانُ مكانَ (شكرى) وانتهى شكرُ الزمانِ إليه والإعظام (٤)



صبراً أدرنةُ ! كلُّ ملكٍ زائلٌ يوماً ويبقى المالكُ العلام (٥)
خفَتَ الأذانُ فما عليكِ موحِّد يَسعى، ولا الجُمعُ الحسانُ تُقام (٦)
وخَبَتْ مساجدُ كنّ نوراً جامعاً تمشى إليه الأُسدُ والآرام (٧)
يدرُجن في حَرمِ الصلاةِ قوانتا بيضَ الإزار كأنهنّ حَمام (٨)
وعفَت قبورُ الفاتحين وفضّ عن حُفَرِ الخلائفِ جندلٌ ورِجام (٩)
نبشتْ على قَعساءِ عزتها كما نبشتْ على آستعلائها الأهرام (١٠)
في ذمّةِ التاريخ خمســةُ أشهرٍ طالت عليكِ فكلُّ يومٍ عام (١١)

---

(١) العرض : جانب الرجل الذي يصونه من نفسه أو سلفه ، أو هو موضع المدح والذم منه . وذاد عنه العدو ودفعه . (٢) تستعصم : تلجأ وتمتنع : الظبات جمع ظبة : بضم الظاء ، وهي حد السيف . وتعز : تصير عزيزة مكرمة .

(٣) ابن الوليد : هو خالد بن الوليد قائد عظيم من الصحابة . (٤) شكرى : هو بطل أدرنة وقائد حاميتها الذي تولى الدفاع عنها أثناء شهور الحصار .

(٥) صبرا أدرنة : أي اصبري صبرا . (٦) خفت : سكن وانقطع . والموحد من يعتقد أن الله واحد لاشريك له ولا ولد . والجمع : هي صلوات الجمع الاسبوعية

(٧) خبت : سكنت ، والأسد : هم الرجال الذاهبون إلى المساجد ، والآرام : النساء الذاهبات اليها . والرئم : هو الظبي . (٨) يدرجن : يمشين ، والضمير للآرام في البيت المتقدم ، والقوانت : جمع قانتة ، من القنوت ، وهو الطاعة والدعاء .

(٩) عفت : اضمحلت وامحت : وفض جندل ورجام : أي كسر متفرقا والجندل الحجارة . والرجام : مايبنى عليه البئر وتعرض فوقه الخشبة للدلو . (١٠) العزة القعساء : المنيعة الثابتة . (١١) خمسة أشهر : هي مدة حصار أدرنة .

السيفُ عارٍ ، والوباءُ مسلَّطٌ ... والسيلُ خوفٌ والثلوجُ ركام (١)
والجوعُ فتاكٌ ، وفيكِ صحابةٌ ... لو لم يجوعوا فى الجهادِ لصاموا
ضنوا بعرضِك أن يُباعَ ويشترى ... عرضُ الحرائرِ ليس فيه سُوام (٢)
ضاق الحصارُ كأنما حلقاتُه ... فلَكٌ ، ومقذوفاتُها أجرام (٣)
ورمى العِدَى ، ورميهم بجهنم ... مما يصبُّ اللهُ لا الأقوام
بعتِ العدوّ بكلِّ شبرٍ مهجةً ... وكذا يُباعُ الملكُ حين يُرام (٤)
مازال بينكِ فى الحصارِ وبينَه ... شمُّ الحصونِ ومثلهنّ عِظام (٥)
حتى حواكِ مقابراً وحويتِه ... جُثثاً فلا غبنٌ ولا آستِذمام (٦)

٦٠١

ضيف أمير المؤمنين (*)

رضىَ المسلمون والإسلامُ ... فرعَ عثمانَ دُم فداكَ الدوام (٧)
كيف نُحصى على عُلاكَ ثناءً ... لك منك الثناءُ والإكرام

---

(١) السيف عار : أى مجرد من غمده كما يتجرد الإنسان من ثيابه ، والمراد أن القتال مستمر والوباء مسلط ، وهو الوباء الذى يحدث عادة فى كل مكان يكثر فيه القتل والقتال ويكون محصورا من الخارج . والسيل خوف : أى مخيف . والثلوج ركام . أى متراكم بعضها فوق بعض . (٢) الحرائر : جمع حرة . والسوام (بضم السين) أن لعرض السلعة ويذكر ثمنها . (٣) الفلك : مدار النجوم . والأجرام : الأجسام التى فى الفلك . (٤) المهجة : الروح أو دم القلب ، أى إن العدو لم ينلك إلا بعد أن بذل فى كل شبر من أرضك رجلا من رجاله . (٥) شم الحصون ، أى الحصون : العالية.

(٦) حواك : ملكك . واستذمام : فعل مايقضى الذم . والمعنى أن الحصون بقيت ثابتة بيدك وبين الأعداء كما كان بينك وبينهم من عظام القتلى أكوام كالحصون ، فلم يأخذك إلا بعد أن صرت مقابر لرجاله وصار رجاله جثثا هامدة ، وبهذا لم تفعل مافيه غبن ولا مايقضى الذم (*) نزل صاحب الديوان بالآستانة ، فبلغ أنه ضيف أمير المؤمنين ما أقام بها . (٧) فرع عثمان : هو السلطان عبد الحميد .

هل كلام العِباد فى الشمس إلا ... أنها الشمس ليس فيها كلام ؟
ومكان الإمام أعلى ولكن ... بأحاديثه يَتِيــه الأنام [1]
إيه « عبدَ الحميد » جلّ زمانٌ ... أنتَ فيه خليفة وإمام [2]
ما رأتْ مثلَ ذا الذى تبتنى الأقـ ... ـوامُ مجداً ولن يرى الأقوام
دولةٌ شاد ركنَها ألفُ عامٍ ... ومئاتٌ تَعيــدها أعوام [3]
وأساسٌ من عهدِ عثمانَ يُبنى ... فى ثمانٍ ، ومثلُهنّ يُقام
حكمةٌ حال كلُّ هذا التّجلى ... دونها أن تنالها الأفهام
يسأل الناسَ عندها الناسَ هل فى الـنّــاس ذو المقلةِ التى لا تنام ؟ [4]
أم من الناسِ بعدُ ، مَن قولُه وَحْـ ... ـيٌ كريمٌ وفعلُه إلهـــام [5]
صدق الخلقُ أنتَ هذا وهذا ... يا عظيما ما جازه إعظـــام [6]
شرفٌ باذخٌ وملكٌ كبيرٌ ... ويمينٌ بُسطٌ وأمرٌ جُسام [7]
(عُمَرٌ) أنتَ بيْدَ أنك ظلٌّ ... للبرايا وعصمةٌ وسـلام [8]
ما تتوجتَ بالخـــلافةِ حتى ... تُوِّجَ البائسون والأيتام

(١) يتيه : يتكبر. (٢) إيه : اسم فعل ، معناه الاستزادة من الحديث .
(٣) شاد ركنها ألف عام ومئات ، أى رفع ركنها ألف عام ومئات ، وهى دولة الإسلام منذ هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام . تعيدها أعوام : أى ترجعها إلى مثل قوتها أعوام معدودة ، هى التى توليت فيها أمرها . (٥) يسأل الناس عندها ، أى عند هذه الحكمة . والمعنى أن بعضهم يسأل بعضا : هل فيهم من هو مثلك ساهر على الملك فلا تنام عينه ؟ (٥) أم من الناس ، أى يسالون أيضا : أمنهم من يكون له ذكر بعدك أنت الذى يصدر عنك القول صادقا مطاعا كأنه الوحى ويصدر عنك الفعل صوابا كأنه إلهام من الله ، (٦) صدق الخلق : أى صدقوا فى الحالين ، فأنت الذى لا تنام عينك ، وأنت القائل الصدق والفاعل الصواب .
(٧) شرف باذخ : طويل . ويمين بسط (بضم الباء) : أى مبسوطة مطلقة ، كناية عن الجود والسخاء . أمر جسام ـ بضم الجيم : عظيم ضخم . (٨) عمر أنت : أى أنت كعمر بن الخطاب فى عدله وتقواه .

وسرى الخِصْبُ والنماءُ ووافى الـ ـبِشرُ والظلّ والجَنى والغَمام [1]
وتلقى الهلالَ منك جبين فيه حسنٌ وبالعفاةِ غَرام [2]
فسـلامٌ عليهـمُ وعليه يوم حيّتهـمُ به الأيام
وبدا الملكُ ملك عثمانَ من عَلـ ـياكَ فى الذّروة التى لا ترام [3]
يهرعُ العرشُ والملوكُ إليه وبنو العصر والولاة الفِخام [4]
هكذا الدهر حالةٌ ثم ضدٌّ ما لحالٍ مع الزمانِ دوام
ولأنتَ الذى رَعيّتُه الأُسْـ ـدُ ومسرى ظلالها الآجام [5]
أمّة التركِ والعراقُ وأهلو ه ولبنان والربى والخيام
عالمٌ لم يكن ليُنْظَم لولا أنكَ السّلم وسطه والوئام [6]
هذّبته السيوفُ فى الدهر واليو مَ أتممتْ تهذيبَه الأقلام [7]
أيقولون سَكرة لن تجلّى وقعودٌ مع الهوى وقيام ؟ [8]
ليذوقن للمُهلهِل صحوا تشرف الكأس عنده والمدام [9]

---

(١) الخصب : رغد العيش والجنى : ما يجنى من الشجر . (٢) وبالعفاة غرام : أى وفيه غرام بالعفاة . جمع عاف ، وهو طالب الفضل والرزق .

(٣) من علياك ، أى من عليائك والعلياء : ما علا من الشىء .

(٤) يهرع : يمشى إليه بسرعة والفخام : جمع فخم ، وهو العظيم القدر .

(٥) المسرى : السريان ، كما يسرى الماء ، أو السير عامة الليل . والآجام : جمع أجم ، وهو الشجر الكثير الملتف . (٦) ينظم ، أى ينتظم . والسلم : ضد الحرب . والوئام : الوفاق . (٧) هذبته : أصلحته . (٨) لن تجلى ، أى لن تنجلى ، تنفرج وتنكشف (٩) ليذوقن ، هنا قسم ، أى والله ليذوقن . والضمير فى هذا الفعل للجماعة ، يرجع إلى القائلين الذين يدل عليهم قوله « أيقولون » فى البيت المتقدم . والمهلهل ـ بكسر الهاء الثانية : هو عدى بن ربيعة أخو كليب بن ربيعة ، وكليب هذا كان من الرؤساء فى الجاهلية قتله جساس أخو امرأته ، وخبرهما مشهور فى أيام العرب وحروبهم وكان المهلهل صاحب شراب وقمار ونساء . فلما علم بقتل أخيه هجر النساء والغزل وحرم القمار والشراب وشغل عن هذا كله بالحرب وطلب الثأر . وإلى هذا يشير بقوله : ليذوقن للمهلهل صحوا ... الخ . أى ليذوقن صحوا كصحو المهلهل وحربا كالحرب التى أثارها .

وضع الشرق فى يديكَ يديه وأتت من حُماته الأقسام (١)
بالولاء الذى تُريد الأيادى والولاء الذى يُريد المقام (٢)
غيرَ غاوٍ أو خائن أو حسود برئت من أولئك الأحلام (٣)
كيف تُهدَى لما تشيدُ عيون فى الثرى ملؤُها حصًى ورغام (٤)
مُقَلٌ عانت الظلامَ طويلا فمناها فى أن يزولَ الظلام (٥)
قد تعيش النفوسُ فى الضيم حتى لترَى الضيمَ أنها لا تضام (٦)
أيها النافرونَ عودوا إلينا ولجوا البابَ إنه الإسلام (٧)
غرضٌ أنتمُ وفى الدهر سهمٌ يوم لا تدفعُ السهامَ السهام (٨)
نمتمُ ثم تطلبون المعالى والمعالى على النيامِ حرام (٩)
شرُّ عيشِ الرجال ما كان حُلما قد تسيغ المنيــةَ الأحلام (١٠)
ويبيت الزمان أندلسيا ثم يُضحِى وناسُه أعجام (١١)

***

عالىَ الباب هزَّ بابُك منا فسعينا وفى النفوسِ مرام (١٢)

---

(١) الحماة : جمع حام ، وهو المانع الدافع . والأقسام : الأيمان ، جمع قسم .

(٢) الذى تريد الأيادى ... الخ : أى أتوا يحثهم الولاء الذى تقتضيه أياديك عليهم ، جمع يد ، وهى النعمة ، والولاء الذى يستوجبه مقامك الرفيع . (٣) برئت من أولئك أى من هذه الأصناف الثلاثة . والأحلام : العقول . (٤) لما تشيد : لما تبنى والثرى : التراب ، وكذلك الرغام . (٥) مقل : جمع مقلة ، وهى العين .

(٦) الضيم : الظلم والقهر . (٧) النافرون : المتفرقون المتباعدون . لجوا : أدخلوا

(٨) الغرض : الهدف الذى يرمى إليه . (٩) المعالى : جمع معلاة (بفتح الميم) وهى الرفعة والشرف . (١٠) الحلم (بضم الحاء) : مايراه النائم ، جمعه أحلام .

(١١) أندلسيا ، أى كزمان الأندلس أيام عز العرب والإسلام فيها .

(١٢) عالى الباب ، أى يا من بابك العالى . هز بابك منا : أى هزنا . وفى النفوس مرام : مطلب .

وتجليتَ فاستلَمْنا كما النـّـاس بالركن ذى الجلالِ استلام (١)

استميحُ الإمام نصرًا لمصرٍ ... مثلما ينصرُ الحسامَ الحسام (٢)

فلمصرٍ وأنتَ بالحبّ أدرَى ... بكَ ياحامىَ الحمى استعصام (٣)

يشهدُ الله للنفوسِ بهــذا ... وكفاها أن يشهد العلّام

وإلى السيدِ الخليفةِ نشكو ... جورَ دهرٍ أحرارُه ظُلّام (٤)

وعدوها لنـا وعودًا كبارًا ... هل رأيتَ القرى علاها الجهام؟ (٥)

فملانا ولم يكُ الداء يحمى ... أن تملّ الأرواحُ والأجسام (٦)

يمنعُ القيد أن تقومَ، فهل تا ... جٌ؟ فبالتاج للبـلاد قِيام

فارفع الصوتَ إنها هىَ مصرٌ ... وارفع الصوتَ إنها الأهرام

وأرْعَ مصرًا ولم تزل خيرَ راعٍ ... فلهـا بالذى أرتكَ زمام

إن جهدَ الوفاءِ ما أنتَ آتٍ ... فليقم فى وفائِك الخُدام (٧)

وليصولوا بمن له الدهرُ عبدٌ ... وله السـعد تابعٌ وغلام (٨)

فاللواء الذى تلقوْا رفيعٌ ... والأمورُ التى تولوْا عِظام

من يُرد حقّه فللحقّ أنصا ... رٌ كثيرٌ وفى الزمانِ كِرام

لا تروقن نومةُ الحق للبـا ... غِى فللحق هبّة وانتقـام

---

(١) تجليت: ظهرت. والركن: ركن الكعبة. والاستلام: اللمس، إما بالقبلة أو باليد. (٢) استميح: نسأل. والحسام: السيف. (٣) الحمى: ماحمى من شىء. استعصام: استمساك. (٤) الجور: الظلم. وظلام: جمع ظالم.

(٥) القرى: جمع قرية. والجهام (بفتح الجيم): السحاب لاماء فيه. يعنى أن تلك الوعود كانت كالسحاب الذى لاخير فيه. (٦) ولم يك الداء يحمى.. الخ: أى لم يكن من شأن الداء أن يمنع الأرواح والأجساد من أن تمله وتسأمه.

(٧) إن جهد الوفاء: أى غاية الوفاء. ما أنت آت: آتيه وفاعله.

(٨) فليصولوا، أى فليسطوا بأمرك على من ظلموا مصر حتى يقهروهم.

إن للوحوشِ والعظامُ مناها ... لمنايا أسبابُهن العظام (١)
وافع الضادِ للسُّها هل قبولٌ ... فيباهى النجومَ هذا النظام (٢)
قامت الضادُ فى فمى لك حبًّا ... فهى فيه تحية وابتسام
إن فى «يلدزَ» الهدى لخلالا ... أنا صب بلُطفها مُستهام (٣)
قد تجلت لخيرِ بدرٍ أقلّت ... فى كمالٍ بدت له أعلام (٤)
فالزم التمّ أيها البدرُ دوما ... والزم البدرَ أيهذا التمام (٥)

ذكرى دنشواى (٥)

يا دِنشوايَ على رُباكِ سلامُ ... ذهبتْ بأُنسِ ربوعِكِ الأيامُ
شهداءُ حُكمكِ فى البلادِ تفرقوا ... هيهاتَ للشملِ الشتيتِ نظام
مرّتْ عليهم فى اللحود أهلة ... ومضى عليهم فى القيودِ العام
كيف الأراملُ فيكِ بعد رجالِها ... وبأىّ حالٍ أصبحَ الأيتام
عشرون بيتًا أقفرتْ وانتابَها ... بعد البشاشةِ وحشة وظلام
ياليتَ شعرى فى البروج حمائمٌ ... أم فى البروج منية وحِمام ؟
(نيرونَ) لو أدركتَ عهدَ (كرومر) ... لعرفتَ كيفَ تنفذ الأحكام !

---

(١) العظام : جمع عظم . ومناه جمع أمنية . ومنايا : جمع منية ، أى إن الوحوش تجد منيتها فى العظام وهى تطلبها للأكل والغذاء . (٢) الضاد : اللغة العربية . والسها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى وهذا النظام : أى الشعر .
(٣) يلدز : قصر السلطان عبد الحميد فى الآستانة . (٤) أقلت : حملت .
(٥) التم والتمام : الكمال .
(٥) قيلت بعد مرور عام على حادثة هذه القضية فى سبيل طلب العفو عن سجنائها

*
* *

نوحى حائمَ دنشوايَ وروّعى ... شعباً بوادى النيل ليس ينام
إن نامت الأحياء حالتْ بينه ... سَحَرًا وبين فراشه الأحلام
متوجعٌ يتمثلُ اليومَ الذى ... ضجتْ لشدةِ هوله الأقدام
السوطُ يعملُ والمشانقُ أربع ... متوحداتٌ والجنودُ قيام
والمستشارُ إلى الفظائع ناظرٌ ... تدمى جلودٌ حوله وعِظام
فى كل ناحية وكلّ محلةٍ ... جزعاً من الملأ الأسيفِ زِحام
وعلى وجوهِ الثاكلين كآبة ... وعلى وجوه الثاكلاتِ رَغام

٢٩

الهلال الأحمر(*)

يا قوم عثمانَ والدنيا مداولة ... تعاونوا بينكم يا قومَ عثمانا[1]
كونوا الجدارَ الذى يقوى الجدار به ... فالله قد جعلَ الإسلام بنيانا[2]
أمسى السبيل لغير المحسنين دما ... فشأنكم وسبيلاً نورهُ بانا
البر من شُعَبِ الإيمان أفضلُها ... لا يقبل اللهُ دون البر إيمانا[3]
هل ترحمونَ لعلّ الله يرحمُكم ... بالبيد أهلا وبالصحراء جيرانا ؟
فى ذمةِ الله أوفى ذمةٍ نفر ... على طرابُلس يقضون شجعانا[4]

(*) كانت جماعة الهلال الأحمر المصرية قد أحيت ليلة تجمع بها التبرعات لإعانة المقاتلين فى طرابلس الغرب من الجيش العثمانى حين أغارت إيطاليا عليها فقال فى ذلك هذه القصيدة

(١) مداولة . من داول الله الأيام بين الناس ، أى صرفها بينهم .

(٢) الجدار : الحائط . (٣) البر الخير والطاعة . والشعب . جمع شعبة ، وهى غصن الشجرة أو هى الطائفة من الشىء (٤) يقضون : يموتون .

إن سال جرحاهمُ من غُربة ووغى   باتوا على الجمرِ أرواحا وأبدانا (١)
هذا يحِنُّ إلى اليوسفور محتضرا   وذاكَ يبكى الغضا والشيح والبانا (٢)
يودّعون على بعدٍ ديارَهم   وينشدون بُنياتٍ وصبيانا (٣)
أذنبُهم عند هـذا الدهر أنهم   يحمُونَ أرضالهم دِيست وأوطانا؟
ماتوا وعِرضُهم الموفور بعدهم   والعرضُ لا عِزّ فى الدنيا إذاهانا (٤)
قومى. وجلت وجوهُ القوم، ضربكم   ألقتْ على كرماءِ الدهر نسيانا (٥)
لا تسألونَ عن الأعوان إن قعدوا   وتنهضون إلى الملهوفِ أعوانا (٦)
أكلما هزكم داعٍ لصالحةٍ   قمتم كهولا إلى الداعى وفتيانا؟ (٧)
لو صُوّرَ الشرقُ إنسانا أخاكرم   لكنتمُ الروحَ والأقوامُ جُثمانا (٨)
إذا هُززتم تلاقى السيفُ مُنْصلتاً   والريحُ مرسلةً والغيثُ هتّانا (٩)
إذا المكارمُ فى الدنيا أشِيد بها   كانت كتابا وكنا نحن عُنوانا (١٠)

---

(١) جرحاهم: أى الجرحى منهم. والوغى: الحرب. (٢) هذا يحن إلى البسفور ... الخ: أى من كان منهم تركيا يحن إلى بلاده التى كنى عنها بالبسفور، ومن كان عربيا بكى فرقة بلاده التى كنى عنها بالغضا والبان، وهما نوعان من الشجر ينبتان فى بلاد العرب، والشيح: هو نبات طيب الرائحة. والمحتضر: من حضرته الوفاة.

(٣) ينشدون بنيات ... الخ: يطلبونها ويسألون عنها، أى ينشدون بنياتهم وصبيانهم. (٤) ماتوا وعرضهم الموفور: أى ماتوا فى سبيل صيانة عرضهم فتركوه عزيزا موفورا (٥) قومى: أى ياقومى. وجلت وجوه القوم، أى وجوهكم. وهذه جملة معترضة بين المنادى وما كان من أجله النداء، وهو الإخبار بأنهم لما جاءوا بالخير العظيم نسى سواهم من الكرماء فى غير مصر فلم يعد لهم ذكر

(٦) لاتسألون: أى أنتم لاتسألون، وتنهضون: تقومون. والملهوف: المظلوم المستغيث. (٧) أكلما: الهمزة للاستفهام، وكلما هى لفظ «كل» مضافة إلى «ما» المصدرية الظرفية وهى حينئذ تفيد التكرار، ولصالحة: أى فعلة صالحة. والكهول: جمع كهل، وهو الرجل من أربع وثلاثين إلى إحدى وخمسين.

(٨) الجثمان: الجسم. (٩) السيف المنصلت: المجرد من غمده، والهتان: المنصب، (١٠) أشيد بها: أى ذكرت بالثناء عليها.

إن الحياة نهارٌ أو سحابتُه ... فعش نهارَكَ من دنياكَ إنسانا
أرى الكريمَ بوجدانٍ وعاطفةٍ ... ولا أرى لبخيل القومِ وجدانا (١)

* * *

هذا الهلالُ الذي تحيونَ ليلتَه ... أبهى الأهلةِ عندَ الله ألوانا (٢)
أراهُ من بينِ أعلامِ الوغى مَلَكا ... وما سواهُ من الأعلام شيطانا (٣)
قانٍ فقيه من الجرحى مُشاكلةٌ ... حتى إذا قيلَ ماتوا اخضرَّ ريحانا (٤)
لحامليه جلالٌ منه مقتبَسٌ ... كأنما رفعوا للناسِ قرآنا (٥)
كأن ما احمرَّ منه حول غُرتِه ... دمُ البريء ذكيِّ الشيب عثمانا (٦)
كأن ما ابيضَّ في أثناء حُمرته ... نورُ الشهيد الذي قد مات ظمآنا (٧)
كأنه شفقٌ تسمو العيون له ... قد قلَّدَ الأفقَ ياقوتاً ومَرجانا
كأنه من دم العُشاق مختضبٌ ... يُثيرُ حيث بدا وجداً وأشجانا (٨)
كأنه من جمالٍ رائعٍ وهُدًى ... خدودُ يوسفَ لما عفَّ ولهانا (٩)
كأنه وردةٌ حمراء زاهية ... في الخلدِ قد فتّحتْ في كفِّ رضوانا (١٠)

---

(١) الوجدان والعاطفة من استعمالات المولدين، يراد بهما الشعور القلبي .

(٢) الهلال : اسم لراية الدولة التركية ، وهي حمراء اللون في وسطها رسم الهلال بلون أبيض . (٣) أراه من بين أعلام الوغى ، أي من بين الأعلام المنشورة في الحرب . وملكا : أي كالملك في تنزهه وطهارة عمله ، وهو واحد الملائكة .

(٤) المشاكلة : المشابهة . (٥) الجلال : التناهي في عظم القدر . ومقتبس: متخذ ومستفاد . (٦) الغرة : بياض في جبهة الفرس قدر الدرهم . شبه بها رسم الهلال لأنه أبيض . وعثمان : هو الخليفة عثمان بن عفان . (٧) الأثناء : تضاعيف الشيء ومطاويه، واحدها ثني ، بكسر الثاء . (٨) مختضب : ملون . والوجد : الحب . والأشجان : الأحزان والهموم .

(٩) الجمال الرائع : الذي يروع الرائي ، أي يعجبه . ويوسف : هو يوسف الصديق . وعف : كف عما لا يحل . والولهان : الحزين ، أو الذي ذهب عقله حزنا .

(١٠) رضوان : من الملائكة وهو كما يقول الدين : موكل بأبواب الجنة

رومــــة(*)

صديقى المحترم :

صدرتُ (١) عن باريس وكأنها بابلُ ذاتُ البرج والجسر وهى فى دولتها ، أو طيبة (٢) فى الزمن الأول ، إلا أنها مدينة الشمس ، وباريسُ مدينة النور ، أو رومة (٣) مقرّ القياصر ، ومزدَحمُ الأجناسِ والعناصر ، وهى فى رِفعة مُلكها الفاخِر ، تموج بالأمم كالبحر الزاخر ، أو الإسكندرية (٤) ذات المسلة — والمسلة

(*) نظم صاحب الديوان هذه القصيدة وقدمها بكتاب إلى صديقه المؤرخ الأستاذ اسماعيل بك رأفت . (١) صدرت عن باريس : رجعت وانصرفت . وبابل : مدينة قديمة بناها بختنصر فى آسيا الصغرى ، وكان بها بناء عظيم ذو طبقات بعضها فوق بعض ، وهو ما يسمى برجا ، وقالوا فى صفته : إنه كان ذا طبقات طول كل من جوانب الطبقة الأولى يبلغ ٢٧٢ قدما وارتفاعها ٢٦ قدما ، وفوقها طبقة ثانية طول كل من جوانبها ٢٣٠ قدما وارتفاعها ٢٦ قدما . وكانت مائلة فوق الطبقة الأولى إلى الطرف الجنوبى الغربى . وكانت الطبقات الباقية موضوعة هذا الوضع وكان طول الثالثة ١٨٨ قدما وارتفاعها ٢٦ قدما. وكان طول الرابعة ١٤٦ والخامسة ١٠٤ والسادسة ٦٢ والسابعة ٢٠ ، وكان ارتفاع كل من هذه الطبقات الأربع الأخيرة ١٥ قدما . ويقولون إنه كانت هناك قنطرة أو قبة تغطى رأس الطبقة السابعة أو معظمه وكان ارتفاعها ١٥ قدما أيضا . وكان يتألف من ذلك كله هرم منحن أضعف ميله إلى الشمال الشرقى وأشده إلى الجنوب الغربى . وكان لكل طبقة لون مخصوص . ويزعمون أنه كان فوق هذا كله مذبح فيه مائدة ذهبية وفراش نفيس وكان ارتفاعه ١٥ قدما . وأما جسر بابل فيذكرون عنه أنه كان هناك نهر يشق المدينة من الشمال إلى الجنوب وكان على كل جانبى النهر سور له باب عند منتهى كل سوق من أسواق المدينة ، وكان فوق هذا النهر جسر واحد هو الجسر المنسوب إلى بابل ويذكرون لها عجائب أخرى كالبساتين المعلقة وسواها . (٢) طيبة : مدينة مصرية قديمة كانت مقر الملك فى بعض الأزمنة وكانت بها عبادة الشمس ، ولهذا سماها مدينة الشمس

(٣) رومة : عاصمة الدولة الإيطالية فى هذا الزمن ، وكانت مقر ملك الرومان فى الزمن القديم . والقياصر : جمع قيصر ، وهو لقب لكل ملك من ملوك الروم .

(٤) الإسكندرية : المدينة الثانية فى الدولة المصرية ، مشهورة فى التاريخ القديم بمسلاتها العجيبة . والمسلة التى فى باريس نقلها الفرنسيون حين أغاروا على البلاد المصرية منذ نحو قرن .

في باريس - وهي في ذروة سعدها ، وأوج كمالها ، تُغيرُ الشمسَ في سرير مجدها بجلالها وجمالها ، أو (بغداد)[1] في إبان إقبالها ، وسلطان أقيالها ، وأيمن أمرها ، وأسعدِ حالها ، فسبحان المنعم ، أعطى (مدينة المعرِض) الأسماء كلَّها ، وجلت قدرته ، بعث المدائن في واحدة .

رحلتُ عنها في اليوم الذي أسفرَ صباحُه عن ليلةِ الاحتفال بتوزيع الجوائز على العارضين ، وقد نالها منهم ستون ألفا أو يزيدون ، كلهم من مشهوري الصُناع ، وكبار المخترعين ، شيعوا في ذلك جنازةَ القرن التاسع عشر ومشى الخلائق فيها حتى دفناه وكأنه نهار مرّ ، أو ليلة تقضت بالسمر[2] ، ثم انقلبنا ننفض الأنامل من ترابه ، ونذكر من محاسنه أنه جيلٌ واضح الغُررِ والتحجيل[3] ، يذكره التاريخ بالتعظيم والتبجيل ، قام العلم فيه على أمتن بُنيان ، ورفِعت الحجبُ بين الحقائق والإنسان ، ضُربت له أطول سماءٍ من ضروب العرفان ، واستمدَ من القادر[4] مبالغ الإمكان ، فاقتادَ البرَّ بشعرة ، وزمّ البحر بإبرة[5] ، وفرّق[6] الأرض وبلغ الجبال ، وأوشك أن يمدّ إلى السماء بحبال ، ونفذَ على النجم المدى ووجد على القطب هدى ، وغاص على الحروب الماء ، وركب إلى الوقائع الهواء ، وكسر شِرّة الداء[7] ، وقتل قتّاله وراض العياء ، ودخلَ بصرُه على الجسم الأحشاء وأنطق الآلة الصماء ، ونقل الحديث من فضاء إلى فضاء ، على انقطاع الصلةِ بين النطق والإصغاء ، وحرّك الصورَ

---

(١) بغداد : عاصمة العراق العربي ، كانت مقر ملك الدولة العباسية ، وسلطان أقيالها : قوة ملوكها . وأيمن أمرها ، أي أتم أمرها يمنا وبركة .

(٢) السمر : حديث الليل . (٣) الغرر : جمع غرة ، وهي بياض قدر الدرهم في جبهة الفرس . والتحجيل : بياض في قوائم الفرس أيضا . (٤) القادر : اسم من أسماء الله تعالى . (٥) زم البحر : من قولهم زم الشيء ، إذا شده وجمعه .

(٦) فرق الأرض ، بتخفيف الراء : فصلها وأبان مسالكها .

(٧) الداء العياء : الذي لا برء منه .

وهى هباء ، إذا رأيتها حسبتها جماعة الأحياء ، ونال سرائرَ الحوْباء[1] ، وخاض فى الطبائع[2] والأهواء ، فانكشف له الغطاء ، وبرحَ الخفاء[3] ، ونثر فكاد يُوحَى إليه فى الإنشاء ، ونظم فلم يَدعْ من آية فى الأرض ولا فى السماء .

كل هذا أيها الأستاذ عرضته (باريسُ) للناس فى خير معرِض أخرِج لهم ، فواهًا[4] له من سوق ثم ينفضّ ، ويا أسفا على بنيانه يوم ينقضّ .

برحتُها وهى تجرّ الذيلَ على المدائن الكُبَر[5] ؛ وتزرى بالحضارات ماحضر منها وما غبر[6] ، وقصدت إلى رومةَ لعلى أردّ النفسَ إلى الخشوع ، وأداوى الفؤاد من نشوة اغتراره بما رأى ، فبلغتها وإذا أنا بين أثر يكاد يتكلم ، وحجرٍ كان لكرامته يُستَلَم[7] فوقفت أتأمل ذا الجدارَ وذا الجدار[8] ، وأنشد[9] ذلك القصرَ وتلك الدار ، إلى أن ثار الشعر ، والشعر ابن أبوين : « التاريخ والطبيعة » فنظمت وكأنى بها فى يديك تقرأ :

أحبُّ التوفيق إلىّ أيها الأستاذ إكرامُ العالم وإجلال الصديق ، وأنت لى بحمد الله هذان كلاهما ، فهل تمنّ بقبول هدية هى إلى التاريخ أدنى منها إلى الشعر ؟ :

---

(١) السرائر : جمع سريرة ، وهى السر الذى يكتم . والحوباء : النفس .

(٢) الطبائع : جمع طبيعة ، وهى السجية التى جبل عليها الإنسان ، وقيل هى القوة السارية فى الأجسام التى بها يصل الجسم إلى كماله الطبيعى .

(٣) برح الخفاء : أى وضح .

(٤) واها : كلمة للتعجب من طيب كل شىء ، أى ما أطيبه ، وتكون للتلهف والتفجع أيضا ، يقال : واها على ما فات .

(٥) الكبر : جمع كبرى .

(٦) تزرى : تضع منها أو تصغر شأنها . وما غبر : ما مضى .

(٧) استلم الحجر : لمسه بالقبلة أو باليد . (٨) الجدار : الحائط .

(٩) أنشد ذلك القصر ... الخ ، أسأل عنه أو أطلبه .

*

قف بروما وشاهد الأمرَ واشهد ... أن للملكِ مالكا سبحانه
دولةٌ فى الثرى وأنقاضُ مُلكٍ ... هدمَ الدهرُ فى العُــلا بنيانه (١)
مَزقت تاجه الخطوبُ وألقت ... فى الترابِ الذى أرى صولجانه (٢)
طالل عنـد دمنةٍ عنـد رسمٍ ... ككتاب محا البلى عُنوانه (٣)
وتمـاثيلُ كالحقائقِ تزدا ... دُ وضوحاً على المدى وإبانه (٤)
من رآها يقول هذى ملوك الـدهرِ، هـــذا وقارُهم والرزانه (٥)
وبقايا هياكلٍ وقصورٍ ... بين أخـذِ البِـلى ودفعِ المتانه (٦)
عبثَ الدهرُ بالحوارىِّ فيهـا ... و«بيلوسَ» لم يهب أرجوانه (٧)
وجرت هاهنا أمورٌ كبارٌ ... واصلَ الدهرُ بعدها جَريانه
راح دينٌ وجاء دينٌ وولى ... ملكُ قومٍ وحلَّ ملك مكانه (٨)
والذى حصّلَ المجدون إهرا ... قُ دماءٍ خليقةٍ بالصـــيانه (٩)

---

(١) الثرى التراب. والأنقاض: جمع نقض، بضم النون، وهى ما انقض من البنيان. والعلا: الرفعة والشرف. (٢) الصولجان: هو المحجن، وهو عصا منعطفة الرأس (٣) الطالل. ماشخص من آثار الديار. والدمنة: آثار الديار أيضا والرسم: ما كان لاحقا بالأرض من آثار الدار (٤) تماثيل: جمع تمثال، بكسر التاء. والإبانة الإيضاح. (٥) الوقار والرزانة، بمعنى واحد، وهو الحلم والعظمة. (٦) هياكل: جمع هيكل، وهو هنا إما البناء المرتفع وإما بيت الأصنام. (٧) الحوارى: الناصر والناصح أيضا. وبيلوس: هو بيلوس قيصر أحد قياصرة الرومان الأقدمين. والأرجوان: صبغ أحمر؛ وقيل هو الحمرة من الألوان. والمراد به هنا الدم لحمرته، كناية عن القوة التى يستحل صاحبها سفك الدماء. (٨) وراح دين: ذهب، وهو دين الرومان قبل النصرانية. وجاء دين: وهو النصرانية. وولى ملك الرومان الأقدمين وحل مكانه ملك الغالبين بعد ذلك التاريخ. (٩) والذى حصل المجدون ... الخ، أى إن أولئك الذين سعوا بالحرب والقتال ليحلوا فى رومة دينا بدل دين ويقيموا ملكا جديدا على أنقاض ملك ذاهب لم يجنوا من ذلك كله ثمرة إلا إراقة دماء البشر التى تستحق الصيانة والحفظ.

ليت شعرى إلامَ يقتتل النا ... سُ على ذى الدَّنِيَّةِ الفتانه (١)

بلد كان للنصارى قَتَادا ... صار مُلكَ القُسوسِ عرشَ الديانه (٢)

وشُعوبٌ يمحون آيةَ عِيسى ... ثم يُعلون فى البَرِيةِ شانه

ويُهينون صاحبَ الروحِ مَيْتاً ... ويعزُّون بعدَه أكفانه (٣)

عالَمٌ قُلَّبٌ وأحلام خَلْقٍ ... تتبارى غباوةً وفطانه (٤)

رومةُ الزهْوِ فى الشرائعِ ، والحكـ ... ـمةِ فى الحُكم ، والهوى والمجانه (٥)

والتَّناهى فما تعدّى عزيزاً ... فيكِ عزٌّ ولا مَهيناً مهانه (٦)

ما الحىّ لم يُمس منك قبيلٌ ... أو بلادٌ يعدُّها أوطانه (٧)

يصبحُ الناسُ فيكِ مولًى وعبداً ... ويرى عندكِ الورى غِلمانه (٨)

أينَ مُلكٌ فى الشرقِ والغربِ عالٍ ... تحسُدُ الشمسُ فى الضُّحى سلطانه ؟ (٩)

قادرٌ يمسخُ الممالكَ أعما ... لا ويعطى وسيعها أعوانه (١٠)

أين مال جَبيتِهِ ورعايا ... كلهم خازنٌ وأنتِ الخزانه ؟ (١١)

---

(١) الدنية الفتانة : هى الدنيا . (٢) القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر . والمراد أن وصولهم إليه كان صعبا شاقا كالمشقة التى يجدها الإنسان من القتاد فى خوطه وإشاكته.

(٣) المعنى فى هذا البيت والبيت الذى قبله أنهم يخالفون شريعة عيسى بينما يدعون تعظيمه . (٤) القلب ـ بتشديد اللام : المحتال .

(٥) الزهو : المنظر الحسن والكبر والتيه والفخر . والمجانة : الهزل .

(٦) التناهى بلوغ النهاية . فما تعدى عزيزا . الخ أى إنك بلغت النهاية فى كل شىء فمن كان فيك عزيزا لم يفته من أسباب العز ، ومن كان مهينا لم يفته شىء من موجبات المهانة . (٧) أى لم يكن لغير أهلك عشيرة يعتزون بها ولا بلاد يتخذونها وطنا يلجأون إليه ، لأنك أسقطت العشائر والعصبيات وغلبت الجميع على أوطانهم .

(٨) يصبح الناس فيك . الخ : يعنى إن أهلك كانوا سادة وعبيدا ، وكان للعبيد على الأجانب عز السادة وسلطانهم . (٩) سلطانه : قوته . (١٠) قادر : وصف للملك فى البيت المتقدم . ويمسخ الممالك أعمالا : أى يحولها أعمالا . والأعمال : ما يكون من البلاد تحت حكم المملكة ومضافا إليها . (١١) جبيته : جمعته .

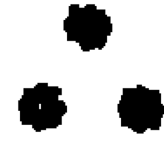
أين أشرافُكِ الذين طغَوا فى الـدّهـرِ حـتى أذاقَهم طغيانه؟[1]
أين قاضيكِ ؟ ما أناخَ عليه ؟ أين ناديكِ ؟ ما دهاشيخانه؟[2]
قد رأينا عليكِ آثارَ حزنٍ ومن الدور ما ترى أحزانه
اقصِرى واسألى عن الدهرِ مصراً هل قضت مرتين منه اللُّبانه[3]
إنّ من فرّقَ العبادَ شعوباً جعـلَ القِسطَ بينهـا ميزانه[4]
هَبْكِ أفنَيتِ بالحدادِ الليـالى لن تَردّى على الوَرى رومانه[5]

على قبر نابليون

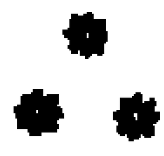
قِفْ على كنزٍ بباريسَ دفينْ من فريدٍ فى المعالى وثمين
وافتقِدْ جوهرةً من شرف صَـدَفُ الدهر بتِرْبيها ضنين[6]
قد توارتْ فى الثرى حتى إذا قدُمَ العهـدُ توارت فى السنين
غُرِّبَتْ حتى إذا ما استيأستْ دنتِ الدارُ ولكن لات حين
لم تُذِبْ نارُ الوغى ياقوتَهـا وأذابتْه تبـاريحُ الحنـين[7]
لا تلوموها ؟ أليستْ حـرّةً وهوَى الأوطانِ للأحرارِ دين؟

(١) الأشراف : جمع شريف ، وكانت فى رومه لعهدها القديم طائفة الأشراف تسودت على من عداها ونشأ بذلك فى الشعب فريقان منفصلان : هما فريق السادة المسيطرين وفريق العامة المسخرين . (٢) أين ناديك : المراد به دار ندوة الرومان ، وكانت هى ما نسميه الآن فى النظم الدستورية مجلس الشيوخ . وما دهى : ما أصاب وشيخانه : جمع شيخ ، وهو الرجل تتألف منه ومن سواه جماعة المجلس . (٣) اقصرى : أى انتهى عند هذا الحد وأمسكى عن الاسترسال . واللبانة : الحاجة . (٤) القسط : العدل (٥) هبك : اسم فعل ، أى افرضى أنك أفنيت . . . الخ

(٦) الترب : اللدة والنظير ، والتثنية هنا فى معنى الإفراد . (٧) تباريح الشوق : توجعه ، على أنه جمع لا مفرد له ، أو هو جمع تبريح .



غيَّبتْ باريسُ ذخـــراً ومضى ... تُرْبُها القيِّمُ بالحرزِ الحصـــين (١)
نَزلَ الأرضَ ولكن بعد ما ... نزلَ التاريخَ قبرَ النـــابغين
أعظُمُ الليثِ تلقَّـــاها الشَّرَى ... ورُفاتُ النَّسْرِ حازته الوكون (٢)
وحوَى الغِمدُ بقايا صـــارِمٍ ... لم تُقَلِّبْ مثلَه أيدى القيون (٣)
شـــيَّدَ الناسُ عليه وبنـــوْا ... حائطَ الشكِّ على أُسِّ اليقين (٤)
لستَ تُحصِى حـــوله ألوِيَةً ... أُسِرتْ أمسِ وراياتِ سُبِين (٥)
نامَ عنهـــا وهى فى سُـــدَّتِه ... دَيْدُبانٌ ساهِرُ الجَفنِ أمين
وكأيٍّ من عـــدوٍّ كاشِحٍ ... لك بالأمس هو اليوم خـــدين (٦)
ووليٍّ كان يسقيك الهـــوى ... عسلا قد بات يسقيك الوزين (٧)
فإذا استكرمْتَ وُدًّا فاتهِـــمْ ... جوهرُ الوُدِّ وإن صحَّ ظنين (٨)



مَرْمَرٌ أضجـــعَ فى مَسْنُونِه ... حجرُ الأرض وضِرغامُ العرين (٩)
جلَّلتـــه هيبةُ الثـــاوى به ... رَوعةَ الحكمةِ فى الشِّعر الرصين (١٠)

---

(١) الحرز : الموضع الحصين . (٢) الشرى : مأسدة بجانب الفرات يضرب بها المثل . والوكون : جمع وكن ، وهو عش الطائر فى جبل أو جدار . (٣) الصارم : السيف القاطع . والقيون جمع قين . وهو صانع الحديد . والشرى والوكون والغمد : كلها فى هذين البيتين كنايات عن باريس . (٤) حائط الشك : كناية عن القبر . وأس اليقين : هو الموت الذى يتمثل فيما يضمه القبر من رفات . (٥) يشير إلى تلك الأعلام غنمها نابليون فى حروبه ، ثم وضعت على قبر رمزا لما نال فى هذه الحروب من نصر وتوفيق . (٦) العدو الكاشح : هو الباطن العداوة . والخدين : هو الصاحب والحبيب .

(٧) الوزين : حب الحنظل المطحون . (٨) الظنين : المتهم .

(٩) المرمر المسنون : المصقول . وحجر الأرض : كناية عن محورها ، والمراد به نابليون والضرغام : الأسد . (١٠) الثاوى : المقيم .

هل درى المرمرُ ماذا تحتــه ... من قوى نفس ومن خُلق متين ؟
أيها الغالون في أجداثهم ... ابحثوا في الأرض : هل عيسى دفين ؟[١]
يمّحي الميْتُ ويبلَى رمسُــه ... ويَغولُ الرَّبعَ ما غالَ القطــين[٢]
حصّنوا ما شئتم موتاكم ! ... هل وراء الموتِ من حصنٍ حصين ؟
ليس في قبرٍ وإن نالَ السها ... ما يزيدُ الميت وزنا ويزين[٣]
فانزِل التــاريخَ قبرًا أو فنمْ ... في الثرى غفلا كبعض الهامدين[٤]
واخدَعِ الأحياء ما شئت فلن ... تجِدَ التــاريخَ في المنخدعين

***

يا عصاميًّا حوى المجد سوى ... فَضْلةٍ قد قسّمت في المُعرقين[٥]
أمّك النفسُ قديمًا أكرمت ... وأبوكَ الفضلُ خيرُ المُنجبين[٦]
نَسَبُ البدرِ أو الشمس ـ إذا ... جيء بالآباء ـ مغمورٌ رهين
وأصولُ الخمر ما أزكى على ... خُبثِ ما قد فعلتْ بالشاربين
لا يَقولنّ امرؤٌ أصلى فما ... أصله مِسْكٌ وأصل الناس طين ✓
قد تتوّجتَ فقــالتْ أمّةٌ : ... ولدُ الثــورةِ عقّ الثائرين
وتزوّجتَ فقــالوا : ماله ... ولحورٍ من بنات المُلْك عين ؟[٧]
قسمًا لو قــدَروا ما احتشموا ... لا يَعِفُّ النــاسُ إلا عاجزين

***

---

(١) الغالون : جمع غال ، وهو المسرف . (٢) يمحى ، أي يزول . والرمس : القبر . والقطين : السكان (٣) السها : كوكب من بنات نعش الصغرى يضرب به المثل في السمو والارتفاع . (٤) غفلا : أي مجهولا . (٥) الفضلة : البقية من كل شيء . والمعرق : العريق في الأصل . (٦) أكرمت : أي ولدت كراما .
(٧) يشير إلى زواجه من ماري لويز ابنة إمبراطور النمسا .

أرأيتَ الخيرَ وافى أمّةً ... لم ينالوا حظّهم فى النابغين
يصلحُ الملكُ على طائفةٍ ... هم جمالُ الأرض حينا بعد حين
ملأوا الدنيا ، على قِلّتهم ... وقديمًا مُلئتْ بالمرسلين
يحسُنُ الدهرُ بهم ما طلعوا ... وبهم يزداد حسنًا آفلين (١)
قد أقاموا قدوةً صالحةً ... ومضَوا أمثلةً للمحتذين
إنما الأسوة - والدنيا أسًى - ... سببُ العُمرانِ نظمُ العالمين (٢)
يا صريعَ الموتِ ندمانَ البِلَى ... كلُّ حيّ بالذى ذقتَ رهين (٣)
كدت من قتلِ المنايا خبرة ... تعلَمُ الآجال أيان تحين (٤)
يا مُبيدَ الأسدِ فى آجامها ... هل أبادتْ خيلكَ الدودَ المهين ؟
يا عزيز السجن بالبابا إلى ... كم تردّى فى الثرى ذلَّ السجين ؟ (٥)
ربَّ يومٍ لكَ جَلّى وانثنى ... سائلَ الغرة ممسوحَ الجبين (٦)
أحرزَ الغاية نصرًا غاليًا ... لفرنسا وحوى الفتحَ الثمين
قيصرا الأنسابِ فيه نازلا ... قيصرَ النفسِ عصامَ المالكين (٧)
مُجلِسَ التاجِ على مَفرِقِه ... بيديْه لا بأيدى المُجلسين (٨)

(١) أفول النجم : غروبه والمراد به هنا الموت . (٢) الأسوة : القدوة ، وجمعها أسى . الندمان : النديم على الشراب . وندمان البلى ، كناية عن الميت .

(٤) يشير إلى قول نابليون : « إن الرصاصة التى تخترق هذا الصدر لم تخلق بعد » . يقول : إنك لكثرة ما اختبرت المنايا بقتل أعدائك أصبحت تعرف متى تحين الآجال.

(٥) يشير إلى ما فعل نابليون بالبابا . (٦) جلى : سبق . والغرة - فى جبين الفرس: بياض . ومسيح الجبين : عادة لسواس الخيل يأتونها بعد سبق جيادهم فى حلبة الرهان. ولا يخفى ما فى البيت كله من مراعاة النظير . (٧) يريد بقيصر الأنساب : ملكى الروسيا والنمسا ، وقد ولدا للملك والسلطان . وقيصر النفس : نابليون ، وهو الذى سود نفسه ولم تسوده الأنساب . (٨) الإشارة إلى نابليون ، يشير إلى أنه هو الذى توج نفسه بيده يوم قدم إليه التاج ، ولم ير لأحد ممن قدموه له حقا فى هذا العمل .

حول (أسترلتز) كان الملتقى ... واصطدام النسر بالمستلسرين (١)
وُضع الشطرنجُ فاستقبلته ... بينانٍ عابثٍ باللاعبين
فإذا المَلْكان هذا خاضعٌ ... لك فى الجمع وهذا مستكين (٢)
صِدْتَ شاهَ الروس والنمسا معاً ... من رأى شاهَيْنِ صِيدا فى كمين ؟

* * *

يا مُلَقى النصرِ فى أحلامِه ... أين من وادى الكرى (سنت هِلين) ؟ (٣)
يا مُنيل التاج فى المهد ابنَه ... ما الذى غرّك بالغيبِ الجنين ؟ (٤)
اتّئِدْ فى أمةٍ أرهقتَها ... إنها كالناس من ماءٍ وطين
أتعبَ الريحَ مَدَى ما سلكتْ ... من سهولٍ وأجازت من حُزون (٥)
من أديم يهرأ الدبّ إلى ... فلواتٍ تُنضِج الضبَّ الكنين (٦)
لك فى كلّ مُغارٍ غارُه ... وعليها الدمعُ فيه والأنين (٧)
ومن المكرِ تغنّيكَ بها ... هل يزكّى الذِّبحَ غيرُ الذابحين ؟ (٨)
ثُغَرَ الناسِ وإن لم يشعروا ... لقوىٍّ أو غنىٍّ أو مُبين
والجماعاتُ ثنايا المرتقى ... فى المعالى وجُسورُ العابرين

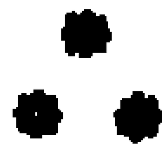
* * *

يا خطيبَ الدهرِ هل مال البِلَى ... بلسانٍ كان ميزانَ الشئون ؟

---

(١) أسترليتز : موقعة من المواقع التى انتصر فيها نابليون ، (٢) الملك : بتسكين اللام ، هو الملك . (٣) سانت هيلين : الجزيرة التى نفى إليها نابليون .
(٤) يشير إلى قول نابليون يوم بشر بولى عهده أو كما سماه « ملك رومة » : المستقبل لى . (٥) الحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض .
(٦) الأديم ـ هنا : سطح الأرض . وهرأ اللحم : أنضجه . والكنين : المستور فى جحره . (٧) المغار : الغارة على الأعداء . والغار : ورق الكروم ، وقد كان يتخذ منه إكليل للفاتح المنصور عند القدماء . (٨) التزكية : المدح . والذبح : ما ذبح .

تُرْجِح السلمُ إذا حرّكته ... كِفّةً أو تُرْجِحُ الحربُ الزَّبون
خُطبٌ لاصوتَ إلا دونها ... فى صداها الخيلُ تجرى والسنين
من قصيرِ اللفظِ فى مكرِ النُّهى ... وطويلِ الرُّمحِ فى كيدِ الوتين
غيرَ وضّاعٍ ولا واشٍ ولا ... مُنكَرِ القولِ ولا لَغوِ اليمين
سِرْنَ أمثالا فلو لم يُحيهِ ... سيفُهُ أحيينَه فى الغابرين [1]



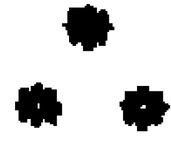
قمْ إلى الأهرام واخشع واطّرحْ ... خيلَةَ الصّيد وزهوَ الفاتحين [2]
وتمهّلْ إنما تمشى إلى ... حَرمِ الدهرِ ومحرابِ القرون
هو كالصخرةِ عند القبط أو ... كالحطيم الطهر عند المسلمين
وتسنّمْ مِنبراً من حَجَرٍ ... لم يكنْ قبلَكَ حظ الخاطبين
وادْعُ أجيالا تولت يسمعوا ... لك وابعثْ فى الأوالى حاشرين
وأعِدْها كلماتٍ أربعاً ... قد أحاطت بالقرون الأربعين [3]
ألهبت خيلاً وحضّت فيلقاً ... وأحالت عسلا صابَ المَنون
قد عرَضْتَ الدهرَ والجيشَ معاً ... غاية قصّرَ عنها الفاتحون
ما علمنا قائداً فى موطِنٍ ... صفَحَ الدهرَ وصفّ الدارعين [4]
فترى الأحياءَ فى مُعتَرَكٍ ... وترى الموتى عليهم مُشرِفين
عظةٌ قومى بها أولى وإن ... بَعُدَ العهدُ ، فهل يعتبرون ؟
هذه الأهرامُ تاريخُهمُ ... كيف من تاريخهم لا يستحون !

---

(١) الغابر : الماضى والآتى ، من أسماء الأضداد . (٢) الصيد : الملوك .

(٣) يشير إلى تلك الجملة المشهورة التى قالها وهو على قمة الهرم يشجع جنوده البواسل : « أيها الجنود : إن أربعين قرنا تنظر إليكم من قمة الأهرام » .

(٤) صفح الكتاب : قلب صفحاته .



يا كثيرَ الصّيدِ للصّيد العلا ... قم تأمل كيف صادتْك المنون

قم تَر الدنيــا كما غادرتَهــا ... منزلَ الغدرِ وماء الخــادعين

وترَ الحــق عزيزاً في القنا ... هيّناً في العزْل المستضعفين[1]

وترَ الأمر يداً فوق يدٍ ... وتر الناسَ ذئاباً وضئين[2]

وتر العزْ لسـيفٍ نزِقٍ ... في بناء الملكِ أو رأى رزين

ســن كانت ، ونَظمٌ لم يزل ... وفســادٌ فوق باع المصلحين

دمعة وابتسامة(*)

ارفعي السّتر وحيّي بالجبينْ ... وأرينا فلق الصبح المبينْ[3]

وقفي الهوْدجَ فينا ساعةً ... نقتبِسْ من نورِ أمّ المحسنين[4]

واتركي فضلَ زماميهِ لنا ... نتناوبْ نحنُ والروح الأمين[5]

قد سُقينا بمحيّاكِ الحيا ... ولقينا حولَ يُمناكِ اليمين[6]

مَقْدَمٌ قد قرنَ الخيرُ به ... ربّ خيرٍ في وجوهِ القادمين

قَسماً ما الخيرُ إلا وجهةٌ ... هي هذا الوجهُ للمستقبلين

---

(١) القنا : جمع قناة ، وهي الرمح . (٢) الضئين : الغنم .

(*) عادت صاحبة السمو أم المحسنين والدة الخديو السابق عباس الثاني بعد غيبة طويلة في تركيا وسبقها إلى العدوة رفات حفيدها المرحوم الأمير عبد القادر وفي هذه القصيدة تهنئة لها بعودتها ، وتعزية عن الأمير الفقيد ، وإشارة إلى قطعة من تاريخ تركيا الحديث.

(٣) فلق الصبح : أوله . (٤) الهودج : محمل له قبة يركب فيه النساء .

(٥) الروح الأمين : جبريل . (٦) الحيا : المطر . واليمن : الخير والبركة .

(*) حذفت من الشوقيات بالكامل منذ عام ١٩٥٦ ص ٣٠١ .

أمسك النيلُ، فلما بُشرتْ بك مصرُ عاد فياض اليمين
أترع الوادى كما أترعته وتبارى التبر والماء المعين (١)
برِئ الرّفق من السيف الذى منع الأمّ مُلاقاة البنين (٢)
حجب النعمةَ حتى وجدَت بينها سدًّا وبين الشاكرين
قهرَ الأيتامَ فى عيدِ النّدى مهرجانِ البر عُرسِ البائسين
قد مشينا بين حَدّيهِ إلى ركبِك المحروس بالله المعين
خطرَ السترُ فكبرنا كما خطر المصحفُ بين التابعين
وحدَوناهُ إلى محرابِه وأنخناهُ لدى الخدر الكنين (٣)
وإذا القصرُ سناهُ وسنا وإذا هالاته عز مكين (٤)
وإذا الدنيا عليه سمحةٌ تُسفِرُ الآمال عنها وتَبينُ (٥)
فأطَفنا بالندى واستلمتْ سُدّةَ المعروفِ أيدى اللائذين (٦)

* * *

يا مثالا للعقيلاتِ العُلا وكمالا لنساءِ العالمين (٧)
وجمالا نزلتْ آيتُه من حجابِ اللهِ والحصنِ الحصين
مَلكتْ نفسُك حتى سئِمَتْ ضَجّةَ الملكِ وهمَّ المالِكين
دولةٌ مُهّدتِ فى كرسيِّها وحملتِ التاجَ فيها أربعين (٨)

---

(١) أترع الوادى : ملأه . والمعين : الجارى . (٢) يريد بالسيف : القوة التى حالت بينها وبين العودة إلى البلاد . (٣) حدا الإبل وأحدا بها : ساقها وغنى لها . وأناخ الجمل : أبركه . والكنين : المصون .

(٤) السناء : الرفعة . والسناء الضوء : والهالة : دارة القمر . (٥) تسفر : أى تشرق . وتبين : أى تظهر . (٦) السدة : الباب أو الظلة فوقه .

(٧) العقيلات : جمع عقيلة ، وهى المرأة الكريمة المخدرة . (٨) مهد له منزلة سنية : هيأها . والمراد هنا أنك نشأت فى كرسيها .

ربَّ يومٍ عدتِ فيه من (منًى) ومن الخيف ومن دار الأمين [1]
مَنْ دَنا مِن رَكبكِ العالى به آبَ فى القريةِ مَعْدومَ القرين
نسيَتْ رَوْعَتَـــهُ فى بلدٍ كلُّ شىءٍ فيهِ يُنْسَى بعدَ حين
لا تروِى غيرَ شِعْرى موكِباً إن شعرى درجاتُ الخالدين
كلُّ حمدٍ لم أصُغْه زائلٌ خالدُ الحمدِ بما صُغتُ رَهين
أقبِلى أحسنَ دُنيا أقبلَتْ لِبَنِى الآمالِ فى أحسنِ دين
أقبِلى صُبْحًا لأنضاءِ السُّرَى وسماءً للعِجافِ المُسْنِتين [2]
أقبِلى كالشَّمسِ لم تجعلْ لها موكِباً أو تتَّخِذ من حاشِرين [3]
أقبِلى فى بحرِك الطامى إذا عبثَ السيفُ بموجِ المُحتفين
أقبِلى كالشمسِ راقَتْ فى الضُّحى ثم راعَتْ فى الأصيلِ الناظرين
حَرَقَ الدهرُ يديهِ ، وانجلَتْ مِحْنَةُ التبرِ عن العِرْقِ المتين [4]
آب من قيمَتِكَ الدهرُ كما رَجَعَ النقدُ من الشعرِ الرصين [5]

*
* *

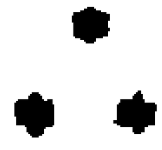
جارةَ الإسلامِ فى محنتِهِ عَلِّمى الجاراتِ بما تعلمين
ذكِّريهِنَّ (فَرُوقاً) وصِفى طلعةَ الخيلِ عليها والسفين [6]

---

(١) منى : موضع بمكة . والخيف : غرة بيضاء فى الجبل الأسود خلف أبى قبيس بمنى ، وبها سمى مسجد الخيف . ودار الأمين : المدينة المنورة . (٢) الأنضاء : المهازيل . والسرى : السير ليلا . والسماء : المطر . والعجاف : المهازيل . والمسنتين : المجدبين . (٤) حشر الناس : جمعهم .

(٤) التبر : الذهب فى تراب معدنه . والعرق المتين : الذهب الخالص . ومحنة التبر : وضعه فى النار لاستخلاص المعدن من التراب . والمعنى : أن آلام الغربة زادتك جلالا وأنف الدهر راغم ، كما أكسبت النار التبر صفاء . (٥) آب : رجع . والرصين : الكامل المتقن . (٦) فروق : الآستانة ،

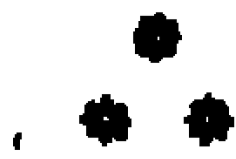
وولِيًّا للطواغيت بهــا ... كان يُدْعَى بأميرِ المؤمنين [١]
ألبسَ الإسلامَ ذلًّا وكسا ... خُلفاءَ اللهِ أثوابَ القَطين [٢]
كان (كالصيّادِ) فى دُولتِـهِ ... دُولةِ الوهمِ ومُلْكِ الحالِمين [٣]
أمْرُهُ فى السجن غادٍ رائحٌ ... وهو كالغادةِ فى القصْرِ سَجين
حَمَـلَ الأعباء عنه عصبةٌ ... مَثّلوا فى المَلْعبِ المُستوزِرِين
قد أباحوا دَمَ آسادِ الشَّرَى ... فازدَراهم وجرَى يحمى العرين [٤]
سالَ دونَ المُلْكِ حتى انتاشَه ... من إمامِ السُّوءِ والرَّهطِ المَهين [٥]
مَحَقَ الفرْدَ وألغَى حُكْمَه ... إن حُكْمَ الفَرْدِ مرذولٌ لَعين [٦]
قد تركْتِ التُّرْكَ فى آجامِهم ... طُلَقاءَ بعدَ رِقٍّ ظافرين
أخـــذوا دُولَتَهم من دَمِهم ... بَذَلوا الغـالى فآبوا بالثمين
لَمْ يُوهِنْهُمْ ولم يَقعُدْ بهم ... أن يكونوا عشراتٍ أو مِئين [٧]
بسَطوا الأيدى إلى مِيثاقِهم ... وإلى الموتِ عليه مُقسِمين
وتحـــدَّوْا هازِئًا ينعَتُهم ... بالخياليّين أو بالهـازِئين [٨]



«أمَّ عباسٍ» عَزاءَ اللهِ إنْ ... عَيَّ بالرزءِ عزاءُ الخالصين [٩]
غير هذا الجُرحِ داوَى قلبى ... هو جُرحى وهو مستعصٍ كمين

(١) الطواغيت : جمع طاغوت ، وهو الشيطان : ويقصد بأمير المؤمنين : السلطان وحيد الدين الذى مالأ أعداء بلاده فكان جزاؤه أن أنزل عن عرشه وطرد من البلاد . (٢) القطين : الخدم . (٣) يشير إلى قصة خليفة الصياد فى كتاب ألف ليلة وليلة . (٤) الشرى : مأســدة جانب الفرات يضرب بها المثل ، والمقصود بالآساد هنا : الكماليون . (٥) انتاشه : تناوله . (٦) يشير إلى الانقلاب التركى الحديث وقيام الجمهورية على أنقاض الملكية . (٧) لم يوهنهم : أى لم يضعفهم .
(٨) تحداه : نازعه الغلبة . (٩) عى به : عجز .

وأنا الآسِى جراحاتِ الأسى | وإن امتدّت إلى أصل الوتين [1]
غير أنّ الناسَ سنّوا سُنّةً | وأنا المرء بما سنّوا يدين
إنما الدنيا شجونٌ تلتقى | وحزينٌ يتأسى بحزين [2]
ضحكُ الدنيا احتشادٌ للبكا | وأغانيها مُعِدّاتُ الأنين
سرّنى أنْ قرّبَ اللهُ النوى | وشجانى فى غدٍ من تدفنين
قمرٌ حيف عليه فانتحى | منزلا بين الأُصولِ الآفلين [3]
شفّهُ الأيكُ حنيناً فقضى | وكرام الطيرِ يرديها الحنين [4]
فأخذنا قسطنا من ثكله | علّنا نحملُ عنكم أو نُعين
ورفعنا فى الضحايا ذكرَه | وأذعنا يومَه فى الآخِرين
ووجدنا عند ذِكرى دمِهِ | طيبَ أبناء الحسَيْن الطاهرين
وكأن الناسَ فى موكبه | لجلالِ الموكبِ الآخرِ دين [5]
وكأن الآلَ فيه (هاشمٌ) | وكأن الميْتَ (زينُ العابدين)
جلَّ فى الأعناقِ حتى خلته | مِنّةً فيها لأمّ المنعمين
أو يداً فى كاهِل العلمِ لها | أو صنيعاً فى رقابِ الصانعين [6]
لقد استأنف فى الخلد الصبا | بين حورٍ قاصراتِ الطرف عِين
حلّ (بالقاسم) مصباح الهدى | (وبإبراهيم) نورِ المتقين [7]



---

(١) الآسى : المواسى . والوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه .
(٢) يتأسى : يتصبر . (٣) حيف عليه ، أى ظلم . (٤) شفه : أضناه . والمعنى أن الحنين إلى بلاده أضناه فمات . (٥) دين : أى خاضعون .
(٦) اليد : النعمة والإحسان . (٧) القاسم وإبراهيم : من أولاد النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد ماتا فى روعة الشباب

ليسَ من قدري وقدر الشعر أن   نذكرَ الصبرَ لأمّ الصابرين
التي حجّت وزارتْ ورأتْ   تحت هذا الترب خيرَ المرسلين
حكمت فيه المنايا مرةً   وجرى الحقُّ عليه واليقين (١)

تكريم (*)

وطنٌ يرفُّ هوًى إلى شبانه   كالروض رقتُه على ريحانه (٢)
هم نظمُ حليته وجوهرُ عقده   والعقد قيمته يتيمُ جمانه (٣)
يرجو الربيعَ بهم ويأملُ دولةً   من حسنه ومن اعتدال زمانه (٤)
من غابَ عنهم لم يغب عن سمعه   وضميره وفؤاده ولسانه
وإذا أتاه مبشّرٌ بقدومهم   فمن القميص ومن شذى أردانه (٥)
ولقد يخصُّ النافعينَ بعطفه   كالشيخ خصَّ نجيبَه بحنانه (٦)
هيهات يُنسى بذلهم أرواحهم   في حفظ راحته وجلب أمانه

---

(١) الحق واليقين : الموت

(*) نظم صاحب الديوان هذه القصيدة الاجتماعية في احتفال تكريمي أقيم للأساتذة: عبد الملك حمزة وإسماعيل كامل وعوض البحراوى ، في فندق شبرد

(٢) يرف هوى إلى شبانه : يرتاح إليهم . والروض : الأرض المخضرة بالنبات جمع روضة . (٣) نظم حليته : جمعها وضم بعضها إلى بعض . واليتيم : الثمين الذى لا نظير له والجمان : اللؤلؤ ، واحدته : جمانة . (٤) يرجو الربيع .. الخ : أى إن هذا الوطن يرجو أن يكونوا له مثل الربيع ، وهو خير فصول السنة ، ويأمل أن تقوم له دولة منهم لها من الحسن والاعتدال ما يكون منهما للربيع وزمنه . (٥) وإذا أتاه مبشر..الخ أى إذا أتى الوطن مبشر بأنهم قادمون عليه من غيبتهم كان تأثير هذه البشرى فيه كتأثير قميص يوسف فى أبيه يعقوب . والشذى : قوة ذكاء الرائحة . والأردان : جمع ردن ، وهو أصل الكم . (٦) يخص النافعين بعطفه يفردهم به.. والنجيب : الولد كرم حسبه وحمد رأيه أو قوله أو فعله .

وقفوا له دون الزمانِ ورَيبِهِ ... ومشت حداثتُهم على حدَثانه[1]
فى شدّةٍ نُقلت أناةَ كهوله ... فيها وحكمتُهم إلى فِتيانه[2]

***

قم ياخطيبَ الجمع هات من الحلى ... ما كنتَ تنثره على آذانه
فلطالما أبدى الحنينَ لقسّه ... واهتز أشواقا إلى سَحبانه[3]
نادِ الشبابَ فلم يزلْ لك ناديًا ... والمرء ذو أثر على أخدانه[4]
وامدُدْ حُداءك فى النجائبِ تنصرف ... بهوى أعنتها إلى تحنانه[5]
ألقِ النصيحة غيرَ هائبِ وقعِها ... ليس الشجاعُ الرأى مثل جبانه
قل للشباب زمانُكم متحرِّك ... هل تأخذون القسطَ من دورانه؟[6]
قمتم على الأحلام تلتزمونها ... كالعالم الخالى على أوثانه[7]
وتنازعونَ الحىَّ فضلَ ثيابه ... والميتَ ما قدْ رثّ من أكفانه
ولقد صدقتم هذه الأرض الهوى ... والحرُّ يصدق فى هوَى أوطانه
أملٌ بذلتم كل غالٍ دونه ... وفقدتمُ إما عزّ فى وِجدانه[8]
الليثُ يدفعكم بشدّةِ بأسه ... عنه ويطمعُكم بفرطِ لِيانه[9]
ويريدُ هذا الطيرَ حرًّا مطلقا ... لكن بأعينِه وفى بُستانه

---

(١) الحداثة : صغر السن . والحدثان (بفتح الدال): نوائب الدهر . (٢) الأناة : الحلم والوقار . (٣) قس بن ساعدة : خطيب عربى من نجران يضرب به المثل ببلاغته . وسحبان ، خطيب كذلك ، وهو من وائل ، والضمير فيهما للوطن . (٤) الشباب : جمع شاب والأخدان : الأصدقاء ، جمع خدن . (٥) الحداء : الغناء للإبل لتنشط فى مسيرها . والنجائب : النياق الكريمة . والأعنة : جمع عنان ، وهو سير اللجام الذى تمسك به الدابة والتحنان : الحنين . (٦) القسط : النصيب ، (٧) الأحلام: جمع حلم ، وهو مايراه النائم . والخالى : الماضى ، والأوثان : جمع وثن ، وهو ما يتخذ للعبادة من حجر ونحوه . (٨) وجدان الشىء : إدراكه والظفر به ، (٩) اللبان : اللين ،

***

أرفدتمُ وفدًا وأوفد ربكم ... معه العناية فهى من أعوانه

العصرُ حرٌّ والشعوبُ طليقةٌ ... مالم يجزّها الجهلُ فى أرسانه (١)

فاض الزمانُ من النبوغ فهل فتى ... غمرَ الزمانَ بعلمه وبيانه ؟

أين التجارةُ وهى مضمار الغنى ؟ ... أين الصناعة وهى وجهُ عَنانه ؟ (٢)

أين الجوادُ على العلوم بماله ؟ ... أين المشارك مصرَ فى فدانه ؟ (٣)

أين الزراعة فى جنانٍ تحتكم ... كخمائلِ الفردوسِ أو كجنانه ؟ (٤)

أيذا أصابَ القطنَ كاسدُ سوقه ... قمنا على ساقٍ إلى أثمانه ؟

يا من لشعب رزؤه فى ماله ... أنساه ذكرَ مصابه بكيانه ! (٥)

الملكُ كان ، ولم يكن قطنٌ ، فلم ... يُغلبْ أبوتُنا على عُمرانه (٦)

(الفاطمية) شيّدت من عزّه ... وبنى (بنو أيوب) من سلطانه (٧)

بالقطن لم يرفع قواعدَ مُلكه ... فرعون ، والهرمانِ من بنيانه

لكن بأوّلِ زارع نقض الثّرى ... بذكائه وأثاره ببنانه (٨)

---

(١) الأرسان : جمع رسن ، وهو الزمام يكون على أنف الدابة ،

(٢) العنان (بفتح العين) : السحاب ،

(٣) الجواد : الكريم الكثير الجود ، (٤) الجنان : جمع جنة ، والخمائل : جمع خميلة ، وهى الشجر الكثير الملتف ، والفردوس : الجنة أو نعيمها ،

(٥) يامن لشعب ... الخ ، كان قد لحق القطن كساد عظيم فارتاع له المصريون جميعا وكاد يشغلهم أمره عن الجهاد فى قضية الاستقلال ، فهو يشير إلى ذلك ،

(٦) أبوتنا : آباؤنا . (٧) الفاطمية : أى الخلفاء الفاطميون أو الدولة الفاطمية ، وهى إحدى الدول التى قامت فى مصر بعد الإسلام ، ومؤسسها المعز لدين الله ، قدم من بلاد المغرب ففتح مصر ، وكانت دولتهم عزيزة الجانب مرهوبة السلطان . وبنو أيوب أيضا : مؤسسو الدولة الأيوبية ، وكان أعظمهم شأنا السلطان يوسف صلاح الدين الأيوبى . (٨) الثرى : التراب ، والمراد به الأرض ، ونقضها ، أى شقها للزرع . والبنان : أطراف الأصابع ،

وبكل محسنٍ صنعةٍ فى دهره   تتعجبُ الأجيال من إتقانه
وبهمة فى كلّ نفس حلّقت   فى الجوّ وآرتفعت على كِيوانه [1]
ملك من الأخلاقِ كان بناؤه   من نحت آولكم ومن صوّانه [2]
فأتوا الهياكل إن بنيتم وآقبسوا   من عرشه فيها ومن تيجانه

اعتداء(*)

نجا وتماثلَ رُبانُها   ودقّ البشائرَ رُكبانُها [3]
وهلّلَ فى الجوّ قيدومُها   وكبّر فى الماء سُكانها [4]
تحوّل عنها الأذى وآنثنى   عُبابُ الخطوبِ وطوفانها
نجا (نوحها) من يدِ المعتدى   وضلّ المقاتلَ عُدْوانها [5]
يد للعنايةِ لا ينقضى   وإن نفِدَ العمرُ، شكرانها
وقى الأرضَ شرّ مقاديره   لطيفُ السماء ورَحمانها [6]

---

(١) حلقت، من حلق الطائر، إذا ارتفع فى طيرانه واستدار كالحلقة. وكيوان: اسم زحل بالفارسية. (٢) الصوان — بفتح الصاد وتشديد الواو: ضرب من الحجارة شديد.

(*) اعتزم سعد باشا زغلول السفر إلى انجلترا للمفاوضة مع حكومتها وكان على رأس الوزارة المصرية يومئذ، فترصد له شاب وأطلق عليه النار، ولكن الله أبقى حياته ووقى البلاد شر فتنة كادت تعصف بين الأحزاب، فنظم صاحب الديوان هذه القصيدة تهنئة له، ونصيحة لأهل النزق والطيش من الشبان، وحضا على الإصلاح العملى، وتذكيرا بمنزلة السودان وقناة السويس اللذين هما من مصر بمنزلة الروح من الجسد.

(٣) تماثل العليل: أقبل وقارب البرء. والربان: مجرى السفينة. (٤) هلل: قال لا إله إلا الله. وقيدومها: صدرها. وسكانها — بضم السين: ذنبها.

(٥) المقاتل: جمع مقتل، وهو العضو الذى إذا أصيب لا يكاد صاحبه يسلم.

(٦) المقادير: جمع مقدور، وهو الأمر المحتوم والضمير للطيف السماء، وهو الله تعالى

ونجّى الكنانةَ من فتنةٍ تهدّدتِ النيلَ نيرانها [1]
يسيلُ على قرنِ شيطانها عقيقُ الدماء وعِقيانها [2]
فيا (سعدُ) جُرحُك ساءَ الرجالَ فلا جُرِحتْ فيك أوطانها
وقتكَ العنايةُ بالراحتَين وطوّقَ جيدَك إحسانها [3]
منايا أبى اللهُ إذ ساورتكَ فلم يَاقَ نابيهِ ثعبانها [4]
حوتْ دَمَك الأرضُ فى أنفِها زكيًا كأنك (عثمانها) [5]
ورقّتْ لآثاره فى القميص كأن قيصَك قرآنها
وريعتْ كما ريعتِ الأرضُ فيك نواحى السماء وأعنانها [6]
ولو زُلتَ غُيّبَ (عمرُو) الأمورِ وأخلى المنابرَ (سحبانها) [7]

* * *

رماكَ على غِرّةٍ يافع مُثارُ السّريرةِ غضبانها [8]
وقدماً أحاطتْ بأهلِ الأمورِ مُيولُ النفوسِ وأضغانها [9]
تلمّسَ نفسَك بين الصفوفِ ومن دونِ نفسِكَ إيمانها [10]
يُريدُ الأمورَ كما شاءها وتأبى الأُمورُ وسُلطانها

(١) الكنانة : مصر . (٢) العقيان : الذهب ، أى الدماء التى تشبه فى حمرتها العقيق والعقيان . (٣) الراحتان : تثنية راحة ، وهى الكف . والجيد : العنق .

(٤) المنايا : جمع منية ، وهى الموت . وساورتك . وثبت عليك .

(٥) عثمانها : يريد الخليفة عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين ، وقد قتل وهو جالس يتلو القرآن وفى حجره المصحف

(٦) ريعت : فزعت ، بتشديد الزاى . وأعنان السماء : نواحيها .

(٧) عمرو الأمور : أى مصرف الأمور بحذقه وفطنته ، وهو عمرو بن العاص ، وسحبان : خطيب عربى مشهور من بنى وائل . (٨) اليافع : من راهق العشرين ، أو من ترعرع وناهز البلوغ . والسريرة : مايسره الإنسان من أمره .

(٩) الأضغان : الأحقاد . (١٠) تلمس نفسك : تطلبها مرة بعد أخرى .

وعنـد الذى قهرَ القيصرينِ مصيرُ الأمورِ وأحيانها[1]
ولو لم يُسابق دروسَ الحياةِ لبصَّره الرُّشـدَ لقمانها[2]
فإن الليالى عليها يحول شعورُ النفوس ووُجدانها[3]
ويختلفُ الدهرُ حتى يبينَ رُعاة العهودِ وخُوانها[4]

***

أرى مصرَ يلهو بحدّ السلاح ويلعبُ بالنار ولدانها[5]
وراح بغير مجال العقول يجيلُ السياسةَ غلمانها
وما القتلُ تحيا عليه البلاد ولا همة القولِ عُمْرانها
ولا الحكم أن تنقضِى دولةٌ وتُقبلَ أخرى وأعوانها
ولكن على الجيش تقوى البلادُ وبالعلم تشتدُّ أركانها
فأين النبوغُ ، وأين العلومُ وأين الفنون وإتقانها ؟
وأين من الخلق حظ البلادِ إذا قتل الشيبَ شبانها ؟[6]
وأين من الربح قسطُ الرجال إذا كان فى الخُلقِ خسرانها ؟
وأين المعلِّمُ ؟ ما خطبُه وأين المدارسُ ؟ ما شأنها ؟
لقد عبثتْ بالنياق الحُداة ونامَ عن الإبل رُعيانها[7]

(١) مصير الأمور : مرجعها . وأحيانها : جمع حين ، وقالوا إنه وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طالت أو قصرت . والقيصران : ملك الروم وملك الفرس حين الفتح الإسلامى والله تعالى هو الذى قهرهما . (٢) لقمانها ، أى من هو كلقمان ، وهو حكيم يضرب به المثل . (٣) عليها يحول : أى يتحول ويتبدل . والمراد أن ما يكون للنفوس من ميول ووجدان يتغير بمضى الزمن . (٤) رعاة العهود : الحافظون لها ، جمع راع . وخوانها : جمع خائن . (٥) الولدان : الصبيان ، جمع وليد .

(٦) الخلق : المروءة والدين والسجية ، ويغلب الآن على السجية الفاضلة . والمعنى أنه إذا كان شبان البلاد يقتلون شيبها فلا حظ لها من الخلق النافع . (٧) الحداة : جمع حاد ، وهو من يغنى للإبل لتنشط فى سيرها .

إلى الُخلقِ أنظرُ فيما أقول وتأخــذ نفسىَ أشجانها

***

ويا (سعدُ) أنت أمينُ البلاد قد امتلأتْ منك أيمانها[١]
ولن ترتضى أن تُقَدَّ القناة ويُبْتَرَ من مصر سودانها[٢]
وحُجّتنا فيهما كالصباح وليس بمُعييك تبيانهــا[٣]
فمصرُ الرياضُ وسودانُها عيون الرياض وخُلجانها[٤]
وما هــو ماءٌ ولكنه وريدُ الحيــاةِ وشِرْيانها[٥]
تتمّــمُ مصرَ ينابيعُــه كما تمّمَ العينَ إنسانها[٦]
وأهلوه منــذ جرى عذبُه عشيرة مصرَ وجيرانهــا
وأمّا الشريكُ فعِــلاتُه هى الشّركات وأقطانها
وحربٌ مضت نحن أوزارها وخيلٌ خلتْ نحن فرسانها[٧]
وكم مَنْ أتاك بمجموعة من الباطل ، الحقُّ عنوانها
فأين من (المَنش) (بحرالغزالِ) وفيضُ (نيانزا) وتهتانها ؟[٨]

(١) أيمانها : جمع يمين ، وهى إحدى يدى الإنسان ، والمراد أنها تأكدت فيما بلغ إليه حسن ظنها أنك أمين عليها ، كما يتأكد الإنسان مما يكون فى يده . (٢) القد والبتر ، هنا بمعنى الضياع . (٣) وليس بمعييك . أى بمعجزك . (٤) الرياض ، أى كالرياض فى نضرتها وجمالها . والسودان كالعيون والخلجان التى تستقى منها ماءها فكما تجف الرياض وتقفر إذا انقطعت عنها العيون والخلجان ، كذلك تقفر مصر وتبور إذا فصل عنها السودان (٥) الوريد : عرق فى العنق من الأوردة التى ترتبط بها الحياة . والشريان : العرق الذى يحمل الدم من القلب . (٦) الينابيع : عيون الماء ، واحدها ينبوع . وإنسان العين : الدائرة التى ترى فى سوادها . (٧) أوزارها : أسلحتها ، جمع وزر ، وهو السلاح . (٨) المنش : بحر فى الشمال الغربى لأوربه بين إنجلترة شمالا وفرنسة جنوبا . وبحر الغزال : أحد فروع النيل الأبيض فى السودان . ونيانزا : البحيرات الثلاث التى يخرج منها النيل .

وأين التماسيح من لُجّةٍ يموت من البردِ حيتانها ! [1]
ولكن رءوسٌ لأموالهم يحرّك قرنيه شيطانها
ودعوى القويّ كدعوى السّباع من الناب والظُّفْرِ برهانها

توت عنخ أمون

قفي ياأختَ (يوشَع) خبّرينا أحاديثَ القرونِ الغابرينا [2]
وقُصّي من مصارعِهم علينا ومن دُولاتهم ما تعلمينا [3]
فمثلك من روى الأخبار طرًا ومن نسبَ القبائل أجمعينا [4]
نرى لك في السماء خصيبَ قرنٍ ولا يُحصى على الأرض الطمينا [5]
مشيتِ على الشباب شُواظَ نارٍ ودرتِ على المشيبِ رحى طحونا [6]

(١) وأين التماسيح ... الخ ، أى إن مسافة التقاطع وعدم الاتصال بعيدة جدا بين السودان وبلاد الإنكليز بقدر التناقض بين طبيعتيهما ، فهذا تعيش التماسيح فى مائه وتلك تموت الحيتان فى مائها . (٢) الخطاب للشمس ، وقد أشار إلى قصة يوشع ابن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس ، فقد روى أن يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم. وقد لمح ابن مطروح إلى هذه القصة بقوله :

وما أنس لا أنس المليحة إذ بدت * دجى فأضاء الأفق من كل موضع
فخلت نفسى أنها الشمس أشرقت * وأنى قد أوتيت آية يوشع

القرون الغابرين : الأجيال الماضية . (٣) قصى : حدثى ، ومنه : ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ ومصارعهم : مهالكهم . ودولاتهم : جمع دولة ، بضم ففتح ، وهى الداهية ، يقال : جاء الدهر بدولاته ، أى بدواهيه . (٤) طرا : جميعا من دون أن تترك منها شيئا . ونسب القبائل : ذكر أنسابهم : (٥) الخضيب : الملون بالخضاب . والقرن : حاجب الشمس . والطمين : المطحون . (٦) الشواظ (بالضم والكسر : دخان النار .

تُعينينَ الموالد والمنـــايا وتبنين الحيـــاة وتهدمينا (١)

فيالكِ هِرّةً أكلت بنيها وما ولَدوا وتنتظر الجنينا (٢)

***

أأمّ المـالكين بنى (أمونٍ) ليهْنِكِ أنهم نزعوا (أمونا) (٣)

ولدتِ له (المآمين) الدواهى ولم تَلِدى له قطُّ (الأمينا) (٤)

فكانوا الشُّهبَ حين الأرضُ ليل وحين الناس جِدُّ مُضَلَّلينا

مشتْ بمنارهم فى الأرض (روما) ومن أنوارهم قَبست (أثينا) (٥)

ملوكُ الدهر بالوادى أقاموا على (وادى الملوك) مُحَجَّبينا (٦)

فربَّ مصفّدٍ منهم وكانت تَساقُ له الملوكُ مُصَفّدِينا (٧)

تَقيَّدَ فى الترابِ بغير قيدٍ وحـــلَّ على جوانبه رهينا

تعالى الله كان السحر فيهم أليسوا للحجارةِ مُنطِقينا ؟ (٨)

---

(١) المنايا : جمع منية ، وهى الموت . (٢) الهرة : القطة ، ويقال فى المثل : « أعق من الهرة » لأنها تأكل أولادها . والجنين : الولد ما دام فى الرحم .

(٣) نزع أباه : أشبهه : وفيه إشارة إلى أم (أمون) ، واختلف المؤرخون هل كانت أمه زوجة شرعية لأبيه أو إحدى سراريه ، وكان من عادتهم أن لا يتولى الملك إلا من كانت أمه زوجة شرعية لأبيه إلا أن « توت عنخ آمون » تولى الملك بواسطة زواجه بابنة الملك خون آتون (٤) إشارة للخليفتين . الأمين والمأمون ، وقد اختار المأمون لأنه كان أفضل بنى العباس حزما وعزما وحلما وعلما ورأيا ودهاء وهيبة وشجاعة ، أى ولدت له أبناء صاروا ملوكا ، وكانت صفاتهم فى الملك كالصفات التى عرفناها فى المأمون (٥) روما : عاصمة إيطالية ، وقبست : أخذت ، وأثينا . عاصمة اليونان . وفيه إشارة إلى ما أخذته الامم الغابرة عن المصريين من العلوم والحضارة .

(٦) وادى الملوك : هو إلى الشاطئ الغربى للنيل بالأقصر على مسير نصف ساعة تقريبا ، وهو هضاب صلبة بها مقابر الملوك فراعنة مصر من الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها ، وقد كانوا يبالغون فى العناية بها وإتقانها إلى حد يفوق الوصف .

(٧) مصفدين : مقيدين ، يصف فراعنة مصر فى مقرهم الأخير ، وهو مقام يتساوى فيه الملوك والسوقة (٨) منطقين ، أى أليسوا هم الذين أنطقوا الحجارة ، ويريد أنهم =

غَدَوْا يبنون ما يُبْقِى وراحوا ... وراء الآبداتِ مُخلِّدينا
إذا عَمَدوا لمأثرةٍ أعدُّوا ... لها الإتقان والخلق المتينا
وليس الخلدُ مرتبةً تُلقَّى ... وتُؤخذ من شفاه الجاهلينا
ولكن مُنتهى هِمَمٍ كبارٍ ... إذا ذهبتْ مصادرُها بقينا
وسرُّ العبقريةِ حين يسرى ... فينتظم الصنائع والفنونا
وآثار الرجال إذا تناهتْ ... إلى التاريخ خير الحاكمينا
وأخذك من فم الدنيا ثناء ... وتركك فى مسامعها طنينا[1]
فغالِ فى بنيكَ الصيدِ غالى ... فقد حُبّ الغلوُّ إلى بنينا[2]
شبابٌ قُنَّعٌ لا خير فيهم ... وبُورك فى الشبابِ الطامحينا[3]
فناجيهم بعرشٍ كان صِنْوًا ... لعرشكَ فى شبيبته سَنينا[4]
وكان العزُّ حليَتَه وكانتْ ... قوائمه الكتائبَ والسفينا[5]
وتاج من فرائده (ابن سيتى) ... ومن خرزاته (خوفو) و(مينا)[6]

= أنشأوا من الأبنية ما يدل على عظمة شأنهم دلالة النطق على معناه ، وأشهر هذه الأبنية الهرمان القائمان بجانب الجيزة ، وهما من أعجب ما بنى البناة . وفيهما دليل على أن المصريين القدماء كانوا أعلم الأمم قاطبة بفن العمارة وهندستها ، وقد توالى الدهر عليهما فلم ينل منهما من الحوادث وعصف الرياح وهطل السحاب . وقد قال أحد الحكماء : « كل شيء يخشى عليه من الدهر إلا الأهرام فإن الدهر يخشى عليه منها » .

(١) الطنين : صوت الذباب والطست والناقوس ونحو ذلك . (٢) الصيد : جمع أصيد ، وهو الرجل يرفع رأسه كبرا وعجبا ولا يلتفت من زهوه يمينا وشمالا .

(٣) شباب قنع : أى قانعون لا يطلبون شيئا وراء ما بلغوا . والطامحون : المتفانون فى طلب المعالى . (٤) الصنو : الأخ الشقيق والابن . والسنين ـ بفتح السين : من يكون فى سنك . (٥) الكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجيش . (٦) ابن سيتى ، هو رمسيس الثانى المعروف بسوزستريس ، ويلقب بالأكبر ، لأنه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة . وطالت مدة حكمه وكثرت فيها الآثار المصرية وتزايدت العمارات حتى لا يكاد يوجد بوادى النيل أثر من الآثار القديمة والعمائر المشهورة إلا وعليه اسمه ورسمه ، وولى =

عَلَا خَدًا به صَعَرٌ وأنفًا ترفّع فى الحوادثِ أن يدينا(١)
ولستُ بقائلٍ ظلموا وجاروا على الأجراء أو جلدوا القطينا(٢)
فإنا لم نُوقَّ النقصَ حتى نطالِبَ بالكمال الأوّلينا(٣)
وما (البستيلُ) إلا بنت أمس وكم أكلَ الحديدُ بها سجينا(٤)
ورُبَّةَ بيعةٍ عَزَّتْ وطالتْ بناها الناس أمس مُسخرينا(٥)
مُشيَّدة لشافى العُمى (عيسى) وكم سَمَلَ القسوس بها عيونا(٦)

***

= الملك صغيرا فى حياة والده . وقد تربى على الشجاعة والحماسة وأراد أبوه أن يعلمه اقتحام الأهوال فأرسله فى جيش إلى بلاد الشام ، وكان عمره عشر سنين فغزاها حتى أدخلها تحت الطاعة ، وله حروب عظيمة . ثم حارب فى جملة فتوح وبخاصة فى آسية الشمالية. وكان فى أيامه بنتاءور الشاعر المصرى ، وله فيه عدة مدائح يصف بها شجاعته وإقدامه «خوفو» و «مينا» من الملوك الفراعنة الذين بلغت مصر فى عهدهم شوطا بعيدا فى المدنية ومن آثارهما الخالدة الأهرامات . (١) علا خدا ، أى ذلك التاج . والصعر: أن يميل الرجل بخده عن النظر إلى الناس تهاونا وكبرا .

(٢) القطين : الخدم ، أى إنه لا يجارى بعض المؤرخين الذين يزعمون أن الملوك الفراعنة كانوا يظلمون الأجراء ويجلدون الخدم ليسخروهم فى إنشاء تلك الأبنية .

(٣) لم نوق النقص ، أى لم نحفظ منه . (٤) البستيل : سجن يرجع تاريخ إنشائه إلى عهد شارل الخامس ملك فرنسا سنة ١٤٦٩ وفى هذا السجن ذاق رجالات العلم والفضل فى فرنسا أشد أنواع العذاب أيام الاستبداد . فكم هلك فيه فيلسوف عظيم وفنى بين جدرانه المظلمة مصلح كبير ، وكم من سياسى جنى عليه عمله لخير بلاده فدخله حيا وفارقه ميتا . وقد كره الفرنسيون (البستيل) واسم (البستيل) وعدوه مستقر الظالم ومعهد العسف والقسوة ، فلم يكادوا يثورون على حكومتهم حتى كان أول غرضهم (البستيل) فهدموه واقتلعوا أصوله وأخذت فتات أحجاره لجملها النسوة عقودا يتحلين بها فى أمكنة اللآلىء إشارة لتنبه الأمة على الظلم وانتقامها من الظالمين ، وكان أخذه فى ١٤ يولية سنه ١٧٨٩ . وقد أقيم اليوم مكان هذا البناء تمثال الحرية ولا يزال الفرنسيون يحتفلون بذكره إلى الآن . (٥) البيعة (بكسر الباء) . معبد النصارى . ومسخرين ، أى كلفوا عملهم بلا أجرة . (٦) سمل العين : فقأها بحديدة محماة وقلعها

(أخا اللوردات) مثلكَ من تحلى بحليةِ آله المتطولينا [1]
لك الأصلُ الذى نَبَتتْ عليه فروعُ المجد من (كرنارفونا) [2]
ومالكَ لا يُعدّ وكل مال سيفنى أو سيُفْنِي المالكينا [3]
وجدتَ مذاق كل تليدِ مجدٍ فكيف وجدتَ مجد الكاسبينا؟ [4]
نشرتَ صفائحاً لجزتك مصرٌ صحائف سؤددٍ لا ينطوينا
فإن تكُ قد فتحتَ لها كنوزاً فقد فتحتْ لكَ الفتح المبينا [5]
فلا (قارون) فوق الأرض إلا تمنى لو رضيتَ به قرينا [6]
سبيلُ الخلد كان عليك سهلاً وعادتُه يكدُّ السالكينا
رأيتَ تنكراً وسمعتَ عتباً فعذراً للغضاب المحنَقينا [7]
أبوتُنا وأعظمهم تراثٌ نحاذرُ أن يؤول لآخرينا [8]

---

(١) المخاطب اللورد كارنارفون الذى اهتدى إلى الكنوز. وكانت وفاته بالقاهرة فى سحر ليلة الخميس ٥ أبريل سنة ١٩٢٣ بفندق الكونتنتال، وكانت قد عضته بعوضة فطبب خمسة عشر يوماً حتى أخذت تزول أعراض التسمم الذى أصابه من هذه العضة لكنه لم يقو على احتمال ذات الرئة التى أصيب بها فأودت به. المتطولين: أصحاب الغنى والسعة.

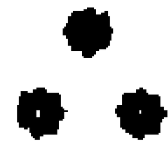
(٢) لك الأصل.. الخ، وذلك أنه من بيوتات انجلترا القديمة فى المجد.

(٣) ومالك لا يعد .. الخ، فهو يملك فى بلاد الإنجليز ألف فدان.

(٤) وجدت مذاق... الخ، إشارة إلى استمراره فى أعمال الحفر والتنقيب فى وادى الملوك، فقد بدأها منذ ست عشرة سنة ولم يزل حتى اهتدى إلى أعظم أثر بين الآثار التى عثر عليها العلماء منذ قرن من الزمن. وقد ضمن له هذا العمل الجليل خلود اسمه ورفعة ذكره. وكان اهتداؤه إلى هذا الكنز الثمين فى أواخر نوفبر سنة ١٩٢٢ فى مدافن ملوك طيبة تحت مدفن رعمسيس السادس. والصفائح: حجارة القبور.

(٥) إشارة إلى ماحواه هذا الكنز العظيم من التحف الثمينة النادرة المثال واللآلئ الغالية القليلة الوجود. (٦) قارون: رجل كان صاحب كنوز عظيمة يضرب به المثل فى الغنى. (٧) التنكر: تغير الرجل عن حال تسره إلى حال يكرهها. وفى الأساس: تنكر لى فلان، لقينى لقاء بشعا. والمحنقون: الذين ملأهم الغيظ. (٨) أبوتنا: أى آباؤنا. والتراث: الميراث، وفيه إشارة إلى ماقيل يومئذ ونشرته الصحف من أن اللورد كرنارفون أخذ خفية أغلى مافى الكنز من تحف بينها تاج الملك وعقدها.

ونأبى أن يحلّ عليه ضَيمٌ ويذهبَ نهبــةً للناهبينا(١)
سكَتَّ لحامَ حولك كلُّ ظنٍّ ولو صَرّحتَ لم تُثر الظنونا(٢)
يقول الناس فى سر وجهر ومالكَ حيلةٌ فى المرجفينا(٣)
أمَنْ سرقَ الخليفةَ وهو حىٌّ يَعِفُّ عن الملوك مكفنينا؟(٤)



خليلَىّ اهبطا الوادى وميلا إلى غُرف الشموس الغاربينا(٥)
وســيرا فى محاجرِهم رُويداً وطوفا بالمضاجع خاشعينا(٦)
وخُصّا بالعبار وبالتّحايا رفاتَ المجدِ من (توتنخمينا)(٧)
وقبراً كاد من حسنٍ وطيبٍ يضىء حجارةً ويضوعُ طينا(٨)
يُخال لروعةِ التاريخ قدّت جنادله العلا من (طورسينا)(٩)

---

(١) الضيم : الظلم . أى نأبى أن يظلم ذلك التراث بذهابه نهبا كما روت الأنباء البرقية فى ذلك الحين . (٢) سكت لحام حولك ... الخ،أى إن الذى قيل وشاع لاقى منك سكوتا عن نفيه،فلحقتك الشبهات بسبب سكوتك . (٣)المرجفون :من يخوضون فى الأخبار السيئة . (٤) أمن سرق الخليفة ... الخ ، هذا ما يقوله الناس،وذلك أن إنجلترة هى التى نقلت الخليفة وحيد الدين من قصره فى الآستانة والجأته إلى المدرعة البريطانية (مالايا) هربا من الكماليين ، فذهبت به إلى مالطة فى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ فاذا كانت هذه الدولة تفعل ذلك بالملوك الأحياء،فلا يبعد على رجالها أن يفعلوه بالملوك الأموات ، وبما فى قبورهم من جواهر ودرر . وقد ذكرت الأنباء فى إثبات ذلك أن اللورد كرنارفون أهدى إلى ابنة ملك الإنكليز عقدا مصريا قديما ذا قيمة عظيمة، وأنها لما علمت بوفاته وأن بعوضة من القبر عضته نزعت من عنقها ذلك العقد خوفا من انتقام توت عنخ آمون الذى نسبت إليه يومئذ وفاة اللورد . (٥) يريد بالشموس الغاربين: ملوك الفراعنة . وغرفهم : مدافنهم . (٦) المحاجر : ما يحميه الملوك حول منازلهم ومنها محاجر أقيال اليمن، وهى أحماؤهم ، أى ما كان يحميه كل واحد منهم .

(٧) العبار : التحية : وهو أيضا الريحان يزين به مجلس الشراب .واستعماله هنا على الإطلاق إذ لا يليق أن يكون مقيدا بتزيين هذا المجلس. التحايا : جمع تحية. والرفات كل ما تكسر وبلى . (٨) يضوع : يتحرك وينتشر، أى كادت حجارته تضىء حسنا وكادت تنتشر رائحته الطيبة الزكية . (٩) الروعة : المسحة من الجمال . والجنادل: جمع جندل: وهو الحجارة . وطورسينا : هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى ،

وكان نزيلهُ بالَملكِ يدعى فصار يلقب الكنزَ الثمينا (١)
وقوما هاتفَيْن به ولكن كما كان الأوائلُ يهتفونا (٢)
فثَم جلالةٌ قرت ورامت على مرِّ القرون الأربعينا (٣)
جلالُ الملك أيام وتمضي ولا يمضي جلالُ الخالدينا (٤)
وقولا للنزيل قدوم سعد وحيا الله مقدمك اليمينا (٥)
سلامٌ يوم وارتك المنايا بواديها ويومَ ظهرتَ فينا (٦)
خرجت من القبور خروج عيسى عليكَ جلالةٌ في العالمينا (٧)
يجوب البرقُ باسمك كلَّ سهل ويخترقُ البُخارُ به الحزونا (٨)
وأقسمُ كنتَ في (لوزانَ) شغُلا وكنت عجيبةَ المتفاوضينا (٩)
أتعلم أنهم صلفوا وتاهوا وصدوا البابَ عنا مُوصِدينا؟ (١٠)
ولو كنا نجر هناك سيفا وجدنا عندهم عطفا ولينا (١١)

---

(١) النزيل : الضيف . (٢) هاتفين به ، أي بالملك الذي هو نزيل القبر . ولكن هتافكما كما كانوا يهتفون له أيام حياته . (٣) فثم : فهناك . والجلالة : عظم القدر . ورامت : أقامت . والقرون الأربعون : هي التي مضت منذ عهد توت عنخ آمون .

(٤) أي إن الجلال الصحيح ما خلد به صاحبه في التاريخ ، أما جلال الملك فلا بقاء له . (٥) اليمين : المبارك ، وهو من اليمن . (٦) وارتك : أخفتك .

(٧) خروج عيسى : أي كما خرج عيسى من القبر على رأي النصارى . وصاحب الديوان لا يعتقد ذلك وإنما ينظر فيه إلى رأيهم . (٨) يجوب : يقطع . والبرق : اسم منقول من معناه الأصلي للتلغراف . والبخار : اسم منقول كذلك للوابور ، أو هو من باب تسمية الشيء باسم المؤثر فيه . والحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض .

(٩) لوزان : إحدى مدن سويسرة ، وقد عرفت بمؤتمر الدول الذي اجتمع بها للنظر فيما بينهن من الخلاف والتقرير الصلح بين الترك واليونان ، وقد وافق اجتماع ظهور قبر الملك توت عنخ آمون ومعرفة ما فيه . (١٠) صلفوا : تمدحوا بما ليس فيهم وادعوا فوق ذلك إعجابا وتكبرا . وصدوا الباب عنا : منعوه عنا ، أي لم يفتحوه لنا . وموصدين : من أوصد الباب ، أطبقه وأغلقه . (١١) أي لو كانت لنا قوة من السلاح لعاملونا باللين والمودة لأنهم يدارون الأقوياء ويمالئونهم .

سيقضى (كرزن) الأمر عنا وحاجات (الكنانة) ما قضينا[1]

***

تعال اليومَ خبِّرنا أكانت نواكَ سناتِ نومٍ أم سنينا؟[2]
وماذا جئتَ من ظلمات ليلٍ بعيدِ الصبح يُنضى المدلجينا؟[3]
وهل تبقى النفوسُ إذا أقامت هيا كلها وتبلى إن بَلينا؟
وما تلك القبابُ وأين كانت وكيف أضلّ حافرُها القرونا؟[4]
مُرّدةَ البناء تخالُ برجاً ببطن الأرض محطوطا دفينا[5]
تَغطى بالأثاث فكان قصراً وبالصُورِ العِتاق فكان زونا[6]
حملتَ العرشَ فيه فهل ترَجّى وتأملُ دولة في الغابرينا؟[7]
وهل تَلقى المهيمنَ فوق عرشٍ ويلقاه المـلا مُتَرجلينا؟[8]
وما بالُ الطعام يكاد يقدى كما تُركته أيدى الصانعينا؟[9]

(١) كرزن: وزير انكليزى مشهور كان هو مندوب انكلترة فى مؤتمر لوزان. والكنانة: هى مصر. (٢) تعالى اليوم ... الخ: الخطاب لتوت عنخ آمون. ونواك: بعدك. والسنات: جمع سنة، بكسر السين، وهى النعاس.

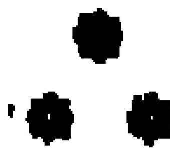
(٢) ينضى: يهزل: والمدلجون: الذى يسيرون من أول الليل. (٤) وما تلك القباب ... الخ، أى وخبرنا ما تلك القباب: جمع قبة. وهى ما ظهر من أبنية المقبرة الفخمة. والقرون: جمع قرن، وهو مائة عام. (٥) ممردة البناء: مملسته.

(٦) تغطى: أى هذا البناء تغطى ... الخ. والأثاث: متاع البيت. والصور: جمع صورة: يريد بها الرسوم التى تحاكى صور الأشياء. والعتاق: جمع عتيق، وهو القديم من النجيب من الخيل، والجارح من الطير. والزون: الموضع تجمع فيه الأصنام.

(٧) فى الغابرين فى الباقين. وفى القرآن الكريم: «فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين». ويكون أيضا بمعنى الماضين، فهو من الكلمات التى تستعمل للأضداد.

(٨) المهيمن: من أسماء الله تعالى. والمترجلون: الذين ينزلون عن ركائبهم ويمشون على أرجلهم. (٩) ما بال الطعام: ما حاله. ويقدى، من قدى الطعام، أى طاب طعمه ورائحته.

ولم تكُ أمس تصبر عنه يومًا | فكيف صبرتَ أحقابًا مئينا [1]
لقد كان الذى حذر الأوالى | وخاف بنو زمانك أن يكونا [2]
يحب المرء نبش أخيه حيًّا | وينبشه ولو فى الهالكينا
سُللتَ من الحفائر قبل يوم | يَسِلُّ من التراب الهامدينا [3]
فإن تكُ عند بعثٍ فيه شكٌّ | فإن وراءه البعثَ اليقينا [4]
ولو لم يعصموكَ لكان خيرًا | كفى بالموت معتصِمًا حصينا [5]
يُضَرُّ أخو الحياةِ وليس شىءٌ | بضائره إذا صحبَ المنونا [6]



زمان الفرد يا (فرعون) ولّى | ودالتْ دولة المتجبرينـــا [7]
وأصبحت الرعاة بكل أرض | على حكمِ الرعيةِ نازلينـا
* (فؤاد) أجلُّ بالدستورِ دنيا | وأشرفُ منك بالإسلام دينا [8]
* وأهدى فى بناء الملكِ جدًّا | وأجودُ والدًا فى المحسنينا
* بنى (الدارَ) التى لا عزَّ إلا | على جنباتهـا للمالكينا [9]

(١) الأحقاب : جمع حقب ، بضم الحاء ، وهو الدهر . والمئين : جمع مائة .
(٢) لقد كان : أى لقد حصل الذى حذر الأوالى . الأوالى : جمع أول ، والمعنى أن ما كنتم تخافونه وتحذرون : وقوعه من نبش قبوركم ... حصل ولم تمنعه مبالغتكم فى الوقاية منه . (٣) سللت : أخرجت منها برفق . الحفائر : جمع حفيرة ، واليوم الذى يسل الهامدين من التراب : هو يوم القيامة . (٤) فإن تك عند بعث .. الخ : إى فإن تكن الآن تشك فى هذا البعث الذى خرجت به من قبرك فلا محالة سيأتى البعث الذى لا تشك فيه ، وهو بعث القيامة . (٥) يعصموك : يمنعوك من المكروه . أى لو أنهم تركوك فلم يتخذوا لك هذه العصمة لما أصابك مكروه ، لأن الموت يمنع الأذى أن يصل إليك . وجلاء هذا المعنى فى البيت الثانى . (٦) يضر ، بضم الياء وفتح الضاد .
(٧) زمان الفرد : أى زمان حكم الفرد . ودالت : انقلبت من حال إلى حال والمتجبرون : المتكبرون . (٨) فؤاد : هو جلالة ملك مصر أحمد فؤاد الأول . (٩) بنى الدار... الخ : هى دار النيابة التى يجتمع بها نواب الأمة والجنبات : النواحى ، مفردها جنبة .

*) انقصت من الشوقيات ١٢ بيت منذ عام ١٩٥٦ من ص ٣٢١ إلى ص ٣٢٢

* ولا استقلالَ إلا فى ذَراها   لمتبــوع ولا للتابعينـــا [1]

* ترى الأحزابَ ما لم يدخلوها   على جدٍّ الحوادثِ لاعبينا

* وإن فقدتْ فأمرُ القوم فوضى   وإن وليته أيدى (الراشدينا) [2]

* إذا سارت به أيدٍ شِمـالا   أتت أيدٍ فسِرنَ به يمينا

* فعجل يا (ابن إسماعيل) عجل   وهاتِ النورَ واْهدِ الحائرينا

* هو المصباحُ فأتِ به وأخرج   من الكهفِ السوادَ الغافلينا [3]

* ملايينا تجرُّ الجهلَ قيــدًا   وتَسحبُ بالقليل المطلقينا [4]

* (فداوِ) به البصائر فهو (عيسى)   وفك براحتيه المُقعَدينـا [5]

* ومن يرِ دونه حقًّا فإنى   أراه وحـدَه الحقَّ المُبينا [6]

تحية المؤتمر الجغرافى

هل تهبطُ النيراتُ الأرضَ أحيانا   وهل تصوّرُ أفرادًا وأعيانا ؟ [7]

نزلنَ أوّلَ دارٍ فى الثرى رَفَعتْ   للشمسِ مُلكا وللأقمارِ سلطانا [8].

---

(١) الذرا : الملجأ . (٢) الراشدون هم الخلفاء الأربعة بعد النبى صلى الله عليه وسلم
(٣) الكهف : ما ينقر فى الجبل كالبيت . والسواد : عامة الناس .
(٤) وتسحب ... الخ - بضم التاء : أى ويسحبها أشخاص قليلون هم الذين أطلقوا من ذلك القيد . (٥) فداو به : أى بالدستور . والبصائر : العقول : جمع بصيرة . فهو عيسى : أى فهو كعيسى فى مداواة أصحاب العلل التى لا تبرأ . (٦) الحق المبين : الواضح .
(٧) النيرات : الكواكب واحدها نير بالياء المشددة وتصور : تتصور . والأعيان : جمع عين ، وهو شريف القوم . يقول : إن هؤلاء العلماء الذين أقبلوا من البلاد الأخرى ليحضروا المؤتمر فى مصر هم الكواكب المنيرة ، ولكنهم مع ذلك أفراد من الناس وأعيان شرفاء فى أقوامهم ، فهل الكواكب تهبط الأرض وتكون كذلك .
(٨) نزلن : أى هذه النيران . أول دار ... الخ ، هى مصر ، وذلك كناية عن أنها سبقت العالم والمدينة حتى رسخت قدمها فيهما .

تفننت قبل خلاق الفنّ وانفجرَت ... عِلماً على العُصُرِ الخالى وعِرفانا (١)
أُبوّة لو سكتنا عن مفاخرهم ... تواضعا نطقتْ صخراً وصوّانا (٢)
هم قلبوا كرَة الدنيا فما وجدَت ... أقوى على صَولجانِ الملك أيمانا (٣)
وصيروا الدهر هُزءا يسخرون به ... حتى ينال لهم بالهدمِ بنيانا (٤)
لم يَسلكِ الأرضَ قومٌ قبلهم سُبلاً ... ولا الزواخر أثباجا وشُطّانا (٥)
تقدم الناسَ منهم محسنونَ مضَوْا ... للموتِ تحت لواء العِلم شُجعانا
جابوا العُبابَ على عودٍ وساريةٍ ... وأوغلوا فى الفَلا كالأسد وحدانا (٦)
أزمانَ لا البرُّ «بالوابور» منتهباً ... ولا «البُخار» لبنت الماء رُبانا (٧)
هل شَيع النشء رَكبَ العلم واكتنفوا ... للعبقرية أحمالاً وأظعانا؟ (٨)

(١) تفننت : تنوعت فنونها ، أو أخذت فى فنون كثيرة . والعصر ، بضمتين : الدهر ، والخالى : الماضى . (٢) أبوة : جمع أب ، أى لنا أبوة أو أولئك أبوة . والمفاخر : جمع مفخرة ، بفتح الخاء وضمها ، وهى المأثرة أو ما يفتخر به . والصوان : نوع من الحجارة . (٣) الصولجان : عصا منعطفة الرأس . والأيمان : جمع يمين ، وهى اليد ، أى ما وجدت أيمانا أقوى على صولجان الملك من أيمانهم .

(٤) حتى ينال لهم بالهدم بنيانا ، أى وهو لا ينال ذلك فهم يسخرون به أبدا.

(٥) لم يسلك الأرض . الخ ، وذلك أن المصريين القدماء هم أول من طاف الأرض برا وبحرا . والسبل : جمع سبيل . والزواخر : البحار ، مفردها زاخر . والأثباج: جمع ثبج ، وهو معظم البحر . والشطان : جمع شط ، وهو الشاطئ . (٦) جابوا : طافوا والعباب : أكثر السيل ، والمراد البحر . والعود : الخشب ، والمراد به السفينة . والسارية عمود ينصب فى وسط السفينة ليعلق القلع به . والفلا : جمع فلاة ، وهى الصحراء الواسعة وقيل المفازة لا ماء فيها . والوحدان جمع واحد (٧) أزمان ، أى فعلوا ذلك من أزمان لم يكن بها الوابور ينهب البر ولا البخار يجرى السفن . والربان : من يجرى السفينة . وجوب الأرض على هذه الحال يستدعى عزائم قوية ويؤدى إلى مخاطر عظيمة .

(٨) هل شيع النشء ... الخ : أى هل أخرجوا من ركب العلم يودعونهم . والنشء: جمع ناشىء ، وهو الغلام جاوز حد الصغر . وركب العلم هم العلماء الذين ، جاءوا لحضور المؤتمر ثم رجعوا إلى بلادهم : واكتنفوا أحمالا وأظعانا : أحاطوا بها ؛ والعبقرية: أصلها نسبة إلى عبقر ، وهو موضع كانت العرب تزعم أنه كثير الجن وقد جعله المعاصرون اسما وأرادوا به التناهى فى حذق الشىء وإتقانه . والأحمال : الهودج ، واحدها حمل ـ بكسر الحاء وفتحها : والأظعان : الهوادج أيضا .

وساروا الموكبَ المرموقَ متشحا — عزّ الحضارة أعلاما وركبانا؟[1]
يسيرُ تحت لواء العــلم مؤتلفاً — ولن ترى بجنودِ العـــلم إخوانا
العلم يجمعُ فى جنس وفى وطنٍ — شتى القبائلِ أجناسا وأوطانا[2]
ولم يزدكَ كرسم الأرضِ معرفةً — بالأرضِ داراً وبالأحياء جيرانا[3]
علمٌ أبانَ عن الغبراء فانكشفت — زرعا وضرعا وإقليما وسُكانا[4]
وقسم الأرضَ آكاماً وأودية — وفصَّل البحرَ أصدافاً ومرجانا[5]
وبين الناسَ عادات وأمزجــة — وميز النــاسَ أجناسًا وأديانا
وفدَ الممالكِ هزَ النيلُ مَنكبَه — لما نزلتمُ على واديه ضِيفانا[6]
غدا على الثغرِ غادٍ من مواكبِكم — فراح مبتسم الأرجاء جذلانا[7]
جرت سفينتكم فيه فقلَّبهــا — على الكرامةِ قَيدوما وسكانا[8]
يلقاكُمُ بسماء البحرِ ضاحيةً — وتارةً بفضــاء البرِّ مُزدانا[9]
ولو نزلتُم به والدهرُ معتدلٌ — نزلتمُ بعروسِ المُلكِ عُمرانا[10]

(١) المرموق: الذى ينظر إليه نظرا طويلا . ومتشحا : لابسا . (٢) شتى القبائل أى القبائل المتفرقة . (٣) كرسم الأرض : يريد العلم الذى يعرف به رسم الأرض ، وهو علم الجغرافيا . (٤) أبان عن الغبراء : أوضحها . والغبراء : الأرض.

(٥) الآكام : التلال ، وقيل ما اجتمع من الحجارة فى مكان واحد . والأودية: جمع واد ، وهو المنفرج بين جبلين أو تلين . والأصداف : جمع صدف ، وهو غشاء الدر . والمرجان : عروق حمر ، تطلع من البحر . (٦) المنكب : هو من الحيوان مجتمع رأس الكتف والعضد ، ومن غير الحيوان ناحية كل شىء وجانبه ، والمراد المعنى الأول ، كناية عن نهوضه لإكرامهم . (٧) غدا : أقبل . والثغر : هو ثغر الإسكندرية . والمواكب : جمع موكب ، وهو الجماعة ركبانا أو مشاة . والأرجاء : النواحى. والجذلان: الفرحان . (٨) الكرامة : والعزازة . والقيدوم : الصدر . والسكان ، بالضم : ذنب السفينة . (٩) ضاحية : بارزة منكشفة ، وهو كناية عن صفائها .

(١٠) ولو نزلتم به : أى بالثغر . ومعتدل : مستقيم ، أى ليس منحرفا ولا منعوجا عن الصافنا .

إذ (الفنارُ) وراءَ البَحرِ مؤتلقٌ ... كأنه فلقٌ من خِدرِه بانا (١)
أناف خلف سماء الليل متقداً ... يُخالُ فى شرفاتِ الجوِّ (كِيوانا) (٢)
تطوى الجوارى إليه اليم مقبلة ... تجرى بوارجَ أو تنساب خُلجانا (٣)
نورُ الحضارة لاتبغى الركابُ له ... لا بالنهارِ ولا بالليلِ بُرهانا
ياموكبَ العلم قف فى أرض منف به ... يناجِ مهداً ويذكُرْ للصّبا شانا (٤)
بكى تمائمه طفلا بها وبكى ... ملاعبا من رُبَى الوادى وأحضانا (٥)
أرضٌ تَرعرَع لم يصحَبْ بساحتها ... إلا نبيينَ قد طابوا وكهانا
عيسى ٱبنُ مريمَ فيها جرَّ بردتَه ... وجرّ فيها العصى موسى بنُ عِمرانا
لولا الحياء لناجتكمُ بحاجتِها ... لعلّ منكم على الأيامِ أعوانا
إذا تفرقتمُ فى الغربِ ألسنةً ... ليَنْتَم كل قلبٍ لم يكن لانا
* كفى بدارٍ تبوأتمْ أرائكها ... من عبقريّةِ (إسماعيلَ) عُنوانا (٦)

(١) إذ الفنار، أى إذ يكون الفنار ... الخ. والفنار: هو منارة السفن تقام عالية فى الميناء ليهتدى الربانية فى الليل بنورها. ومؤتلق: لامع. والفلق: الصبح أو ما انفلق من عموده. والخدر: الستر، وقيل هو كل ماواراك من بيت ونحوه.

(٢) أناف: طال وارتفع. وشرفات، واحدتها شرفة، وهى ماأشرف من بناء القصر. وكيوان: اسم فارسى لكوكب زحل. (٣) الجوارى: السفن، جمع جارية. واليم: البحر. والبوارج: جمع بارجة، وهى سفينة كبيرة للقتال، وتنساب: تجرى وتتدافع. والخلجان: جمع خليج، وهوشرم من البحر. (٤) أرض منف: هى الأرض المصرية. ومنف مدينة مصرية قديمة بناها الملك «مينا» مؤسس الأسرة الأولى الفرعونية، وجعلها مقر ملكه، وبقيت مقرا للملك حتى زالت الأسرة الثامنة. ويناج، من ناج: ساره. والمهد: الموضع يهيأ للصبى ويوطأ. يقول: قف بالعلم فى الأرض الذى نشأ فيها ليناجى مهده الأولى ويذكر عهد صباه.

(٥) بكى: أى العلم. وتمائمه: جمع تميمة، وهى العوذة التى تعلق الأطفال مخافة العين. والملاعب: جمع ملعب، وهومكان اللعب. والربى: جمع ربوة، وهى ما ارتفع من الأرض.

(٦) الأرائك: جمع أريكة، وهى سرير منجد مزين فى قبة أو بيت. وإسماعيل: هو الخديو إسماعيل.

(*) انتقصت من الشوقيات ٣٣ بيت منذ عام ١٩٥٦ من ص ٣٢٥ إلى ص ٣٢٨.

* مضى لها نصفُ قرنٍ فى مكابدةٍ   تضىء آناً ويخبُو ضوؤها آنا (١)
* لم تخلُ من خادمٍ للعلم مجتهدٍ   يثيرُ بحثا ويستوفيـــه تبيانا
* حتى حواها (فؤاد) فى عنايتهِ   وكم كريمٍ تليدٍ قبلها صانا (٢)
* مجدُ الأصولِ عزيزٌ ماسهرتَ على   حفظِ الأصولِ فإن ضيعتهم هانا
* فلا تقولنّ يومَ الفخرِ كان أبى   حتى يراك بنو الدنيا كما كانا
* وماحذا (كفؤادٍ) حذو والده   بالعلم برًّا ولا بالفنّ إحسانا (٣)
* ولا جمالَ لدارِ العلم فى بلدٍ   حتى يدورَ عليها الفنُّ بُستانا
* ياللّيالى (لإسماعيلَ) من سِنةٍ   طالتْ وحَيْنٍ من الأقدارِ قد حانا (٤)
* قد خطّ شِعرى على الشّعرى له جدثاً   وخاط من لمحاتِ الشمسِ أكفانا (٥)
* ولو مشت بى الليالى تحت كوكبه   غادرتُ(أحمد)نسياً(وابنَ حمدانا) (٦)
* من لا يساجل كفّيْه إذا همَتا   (جوادُ طىّ) ولا(مسماح شَيْبانا) (٧)
* ومن تُنسّى سمـاء العزّ غرّته   شموسَ هاشمَ أو أقمارَ مَرْوانا (٧)
* ومن يضىء سناه الشرقَ من حلبٍ   إلى الحجـازِ فبغدادٍ فَلبْنانا (٩)

---

(١) المكابدة : مقاساة الشىء وتحمل المشاق فى فعله . وتخبو : تنطفىء .

(٢) فؤاد : هو جلالة الملك أحمد فؤاد الاول ملك مصر . والتليد : المال القديم.

(٣) حذا حذوه : فعل فعله . (٤) السنة ـ بالكسر : النعاس . والحين ـ بفتح الحاء : الهلاك . (٥) الشعرى : كوكبان يقال لأحدهما الشعرى اليمانية والعبور وتطلع فى الجوزاء ، ويقال للثانى : الشعرى الغميصاء . والجدث : القبر . واللمحات : جمع لمحة، وهى النظرة بعجلة . (٦) أحمد : هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الشاعر المشهور. وابن حمدان : هو سيف الدولة أحد ملوك دولة بنى حمدان .

(٧) من لا يساجل : من لا يفاخر ويعارض . وهمتا : سالتا لا يثنيهما شىء. وجواد طى ، هو حاتم المشهور بكرمه . ومسماح شيبان : هو معن بن زائدة . (٨) شموس هاشم : يريد بهم الخلفاء العباسيين . وأقمار مروان : خلفاء بنى أمية . (٩) سناه . نوره. وحلب مدينة فى سورية. وبغداد: حاضرة العراق. ولبنان: الجبل الآهل المعروف بسورية .

* ذو همة كفؤادِ الدّهر لو نظرت ... إلى بعيــدٍ دنا أو جامحٍ لانا [1]

* بانى المآثرِ يُعجزن الملوكَ بنى ... بكلّ أرضٍ لكسرى العلم إيوانا [2]

* مدّ (الكِنانةَ) أطرافا ووسّعها ... مُلكا وأترعها خيلًا وفرسانا [3]

* وفجّرَ الماء فى جناتِها فسقى ... ما كان بين عُيونِ النيلِ ظمآنا

* ونصّ فى ثَبَجِ الصحراء رايتَها ... كالنجم يَهدى بأقصى الليلِ حَيْرانا [4]

* لا تبرح الخيلُ بالسودان ملعبَها ... حتى تغازِلَ بالصومال أرسانا [5]

* ولا حقيقةَ من مُلكٍ ومن وطنٍ ... حتى ترى السيفَ دون الملكِ عُريانا [6]

* شيطان ملكٍ وفتح قد أُتيحَ له ... أدهى الممالك والدُّولاتِ شيطانا [7]

* لم يمض فى غارةٍ إلا أصاب لها ... كيدا ينازعه الغاياتِ يقظانا [8]

* يا للرجالِ « لإسماعيل » فى « نابُلِى » ... ولهفَ نفسى عليه فى « أمرجانا » [9]

* خيــال ملكٍ تلمّسنا حقيقتَه ... فأخطأتنا وكانت حظَّ « يابانا » [10]

* لم نصحُ من عرسِ دنياه وموكبِها ... حتى صحبنا على الأحلامِ نسيانا

---

(١) الجامح : الفرس يركب رأسه لايلوى على شىء . (٢) الإيوان : الصفة العظيمة ، كالأزج الذى هو بيت يبنى طولا ، وجمعه إيوانات وأواوين .

(٣) أترعها : ملأها (٤) نص : رفع وأظهر . والثبج من كل شئ : وسطه .

(٥) الأرسان : جمع رسن ، وهو حبل الدابة . (٦) الحقيقة : مايجب على المرء أن يحميه . والمعنى أنه لا أمن ولا اطمئنان على الملك والوطن إلا أن يكون السيف دائما مجردا من غمده ليحميهما . (٧) شيطان ملك وفتح : يريد به إسماعيل ، أى أنه كان كأنه شيطان لعظم ما فعل فيهما ، أتيح له أدهى الممالك والدول فأفسدت عليه أمره ، وهى دولة الإنجليز . (٨) لم يمض فى غارة ... الخ ، أى أنه كان كلما مضى فى غارة للحرب وجد تلك الدولة قد كادت له لتمنعه بكيدها عن غايته . (٩) نابلى : مدينة إيطالية أقام فيها الخديو إسماعيل بعد خلعه . وأمرجان : اسم قصر كان له فى الآستانة .

(١٠) تلمسنا حقيقته : تطلبناها مرة بعد أخرى . وكانت حظ يابانا : وذلك أن اليابان بدأت نهضتها الحديثة فى الوقت الذى بدأنا فيه نهضتنا أيضا .

* وقال كلٌّ قليلِ العلمِ متهم أضر بالمالِ إسرافا وإدمانا [1]

* مهلًا فإن جبال التبرِ هينةٌ إن كنّ للمُلكِ والإصلاح أثمانا [2]

* هلا بكيتم لمالٍ تشترون به من نصفِ قرنٍ مضى رقًّا وإذعانا؟

* يعانُ أغنى جيوش العالمين به وجيشكم عاجز لم يلقَ مِعوانا [3]

* من خانه الدهرُ خانته صنائعُه وعاد ذنبًا له ما كان إحسانا [4]

* ولا ترى الناسَ إلا حربَ مضطهدٍ وجالبين على المخذولِ خذلانا

* والحظُّ يبنى لكَ الدنيا بلا عمَدٍ ويهدمُ الدِّعمَ الطُّولى إذا خانا [5]

الصليب الأحمر

سر يا (صليبَ) الرفق في ساحِ الوغى وانشر عليها رحمةً وحنانا [6]

وادخل على الموتِ الصفوفَ مواسيا وأعِن على آلامهِ الإنسانا

والمس جراحاتِ البرية شافيًا ما كنت إلا للمسيح بنانا [7]

وإذا الوطيسُ رمى الشبابَ بناره خُض (كالخليل) إليهم النيرانا [8]

---

(١) الإدمان: مداومة الشيء، والضمير في «أضر بالمال» لإسماعيل. (٢) مهلا: مصدر نائب مناب فعله، أي مهله مهلا. ومعناه لا تعجل. والتبر: ما كان من الذهب غير مضروب. (٣) أغنى جيوش العالمين: هو جيش الإنكليز الذي يحتلون به مصر.

(٤) الصنائع: جمع صنيعة، وهو من لصنعه لنفسك وتربيه وتخصه بالصنع الجميل.

(٥) العمد (بفتح الميم): اسم جمع، والمفرد عماد، وهو ما يقوم عليه البيت. والدعم (بكسر الدال): جمع دعمة (بالكسر أيضا)، وهي العماد. والطولى: العظيمة الطول (٦) الساح: جمع ساحة. والوغى: الحرب. (٧) الجراحات: جمع جراحة. والبنان: أطراف الأصابع، مفردها بنانة. (٨) الوطيس: شدة الحرب. والخليل: هو إبراهيم عليه السلام. وقصة إلقائه في النار مشهورة.

واجعل وسيلتَك المسيحَ وأمَّه … وأضرَع وسلْ فى خلقِه الرحمانا [١]
الله يجارُك فى عـوانٍ لم تَهب … لله لا بِيَعًـا ولا صُـلبانا [٢]
وسليتَ يا «حرمَ المعارك» من يدٍ … هدمت لِسلمِ العالمين كِيانا [٣]

* * *

يا أهلَ مصرَ رمى القضاءُ بلطفِه … وأراد أمراً بالبـلاد فكانا
إن الذى أمرُ الممالكِ كلِّها … بيدَيه أحدثَ فى «الكنانة» شانا
أبقى عليهـا عرشها فى بُرهةٍ … ترمى العروشَ وتنثُر التيجانا [٤]
وكسا البلادَ سكينةً من أهلها … ووقى من الفتنِ العبادَ وصانا
أوَ ماترونَ الأرضَ خُرِّب نصفها … وديارُ مصرٍ لا تزالُ جنـانا [٥]
يرعى كرامتها ويمنعُ حوضَها … جيش يعافُ البغى والعُدوانا [٦]
كجنود (عمرو) أينما ركزوا القنا … عفُّوا يداً ومهنداً وسِـنانا [٧]
إن الشجاع هو الجبانُ عن الأذى … وأرى الجرىءَ على الشرورِ جبانا

* * *

أممَ الحضـارة أنتمُ آباؤنا … منكم أخذنا العـلمَ والعرفانا
* بنيانُ (إسماعيلَ) بعد (محمدٍ) … كانت مسـاعيكم له أركانا [٨]

---

(١) الوسيلة : ما يتقرب به إلى الغير . وأضرع ، من ضرع إليه : خضع وذل . والرحمن : اسم من أسماء الله تعالى . (٢) العوان : الحرب التى قوتل فيها مرة بعد أخرى . والبيع ، بكسر الباء : جمع بيعة ، بكسرها أيضا ، وهى متعبد النصارى .
(٣) السلم : ضد الحرب . وكيان الشىء : وجوده أو طبيعته . (٤) البرهة : قطعة من الزمن طويلة . وتنثر التيجان : ترميها متفرقة . (٥) الجنان : جمع جنة .
(٦) يعاف : يكره . (٧) كجنود عمرو ، هو عمرو بن العاص فاتح مصر وواليها من قبل الخليفة عمر بن الخطاب . وركزوا القنا : غرزوها فى الأرض . والقنا : الرماح : جمع قناة . عفوا تركوا الشهوات . والمهند : السيف . والسنان : نصل الرمح .
(٨) محمد : هو محمد على جد الأسرة المالكة فى مصر .
(*) انقصت من الشوقيات بيت واحد منذ عام ١٩٥٦ ص٣٢٩ .

رقتْ لكم منا القلوبُ كأنما ... جرحاكم يومَ الوغى جرحانا
ومن المروءة وهي حائطُ ديننا ... أن نذكرَ الإصلاحَ والإحسانا [1]
ولئن غزاكم من ذوينا معشرٌ ... فلربَّ إخوانٍ غزوا إخوانا
حتى إذا الشحناء نامت بينهم ... لم يعرفوا الأحقادَ والأضغانا [2]

....

٨٠ تحيـــة للترك (*)

بحمدِ اللهِ ربِّ العالمينـــا ... وحمدِك يا أميرَ المؤمنينا
لقينا في عـــدوِّكَ ما لقينا ... لقينا الفتحَ والنصرَ المبينـا

هم شَهروا الأذى وشهرتَ حربا ... فكنتَ أجلَّ إقداماً وضربا
أخذتَ حدودَهم شرقاً وغربا ... وطهَّرْتَ المواقعَ والحصونا

وقبل الحرب حربٌ منك كانت ... نتائجها لنـا ظهرتْ وبانت
ألنتَ الحادثاتِ بها فلانت ... وغادرتَ القياصرَ حائرينا

جمعتَ لنا الممالكَ والشعوبا ... وكانت في سياستها ضروبا
فلما هبَّ (جُورجِيهم) هبوبا ... تلفَّتَ لا يصيبُ له معينا [3]

---

(١) الحائط : الجدار ، أي وهي من ديننا كالحائط من الدار .
(٢) الشحناء : عداوة امتلأت منها النفوس . والأضغان : الأحقاد . (*) قيلت في الحرب بين اليونان والأتراك سنة ١٣١٤ هجرية وقلما نالت قصيدة في العالم العربي بأجمعه ما نالته هذه القصيدة أيام ظهورها من حفاوة وانتشار ، وذلك لما ورد فيها من وصف وتهكم صادفا هوى في النفوس . (٣) جورجي : ملك اليونان يومئذ .

رأى كيفَ السبيلُ إلى كريد وكيف عواقبُ الطيشِ المزيد
وكيف تنام يا عبدَ الحميد وتغفلُ عن دماءِ العالمينا

ولا واللهِ والرسْلِ الكرام وبيتِكَ خيرِ بيتٍ فى الأنام
لما كانوا وسيفُك ذو انتقام يعادِلُ جمعهم منا جنينا

رأيتَ الحلمَ لما زادَ غرّا وجرّأ مَلكهم حتى تجرّا [1]
لجاءتك الدعاوى منه تَترى وجاءته جنودُكَ مبطلينا

بخيْلٍ فى الهضاب وفى الروابى ونارٍ فى القلاعِ وفى الطوابى
وسيف لا يلينُ ولا يُحابى إذا الآجالُ رجّتْ منه لينا

وجيشٍ من غُزاةٍ عن غزاة همُ الأبطال فى ماضٍ وآتِى
ومن كريمٍ أذلُّوا كلّ عاتِى وذَلُّوا فى قتال المؤمنينا

أبعدَ بلائهم فى كلّ حربِ وضربٍ فى الممالكِ أىّ ضربِ
تحاولُ صبيةٌ فى زِىّ شعبِ وتطمعُ أن تدوسَ لهم عرينا؟

جنودٌ للجراحِ الدهرَ مرهَمْ يدبّرُها البعيدُ الصيتِ أدهمْ
فأنجَـدَ فى تسالية وأتْهَمْ وكانت للعدا حصناً حصينا [2]

أروتُرُ لا تَدُسّ السمّ دسّا ومهلا فى التهوس يا (هَوسّا) [3]
سلِ اليونانَ هل ثبتت (لَرِسّا) وهل حفظ الطريق إلى أثينا؟ [4]

---

(١) تجرا ، مخفف من تجرأ . (٢) تسالية ، موقعة من مواقع هذه الحرب .
وأنجد وأتهم : نزل نجداً وتهامه ، والمراد أنه أتى على كل ما فيها ما ارتفع منه وما انخفض.

(٣) هوسا : المراد به « هافاس » وهى الشركة البرقية المعروفة .

(٤) لرسا : موقعة من مواقع هذه الحرب .

معاذَ الله كلا ثم كلا ... همُ البحارةُ الغرُّ الأجلا !
وما أسطولُهم فى البحر إلا ... (شخاشيخ) ما يَرحنَ وما يجينا ! (١)

وكم بعثوا جيوشا من أمانى ... أتت دارَ السعادة فى أمان
وما سارت سوى يومَى زمان ... فأهلا بالغزاة الفاتحينا .

وكم باتوا على هرْجٍ ومَرْج ... وقالوا المال مبذول لجورجى (٢)
وكلُّ المال من دَخْلٍ وخرْج ... ديونٌ لا تقدرها ديونا ! (٣)

وكم فتحوا الثغورَ بلا توانى ... وبالأسطولِ جاءوا من موانى
والبسفورِ طاروا فى ثوانى ... فأهلا بالأوزّ العائمينا ! (٤)

وفى الأستانة انتصروا انتصارا ... وبطرسبرجَ دكّوها حصارا
فيا للمسلمينَ وللنصارى ... وقيصرَ والملوكِ الآخرينا !

ويا غليومُ أينَ لك الفِرارُ ... إذا جورجى وعسكرُه أغاروا ؟
فضاقت عن سفينِهم البحارُ ... وضاق البرُّ عنهم واجفينا !

أمورٌ تضحكُ الصبيانُ منها ... ولا تدرى لها العقلاء كنها
فسلْ روترْ وسل هافاسَ عنها ... فإن لديهما الخبرَ اليقينا

---

(١) شخاشخ : جمع (شخشيخة) ، وهى لعبة معروفة للأطفال. (٢) الهرج والمرج: الفتنة والاختلاط .

(٣) لا تقدرها ديونا : أى لضآلتها ، والمراد فى كل هذه الأبيات التهكم باليونان .

(٤) وصف الأوز بجمع المذكر ، قد يراد به التعظيم أو التحقير .

ويومَ مَلونَ إذ صحنا وصاحوا ذكرنا الله من فرحٍ وناحوا
ودارتْ بينهمْ بالراح راحُ ودارت راحة الإيمان فينا [1]

على الجبلين قد بتنا وباتوا وقُتنام منيَّتهــــم وقاتوا
وقد متنا ثباتاً واستماتوا وما البسلاء كالمستبسلينا

خسفنا بالحصون الأرضَ خسفَا تزيدُ تأبّيا فنزيدُ قذفا
بنارٍ تنسِفُ الأجبالَ نسفا وتلقَفُ نارَهم والمطلقينا

مدافعُ ماتؤوبُ بغير زادِ براكين تصوبُ بلا نفاد [2]
نصبناها لهم فى كلّ وادى فكنّ الموتَ أو أهدى عيونا

جعلنا الأرض تحتهم دماء وصيّرنا الدخان لهم سماء
وإذ راموا من النار احتماء حمت أسيافنا منهم متينا

ورُبّ مجاهد شيخ مبجّلْ ترجّلتِ الجبالُ وما ترجل
أرادَ ليركبَ الموتَ المحجّلْ إلى أجدادِه المستشهدينا

وفا لجوادِه وحَنَا عليه وقد شخصت بنادقهم إليــه
وصابَ رَصاصُها يُدمى يديه وأوشكتِ السواعدُ أن تخونا

تعوّدَ أن يُصيبَ وأن يُصابا فخوطبَ فى النزول فما أجابا
وقال وقد قضى قولا صوابا هنا فليطلبِ المرء المنونا

(١) ملون : موقعة . والراح ، الأولى : الأكف ؛ والثانية : الخمر .

(٢) تصوب ، أى يسقط حممها كالمطر .

وقد زادِ البسالة من وقارِ هِزبرٌ من ليوثِ الترك ضارى
تقدم نحـــوَ نارٍ أيّ نار ليسبِقَ نحو خالقِه القرينا

جرى فأذل هاتيك الألوفا وزحزحَ عن مواضعها الصفوفا
فخاض إلى مكامِنها الحتوفا وما هاب الرُّماة مسدّدينا

دعا لله فى وجه الأعادى كليثٍ زائرٍ فى بطنِ وادى
فلبته الفيالق والأرادى ودارَ هلالُ رايتنا يمينا (١)

فلـــما أذعنوا أنّا المنايا وأنا خيرُ من قاد السرايا (٢)
تفرّق جمعهم إلا بقايا على قللِ الجبالِ مجندَلينا

صلاة الله ربى والســـلامُ على قتلى بفرسالو أقاموا (٣)
همُ الشهداء حولَ الله حاموا فأدناهمْ وكانوا الفائزينا

أنالوا الملكَ فتحاً أى فتح وشادوا للخلافةِ أىّ صرح
وجاءوا ربهم منهم بذبح تقبّلَهُ وكانــ به ضنينا (٤)

سلامًا سفحَ فرسالو سلاما وكنْ خيرَ المقامِ لمن أقاما
وضنّ بها وإن بليتْ عظاما تطيفُ بها الملائكُ حائمينا

أأدهمُ هكذا تُفنَى المعالى وتُبنَى بالقواضِب والعوالى (٥)
لقد بيّضتَ للملك الليالى بسيف يفضح الفجر المبينا

---

(١) الأرادى : جمع أردى ، وهو الجيش . (٢) السرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش . (٣) فرسالو : موقعة . (٤) الذبح : ما يذبح .
(٥) القواضب : السيوف . والعوالى : الرماح .

أخذتَ النصرَ بالجلبين غصبًا وكنتَ الليثَ مخطارا ووثبا
حملتَ فماجت الحملان رعبا يظنُّهُمُ الجَهولُ مقاتلينـــا

وفى فرسالَ قد جئت العُجابا بسطتَ الجيش تقرؤه كتابا
وقد أحصيتَه بابا فبـابا وكانوا عن كتابك غافلينـا

ثبتّ مؤمّلا منك الثباتُ توافيكَ الرسائلُ والسُّعاةُ
وحولَكَ أهلُ شوراكَ الثِّقاتُ تسوسون الجيوشَ مظفّرينا

هناكَ الصحْفُ سارتْ حاكياتِ وطيرتِ البروقُ محـدّثاتِ
وحدّثتِ الممالكُ آخذاتِ علومَ الحربِ عنكم والفنونا

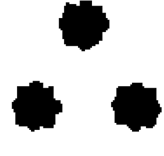
بنى عثمانَ إنا قد قَدَرنا فتوحَكمُ الكِبارَ وقد شكرنا
سألنا الله نصرا فانتصرنا بكم والله خيرُ النّاصرينـا

الدستور العثمانى

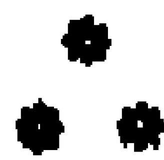
بشرى البريةِ قاصيها ودانيهـا حاطَ الخلافةَ بالدّستور حاميها[1]
لما رآها بلا رُكنٍ تداركَها بعد (الخليفةِ) بالشّورى ونَاديها[2]
وبالأبيّين من قوم أماتهم بُعدُ الدّيارِ وأحيـاهم تدانيها[3]
حنّوا إليها كما حنّتْ لهم زمنا وأوشكَ البينُ يلميهم ويبليهـا[4]

(١) حاط الخلافة : حفظها وتعهدها . وحاميها : هو الله تعالى . (٢) الشورى: التشاور فى الأمر . والمراد الرجوع فى الحكم إلى رأى الأمة . (٣) الأبيون : جمع أبى ، من الإباء ، وهو الكبر والنخوة . (٤) البين : الفرقة .

مشتتين على الغبراء تحسبهم ... رحّالة البدو هاموا فى فيافيها[١]
لا يقربُ اليأسُ فى البأساء أنفسهم ... والنَّفسُ إن قنطت فاليأسُ مُرديها[٢]



أسدى إلينا (أميرُ المؤمنين) يدا ... جلّت كما جلّ فى الأملاكِ مُسديها[٣]
بيضاء ما شابها للأبرياء دمٌ ... ولا تكدّر بالآثامِ صافيها[٤]
وليس مستعظَمًا فضل ولا كرمٌ ... من صاحبِ (السكة الكبرى) ومنشيها[٥]
إنّ النّدَى والرضَى فيه وأسرته ... واللهُ للخير هاديه وهاديها
قوم على الحب والإخلاص قد ملكوا ... وحسبُ نفسكَ إخلاصٌ يزكيها[٦]
إذا الخلائفُ من بيت الهدى حدت ... أعلى الخواقين من عثمان ماضيها[٧]
خلافة الله فى أحضان دولتهم ... شابَ الزمان وما شابت نواصيها
دروعُها ، تحتمى فى النائباتِ بهم ... من رمح طاعنها أو سهم راميها



---

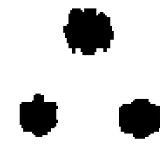
(١) البدو : الصحراء . ورحالة البدو ، أى الرحالة من أهل البدو . وهاموا : ذهبوا لا يدرون أين يتوجهون . والفيافى : جمع فيفاء ، وهى المكان المستوى أو المفازة لا ماء فيها

(٢) اليأس : أن يقطع الإنسان أمله من الشئ ، وهو القنوط أيضا .

(٣) أسدى : أحسن . وأمير المؤمنين : هو السلطان عبد الحميد . واليد : النعمة ، والمراد الدستور . وجلت : عظمت . والأملاك : الملوك (٤) بيضاء ... الخ ، وذلك أنه لم تكد أمة تستخلص الحكم من الملك المستبد به وتعيده الى رأيها إلا بعد حرب يقع بينه وبينها ، ولكن السلطان عبد الحميد لم يكد يعلم أن الجيوش زاحفة لتستخلص الحكم الشورى حتى رضيه وأقره فلم تقع يومئذ حرب ولا أريقت دماء . وإن كانت قد حدثت بعد ذلك فتنة أريد بها إرجاع الاستبداد وانتهت بخلع السلطان : (٥) السكة الكبرى : هى السكة الحديدية الحجازية ، وقد أنشأتها الدولة فى أيامه . (٦) يزكيها : يطهرها .

(٧) الخلائف : جمع خليفة : وبيت الهدى . هو بيت النبوة . والخواقين : جمع خاقان ، وهو اسم لكل ملك من الترك . وعثمان : هو مؤسس الدولة التركية :

الرأيُ رأيُ «أميرِ المؤمنين» إذا حارت رِجال وضلَّتْ فى مرائيها (١)
وإنمـا هى شُورى الله جاء بهـا كتابه الحقُّ يعليهـا ويغليها
حقَنتَ عند مناداةِ الجيوش بها دمَ البريةِ إرضـاء لباريهـا (٢)
ولو منعتَ أُريقت للعبـاد دما وطاحَ من مهج الأجناد غاليهـا (٣)
ومن يسُسْ دولة قد سُستها زمناً تهُنْ عليه من الدنيا عواديها (٤)
أتى ثلاثونَ حولاً لم تذُقْ سِنة ولا استخفَّكَ للذات داعيها
مسهَّدَ الجفنِ مكدودَ الفؤادِ بما يُضنى القلوبَ، شجىَّ النفس عانيها (٥)
تكادُ من مُحبة الدنيا وخِبرتِها تسىء ظنَّكَ بالدنيا وما فيها



أما ترى المُلْك فى عرسٍ وفى فرح بدولةِ الرأىِ والشورى وأهليها
لمّا استعدّ لهـا الأقوامُ جئتَ بها كالماء عند غليلِ النفسِ صاديها؟ (٦)
فضـل لذاتك فى أعناقِنا ويدٌ عند الرعيةِ من أسنى أياديها (٧)
خلافةُ الله جرّ الذيلَ حاضرُها بما منحتَ وهزَّ العطفَ باديها (٨)
طارت قَناها سروراً عن مراكِزها وألقت الغِمدَ إعجاباً مواضيها (٩)

---

(١) المرائى : الآراء ، جمع مرأى . (٢) حقنت دم البرية : منعته أن يسفك . البرية : الخلق . والبارى : الخالق . (٣) أريقت ، من أراق الماء : صبه . والدما : الدماء ، جمع دم . وطاح : هلك . والمهج . الأرواح . والأجناد : العسكر ، جمع جند ،
(٤) عواديها . جمع عادية من عدا عليه : ظلمه ، أى العوادى التى تصيبه منها .
(٥) مسهد الجفن : من سهده ، بالتشديد : جعله يسهد ، أى لا ينام . ومكدود الفؤاد : متعب . ويضنى القلوب : يثقلها . وشجى النفس : مشغولها ، والعانى : الأسير .
(٦) الغليل : شدة العطش . وغليل النفس : أى مغلولها . من غل الرجل ، بضم الغين : اشتد عطشه . والصاد : الشديد العطش أيضا . (٧) اليد هنا : النعمة .
(٨) الحاضر : المقيم فى الحضر . والبادى : المقيم فى البادية . (٩) عن مراكزها : جمع مركز ، من ركز القناة ، إذا غرزها فى الأرض . والغمد : جفن السيف . والمواضى : السيوف .

هبَّ النسيمُ على «مقدونيا» بَرَداً ... من بعد ما عصفت جراً سوافيها (١)
تغلى بساكنها ضغناً ونائرةً ... غلَّ الصدور إذا ثارت دواعيها (٢)
عاثت عصائب فيها كالذئاب عدت ... على الأقاطيع لمّا نام راعيها (٣)
خلا لها من رُسوم الحكم دارسُها ... وغرَّها من طلول الملك باليها (٤)
فسامرَ الشرُّ في الأجيال رائحها ... وصبَّح السهلَ بالعدوانِ غاديها (٥)
مظلومةٌ في جوارِ الخوفِ ظالمةٌ ... والنفس مؤذيةٌ من راحَ يؤذيها
رثت لها وبكت من رقةٍ دول ... كالبوم يبكى رُبوعا عزَّ باكيها (٦)
أعلامُ مملكة في القرب خافقةٌ ... لآل عثمان كادَ الدهرُ يطويها
لما مُلئنا قنوطاً من سلامتها ... توثبت أُسُدُ الآجام تحميها (٧)
من كل مستبسلٍ يرمى بمهجته ... في الهول إن هي جاشت لا يراعيها (٨)

---

(١) مقدونيا، هي إقليم البلقان، من تركية أوروبة. والبرد: حب الغمام. والعصف: اشتداد الريح. والسوافي: الرياح تذرى التراب، جمع سافية. (٢) تغلى أي، مقدونية. والضغن: الحقد: والنائرة، يقال: نارت في الناس نائرة، أي هاجت هائجة. ودواعي الصدور: همومها. (٣) عاثت: أفسدت. والعصائب: جمع عصابة، وهي الجماعة من الرجال، قيل العشرة وقيل ما بين العشرة إلى الأربعين وعدت: وثبت. والأقاطيع: جمع قطيع، وهو الطائفة من الغنم. (٤) الرسم الدارس: العافي القديم. والطلول: جمع طلل، وهو ما شخص من آثار الديار. (٥) فسامر الشر، من المسامرة، وهي الحديث ليلا. وصبح، بتشديد الباء، أتاه صباحا. (٦) رثت لها: رحمتها. وهذا البيت والأبيات قبله وصف لحالة مقدونيا، وذلك أن دول أوروبة كانت دائما تدبر المكائد للدولة التركية، وكانت تجد مقدونية أصلح مكان لمكايدها لما بين أهلها من اختلاف كثير في الجنس والدين واللغة، وكانت الدولة العلية لا تكاد تطفىء فتنة في ناحية منها حتى تشب فتنة في ناحية أخرى. وكلما كانت تتذرع بالقوة وإظهار الحزم في القضاء على أصحاب الثورات كان يشتد خوف الناس في هذا الإقليم.

(٧) يريد بأسد الآجام: رجال الجيش الذين طلبوا من السلطان عبد الحميد إعلان الدستور فأذعن لهم. (٨) المستبسل: المستقتل. والمهجة: الروح. والهول: الخوف من الأمر لا يدرى ما يهجم عليه منه. وجاشت: اضطربت.

كأنها وسلامُ الملك يطلبها   أمانةٌ عند ذى عهدٍ يؤدّيها

***

الدينُ لله من شاء الإله هدى   لكل نفس هوى فى الدين داعيها
ماكان مختلف الأديانِ داعيةً   إلى اختلافِ البرايا أو تعاديها
الكُتبُ والرسلُ والأديانُ قاطبةً   خزائنُ الحكمةِ الكبرى لِواعيها
محبةُ اللهِ أصلٌ فى مراشِدها   وخشيةُ اللهِ أسٌّ فى مبانيها(١)
وكل خيرٍ يُلقَّى فى أوامرِها   وكل شر يوقَّى فى نواهيها
تسامُحُ النفسِ معنى من مروءتها   بل المروءةُ فى أسمى معانيها
تخلَّقِ الصفحَ تسعد فى الحياةِ به   فالنفسُ يُسعدها خُلُقٌ ويُشقيها(٢)
اللهُ يعلمُ ما نفسى بجاهلةٍ   مَن أهلُ خِلّتها ممن يعاديها(٣)
لئن غدوتُ إلى الإحسانِ أصرِفُها   فإن ذلك أجرى من معاليها
والنفسُ إن كبُرت رقّت لحاسدِها   وآستغفرت كرما منها لشانيها(٤)

***

يا شعب عثمان من تركٍ ومن عربٍ   حياكَ من يبعث الموتى ويحييها
صبرت للحقّ حين النفسُ جازعة   والله بالصبر عند الحقّ موصيها
نلت الذى لم ينله بالقنا أحدٌ   فاهتف (لأنور ها) وآحمد (نيازيها)(٥)
ما بين آمالِك اللاتى ظفِرْت بها   وبين (مصر) معانٍ أنت تدريها

---

(١) المراشد : مقاصد الطرق . (٢) تخلق الصفح : أى اجعله خلقا لك . والصفح : الإعراض عن ذنوب الغير . (٣) الخلة (بكسر الخاء) : المصادقة والإخاء . (٤) شانيها : مبغضها . (٥) القنا : الرماح ، جمع قناة . وأنور ونيازى : هما بطلا الدستور العثمانى المشهوران .

الهلال والصليب الأحمران

(جبريلُ) أنتَ هدى السما ء وأنتَ برهانُ العِنايهْ (١)
ابسط جَناحيكَ اللذيْ ن هما الطهارةُ والهدايه
وزدِ (الهلال) من الكرا مةِ و(الصليبَ) من الرعايه
فهمـا لربك رايـة والحربُ للشيطان رايه
لم يخلق الرحمنُ أكـ بر منهـما فى البر آيه
الأحمران عن الدم الـ غالى وحرمتـه كنايه (٢)
الغاديان لنجـدة الرائحان إلى وِقايه (٣)
يتألقان على الوغى رشدًا تَبيَّن من غَوايه (٤)
يقفان فى جنب الدما كالعُذرِ فى جنب الجنايه
لو خيما فى (كربلا) لم يُمنع (السِّبطُ) السِّقايه (٥)
أو أدركا يوم المسيـ ح لعاوناه على النكايه (٦)
ولناولاه الشهد لا الـ خَلَّ الذى تصِفُ الروايه (٧)
يأيهـا (اللادى) التى ألقت على الجرحَى حِمايه (٨)

---

(١) جبريل، من الملائكة مختص بالوحى . (٢) الأحمران ... الخ : أى اللذان جعلا أحمرين ليكنى بهما عن الدم وحرمته . (٣) النجدة : الإعانة . (٤) يتألقان : يلمعان ويضيئان . (٥) كربلا : مدينة فى العراق بها قبر الحسين بن على رضى الله عنهما . والسبط : ولد الولد . والحسين : سبط النبى صلى الله عليه وسلم . يشير بذلك إلى مقتل الحسين وما قيل من أن قتلته منعوا عنه الماء حين طلبه وهو فى النزع .

(٦) يوم المسيح : أى اليوم الذى يزعم النصارى أن المسيح صلب فيه .

(٧) ولناولاه الشهد ... الخ ، وذلك أن النصارى تدعى أن المسيح طلب وقت شدة الصلب ماء فأعطوه خلا . (٨) اللادى : لقب عام لزوجات لوردات الإنكليز وهى هنا

أبليت في نزع السهـا   م بلاء دهرِكِ في الرمايه (١)
ومررت بالأسرى فكنـ   ـتِ نسيم واديهم بسرايه (٢)
وبناتُ جنسك إن بنيـ   ـن البرَّ أحسنَّ البنايه
بالأمس لادى (لوثر)   لم تأل جيرتها عنـايه (٣)
أسدت إلى أهل الجنو   د يدًا وغالت في الحفايه (٤)
ومحجباتٍ هنّ أطـ   ـهر عنـد نائبةٍ كفايه (٥)
يُسعفن رِيًّا أو قِرًى   كنساء طيّ في البـدايه (٦)
إن لم يكنّ ملائكَ الر   حمن كنّ لهُمُ حِكايه (٧)
لبّيْن دعوتكِ الكريـ   ـمةَ واستبقنَ البرّ غايه (٨)
المحسنونَ هم اللبا   بُ وسائر الناس النُّفايه (٩)
يأيها الباغون ركا   بَ الجهالة والغوايه
الباعثونَ الحربَ حـبًّـا للتوسّـع في الولايه
المدعون على الورى   حق القيامة والوصـايه

=زوجة المعتمد البريطاني في مصر أثناء الحرب الكبرى ، وذلك أنها قامت بجمع المال إعانة للصليب الأحمر وتدعو إلى ذلك . (١) أبليت ، من أبلى في الحرب : أظهر بأسه حتى اختبره الناس وامتحنوه . (٢) السراية : مصدر سرى ، أى لسلل .

(٣) لادى لوثر ، إنكليزية أخرى . ولوثر : اسم زوجها . والجيرة : الجيران .

(٤) الحفاية : الحفاوة ، وهي أن تتلطف بالرجل وتبالغ في إكرامه وتظهر السرور به .

(٥) ومحجبات ، أى ورب نساء محجبات لسن سافرات مثلكن . والكفاية : مايحصل به الاستغناء والقناعة . (٦) الرى (بكسر الراء وفتحها) : أن تعرب الماء حتى تشبع . والقرى : ماقرى به الضيف . وطى : قبيلة من العرب مشهورة بالكرم .

(٧) الملائك : جمع ملاك ، بفتح اللام . (٨) لبين : أجبن . واستبقن البر : جاوزنه .

(٩) اللباب : المختار الخالص من الشيء . والنفاية (بضم النون وفتحها) : ما نفيته من الشيء لرداءته ،

المتثكلون الموتمو ن الهادمون بلا نهايه (١)
كلُّ الجراحِ لها التئا مٌ من عزاءٍ أو نِسايه (٢)
إلّا جراح الحقِّ فى عصر الحصافة والدِّرايه (٣)
ستظلُّ داميــــة إلى يوم الخصومة والشِّكايه

[انتهى]

(١) المتثكلون ، من أثكلها ولدها ، أماته . والموتمون : الذين يجعلون الأبناء يتامى بقتل آبائهم فى الحرب . (٢) النسايه : النسيان .
(٣) الحصافة : استحكام العقل وجودة الرأى .

فهرس
الجزء الأول
من الشوقيات

صفحة

صفحة

صفحة

تمّ الفهرس

فهرس القصائد التى أنقصت أو حذفت بالكامل
من الشوقيات ، منذ عام ١٩٥٦